مكتبة جامعة الأمير عبد القادر
للعلوم الإسلامية
الدورية رقم : _____

ع-١٩
١٦

الجمهورية الجزائرية الديموقراطية الشعبية

وزارة التربية الوطنية

كتابة الدولة للتعليم العالي

قسنطينة

مصلحة الدوريات

معهد : أصول الدين

شعبة : الدعوة والاعلام

بحث مقدم لنيل شهادة الماجستير

الموضوع

الحرب النفسية في عصر النبوة

إعداد :

صالح حداد

إشراف :

د. مولود سعادة

قسنطينة 1993

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

SERVICES EL-MANAR CITE DES 5 FUSILLES SETIF Tel : 85-48-80

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نثقي وأستعين

«يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم

والله متم نوره

ولو كره الكافرون»

الصف : ٨

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المقدمة

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

مقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على من لا نبي بعده ، وآله وصحبه أجمعين .

اللّهم لا سهل إلا ما جعلته سهلا ، وأنت تجعل الحزن إن شئت سهلا .

وبعد :

منذ اليوم الأول الذي أعلن فيه الرسول ـ صلعم ـ الدعوة إلى اللّه الواحد الأحد ، ونبذ عبادة الأصنام والأوثان ـ بجميع أشكالها ـ وطرح حياة الجاهلية لتعارضها مع العقل السليم ، والفطرة التي فُطر الناس عليها . قرر المشركون أن يتصدوا لهذه الدعوة بكل الوسائل التي يملكون ؛ لأنها جاءت لتحطم أصنامهم ـ المادية والمعنوية ـ ولتهديم حياتهم السياسية والاجتماعية والاقتصادية ، ولتحدث تغييرا في منظومتهم الفكرية التي أخلدت إلى الأرض ، ورضيت بالعبودية للأوثان ، والاستعباد للعباد واتباع الشهوات والغرائز ـ المادية والمعنوية ـ .

هذه الدعوة التغييرية المفاجئة التي جاء بها الإسلام سقطت على رؤوس الشرك كقارعة زلزلت كيانهم ـ داخليا وخارجيا ـ ؛ مما جعلهم يعلنون حالة الاستنفار ويعقدون العزم ، ويعلنون الحرب ـ على جميع الأصعدة ـ لمحاربة هذه الدعوة الجديدة قصد القضاء عليها في المهد ، وذلك بالقضاء على صاحبها وكل من تبعه ـ مهما كانت منزلته ـ حتى يرجع لهم عزهم وكبرياؤهم في الداخل والخارج .

وهذه الحرب التي أعلنتها قوى الشرك ضد صاحب الرسالة ، ورسالته وأتباعه ، هي ما يسمى بمصطلحات عصرنا اليوم " الحرب النفسية" .

فإذا كان هذا المصطلح ـ الحرب النفسية ـ غير معروف في تلك الحقبة من الزمن ، فإن مضمونه كان قائما ، لأنه جزء من صراع الإنسان لأخيه الإنسان منذ وجوده على هذه البسيطة .

استعملت الحرب النفسية على الصعيدين المدني والعسكري بكل ضراوة ـ في عصر النبوة ـ سواء من قِبل المشركين ، أو اليهود ، أو المنافقين ، أو من بعض المرجفين الذين يسيرون في تيار الركب الضال كما هو الشأن في كل الأزمنة .

ففي مكة المكرمة ـ مهد الدعوة الإسلامية ومولد الرسول الأعظم ـ صلعم ـ تعرضت الدعوة وصاحبها إلى أبشع أساليب الحرب النفسية في ذلك العصر متمثلة في الإيذاء الجسدي بجميع أنواعه ، إلى جانب الإيذاء المعنوي (النفسي) المتمثل في بث الدعايات السوداء ، والشائعات المغرضة ، والتضليلات الإعلامية المشوهة ، إلى جانب أساليب الحرب النفسية من سخرية واستهزاء ، واتهامات ملفقة بالكذب والأباطيل ، بل تعدت أساليب هذه الحرب النفسية العفنة إلى مساومة شخصية النبي ـ صلعم ـ بإغراءات شتى ، وبضغوط مختلفة ، ووصلت إلى استعمال سلاح المقاطعة الشاملة ، اقتصاديا ، واجتماعيا ، وسياسيا .. بل إلى الملاحقة والتشويه أمام الرأي العام ـ داخليا وخارجيا ـ .

كانت هذه الأساليب كلها تهدف إلى القضاء على الإسلام الذي جاء بمنظومة فكرية جديدة تخالف مصالحهم وأهواءهم ، وذلك بتخذيل الفئة المؤمنة وعلى رأسها صاحب الرسالة ، وإضعافها ، وتوهين قواها ـ المادية والمعنوية ـ وتشويه صورتها أمام الجماهير حتى تبتعد عنها ، وبالتالي الابتعاد عن الدين الجديد ، ومن ثم القضاء على هذه الرسالة في مهدها .

لكن اللّه ـ عز وجل ـ أحبط كل مؤامراتهم وأساليبهم ، وجعلها تربية للفئة المؤمنة ليسهل عليها حمل الرسالة الربانية وتبليغها للناس كافة .

وسط هذه الحرب النفسية الشرسة لاقى المؤمنون وعلى رأسهم صاحب الرسالة ألوانا بشعة من أنواع العذاب ـ المادي والمعنوي ـ مما اضطرهم إلى الخروج من بلدهم الأصلي ـ مكة المكرمة ـ والهجرة إلى خارجها آخرها التوجه نحو "يثرب" بما فيهم صاحب الرسالة ـ صلعم ـ بعدما أذن اللّه له بذلك .

هاجر المسلمون إلى "يثرب" التي أصبحت تعرف فيما بعد بـ"المدينة المنورة" تاركين وراءهم كل ما يملكون من أموال ، وعقارات ، وأراضٍ ، وأحبة .. إلا دينهم الجديد الذي اعتنقوه عن قناعة ، وتعذبوا من أجله ، وهاجروا لأجل نشره وتطبيقه على أرض الواقع .

في المدينة المنورة الأرض الجديدة للإسلام والمسلمين كوّن الرسول ـ صلعم ـ المجتمع الإسلامي الأول الذي كان له الفضل الأكبر في بناء صرح الأمة المسلمة ـ بكل مقوماتها ـ .

لكن المسلمين في المدينة المنورة وجدوا عدوين لدودين يتمثلان في اليهود والمنافقين ، فاليهود ـ العدو الأول للمسلمين ـ لما رأوا المجتمع الإسلامي واقعا ملموسا أمام حواسهم ، ثارت ثورتهم النفسية المعبرة عن الحقد الدفين الذي يكنونه للأنبياء بصفة عامة ولخاتم الرسل بصفة خاصة ـ علما بأنهم كانوا ينتظرون نبيا من بني جلدتهم ـ لأنه خرج من سلالة العرب ، وهذا معناه خروج العرب من الأمية والجهل ، والتمزق والفرقة ، والذل الحضاري والفكري ، وجعلهم أمة متماسكة متعلمة ، واعية ذات رسالة عالمية تبدد الظلم والظلام ، وتنير العقل والفكر ، وتشيع النور والخير والعلم ، والمعرفة للوصول بالإنسان إلى سلوك رفيع .. وهذا ما لا يقبله اليهود أبدا .

لكل ما سبق جعل بني يهود يتقيأون حقدهم وحسدهم ومكرهم على الدين الجديد لاستشعارهم بالخطر الأحمر على مصالحهم ومكانتهم المزعومة القائمة على تشتت العرب وتفرقهم ببث روح الشقاق والتناحر القبلي ، والعصبية الممقوتة ، مما جعل القلق النفسي و الفكري يساورهم ؛ فتحركت شخصياتهم المريضة بالحقد وبدأت تتربص بهذا الدين مستعملة الدعايات والشائعات المغرضة ، والأخبار المضللة وذلك ببث الشكوك والطعن في العقيدة وصاحبها ، وإثارة الأحقاد القديمة بين المسلمين ، مستغلين بعض الأخطاء الطبيعية وتضخيمها وتزويقها قصد إيهام الرأي العام المسلم وغير المسلم لبلبلة أفكار الأول وصد الثاني عن التفكير في هذا الدين الجديد ، وبالتالي الوصول إلى هدفهم الرئيسي المتمثل في القضاء على الإسلام وأهله .

وإلى جانب هذا السرطان اليهودي ، يوجد سرطان داخلي ـ طابور خامس ـ متمثل في المنافقين الذين أظهروا الإسلام ، وأبطنوا الكفر ، مما صعّب على المسلمين معرفتهم ومقاومتهم ، وبالتالي سهلت مهمتهم حيث تلقى المؤمنون من هذا ـ الطابور الخامس ـ ضربات نفسية قاسية ، و أتعابا ومحنا شديدة كادت تزلزل كيان المجتمع الإسلامي آنذاك ، لأن المنافقين استعملوا في حربهم النفسية سلاح الحواجز والموانع ، والعقبات في طريق الدعوة الإسلامية ، ومارسوا كل الأعمال التخريبية للذات بث روح التخاذل ، وانتحال الأعذار ، وإشاعة الأسف والندم على الذين يموتون في الجهاد ، وإظهار الطاعة و إخفاء المكر و الخديعة ، إلى جانب المواقف الملتوية و التذبذب في الأفكار والآراء ، بل وصل بهم الأمر إلى حد الطعن في عرض رسول الله ـ صلعم ـ ، وحتى بالتشكيك في الأوامر الإلهية .

لكن هذه الأساليب ذهبت أدراج الرياح وباءت بالفشل الذريع ـ بفضل الله ـ لأن القرآن كان دوما بالمرصاد لهم ؛ حيث كشفهم وعرّى أساليبهم ، وفضحهم أمام المؤمنين ؛ بل هاجمهم ووعدهم بالخيبة والحسرة في الدنيا ، وبالدرك الأسفل من الجحيم في الآخرة ، مما جعلهم يفشلون ويندحرون عن مواقعهم ومواقفهم على جميع الأصعدة و في جميع المجالات .

سبب إختيار البحث

إن ما يواجهه المسلمون اليوم من حرب نفسية شرسة ـ على جميع الأصعدة ـ لايختلف عما واجهه مسلمو عهد الرسول ـ صلعم ـ ، باستثناء تجدد الأساليب و تقنياتها .

ومن خلال قراءتي المتعددة لسيرة الرسول ـ صلعم ـ قصد استلهام العبر والقدوة في الثبات على المبدأ أو المواقف من خلال الأحداث و الوقائع التي عاشهاالنبي ـ صلعم ـ وأتباعه في تلك الحقبة من الزمن و التي تعرف بعصر النبوة .

هذه الأحداث و الوقائع سواء على الصعيد المدني أو الصعيد العسكري هي التي أثارت في نفسي حوافز شتى ، ومنحتني حبّ الكتابة في هذاالموضوع ؛ لأنني رأيتها ـ الأحداث و الوقائع ـ تتكرر مع المسلمين الصادقين في كل زمان ومكان ، رغم أنها في عصرنا اليوم زادت ضراوة وشدة ، لأن أعداء الإسلام ـ بجميع أصنافهم ـ وجدوا الساحة الإسلامية مناخا خصبا لهم ، على عكس عصر النبوة ، مما جعلهم يستغلون المناخ استغلالا محكما مبنيا على أحدث الوسائل العصرية ، و على رأسها وسائل الإعلام التضليلية ؛ قصد القضاء على الإسلام الذي بقي شامخا وصامدا في وجه الحضارات الإنسانية رغم الجراح و الآلام التي أصابت أهله من جراء تخلفهم على جميع الأصعدة ، وتنامي المنافقين وأهل الباطل في الساحة الإسلامية مما صعب على أهل الحق الدفاع والحماية لإسلامهم و أنفسهم .

فحال المسلمين ـ في عصرنا اليوم ـ جعل الأعداء يصولون و يجولون ويتفننون في نشر الدعايات السافرة الكاذبة ، والشائعات المغرضة ، عازفين على أوتار الطائفية مرة ، والمذهبية مرة أخرى ، ناعتين المسلمين بأبشع النعوت التي عرفها العصر فهم تارة رجعيون ، وتارة عملاء وخونة ، وأخرى متطرفون وإرهابيون...

إلى جانب استعمال أساليب السخرية ، والاستهزاء ، والسب ، والشتم ، وكل أنواع الأذى المختلفة - ماديا ومعنويا - ، زيادة عن إشعال نار الفتنة ، والفرقة والتشتت واستغلال الأخطاء - وما أكثرها - وتضخيمها وإبرازها في صور تضليلية قصد تفتيت الصف الإسلامي ، وتأجيج روح الخلاف ، وتزيين عوامل العداوة بين المسلمين - على جميع الأصعدة - سواء كانوا أفرادا ، أو جماعات ، أو دويلات ...

لكل هذا اخترت هذا الموضوع علّني أشارك بقدر استطاعتي العلمية مصداقا لقوله تعالى :« ** لا يكلف الله نفسا إلا وسعها ... » .[1]

أهداف البحث

من الأهداف الأساسية المرجوة من هذا البحث ما يلي :

أولا : الرجوع إلى السيرة النبوية العطرة ودراستها دراسة علمية بمصطلحات العصر قصد تقريب مفهومها من الجماهير المسلمة اليوم ، وجعلها تعيش أحداثها ووقائعها ، وذلك بدراسة هذه الأحداث والوقائع التي عاشها الرسول - صلعم - وصحابته - رضوان الله عليهم - ، ومن ثمة الوقوف على الوسائل المستعملة من قبل أعداء الإسلام - بجميع جبهاتهم - في حربهم النفسية للرسول - صلعم - ورسالته ، والمشابهة للحرب النفسية التي يعيشها مسلمو اليوم على جميع الأصعدة.

ثانيا : معرفة مواجهة هذه الحرب من خلال مواقف الرسول - صلعم - وكيفية تربيته عليه الصلاة والسلام للفئة المؤمنة الأولى ، وجعل هذا نبراسا عمليا يضيء طريق المسلمين اليوم في مقاومتهم للحرب النفسية التي تُشن عليهم من الداخل والخارج ، وعلى جميع الأصعدة .

ثالثا : دراسة هذا الجانب الهام من سيرة الرسول - صلعم - والمتمثل في الحرب النفسية دراسة تتماشى ومصطلحات المنظومة الفكرية المعاصرة ، مما يجعلها تؤدي مفعولها في واقع المسلمين اليوم ، وبالتالي الابتعاد عن الأساليب القديمة التي تروى بها السيرة النبوية العطرة ، وكأنها قصص وأحداث تاريخية لزمان غير زماننا ؛ تروى في بعض المناسبات كتراث للتذكر والتسلية ليس إلا !! وليست كنبراس للهداية والتوجيه واتباع طريق الرسول - صلعم - ورسالته .

رابعا : فهم خطط الأعداء وأذنابهم - الطابور الخامس - وذلك من خلال فهمنا للأحداث والوقائع على الصعيدين المدني والعسكري - في عصر النبوة - لأن الأساليب المستعملة بالأمس هي نفسها المستعملة اليوم ، وما تغيرت إلا تقنياتها .

خامسا : الوقوف في أرض الواقع على مواقف الرسول - صلعم - وأصحابه - رضوان الله تعالى عليهم - وتجسيدها - قولا وفعلا - في حياتنا اليومية ؛ قصد التصدي لمخططات الأعداء - داخليا وخارجيا - و ردّ أساليبهم التضليلية والتشويهية بواسطة الدعايات والشائعات ..

سادسا : بث روح اليقظة والوعي في نفوس المسلمين ، وجعلهم يستشعرون المسؤولية الملقاة على كاهلهم مما يدفع بهم إلى العمل الجاد المبني على

(1) - سورة البقرة :الآية ٢٨٥.

العلم الشرعي ؛ قصد مواجهة التحديات - على جميع الأصعدة - حتى ينتصر إسلامهم أو يستشهدوا في سبيله .

أهمية البحث

من خلال ما ذكر سابقا - سبب اختيار البحث وأهدافه - يتضح جليا أن هذا الموضوع ذو أهمية كبيرة وخاصة في عصرنا اليوم ؛ مما يجعله يستحق العناية والتشجيع - بغض النظر عن كوني أصبت الهدف أم لا - وإنما هي محاولة تنبيهية ومساعدة متواضعة من طالب يحب أمته ويكره أعداءها ، أراد أن يرشد الدارسين المختصين إلى مثل هذه المواضيع التي أصبحت حكرا لدى أعداء الإسلام يوجهون بها المسلمين كما يشاؤون ، بينما باحثو المسلمين - إلا من رحم الله - ما يزالون يعيشون في دراستهم وبحوثهم في عصر الإنحطاط ، مما جعل الهوة تتسع بينهم وبين طلبتهم وقرائهم من الجماهير المسلمة التي أصبحت تتأثر بشكل مباشر وغير مباشر من الدراسات العلمية بمناهجها ومصطلحاتها الجذابة والتي هي - للأسف الشديد - علم يمتلكه أعداء الإسلام .!!!

منهجي في البحث

لقد اعتمدت في دراستي لهذا الموضوع على المنهج الوصفي التاريخي والمنهج التحليلي المقارن ، حيث ركزت على الأول قصد الاستفادة من تاريخنا الإسلامي المتمثل في سيرة النبي - صلعم - لأخذ الدروس والعبر والتوجيه والإرشاد من مواقف النبي - صلعم - ، وأصحابه - رضوان الله تعالى عليهم - كل هذا من أجل الوصول بالإنسان المسلم إلى فهم الحوادث ذات الجوانب الإيجابية التي كان عليها السلف الصالح ، ومن أجل الاقتداء بهم ؛ متجنبين في الوقت نفسه الظواهر السلبية التي ظهرت كأخطاء إنسانية في تلك الحقبة من الزمن ، وذلك للوصول إلى أخذ العبرة من مواقف القوة والاعتزاز ، والابتعاد عن مواقف الضعف ، وكل هذا من أجل تطعيم الحياة اليومية للواقع المزري الذي يعيشه المسلمون .

أما المنهج التحليلي المقارن فقد اعتمدته لأنه من خلاله يتوصل الباحث إلى تحليل الظواهر ومقارنتها ومنها ظاهرة "الحرب النفسية" التي بيّنّا خطرها وأهدافها وأسلحتها ، وعرّفنا أساليبها التي كان لها الأثر الكبير علي جميع الأصعدة حيث استعنا في تحليلنا لهذه الظاهرة على الوسائل العصرية - أساليب الإعلام - التي أصبحت تقاس بمدى تأثيرها في عوامل التغيير الاجتماعي أو الاقتصادي أو السياسي أو العقدي .. من أجل الوصول إلى آثار سلبية أو إيجابية ...

هذا إلى جانب تركيزي على مصادر السيرة ، وكتب التفاسير والحديث ؛لما لهذه المصادر من قيمة علمية في المجال الإسلامي ، وفي الوقت نفسه احتوائها على معظم المادة لمثل هذا الموضوع . بالإضافة إلى المراجع الأساسية التي لها علاقة بالموضوع - بطريقة مباشرة أو غير مباشرة - بحيث اعتمدت على المراجع التي لها

قيمة علمية أكاديمية ، وهذا يظهر من خلال مؤلفيها الذين لهم باع في الميدان العلمي معتمدا في كل ما سبق على منهج البحث العلمي الذي يعتمد على التمحيص والتحقيق والاستدلال بالنصوص ...

تقسيم البحث

لقد قسمت البحث إلى مقدمة ، وأربعة أبواب ، وخاتمة ، ورتبته على النحو التالي :

- **مقدمة** : تناولت فيها بإيجاز الأفكار الجوهرية التي يدور حولها موضوع البحث مع طرح بعض الإشكاليات التي يثيرها ، ثم بينت سبب اختياري لهذا البحث وأهدافه ، ومنهج الدراسة فيه ، وتقسيمه ، والجهد المبذول والصعوبات ، وأخيرا كلمة الشكر والثناء .

أبواب البحث

- الباب الأول : الحرب النفسية

ويحتوي على ثلاثة فصول :

الفصل الأول : مفهوم الحرب النفسية

تناولت في هذا الفصل دراسة النقاط التالية :

أولا : مفهوم الحرب النفسية ، بينت من خلاله مفهوم الحرب النفسية باختصار .

ثانيا : نبذة تاريخية عن الحرب النفسية ، حيث وضحت من خلال هذه النبذة التاريخية القصيرة ، تطور هذه الحرب ، وكيف استخدمت عند الشعوب قديما وحديثا .

ثالثا: تعريفات الحرب النفسية ، ركزت في هذه النقطة على تعريفات الحرب النفسية سواء على صعيد المؤسسات العسكرية عند الدول الكبرى ، أو على الصعيد الأكاديمي من قِبل المختصين .

رابعا : مصطلحات الحرب النفسية ، ثبتُّ في هذه النقطة المصطلحات المستعملة للحرب النفسية ؛ التي رغم اختلافها فإنها تهدف إلى هدف واحد وهو شل جبهة الخصم .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفصل الثاني : أهداف الحرب النفسية

ركزت في هذا الفصل على الأهداف العامة للحرب النفسية ، ثم بينت دور جبهة العدو على الصعيدين العسكري والمدني ؛ مبينا في الوقت نفسه كيفية تجنيد وكسب جبهة الأصدقاء ، والمحايدين ، إلى جانب التركيز على الجبهة الداخلية على جميع الأصعدة .

الفصل الثالث : أسلحة الحرب النفسية

ركزت في هذا الفصل على أهم أسلحة الحرب النفسية وهي :

أولا : الدعاية : وضحت مكانة هذا النوع الخطير من أسلحة الحرب النفسية ، حيث عرفتها ، وبينت أنواعها وأهدافها ، ومميزاتها ...

ثانيا : الشائعة : بينت دور الشائعة في تخريب النسيج الاجتماعي للأمة وذلك من خلال التعريف بها ، وأنواعها وأهدافها ، ومميزاتها ، وتقنياتها ...

ثالثا: غسل الدماغ : هذا السلاح الخطير الذي يستعمل قصد تشكيل عقلية جديدة ، لذلك عرفت هذا السلاح ، وبينت أهدافه ، وتقنياته ، ثم كيفية مقاومته .

رابعا: الإعلام التضليلي: ركزت في هذه النقطة على دور الإعلام التضليلي والذي أصبح يمثل الدور الرئيسي في بلبلة الرأي العام ، وذلك بخلط الأوراق ، على جميع الأصعدة ... فبينت دوره في العداء من خلال تعريفه ، وأهدافه ، وتقنياته ، ثم كيفية مقاومته ..

- الباب الثاني :أساليب الحرب النفسية - في عصر النبوة - على الصعيد المدني

قسمت هذا البحث إلي ثلاثة فصول مرتبة كما يلي :

الفصل الأول : أساليب المشركين

تناولت في هذا الفصل النقاط التالية :

أولا : الأذى المعنوي (النفسي) : وضحت من خلال هذه النقطة الأساليب التي استعملها المشركون ، كالسخرية ، والاستهزاء ، والاتهام بالكذب ، والكهانة والشعر ، والشعوذة ، والسحر والجنون .. ، وإثارة الفتن ، والوقيعة داخل جبهة الخصم ، إلى جانب أسلوب الإغراء ، والمساومة والمقاطعة ، والتعجيز والحرب الكلامية ...

ثانيا : الأذى المادي (الحسي) : بينت من خلال هذا الأسلوب ما عاناه النبي - صلعم - من اعتداءات حسية ، من قبل المشركين أفرادا وجماعات ،مستخدمين

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

كل الوسائل الحسية التي تؤذي النبي ـ صلعم ـ بما في ذلك وسائل القتل العمدي ...

ثالثا : أسلوب التشكيك في العقيدة : ركز المشركون من خلال هذا الأسلوب على المعارضة التضليلية ، والمجادلة التشويهية ، والتلفيق والافتراء .. حتى يثبتوا للرأي العام الجاهلي أن القرآن بشري ، وليس وحيا يوحى من عند اللّه !!

رابعا : **أسلوب العنف والاضطهاد للأتباع** : حيث بينت من خلاله أنواع التعذيب التي استخدمها المشركون ضد أتباع الإسلام ، من أجل غسل أدمغتهم ، وذلك بوسائل تعذيبية متعددة أوصلت البعض منهم إلى الموت ..

كل هذه الأساليب المستعملة من قِبل المشركين كانت تهدف إلى تحطيم شخصية النبي ـ صلعم ـ ، وأصحابه ، وتحطيم معنوياتهم ، وبالتالي القضاء على الدين الجديد . !!!

الفصل الثاني : أساليب اليهود

تناولت في هذا الفصل الأساليب التي استعملها اليهود مع النبي ـ صلعم ـ كالجدل والمغالطة ، والتعجيز ، وقلب الحقائق ، وإثارة البلبلة ، وإحياء الفتن والأحقاد ، إلى جانب الحصار الاقتصادي ، والطعن في العقيدة ، ومحاولة تفجير الإسلام من الداخل ، والرفض الجماعي للإسلام ، والخيانة والغدر ، وصرف الناس عن الإسلام ، والاعتداء على الأعراض ، وتكوين جبهة متحالفة مع أعداء الإسلام ..

كل هذه الأساليب وغيرها استعملها اليهود من أجل القضاء على الإسلام .!!

الفصل الثالث : أساليب المنافقين

وضحت في هذا الفصل أساليب المنافقين المستعملة في عصر النبوة والتي تمثلت في إيذائه ـ عليه الصلاة والسلام ـ بالاتهامات الباطلة ، وتخذيله أثناء الأحداث والوقائع ، إلى جانب تشكيلهم "طابور خامس" ؛ قصد التجسس وتتبع عورات المسلمين ، بالإضافة إلى موالاتهم لليهود والنصارى ، ورفضهم شريعة اللّه ورسوله والعمل على إقامة مؤسسات مضادة ؛ كبنائهم مسجد ضرار ..

ثم ركزت على ترويج الشائعات التي كانوا يتفننون فيها مستغلين بعض الظروف والحوادث العادية ؛ من ذلك :

- إثارة الفتنة بين المهاجرين والأنصار .
- حادثة الإفك .
- زواج الرسول ـ صلعم ـ من زينب .
- توزيع الغنائم .

ـ الباب الثالث : أحداث ووقائع الحرب النفسية ـ في عصر النبوة ـ على الصعيد العسكري

وينقسم إلى ثلاثة فصول مرتبة كما يلي :

الفصل الأول : غزوة بدر

ويحتوي على العناصر التالية :

أولا : الاستراتيجية العامة في غزوة بدر على الصعيد العسكري : تناولت فيها بالدراسة دور المسلمين في هذه الاستراتيجية ، سواء من حيث التهيئة العامة قبل المعركة ، أو التكتيك العسكري أثناء المعركة ـ ماديا ومعنويا ـ .

كما بينت دور استراتيجية المشركين ، وكيفية استغلالهم للفرص قصد القضاء على الإسلام ؛ مما جعلهم يستنفرون الرأي العام الكافر ، ويعلنون حالة الطوارئ على جميع الأصعدة ..

ثانيا : استراتيجية العمليات القتالية في الميدان : حيث ركزت علي التكتيك القتالي ، سواء من جانب المسلمين الذين استغلوا هذا التكتيك ـ ماديا ومعنويا ـ مما جعل النصر حليفهم بفضل الله .

وبينت تكتيك المشركين ـ ماديا ومعنويا ـ موضحا في الوقت نفسه هزيمة المشركين وأسبابها .

ثالثا : في الأخير أعطيت نتيجة عامة لهذا الفصل .

الفصل الثاني : غزوة أحد

تناولت في هذا الفصل دراسة النقاط التالية :

الاستراتيجية العامة لغزوة احد : حيث وضحت في البداية استراتيجية المسلمين المتمثلة فيما يلي :

أ ـ قبل المعركة

ب ـ التكتيك العسكري للخطة الدفاعية

ثم بينت استراتيجية المشركين المتمثلة في :

أ ـ قبل المعركة

ب ـ التكتيك القتالي

وفي آخر الفصل ، وضحت الأسباب المباشرة ، وغير المباشرة التي كانت سببا في نكسة المسلمين كنتيجة وعبر ودروس ، بالإضافة إلي طرح سؤال ما زال قائما إلى اليوم . هل انهزم المسلمون ؟ !!

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفصل الثالث : غزوة الأحزاب (الخندق)

ويحتوي هذا الفصل على العناصر التالية :

الاستراتيجية العامة للغزوة : حيث وضحت استراتيجية المسلمين قبل المعركة ، ثم مواجهتهم للحلف الكافر ..

وتطرقت إلى الأحزاب الكافرة المتحالفة ؛ مبينا مواقفها ، واستعدادها قبل الخروج وأثناء حصار المدينة ، ثم تشتتها وتفرقها ، وانسحابها ..

وفي الأخير دروس وعبر من خلال هذه الغزوة .

ـ الباب الرابع : مواجهة الحرب النفسية في الإسلام

يحتوي هذا الباب علي ثلاثة فصول وهي :

الفصل الأول : دور العقيدة في تقوية عوامل الوحدة والتماسك وقطع أسباب الفرقة والخلاف

ويشتمل هذا الفصل على ما يلي :

أولا : التربية العقائدية : حيث وضحت في هذا العنصر دور التربية العقائدية على الصعيد المدني ، ثم على الصعيد العسكري ، سواء على مستوى الإعداد المادي ، أو الإعداد المعنوي .

ثانيا : العمل على تقوية الوحدة والتماسك : بينت في هذا العنصر دور البعد الوحدوي ، والبعد الاجتماعي ، والبعد المصيري ، في المحافظة على الوحدة والتماسك وتقويتهما .

ثالثا : قطع اسباب الفرقة والخلاف : وذلك من خلال إقامة العدل والحرية ومحاربة الظلم والاستبداد ، وإحياء القيم الإسلامية .

الفصل الثاني : معرفة أهداف العدو ومخططاته ومقاومتهما

ويتناول النقاط التالية :

أولا : معرفة اهداف العدو ومخططاته :وذلك على مستوى الفكر ،ومستوى الشؤون العامة ، ومستوى الإعلام ، والمستوى الاستراتيجي .

ثانيا : مقاومة اهداف العدو ومخططاته : وذلك عن طريق اعتماد المنطق والروح العلمية ، وتربية الجماهير ، والإعداد والتخطيط المنهجي .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفصل الثالث : تشكيل عقلية عقائدية واعية

ويحتوي على العناصر التالية :

أولا : التصور الفكري الواعي : وذلك من خلال الفكر الواعي واستمرار اليقظة ، والمحافظة على الأسرار ، وعدم التجسس على المسلمين .

ثانيا : تفسير الوقائع والأحداث : وذلك عن طريق الموضوعية ، والصدق والمصارحة ، والتعاون على رد الأكاذيب ووأدها .

ثالثا : دور الإعلام العقائدي في تشكيل التصور : وذلك من خلال الإعلام العقائدي وأهدافه ، والتركيز على الوسائل الإعلامية المهمة .

ـ الخاتمة : لقد ركزت فيها على أهم النتائج التي أعتبرها ضرورية ـ في نظري ـ لكل مسلم ومسلمة يسعى للحفاظ على إسلامه وأمته ، حيث بينت حقيقة الحرب النفسية ، وأهدافها ، واستخدامها من قبل ألد أعداء الإسلام والإنسانية ، وهم اليهود ، ثم استخدامها من قبل أعداء الإسلام ـ بجميع أشكالهم ـ ، وفي الأخير وضحت دور الحرب النفسية في الإسلام مركزا على الجانب المعنوي ، ودور الابتلاءات في تقويته .

الجهد المبذول والصعوبات

كما هو معلوم ، فإن إنجاز أي عمل ـ مهما كان ـ لا بد له من مجهودات وصعوبات شتى تعترض طريق صاحبه ، وبالفعل فقد وجدت صعوبات عديدة لإنجاز هذا البحث منها :

1 ـ قلة المراجع المتخصصة في هذا العلم ـ الحرب النفسية ـ لما لهذا العلم من خصوصيات حتى في العالم الأول ـ كما يقولون ـ .

2 ـ صعوبة الحصول على المراجع شبه المتوفرة من المكتبات الجامعية وغيرها ، نظرا لنظام هذه الأخيرة ، والتي لا تسمح للطالب بالبحث والدراسة بحرية ولا تعيره الكتب التي يريدها .

3 ـ حداثة الموضوع ، ومصطلحاته ، وبعده عن هذه الدراسة في واقعنا ـ خاصة البحوث الإسلامية ـ مما جعل التوجيه والإرشاد من قبل الأساتذة ، وبعض المختصين في الدراسات النفسية صعبا ؛ خاصة عندما يعلمون أن الموضوع له علاقة بمفاهيم إسلامية ، وهذا رغم استحسانهم وتشجيعهم لي على اختيار الموضوع والبحث فيه .

4 ـ بعض الصعوبات الخاصة التي أعاقتني أثناء إنشاء هذا البحث ، والتي كادت أن تكون صخرة قوية تسد طريقي من جميع جوانبه ؛ لولا أن اللّه عز وجل زودني بالإرادة والثبات ، والصبر على مواصلة السير إلى آخر الطريق ، فله الشكر والمنة وحده .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

5 ـ صعوبة الحصول على مشرف ، مما جعل هذا البحث تطول مدة إنجازه رغم إرادة صاحبه وجدّه ، وهو ما جعل هذه الجدية والإرادة تنهار وتتلاشى لولا أن وفقني الله في الأخير إلى مشرف .

هذه بعض الصعوبات أردت ذكرها على سبيل المثال فقط ، لأنني عرفت من خلال الواقع أن جل طلبتنا يعانون منها ؛ مما جعل الكثير منهم ينهار ، ويفشل في بداية الطريق ، فمتى تزول هذه العقبات أمام الباحثين .. ؟ ! .

كلمة شكر وثناء

لا يفوتني في الأخير أن أشكر الله سبحانه وتعالى على أن يسر لي الأمور وسهلها ، وزودني بالإرادة والقدرة ، ووفقني إلى إنجاز هذا البحث ، كما أتقدم بالشكر والتقدير إلى كل الذين شاركوا ـ من بعيد أو من قريب ـ بتقديم يد العون والمساعدة ـ بطريق مباشر أو غير مباشر ـ أثناء إنجاز هذا البحث ، سواء بالتوجيه والإرشاد ،أو بالتشجيع والتأييد ، أو بتقديم مرجع أو الإدلال عليه ...

كما أتقدم بشكري وتقديري للأستاذ المشرف على إرشاداته وتوجيهاته الشرعية والعلمية في إنجاز هذا البحث ، دون أن أنسى الأساتذة الأفاضل الذين قبلوا بمناقشة هذا البحث والحكم عليه .

فالله أرجو أن يجازي الجميع خير الجزاء ، وأن يجعل أعمالهم وأعمالي خالصة لوجهه الكريم ، وأن يغفر لهم ولي ما يكون في هذا البحث من خطإ أو نقص وأن يأجرنا جميعا على ما وفقنا إليه . إنه قريب مجيب .

« ... الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله ... »[1]

---

(1) ـ سورة **الأعراف** ، الآية ٤٣ .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الباب الأول

الحرب النفسية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفصل الأول

مفهوم الحرب النفسية

تمهيد

أولا : مفهوم الحرب النفسية

ثانيا : نبذة تاريخية عن الحرب النفسية

ثالثا : تعريفات الحرب النفسية :

أ - عند أمريكا

ب- عند ألمانيا

جـ- عند بريطانيا

د- تعاريف مختلفة

رابعا : مصطلحات الحرب النفسية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

بسم الله الرحمن الرحيم

«... ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردُّوكم عن دينكم إن استطاعوا »

البقرة : ٢١٧

مفهوم الحرب النفسية

« كثيرا ما غيرت الحرب النفسية وجه التاريخ »

تشرشل .

« لكي تنتصر دولة ما في حرب فإن عليها أن تشن الحرب النفسية قبل أن تتحرك قواتها إلى ميدان القتال وتظل هذه الحرب تساند هذه القوات حتى تنتهي من مهمتها »

ديغول .

« إن القائد الناجح هو الذي يسيطر على عقول أعدائه قبل أبدانهم »

رومل .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

تمهيد

لقد خلق الله الإنسان و فضله و ميزه عن سائر المخلوقات الحية، و زوده بقدرات عقلية و وجدانية ترشده و توجهه إلى الطريق الأمثل لتحقيق سعادته و ذاته في هذا الوجود .

و من أجل تحقيق هذا الوجود و حب البقاء بدأ الصراع بين الإنسان و أخيه الإنسان منذ فجر التاريخ و إلى أن يرث الله الأرض و من عليها.

لذلك استعمل الإنسان كل الوسائل-مادية و معنوية- لمحاربة أخيه الإنسان. و ما الحروب المدمرة على مدى حياة البشرية إلا شاهدة على صراع الإنسان لأخيه الإنسان ؛ لأن الصراع ضرورة بشرية و طبيعة كونية ، ما دامت طبيعة الإنسان مزودة بالخير و الشر، وقابلة للتغيير و التشكيل . يقول الله تعالى :

« ونفس وما سواها * فألهمها فجورها وتقواها * قد افلح من زكاها * وقد خاب من دساها * »[1] .

و يقول الأستاذ محمد قطب : « فماذا يصنع الخير إزاء الشر الموجود ، إذا لم تكن له القدرة على الصراع ؟ من هنا نقول إن الصراع ضرورة بشرية و على هذا النحو نفهم الآية التي تقول :"... ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض * " . أي لغلب الشر و أصبح هو المسيطر على الأرض »[2].

من أجل هذا الصراع القائم بين الشر و الخير من جهة و بين الشر و الشر من جهة ثانية تلوّن الصراع البشري بألوان مختلفة من الصراع قصد السيطرة على النفس البشرية و جعلها تسير وفق إيديولوجيته و مفهومه في الحياة مستعملا كل الوسائل الحربية و من بينها "الحرب النفسية" .

أولا، مفهوم الحرب النفسية

الحرب النفسية مصطلح حديث في مفهومه قديم في مضمونه . فهي حرب شاملة و خطيرة لإتساعها واستمرارها و مهاجمتها المواقع الإستراتيجية - العسكرية منها والمدنية - في وقت واحد ، وهي حرب قائمة على منهج علمي دقيق في الوقت الحاضر - خاصة علم النفس الإجتماعي و علم النفس العسكري - ولها تقنيات عالية في استعمال الوسائل و الأساليب المتعددة ذات النشاط الحربي و السياسي والإقتصادي و الإجتماعي و الفني ...الخ.

و الحرب النفسية تهدف - بالدرجة الأولى - إلى إشاعة الفرقة و التشتت بين صفوف الأعداء و بين الحاكم و المحكوم ، أو بين القادة و الجند ، أو بين الجند والجماهير، أو بين الجماهير مع بعضها البعض مختفية وراء أقنعة الطائفية أو الدينية أو الإيديولوجية أو الطبقية أو العنصرية ... قصد تفتيت الجبهة الداخلية

---

(1) - **سورة الشمس** . الآيات : ٧ ، ٨ ، ٩ ، ١٠ .

(2) - **محمد قطب** : في النفس والمجتمع ، بيروت :دار الشروق - ط 7 .

(1403هـ-1983م) ص48 .[الآية ٢٥١ من سورة البقرة] .

للعدو و تورطها في صراعات أهلية و مشاكل مصطنعة لا مخرج لها منها .

و في الجانب المقابل تسعى ـ الحرب النفسية ـ إلى استغلال الوضع الداخلي لكسب العناصرالمعزولة والمهمشة داخل المجتمع لتكوين "طابور خامس" [1] من أجل إثارة البلبلة و التمرد و التثبيط للعزائم ، و التنافر المعرفي في الأفكار و التصورات و المعتقدات ، و إثارة الشك في صفوف الرأي العام ، و بالتالي تضعف الإرادة و تتحطم المعنويات و تتزعزع الثقة بالنفوس فتنهار العزائم و يضطر العدو إلى الإستسلام و الخضوع .

و الحرب النفسية سلاح ذو حدين فإما أن تكون نتائجها إيجابية و إما أن تكون سلبية ، و هذا يرجع إلى معرفة العدو معرفة علمية من خلال ـ علم النفس بصفة عامة و علم النفس العسكري بصفة خاصة ـ لتطبيق الوسائل المناسبة والتقنيات الضرورية الممكنة تجاه العدو و على جميع الجبهات . ثم كيفية التحكم في هذه الوسائل للوصول إلى الغرض المطلوب من أجل رفع المعنويات للجند أو الجماهير و قطع الطريق أمام وسائل العدو ، و التقليل من تأثير خطبه من خلال التعليق عليها بالحجة و الدليل و الصدق و الواقع موجهة في الوقت نفسه ضربات نفسية قوية للعدو بواسطة الوسائل الدعائية كاستعمال التهديد ، و بث الرعب وإطلاق الشائعات ، و تضليل الرأي العام ، و استغلال الإختلافات الإيديولوجية والعرقية والسياسية و الدينية و الفكرية ...

و يمكن أ ن نجمع كل ما سبق في هذه النتيجة التي يعبِّر عنها "صلاح نصر" في كتابه الحرب النفسية بقوله : «يسعى دائما كل طرف من أطراف النزاع قبل المعركة المسلحة و في أثنائها إلى إضعاف موقف الطرف الآخر عن طريق شن هجوم عنيف عن القوى الروحية والنفسية لديه . وفي الوقت نفسه يسعى إلى تقوية

---

(1) ـ **الطابور الخامس** : اصطلاح يطلق اليوم ليدل على فئة داخلية خبيثة مخربة في مجتمع ما، عُرفت هذه العبارة لأول مرة عام 1939 ، عندما نشبت الحرب الأهلية في إسبانيا ، التي بدأت عام 1939 ، والتي قادها " فرانسيسكو فرانكو" ضد نظام الحكم الجمهوري الذي قام عام 1931 . ولما سُئل أحد قادة فرانكو وهو "أميليو ميلو" عن خطته لمهاجمة العاصمة الإسبانية مدريد قال:سأهاجمها في أربعة طوابير وطابور خامس داخل المدينة مدريد ، ولما سئل أيضا عن "الطابور الخامس" الموجود داخل المدينة كيف دخلها؟ قال : لم أقصد طابورا خامسا عسكريا ، بل فئة من سكان المدينة غايتها تثبيط الهمم وترويج الشائعات ، وإثارة البلبلة ، وفي 28 آذار 1939سقطت مدريد بيد "أميليو ميلو" وعرف العالم كله مصطلحا جديدا (الطابور الخامس) .

[أنظر، **شوقي أبو خليل**: عوامل النصر والهزيمة عبر تاريخنا الإسلامي ، دمشق : دار الفكر ـ ط 1.(1399هـ ـ 1979م) ص:51].

موقفه هو »[1].

ثانيا ، نبذة تاريخية عن الحرب النفسية

إن المتتبع للحروب البشرية يكتشف أن الحرب النفسية ـ في مضمونها ـ وُجدت مع وجود الصراع البشري . حيث عرف رجال الحرب والقادة أثر الكلمة على النفس فاستعملوها في خطبهم و أوامرهم لتحريك الجماهير ورفع معنوياتها وتسليحها بالإرادة حتى تكون حصنا منيعا في وجه العدو ؛ مستخدمين في الوقت نفسه أساليب التهويل والترويع و الإبادة الكاملة لأعدائهم ...

«و يحدثنا التاريخ عن امنحوتب الثاني (1420ق.م) أنه كسب بعض المعارك دون قتال باستخدامه أساليب الحرب النفسية و اعتماده على شهرته الفائقة في البأس و القوة . و عندما دخل مدن الشام أثناء حروبه مع القبائل الموالية "للميتانيين" جمع زعماء المدينة و وضع هدفا من النحاس و صوب سهمه إليه فاخترقه ، وعلى إثر ذلك سُلمت له المدينة دون قتال ، و كانت سمعة سهمه الذي ينفذ في النحاس تسبقه في حروبه فتمهد له سبيل النصر . و لقد اكتشف الأثري "سليم حسن" لوحة بين قدمي أبي الهول توضح أن امنحوتب كان يركب الخيل الجامحة و هو صغير السن و أنه كان يستطيع السباحة في النيل عكس التيار. و قد وُجد قوسه مدفونا معه في مقبرته»[2] .

« وفي الصين القديمة استُخدم السحر و العرافون العسكريون . و في اليونان القديمة استُخدم السب و الشتائم و التشهير السياسي للتأثير على الروح المعنوية للعدو »[3] .

كما استخدم المغول الحرب النفسية ، و خاصة على يد القائد المغولي "جنكيز خان " الذي لم يخسر المعركة مدة حياته ، و الذي استطاع أن يخضع قبائل المغول و التتار و الترك و يسقط الدولة الخوارزمية في أوائل القرن السابع الميلادي و هي آنذاك أكبر دولة في المشرق الإسلامي.

أما في الدولة الفاطمية فقد برز دور الحرب النفسية باستعمال الدعاية السياسية في نقطتين بارزتين :

النقطة الأولى خاصة بالتنظيم الدقيق للدعاة .

و النقطة الثانية ابتكار الشعارات البراقة و المثيرة التي تجذب التأييد .

---

(1) ـ محمد فوزي عبد الحميد : نحو اتصال دولي جديد ـ الإعلام الدولي والدعاية الدولية ـ جدة :مكتبة السوادي للتوزيع ، ص226 .

(2) ـ د.محمد سيد محمد : المسؤولية الإعلامية في الإسلام ، الجزائر:المؤسسة الوطنية للكتاب ـ ط 2 . (1986) ص 155 .

(3) ـ د . حامد عبد السلام زهران: علم النفس الاجتماعي ، القاهرة : عالم الكتب ـ ط 5 . (1984) ص 296 .

و هي أول دولة جعلت للدعاية وزيرا كان يسمى آنذاك " داعي الدعاة". و مهمته الإشراف على الدعوة في كافة أنحاء البلاد[1].

أما في العصر الحديث فإن العمل الدعائي أصبح أسلوبا علميا يطبق في الحرب النفسية فمنذ أن شهد العالم الحرب العالمية الأولى(1914-1918) تحولت الحرب النفسية إلى عنصر رئيسي و سلاح فتاك ، و أداة فعالة في الحرب و أصبحت لها مؤسسات متخصصة في هذا المجال .

ففي بريطانيا بدأ الإهتمام بالحرب النفسية في (1918) بإنشاء قسم للدعاية المعادية . أما في أمريكا فقد كون رئيسها آنذاك "ولسون" لجنة للإعلام الجمهوري في (1918) فاستخدمت الخبرات السابقة والخاصة بالدعاية في مجالات متعددة كالتجارة و الإعلام ... و هدفها التأثير في الرأي العام العالمي بصفة عامة ، والرأي العام الأمريكي بصفة خاصة . و استعملت كل الوسائل الممكنة في ذلك الوقت كالكتب و الكتيبات و النشرات و المذكرات و الصحف و المجلات ، والملصقات والأفلام و المحاضرات ...

وهذا العمل كله من أجل أهداف قريبة وأخرى بعيدة منها :

- العمل على بث روح الكراهية و توجيهها ضد العدو لتحطيم معنوياته.
- العمل على إقناع الرأي العام المحلي و الدولي بشرعية وبعدالة موقف الحلفاء.
- تنمية روح الصداقة بين الحلفاء بتقوية إيمانهم بالوحدة و بأن النصر سيكون حليفهم.

أما في الحرب العالمية الثانية فإن دول المحور (روما، برلين، طوكيو) فكانت على استعداد و فعالية كبيرة لاستخدام الحرب النفسية مما جعلها تتمكن في بداية الحرب من تفتيت حصونها و إرهاب أعدائها و إقناع جماهيرها بالقيام بحرب عدوانية ؛ حيث نجح الألمان باستعمال العامل السيكولوجي لإقناع الشعب الألماني عن طريق التخويف من الشيوعية حتى أصبح يخشى من تصفية الشيوعية له.

و في الوجه المقابل استخدمت الحرب الخاطفة لتخويف الدول والجماعات الحاكمة قصد تحطيم المعنويات تحت تأثيرات الإنهيار العصبي لتلك الأمم ، و جعلها دائما في حالة شك و ريب و هلع و خوف من المستقبل.

كما أنه في الوقت نفسه كانت دول الحلفاء تشن حربا نفسية فعالة و مؤثرة مستغلة صمت دول المحور لشعوبها. فكانت وسائل الإعلام و على رأسها "الإذاعة البريطانية" تقوم بجمع المعلومات و الأخبار و دراستها طبقا لأهدافها في بث الدعاية قصد إشاعة الفرقة و تشتيت صفوف الحلف و صفوف الألمان من جهة ورفع معنويات الجيش و الشعب البريطاني من جهة أخرى.

لقد غذت الإذاعة البريطانية عنصر العرقية و استعملت شائعات مغرضة كالفرق بين الشعب الألماني و النازية ؛ حيث كانت تصف زعماء النازية بالفاشية والتطرف و الإنحراف و بعدم الوفاء لعهودهم ، و التناقضات و عدم الثبات ...

---

(1) - د . محمد سيد محمد : المسؤولية الإعلامية في الإسلام (مرجع سابق) . ص156 ، 157 .

و في الوقت نفسه كانت توجه الدعاية لدول المحور منبهة إياها بأنها مستخدمة من طرف النازية ، و إنهم مساقون في حرب لا ناقة لهم فيها ولاجمل ، و أن تضحياتهم ستكون كبيرة في حرب لا مبرر لها ...

هكذا كانت الحرب النفسية في الحربين العالميتين ـ خاصة الثانية ـ فعالة و خطيرة ؛ استعملت فيها كل الوسائل المتاحة آنذاك ، و خاصة جهاز الراديو الذي كان يقوم بدور دعائي مكثف لكونه الوسيلة التكنولوجية العصرية في ذلك الظرف ؛ مما جعله يحدث تأثيرا قويا في توجيهات الرأي العام.

بعد الحرب العالمية الثانية تطورت المفاهيم و تطورت معها الوسائل التقنية مما جعل العصر يصبح عصرا للحرب النفسية ـ بكل ما يحمل هذا المصطلح من معنى ـ على جميع الأصعدة التي لها علاقة بمجالات الحرب النفسية ؛ لأن الأساليب و الوسائل تطورت تطورا رهيبا بسبب التطور العلمي والتكنولوجي واستغلال وسائل الإتصال التي غزت العالم و بالأخص في عصرنا الحاضر ـ عصر الأقمار الصناعية ـ التي جعلت العالم عبارة عن قرية صغيرة تعرف أخبار بعضها البعض في كل دقيقة زمنية ، و أصبحت الدول و المجتمعات المتطورة تؤثر في الدول و المجتمعات المتخلفة ـ فكريا و تقنيا ـ و توجهها الوجهة التي تريد ؛ مما أحدث فوضى فكرية و صراعات إيديولوجية داخل المجتمعات الضعيفة وصعُب عنها حتى الدفاع و المقاومة ، و هذا ما جعل الأستاذ محمد فوزي عبد الحميد يقول : « و نحن الآن نعيش مرحلة الصراع المذهبي الذي بزغ منذ انتهاء الحرب العالمية الثانية ، و دخلت الحرب النفسية في مرحلة جديدة مع محاولة كل معسكر أن يعالج المشكلات الدولية بطريقته الخاصة و مفهومه السياسي ، و تسابق الطرفان إلى ما أسماه "والتر ليبمان" بالحرب الباردة ، أو ما قال عنه "ماوتسي تونج" بالصراع الممتد ، و أخذت الحرب النفسية في الفترة التي أعقبت الحرب العالمية الثانية أشكالا عديدة من مظاهرها التسابق في التسلح النووي و نشر الصواريخ و الحروب المحلية »[1].

هذه إذن لمحة قصيرة عن تاريخ الحرب النفسية أردنا من خلالها التنبيه على سبيل التعميم و ليس القصد التفصيل و التحليل حتى لا تتحول الدراسة إلى تأريخ لهذه الظاهرة ؛ كما أننا لم نتعرض في هذه اللمحة التاريخية للحرب النفسية في عصر النبوة لأنها موضوع دراستنا مما يجعلنا سنتعرض له بالتفصيل و التدقيق في الأبواب الموالية ـ إن شاء الله ـ .

ثالثا ، تعريفات الحرب النفسية

أ-عند أمريكا : من التعاريف التي ظهرت في الحرب النفسية عند الأمريكيين هي :

«إن الحرب النفسية هي استخدام أي وسيلة بقصد التأثير على الروح المعنوية وعلى سلوك أي جماعة لغرض عسكري معين»[2].

---

(1) ـ **محمد فوزي عبد الحميد** : نحو اتصال دولي جديد ـ الإعلام الدولي والدعاية الدولية ـ (مرجع سابق) ص 226، 227 .

(2) ـ **د . عبد الوهاب كحيل** : الحرب النفسية في عهد الرسول ـ صلعم ـ في مكة ، بيروت : عالم الكتب ـ ط 1 . (1406 هـ ـ 1986 م) ص 25 . نقلا عن : **صلاح نصر** ، الحرب النفسية ج 1 .

و بعد عام من ظهور هذا التعريف قدمت مدرسة القوات البرية تعريفا ينص على أن الحرب النفسية «تتضمن الحرب النفسية استخدام الدعاية من عدو مع استخدام عمليات عسكرية ، أو إجراءات أخرى تدعو الحاجة إليها لتكملة مثل هذه الدعاية»[1].

لكن بعد عام و نصف من ظهور التعريف السابق أخرج الجيش الأمريكي معجما عسكريا جديدا عُرفت الحرب النفسية فيه بأنها :" استخدام مخطط من جانب الدولة في وقت الحرب أو في وقت الطوارئ لإجراءات دعائية بقصد التأثير على آراء و عواطف و مواقف و سلوك جماعات أجنبية عدائية أو محايدة ، أو صديقة تعين على تحقيق سياسة الدولة و أهدافها»[2].

و بعد ثلاث سنوات ظهرت تعبيرات جديدة في التعريف قدمتها وزارة الحربية في المعجم العسكري حيث جاء في التعريف أن :«الحرب النفسية هي استخدام مخطط من جانب دولة أو مجموعة من الدول للدعاية و غيرها من الإجراءات الإعلامية الموجهة إلى جماعات عدائية أو محايدة أو صديقة للتأثير على آرائها وعوطفها و مواقفها و سلوكها بطريقة تعين على تحقيق سياسة وأهداف الدولة المستخدمة أوالدول المستخدمة»[3].

من خلال هذه التعاريف يظهر أن مفهوم الحرب النفسية عند الأمريكيين كان يهدف إلى استراتيجية دعائية في الميدان العسكري قصد التأثير على روح معنويات الخصم ، كما يهدف في الوقت نفسه إلى التأثير على الآراء و المواقف حتى للجماعات المحايدة و الصديقة بجعلها تؤيد و تدافع عن استراتيجية الدولةوأهدافها و هذا يعتبر تطورا في مفهوم الحرب النفسية التي كانت من قبل تستعمل اتجاه العدو فقط .

كما يظهر لنا أن هذه التعاريف تطورت من حيث المحتوى و اللفظ مع تطور الزمان نظرا لتطور المفاهيم مما يجعلنا نؤكد أن مفهوم مصطلح الحرب النفسية يبقى يتطور و يتوسع كلما تطورت المنظومة الفكرية للإنسان مما يصعب بالتالي تحديد مفهوم علمي دقيق لهذا العلم ، لأنه في الوقت نفسه يخضع حتى للظرف الزماني و المكاني ...

ب- عند المانيا : الألمان ينظرون إلى مفهوم الحرب النفسية للتغييرات التي تطرأ على عمليات الحرب نفسها و ذلك من أجل إعطاء نشاط وحيوية و تجديد للعمليات الحربية بالتركيز على :

« ـ التوحيد التام أو شبه التام بين الموجودات الحربية و نشاط السياسة و الدعاية و الهدم .

ـ ما أسفرت عنه بحوث علم النفس الحديث من نتائج يمكن أن تستخدم في تحقيق

---

(1) ـ المرجع السابق ، ص 25 .

(2) ـ المرجع السابق ، ص 25 .

(3) ـ المرجع نفسه ، ص 25 .

الأهداف الحربية »[1] .

فالحرب النفسية عند الألمان تتماشى و الأهداف السياسية التي تتحقق من خلال تحقيق الأهداف الحربية.

جـ - عند بريطانيا : عمدت بريطانيا إلى شن هجمات دعائية و سياسية عن طريق الصحافة و الملصقات و الخطب و الأفلام... زيادة عن القيام بعمليات ووسائل قصد تسهيل مهمة القوات العسكرية . حيث يقول المدير العام للجنة التنفيذية للحرب السياسية في بريطانيا واصفا الحرب السياسية بأنها : « تطبيق الدعاية لتخدم حاجة الحرب ، فغرضها الرئيسي هو تعبيد الطرق أمام القوات المسلحة و تسهيل مهمتها »[2].

هذه بعض الأمثلة تبين لنا الطابع العسكري لهذه التعريفات ، لكن هناك تعريفات كثيرة صادرة عن مختصين في هذا الجانب ـ الحرب النفسية ـ مما يضفي عليها الطابع الأكاديمي نذكر منها على سبيل المثال ما يلي :

د- تعاريف مختلفة : يعرف "ليتبارجر" الحرب النفسية بقوله :«تطبيق لبعض أجزاء علم النفس لمعاونة المجهودات التي تبذل في المجالات السياسية والإقتصادية و العسكرية » . [ثم يتعمق ليتوصل إلى أحسن تعريف ـ في نظرنا ـ فيقول] :« إنها استخدام الدعاية ضد العدو مع إجراءات عملية أخرى ذات طبيعة عسكرية ، أو اقتصادية ، أو سياسية مما تتطلبه الدعاية »[3] .

فالحرب النفسية عند "بول لينبارجر" الذي يعتبر من رواد الكتاب في موضوع الحرب النفسية و خاصة في كتابه القيم "الحرب النفسية" الذي طبع عام 1954 ، حيث يبين لنا في التعريف الأول أن الحرب النفسية هي عامل مساعد ومدروس ـ من خلال علم النفس ـ لكل مجهود يبذل في المجالات السياسية والإقتصادية و العسكرية ...و ذلك قصد التأثير في هذه المجالات سلبا أو إيجابا ، ثم يركز في تعريفه الثاني على الدعاية كسلاح أساسي مضاد للعدو مهما كانت هذه الدعاية عسكرية أو اقتصادية أو سياسية ...

و من التعاريف تعريف الدكتور "فخري الدباغ" الذي يعرفها بقوله : «هي شن هجوم مبرمج على نفسية و عقل الفرد و الجماعة لغرض إحداث التفكك و الوهن و الإرتباك فيها ، و جعلها فريسة لمخططات و أهداف الجهة صاحبة العلاقة مما يمهد للسيطرة عليها ، و توجيهها إلى الوجهة المقصودة ضد مصلحتها الحقيقية أو ضد تطلعاتها و آمالها في التنمية أو الإستقلال أو الحياد أو الرفض...»[4].

---

(1) ـ د . **أحمد نوفل** : الحرب النفسية ـ الكتاب الأول ـ ، الجزائر : دار الشهاب ـ وحدة الرغاية ـ (1987) ص 33 ، نقلا عن ، **عبد القادر حاتم** : الرأي العام ج 2 .

(2)ـ د.**عبد الوهاب كحيل** : الحرب النفسية في عهد الرسول ـ ص ـ في مكة(مرجع سابق) ص27

(3) ـ د. **أحمد نوفل** : الحرب النفسية ـ الكتاب الأول ـ (مرجع سابق) ص33 .

(4) ـ د. **أحمد نوفل** : الحرب النفسية ـ الكتاب الأول ـ (مرجع سابق) ص34 .

نقلا عن : **فخري الدباغ** ، الحرب النفسية .

فالحرب النفسية في نظر "الدباغ" حرب هجومية تشن على عقل الأفراد والجماعات قصد تشكيل عقلية انبطاحية متفككة و مرتبكة في قراراتها ؛ مما يسهل افتراسها و السيطرة عليها ؛ و بالتالي توجيهها نحو الأهداف المسطرة من قبل الخصم دون مقاومة و على جميع الأصعدة ...

أما الدكتور " عبد الحميد محمد الهاشمي " فيعرفها بقوله : « الحرب النفسية يشف اسمها عن موضوعها ، إذ هي حرب تستخدم أساليب نفسية اجتماعية للتأثير على عواطف و دوافع و انفعالات و إدراكات و سلوك الأفراد الآخرين سواء أكان أولئك الأفراد أعضاء في جماعة محايدة أو معادية أو صديقة أو حليفة أو لأعضاء الجماعة ذاتها داخليا ، و ذلك لتحقيق أهداف معينة مرسومة تختلف باختلاف الجماعة الموجهة إليها و تكوين عضوية أفرادها »[1] .

هذا التعريف لا يختلف في موضوعه عن التعاريف السابقة ما عدا تركيزه على الجانب النفسي الإجتماعي قصد التأثير على السلوكات و جعلها تتماشى مع الأهداف المرسومة الجديدة .

و من تعريفات الدكتور "أحمد نوفل" قوله : «منظومة من التدابير تقوم بها دولة أو مجموعة دول ضد دولة أو مجموعة دول ، بهدف القضاء على الحالة المعنوية و السياسية و النفسية للشعب و القوات المسلحة على حد سواء ، و التأثير على العدو تأثيرا داخليا عن طريق بث روح الشك ، و استحكام العداء بين الحكومة والشعب و بين فئات الشعب المختلفة »[2] .

يظهر من خلال هذا التعريف أن الدكتور "أحمد نوفل" قد بنى تعريفه على معطيات جديدة أصبح يعيشها إنسان العصر - و خاصة من قبل الدول القوية تجاه الدول المتخلفة - حيث أصبحت الحرب النفسية تشن وفق خطة علمية ضمن أهداف استراتيجية سواء كانت آنية أو متوسطة أو بعيدة المدى ، و ذلك من أجل القضاء على أهداف الخصم و مقوماته - المعنوية و السياسية و العسكرية - شعبا و حكومة و جيشا ، و نجاح هذه العملية يكمن في ضرب العدو من الداخل عن طريق بث الشكوك ، و زرع الفتن ، وإشعال نار العداوة و البغضاء بين الحكام و المحكومين بل بين فئات الشعب كلها بالتركيز على العصبية و الجهوية و العشائرية...

أما الدكتور "هارسي" فيعرفها بقوله :« الحرب النفسية هي الدعاية على ما بينهما من مفاهيم متقاربة ، و إنما هي : ذلك العمل الموجه إلى العدو و إلى معنوياته و تماسكه و عزيمته و القادر على الدخول إلى المجالات كافة ، أو في خدمة إيديولوجية معينة أو ضمن إطار استراتيجية دفاعية أو ضمن صدام أو أزمة معينة أو

---

(1) - د . عبد الحميد محمد الهاشمي: المرشد في علم النفس الاجتماعي ، الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية - ط 1 (1404 هـ - 1984 م) ص197 .

(2) - د . أحمد نوفل : الحرب النفسية بيننا وبين العدو الاسرائيلي ، الجزائر :دار الشهاب - وحدة الرغاية - (1988) ص12 .

في خلال الحرب الباردة »[1].

فالحرب النفسية في نظر "هارسي هي الدعاية لأنها عمل موجه إلى العدو وإلى معنوياته قصد القضاء على قدراته في جميع المجالات ، من أجل الوصول إلى خدمة إيديولوجية معينة ، أو القيام باستراتيجية دفاعية ، أو استغلال الظروف والأزمات التي يعاني منها العدو لتوجه له ضربات دعائية قاتلة..

لكن ما يؤخذ على هذا التعريف هو مزجه الحرب النفسية بالدعاية لأن هذه الأخيرة ما هي إلا سلاح للحرب النفسية ـ سنتعرض للدعاية بالتفصيل في الفصل الثالث من هذا الباب ـ . أما الحرب النفسية فهي شاملة و عامة سواء على الصعيد المدني أو على الصعيد العسكري .

و من تعاريف الحرب النفسية تعريف الدكتور " رفيق السكري" الذي جاء فيه: «الحرب النفسية هي استخدام أية و سيلة بقصد التأثير على الروح المعنوية وعلى سلوك أية جماعة لغرض عسكري معين ..[إلى أن يقول] ..و من التعاريف الجديدة للحرب النفسية ترى أن غرض و هدف الحرب النفسية هو فرض إرادتنا على إرادة العدو و لغرض التحكم في أعماله بطرق غير الطرق العسكرية ووسائل غير الوسائل الإقتصادية »[2].

هذا التعريف بين صاحبه إباحية كل الوسائل ما دامت تؤدي إلى القضاء على العدو حتى و لو كانت غير إنسانية ، لكنه في التعريف الجديد يستثني الوسائل العسكرية و الإقتصادية رغم أن هاتين الوسيلتين هما قمتا الحرب النفسية و هما جزء من أجزاء الحرب النفسية التي أصبحت تشمل جميع المجالات الحيوية سواء على الصعيد المدني أو الصعيد العسكري .

أما "أحمد بدر" فيعرفها قائلا :«الحرب النفسية تهدف إلى إشاعة الفرقة في صفوف العدو ، و تحطيم معنوياته و إلى تقوية الجبهة الداخلية و زيادة تماسكها وإلى كسب ودِّ الدول المحايدة و توثيق أواصر الصداقة مع الدول الحليفة »[3].

فالحرب النفسية في نظر "أحمد بدر" حرب تشن على جميع الجبهات قصد تفتيت الجبهة المعادية باستعمال أساليب الفرقة بواسطة الدعايات و الشائعات وبالمقابل يجب التركيز على أساليب علمية و مدروسة لتقوية الجبهة الداخلية ورفع معنوياتها باستمرار ، إلى جانب رسم خطة عملية لكسب الدول الصديقة والمحايدة وجعلها قوة مساندة بالفعل لابالقول . و هذا له دور فعال في تقوية الجبهة الداخلية .

و نختم هذه التعريفات بتعريف ينسب إلى قاموس المصطلحات الحربية نجده مكررا في العديد من التعاريف مع تغيير طفيف في بعض الألفاظ ؛ هذا التعريف يبين أن الحرب النفسية ما هي إلا إجراءات إعلامية ذات بُعد دعائي على جميع الأصعدة وفق دراسة علمية موجهة للعدو و للدول المحايدة و الصديقة قصد التأثير في المواقف و السلوكات لتشكيل رأي عام موجه .

---

(1) ـ د.أحمد نوفل : الحرب النفسية بيننا وبين العدو الإسرائيلي (مرجع سابق) ص12 .

(2) ـ د.أحمد نوفل : الحرب النفسية ـ الكتاب الأول ـ (مرجع سابق) ص35 .

(3) ـ د.أحمد بدر: الرأي العام ـ طبيعته وتكوينه وقياسه ودوره في السياسة ـ ، الكويت: وكالة المطبوعات ـ ط 3 .(1982) ص154 .

و هذا التعريف كما عرفه الدكتور "حامد عبد السلام زهران" هو :

« استخدام مخطط من جانب دولة أو مجموعة من الدول في وقت الحرب أو في وقت السلام لإجراءات إعلامية ، بقصد التأثير في آراء و عواطف و مواقف وسلوك جماعات أجنبية معادية أو محايدة أو صديقة ، بطريقة تساعد على تحقيق سياسة وأهداف الدولة أو الدول المستخدمة »[1].

إذن من خلال هذه التعاريف يتضح لنا أن مصطلح الحرب النفسية لم يُعرَّف بعد تعريفا علميا دقيقا و محددا . و هذا ما جعل "صلاح نصر" يقول : « إن من الصعب أن نتفهم بدقة ماهية تلك الحروب و مدلولاتها التي اتسعت في عصرنا و لا سيما بعد التطور الهائل في جميع فروع المعرفة » [ثم يقول] :« إنه من قراءته في كتب الإختصاص لاحظ في أثناء بحثه عن مفهوم الحرب النفسية أن ذوي الخبرة لم يستطيعوا حتى الآن أن يحددوا معالمها و حدودها »[2] .

و على هذا يمكن أن نرجع أسباب هذا الخلط و الغموض إلى ما يلي :

أ ـ الفوضى الكبيرة في مصطلحات الحرب النفسية مما زاد المصطلح غموضا وبالتالي صعب على أهل الإختصاص التوصل إلى تعريف علمي دقيق ومحدد .

ب ـ بعض الكُتاب مازالوا يخلطون بين الحرب النفسية و الحرب العسكرية و يجعلونها وسيلة لهذه الأخيرة ، رغم أن الواقع اليوم أثبت أن الحرب العسكرية عنصر من عناصر الحرب النفسية لشموليتها لعناصر أخرى...

جـ ـ اختلاف المعتقدات و الإيديولوجيات جعل الدارسين يختلفون في تعريفاتهم لهذا المصطلح و يتفاوتون في تحديد مضمونه مما جعل التعريفات للحرب النفسية تتسم بالعموميات و عدم التدقيق.

د ـ لفظ مصطلح الحرب النفسية ـ دلالة و معنى ـ ما زال مطروحا على خبراء الدعاية أكثر مما هو مطروحا في مجالات البحث العلمي الأكاديمي .

---

(1) ـ د.حامد عبد السلام زهران: علم النفس الاجتماعي (مرجع سابق) ص334 .

وهذا التعريف يوجد ـ مع تغيير في بعض الألفاظ ـ في :

ـ د.أحمد نوفل :الحرب النفسية ـ الكتاب الأول ـ (مرجع سابق) ص34 . نقلا عن :

صلاح نصر ، غسل الدماغ ـ ص262 ، 263 .

ـ د.عبد الرحمن محمد عيسوي:دراسات في علم النفس الاجتماعي ، بيروت:

دار النهضة، (1974) ص7 .

ـ محمد فوزي عبد الحميد : نحو اتصال دولي جديد (مرجع سابق) ص227 .

ـ د.أحمد نوفل : الإشاعة ، الأردن : دار الفرقان ـ ط 1 (1403هـ ـ 1983م) ص80 . نقلا عن:

اللواء جمال الدين محفوظ ، المدخل إلى العقيدة والاستراتيجية العسكرية الإسلامية ،ص120،121 .

ـ د.مختار حمزة : أسس علم النفس الاجتماعي ، جدة : دار المجمع العلمي ـ ط 1 .

(1399هـ ـ 1979م) ص253 .

(2) ـ د.أحمد نوفل :الحرب النفسية ـ الكتاب الأول ـ (مرجع سابق) ص32 .نقلا عن :

صلاح نصر ، الحرب النفسية .

و حتى نتمكن من تحديد علمي دقيق لمصطلح "الحرب النفسية" يجب على المختصين الأكاديميين أن يتقنوا العلوم التي لها علاقة بهذا "المصطلح" كعلم النفس ، و علم الإجتماع ، و علم الإقتصاد ، و علم الإتصال . بالإضافة إلى العلم العسكري الذي يعتبر الأول لمصطلح الحرب النفسية .

رابعا: مصطلحات الحرب النفسية :

إن المصطلح المشهور والأكثر تداولا بين الدارسين في وسائل الإتصال هو "الحرب النفسية" ولكن الدارس لهذا العلم يجد مصطلحات عديدة و مختلفة حتى في معانيها و هذه المصطلحات المتداولة في طيات الدراسات و المراجع هي :

- حرب الأعصاب
- حرب المعنويات
- حرب الأفكار
- حرب الدعاية
- حرب الإرادة
- حرب الشائعات
- حرب غسل الدماغ
- حرب الكلمة
- حرب المعتقد أو الإيديولوجية
- حرب الدهاء
- الحرب الثورية
- الحرب السياسية
- الحرب السيكولوجية أو النفسية
- حرب الطابور الخامس
- حرب العدوان غير المباشر
- الحرب الباردة
- الحرب الخفية
- الحرب غير التقليدية
- الحرب بلا قتال
- الحرب الخاصة

هذه مصطلحات تدل كلها على مضمون مصطلح "الحرب النفسية " [1] الذى أصبح مشاعا و عنوانا يدل على مفهوم هذا العلم الجديد .

---

(1) ـ استخدم مفهوم "الحرب النفسية" أول مرة في ملحق معجم "ويبستر" الدولي الجديد للغة الأنجليزية عام 1941 .نقلا عن : د.أحمد نوفل ، الحرب النفسية ـ الكتاب الأول ـ (مرجع سابق) ص36 .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفصل الثاني

أهداف الحرب النفسية

أولا: الأهداف العامة للحرب النفسية (تعريفات)

ثانيا: جبهة العدو

أ - على الصعيد المدني

ب - على الصعيد العسكري

ثالثا: جبهة الأصدقاء

رابعا: جبهة المحايدين

خامسا: الجبهة الداخلية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

« لتُبلَوُنَّ في أموالكم وأنفسكم

ولتسمعُن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم

ومن الذين أشركوا أذى كثيرا

وإن تصبروا وتتقوا فإن ذلك من عزم الأمور »

آل عمران : ١٨٦ .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

أولا : الأهداف العامة للحرب النفسية (تعريفات)

الحرب النفسية أصبحت ضرورة حتمية لذا فهي تتحرك وفق أهداف استراتيجية مخططة و على جميع الأصعدة و الجبهات . يقول "عمار نزار " في كتابه "الإستخبارات الإسرائيلية" :

« تستهدف الحرب النفسية التي تتوجه إلى عقل الإنسان ونفسيته تحقيق السيطرة على الإرادة لتدعيم الصديق أو تحطيم الخصم ، و التأثير على الآراء والمواقف في الاتجاه الذي يخدم سياسة الدولة وأهدافها ، وذلك بشن هجوم عنيف على القوى الروحية والنفسية و المعتقدات الثابتة لدى الخصم لزعزعتها وفي الوقت ذاته تقوية موقف الصديق و تعزيز الإعتقاد بقدرته »[1].

أما "كرم شلبي" فيقول في كتابه "الراديو و التلفيزيون في الحرب النفسية " :

« تستهدف الحرب النفسية التأثير في نفسية الفرد لتجعله يتخلى عن أفكار وأهداف و مبادئ يعتنقها و زرع أفكار و مبادئ و أهداف أخرى بدلها و العدول عن خططه الحياتية أو الوقتية ، فهي بذلك تستهدف الأنماط و النظريات و العقائد لدى الإنسان »[2].

و في الموسوعة العسكرية فإن هدف الحرب النفسية هو : « خلق تصورات معينة لدى العدو أو نفي بعض تصورات معينة ، بالإضافة إلى عمليات غسل الدماغ وهي عمل منظم يخضع له عادة أسرى الحرب ، أو متتبعوا برامج إذاعة العدو وإرساله التلفزيوني »[3].

أما "صلاح نصر" فيوجزها بقوله : « هدف الحرب النفسية هو عقل الإنسان ونفسيته »[4].

و هكذا يتبين لنا من خلال هذه المفاهيم أن أهداف الحرب النفسية تتسع لتشمل جميع الميادين و الأصعدة سواء أكانت عسكرية أم مدنية و هذا ما ينبهنا له الدكتور "رفيق سكري" من دراسة له "بالقبس الكويتية" فيقول إن الهدف النهائي للحرب النفسية هو : «تحطيم النواحي المعنوية في الخصم بجميع الوسائل المتاحة للقضاء على كل شكل من أشكال الثقة بالنفس لدفع الخصم للإستسلام »[5] .

إذن من خلال هذه التعاريف العامة لأهداف الحرب النفسية يتجلى لنا أن

---

(1) ـ د.أحمد نوفل : الحرب النفسية ـ الكتاب الأول ـ (مرجع سابق) ص72 . نقلا عن : نزار عمار ، الاستخبارات الإسرائيلية ، ص111،112 .

(2) ـ المرجع نفسه،ص73. نقلا عن:كرم شلبي ، الراديو والتلفزيون في الحرب النفسية ، ص12

(3) ـ المرجع نفسه ، ص73 . نقلا عن : الموسوعة العسكرية ، ص 767.

(4) ـ المرجع نفسه ، ص73 . نقلا عن: صلاح نصر ، الحرب النفسية ج1 ص15 .

(5) ـ المرجع نفسه ، ص73 .نقلا عن : د.رفيق السكري، من دراسة له بالقبس الكويتية منشورة في رمضان (سنة 1403هـ) .

نجاحها يكمن في تخطيط المختصين في هذا المجال لوضع خطة استراتيجية متناسقة و متكاملة و محكمة تشمل جميع الأصعدة حتى تحقق أهدافها استراتيجيا و تكتيكيا، و عليه فإننا نلخص هذه الأهداف الإستراتيجية و التكتيكية في العناصر الموالية .

ثانيا ، جبهة العدو

1- على الصعيد المدني : تهدف الحرب النفسية على الصعيد المدني إلى تحقيق الأهداف التالية :

1- إحداث ثغرات في الجبهة المدنية و إضعافها عن طريق التغيير في المبادئ و المعتقدات و الإتجاهات و بالأساليب العلمية المناسبة ، مع زرع أفكار جديدة و أهداف أخرى...

2 - شن هجوم مخطط و مدروس على القوى الروحية والنفسية - بعد دراستها - من أجل زعزعتها و بالتالي العدول عن خططها الآنية و المستقبلية .

3 - تزييف نتائج الدراسات العلمية و التقليل من شأنها ، مع التفنن في صنع أخبار كاذبة و الترويج لها وسط الجماهير قصد مغالطة الرأي العام .

4 - استغلال أخطاء النظام الحاكم و تضخيمها قصد فصله عن الشعب بحجة التسلط و الإستبداد و اللاإنسانية...

5 - تشكيك الرأي العام في قدرته و إرادته لتشكيل أفكار استسلامية مما يجعله يتوقع أحداثا مستقبلية سيئة - سياسية، اقتصادية، اجتماعية.. - معتقدا أنه ليس بمقدوره التحكم في هذه الأحداث..

6 - التركيز على الكذب الجماعي المتخصص و المدروس في وسائل الإعلام و خاصة التلفزة ، قصد التأثير على الرأي العام بإثارة البلبلة الفكرية والتشويش الذهني و التشتيت النفسي مما يؤدي إلى تبديل القناعات و المواقف وتبديل الإتجاهات و السلوكات الفردية و الجماعية للوصول إلى تفتيت الصف وتحطيم المعنويات و انهيار الإرادة .

7- إثارة القلق و التوتر و بث الرعب و الذعر و الخوف لتحطيم معنويات القوى المدنية و تكسيرها نفسيا و اجتماعيا.

8 - زرع الفتنة - بكل أشكالها - داخل المجتمع وذلك بالتركيز على الطائفية ، و الإختلافات الدينية ، و التركيز على عنصر العصبية القبلية والشعوبية واللغوية ، و الإيديولوجية ، مع تشويه الحقائق و بالأخص في صفوف الأميين .

9 - استعمال الضغط السياسي و الإقتصادي على الجبهة المدنية قصد تسليمها بالأمر الواقع من خلال ندرة المواد الغذائية ، و نفوذ الأدوية و قطع الغيار ...الخ .

10 - محاولة تحطيم مراكز القيادة ، و السيطرة والإستراتيجية في الدولة ، وذلك باختطاف القيادات أو قتلها أو سجنها ؛ مع محاولة تدمير المراكز الصناعية ، و المنشآت الإقتصادية ، و المؤسسات الإدارية ، و خاصة المراكز

السلكية واللاسلكية ، مع تحطيم الطرق و الجسور الكبرى ... الخ .

11 ـ عزل المناطق الإدارية ـ على كافة المستويات ـ قصد تحطيم الروح المعنوية و تفكيك الجبهة المدنية .

12 ـ تفكيك الهُوية النفسية و الإجتماعية لما لها من آثار سلبية على نفسية الجبهة المدنية ، و بالتالي تسهل عملية تحقيق الأهداف المسطرة.

13 ـ استعمال الأساليب السيكولوجية للتأثير في نفسية الجبهة الداخلية قصد الإنشقاق و التذمر بين صفوفها ، و جعلها تحطم نفسها بنفسها.

14ـ التركيز على شعور الأفراد حتى يضطربوا اجتماعيا ، وذلك بتغريبهم و تشويه هُويتهم ، و اختلال وحدتهم الذاتية حتى يصلوا إلى عدم معرفة الجماعة التي ينتمون إليها ، و عدم التفريق بينها و بين الجماعات المعادية وبالتالي يسهل انقيادهم و استلابهم .

15ـ إذا كان من أهداف الحرب النفسية سياسة "فرق تسد" فلا بد من زرع هذا الشعار داخل الجبهة المدنية لعزل الجماهير عن بعضها البعض ،وذلك بإثارة الحقد و الكراهية بين أفراد المجتمع الواحد و توسيع الهُوة النفسية والإجتماعية والإقتصادية والسياسية بالتركيز على وسائل التحويل الفكري وغسل الدماغ وتشكيله بكل الصفات التي تساعد على عدم السيطرة والمقاومة و تقبلها لصفات الخضوع و الإستسلام ، والعجز والسلبية ؛ قصد التبعية المطلقة لتدمير هُوية المجتمع دون التفطن لذلك .

16 ـ السعي دوما و بشتى الطرق و الوسائل الفكرية والدعائية والنفسية إلى غرس عقدة النقص لدى الرأي العام ، و ذلك بإشعاره بأن خصمه يملك التفوق الفكري و التكنولوجي ، و الإقتصادي ، و العسكري ؛ حتى يقتنع و يرضى بعجزه و يستسلم للأمر الواقع ، ويصبح لا يفكر إطلاقا في تغيير الأوضاع ، و العمل على التحدي مهما كنت الخُطوب و الأزمات .

17 ـ الضغط على القوى الخارجية المتعاطفة مع الجبهة المدنية ، و ذلك بمقاطعة منتجاتها و مواد اقتصدها ـ استرادا و تصديرا ـ وحتى مقاطعاتها إعلاميا .

18ـ تقديم مقادير معينة ـ حسب الحاجة ـ من السموم الفكرية تكون ذات أبعاد جيواستراتيجية و بثها في الجماهير حتى تستسلم للهزائم المتكررة وبالتالي ترضخ لسياسة الأمر الواقع تحت ضجيج البيانات ، و الشعارات والتنديدات والقرارات ...الخ .

و هكذا يتبين لنا أن أهداف الحرب النفسية ـ على الصعيد المدني ـ يؤدي إلى استفحال التشويه المتعمد للرأي العام قصد القضاء و التفتيت داخل الجبهة المدنية .

ب - على الصعيد العسكري

1ـ بث اليأس من النصر في نفوس القوات العسكرية و ذلك عن طريق المبالغة في وصف القوة باستخدام مبدأ الحشد في عدد الطائرات ، والدبابات

والصواريخ ، والتلويح بالتفوق العلمي والتكنولوجي ، و وصف الإنتصارات وتضخيمها ، مع المبالغة في وصف هزائم الخصم ، و بهذا يشعر الخصم أنه أمام قوة منظمة لايمكن قهرها أو زعزعتها ؛ مما يؤدي إلى تحطيم العدو بإضعاف روحه المعنوية ، والتشكيك في قدراته العسكرية على النصر، و بث الرعب في قلوب القوات المسلحة و بث روح التذمر في أوساط العسكريين .

2 ـ توجيه نداءات لقوات العدو و ذلك بواسطة رسائل مناسبة ـ لكل معركة ـ و هذا يتم قبل بدء الهجوم من أجل تحطيم معنويات الجند ، و دعوتهم للإستسلام و عدم المقاومة .

3 ـ زعزعة إيمان العدو و أهدافه ، و ذلك بتشويه المبادئ والأهداف وتصويرها على غير حقيقتها ، مع التحذير من تضخيم الأخطار التي ستقع عند محاولة تحقيق هذه الأهداف والمبادئ .

4 ـ تضخيم الوقائع من أول لقاء مع العدو ، و في الساعات الأولى ، و في المقابل التقليل من أهمية الحقائق ، و عدم ذكر الخسائر.

5 ـ تنظيم ندوات و ملتقيات لرفع معنويات و حماس الجنود لتقوية إرادتهم و بالتالي إحباط معنويات العدو.

6 ـ تدمير القدرات الإقتصادية و العسكرية للعدو لتشكيل أفكار استسلامية في ساحة الأعداء .

7 ـ بث روح الإستسلام و البلبلة و عدم الإستقرار بواسطة نداءات موجهة للجنود من أجل الإنسحاب من المعركة .

8 ـ حشد القوات العسكرية المتعددة التخصصات قصد التخويف و الذعر و هذا للتأثير على معنويات المقاتلين ، و إذكاء روح التمرد لديهم.

9 ـ محاولة القضاء على الأهداف الإستراتيجية للعدو ،والتركيز على أنسب الطرق و المناطق لإقامة التحشدات العسكرية و تركيز الأسلحة ؛ زيادة عن وضع خطة قتالية ـ هجومية و دفاعية ـ تحقق الغرض الإستراتيجي والتكتيكي من القتال .

10 ـ الإستلاء على المصالح الأساسية للجند ، و التركيز على تدمير المنشآت الحيوية العسكرية و ضربها في العمق ، وخاصة المصانع الحربية وتدمير خطوط الإمداد والمواصلات و شلها ؛ مع تحطيم المطارات والقواعد الجوية لإعاقة الخصم بعدم تمكنه باستعمالها في هجومات قاتلة .

11 ـ محاولات تعمية الرادارات و التشويش على خطوط الإتصال ، وضرب المواقع العسكرية الإستراتيجية لفصل الجيش عن قيادته و إرباكه على جميع المستويات ، وذلك تمهيدا لمحاصرته و فرض الإستسلام عليه .

12 ـ التحضير بدقة و دراسة لإفساد خطة العدو القتالية على جميع الأصعدة التكتيكية و الإستراتيجية و الإعلامية للإجهاض على تحطيم كل قدراته.

13 ـ التركيز على الهجوم المفاجئ المباغت الذي يجعل العدو يحول مسار الحرب و أهدافها .

14 ـ استعمال الضغط السياسي و الديبلوماسي و المعنوي لدفع الخصم إلى وقف المعركة و ضرورة التفاوض

15 ـ استمرارية الهجومات العسكرية المكثفة على الأهداف العسكرية والصناعية و الإستراتيجية ، و خاصة الخطوط الدفاعية وهذا لإضعاف الخصـــــم ـ عسكريا و معنويا ـ قدر المستطاع ؛ مع التركيز على الإستطلاعات والتجسس قصد تحديد نقاط القوة و ضربها وفق مخطط مدروس لتحطيم القدرات العسكرية والتكنولوجية ، و الإستراتيجية . و بالتالي يسهل إخضاعه ، و إذلاله وإركاعه والتحكم فيه لنهب خيراته و قدراته .

16 ـ استخدام الأسلحة الجديدة التي يجهلها العدو ، و طرق الخداع العملياتي الكثيرة ، كالخداع السياسي و الإعلامي المضمون الرئيسي للخداع الإستراتيجي ـ على جميع المستويات ـ و منها استخدام الوسائل التقنية والتكنولوجية ، و استغلال طبيعة الأرض ، و ظلام الليل ، و أحوال الرؤيا المحدودة والمحافظة على الأسرار الحربية والسيطرة عليها ، وخاصة لدى القوات العسكرية. وهذا الخداع لا يكون بطرق اعتباطية ، و إنما هناك أساليب تستعمل بذكاء لنجاح الخداع حتى تتحقق الفاجأة .

17 ـ استعمال أساليب الضغط العسكري لإستسلام العدو دون قيد أو شرط ، مع القضاء على المتآمرين على الأمن الإقتصادي و الإجتماعي والإستراتيجي للأمة .

18ـ التركيز على وسائل الإعلام المختلفة و خاصة المرئية قصد تحطيم جبهة العدو العسكرية ، و ذلك ببث أخبار متضاربة و متناقضة مع رش مبيدات الصمت و التعتيم حسب المواقف و بحنكة قوية و دهاء كبير .

ثالثا ـ جبهة الأصدقاء

على صعيد جبهة الأصدقاء تهدف الحرب النفسية إلى تحقيق الأهداف التالية :

1ـ محاولة إقناع الجبهة الصديقة بتبني وجهة نظرها لتصبح تعتنقها و تدافع عنها.

2 ـ استمرار العمل الدؤوب و الدائم لتقوية رابطة الصداقة وتوثيقها وتطويرها ، وذلك قصد تقوية مواقفها على الصعيد الداخلي و الخارجي .

3 ـ محاولة كسب الرأي العام للدول الصديقة حتى يصبح قوة مساندة للرأي العام الداخلي .

4 ـ محاولة الإعتماد على الجبهة الصديقة لكسب صداقة مع دول أخرى ، وجبهات أخرى و توسيعها ـ قدر الإمكان ـ و بالتالي يتوسع مجال التحرك و خاصة في المجالات الحيوية و الإستراتيجية .

5 ـ ضرورة المحافظة على جبهة الأصدقاء مع الإستمرار في كسب أصدقاء جدد في كل بقاع العالم ، و ذلك قصد إحساس الرأي العام العالمي بأن سلامته في سلامتها و أمنه في أمنها .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

6 ـ استغلال المعطيات الجديدة ـ على جميع الأصعدة ـ وتوجيهها إلى الجبهات الصديقة حتى تنمو رساخة صداقتها ، و بالتالي تجعلها جبهة قوية في وجه أعدائها .

7 ـ محاولة التأثير على صناع القرار السياسي و العسكري ـ بشتى الوسائل ـ لدخول الجبهة الصديقة في المعارك النفسية و حتي القتالية وهذا ضمن استراتيجية و وفق أهداف محددة .

رابعا- جبهة المحايدين

الحرب النفسية على صعيد جبهة المحايدين تهدف إلى تحقيق الأهداف الآتية :

1 ـ تعمل على كسب الجبهة المحايدة و بشتى الطرق والوسائل لتبني القضية التي تدافع عنها .

2 ـ محاولة كسب الجبهات المحايدة ـ قدر الإمكان ـ و جعلها تقف موقف المؤيد بدل المتفرج ، و في جميع الميادين و على جميع الأصعدة .

3 ـ محاولة استقطاب الجبهة المحايدة ، و جعلها تؤيد ما هو موجود ـ ماديا و معنويا ـ .

4 ـ استعمال الوسائل الإعلامية المختلفة لكسب الرأي العام المحايد وتحريكه ليصبح في عدد الأصدقاء و المؤيدين .

5 ـ محاولة إقناع الرأي العام المحايد بضرورة التعاون ،وتقديم الدعم المعنوي و المادي ؛ لأن الجبهة المعادية تريد القضاء عليها لضعفها، لذا فهي في حاجة إلى من يقف معها .

6 ـ تحاول أن تبين للجبهات المحايدة و بوسائل إغرائية أنها أمة لها من الإمكانات و الطاقات الفنية و الإنتاجية ما يجعلها تحتاج إلى أصدقاء كثيرين للتعاون معهم ، وبالتالي تجذب الجهات المحايدة للتعاون معهافي السراء والضراء.

7 ـ محاولة إقناع الدول و الجبهات المحايدة بأنها تخوض حربا في محيط متخلف ، و غير حضاري ، و أنها وجه التقدم و التحضر ، و لذا يستوجب مساندتها و الوقوف بجانبها ، و بالتالي الوقوف مع الحضارة و التقدم و الرقي ...

8 ـ توحي إلى الجبهة المحايدة بأن هذه الحرب القذرة فرضت عليها فرضا رغم محاولاتها المتكررة بتجنبها ، لذا يجب مساندتها حتى يتحقق السلام و يعود الإستقرار و الأمن إلى المنطقة .

خامسا - الجبهة الداخلية

بعد أن عرفنا الأساليب الجهنمية التي تهدف إليها الحرب النفسية لتشويه صورة الخصم و تحطيم معنوياته للقضاء عليه ـ مدنيا و عسكريا ـ .

و لمواجهة هذه الأهداف المدروسة لا بد من استراتيجية تقوم على التوعية والمعرفة العلمية لأهداف الخصم مما يجعل الجبهة الداخلية تساهم مساهمة فعالة في رد الحملات الجهنمية المتكررة و إفشالها و توجيهها نحو صانعيها و مخططيها وهذه الأهداف الإستراتيجية على الصعيد الداخلي - مدنيا و عسكريا - ما يلي :

1 - تنظيم ندوات لرفع معنويات وحماس الجنود لتقوية إرادتهم وبالتالي إحباط معنويات الخصم .

2 - دخول الحرب - إن لزم الأمر- بذكاء و سرية ، و ليس بغباء وعلانية وقبل الدخول في الحرب يجب ضمان ضرورة وحدة الصف و المحافظة بقدر الإمكان على الأرواح ، و بعبارة أخرى تحقيق الأهداف بأقل الخسائر ؛ لأن المحافظة على النصر أصعب من تحقيقه ، مع استعمال دلالات خاصة لوصف الحرب بما يخفي وحشيتها ويجعل الرأي العام يتقبلها .

3 - محاولة التقليل من خطابات العدو حتى لا تؤثر على الجماهير في الجبهة الداخلية ، و ذلك بوسائل مناسبة و مدروسة ... مع إذاعة خطابات العدو والتعليق عليها بما يشوهها أو يقلل من أهميتها .

4 - الإستمرار في رفع معنويات الجبهة الداخلية - مدنيا وعسكريا - وباستراتيجية مدروسة لتنوير الرأي العام ، و تحذيره بخطورة وسائل الإعلام ودورها في تشويه الحقائق - خاصة في صفوف الأميين - مع السهر على عدم إذاعة ونشر أخبار الظروف الإقتصادية و الإجتماعية و العسكرية التي تمر بها البلاد حتى لا يستفيد منها الأعداء ، و تكون كذلك عاملا لإحباط معنويات الجبهة الداخلية .

5 - بث روح العقيدة الدينية و الوطنية ، و التركيز على الوحدة ، و بذل الجهود لتوحيد الصف لمواجهة الأعداء .

6 - الإلتزام بتعليمات القيادة - مدنيا و عسكريا - و عدم نشر أية معلومة أو تقرير أو خبر ؛ إلا بعد مراقبته من طرف المختصين ، مع بث الأناشيد الوطنية والمدائح الدينية لرفع معنويات الجماهير .

7 - الهيمنة على وسائل الإتصال لما لها من دور فعال في استعمالها حسب الظروف و المتطلبات ، والمصالح ؛ قصد تحقيق الأهداف المسطرة بنجاح .

8 - التكثير من الموائد المستديرة ، و الندوات العلمية المتخصصة في ميدان الحرب النفسية ؛ قصد تعميق الأهداف المتوخاة في نفسية الرأي العام الداخلي .

9 - استخدام أحدث الوسائل التقنية تكنولوجيا مع التركيز على الوسائل البصرية أو ما يعرف في التاريخ المعاصر بـ(صدمة الصورة) ، و ذلك من أجل تحقيق الهدف ، و تهيئة الرأي العام الداخلي - لأنه أكثر عرضة للهجوم و التشويه - وبالتالي يصبح يفرق بين الصح و الكذب في جميع المجالات .

10 - التضخيم من سير العمليات القتالية باستعمال الأسلحة الإستراتيجية والتكتيكية ، و أعمال التعبئة و الإمداد ، و ذلك لرفع معنويات الجند والجماهير الشعبية ، و في المقابل إحداث الرعب ، و الهلع في نفوس الأعداء وإفساد خططهم العسكرية .

جمعية التراث للبحوث والدراسات الإسلامية

11 ـ اليقظة و الحذر عنصران أساسيان للنصر ؛ لذا على القيادة والجماهير أن تلتزم بهما و أن تقدرا الأمور حق قدرها ، و أن تبتعدا عن نسبة الخطأ و الزلل ـ قدر الإمكان ـ و ذلك بواسطة التفكير الواعي و التدبير المدروس و على القيادة أن تلتزم الشورى في كل أمورها .

12 ـ التحلى بالصبر و الثبات في حالة الحضر و الحصار والتهديدات مهما كان الأمر .

13ـ محاولة كشف و معرفة التحاليل الفكرية من جهة والإستراتيجية من جهة أخرى للعدو ، و ذلك لبناء استراتيجية مضادة مدروسة ودقيقة ، و الإبتعاد عن مجرد الإحتمالات لأن الأوهام تؤدي بصاحبها إلى حتفه .

14ـ التركيز على الرباط التاريخي بين الأحداث و تقييمها قصد شحذ العاطفة و المشاعر مع شحن الرأي العام بفكر واقعي وبعث روح جديدة فيه .

15ـ تشويه صورة العدو بوصفه متخلفا و بدائيا وبغير المتحضر، وبالغدر و المكر، و المتعطش للدماء ، وهذا من أجل إقناع الرأي العام الداخلي و الخارجي بضرورة الوقوف ضد هذا العدو .

16 ـ محاولة استغلال المزايا التاريخية و الحضارية والجغرافية لتشكيل وحدة قوية متماسكة .

17 ـ على القادة و الساسة و المفكرين أن يقوموا بدور فعال في تغيير اتجاهات الجماهير و التأثير على عقولهم عن طريق الخطب السياسية و خطب التوعية ، و عن طريق الكتب والمقالات المنشورة ؛ مع تكوين قيادات خاصة و بثها في أوساط الجماهير ، والعمل على التصور الفكري للقيادات الموجودة .

18ـ الدعوة الواعية لمواجهة الغزو الإعلامي القادم عبر الهوائيات لتضليل الرأي العام ؛ قصد تحقيق مصالح العدو الذاتية ، و أطماعه التوسعية بالهيمنة و السيطرة على الأنظمة و التحكم في ثرواتها و بسط سيادتها سياسيا واقتصاديا و عسكريا و حتى ثقافيا ؛ و هذا لا يتحقق إلا بنسج مؤامرة كبرى و شن هجوم شرس إعلاميا و تكنولوجيا و عسكريا .

19ـ التعامل بدقة مع الأحداث و التطورات و هذا من خلال وحدة الكلمة في الداخل و التنسيق الصحيح مع الأصدقاء والمحايدين [1].

هذه الأهداف ـ للحرب النفسية ـ نلمسها اليوم في واقعنا و على جميع الأصعدة مما يزيدنا يقينا أن الحرب النفسية حرب شرسة تستعمل للقضاء على الخصم ـ مدنيا و عسكريا ـ مطورة أساليبها و تقنياتها بحسب العصر و تكنولوجياته

---

(1) ـ أنظر : ـ د.أحمد نوفل:الحرب النفسية ـ الكتاب الأول ـ (مرجع سابق) ص71 إلى 76 .

ـ د.عبد الوهاب كحيل:الحرب النفسية في عهد الرسول (مرجع سابق) ص30 إلى 33 .

ـ د.مختار حمزة: أسس علم النفس الاجتماعي (مرجع سابق) ص 253إلى254 .

ـ د.حامد عبد السلام زهران:علم النفس الاجتماعي (مرجع سابق) ص397 إلى398 .

و هذا ما سنعرفه من خلال استعمال وسائل الحرب النفسية في عصر النبوة ، حيث تفنن المشركون و اليهود و المنافقون في الأساليب التي كانت موجودة في عصرهم للوصول إلى أهدافهم المعادية للرسول ـ صلعم ـ و أصحابه .

أما اليوم فإن أهداف الحرب النفسية أصبحت مدروسة وعلمية و تتطور كل يوم مما أصبح يصعب على الخصم الضعيف مقاومتها و الصمود في وجه أساليبها الجهنمية ، و هو ما يجعل المدافع عن نفسه ـ دولة ، جماعة ، أمة ، فرد ... ـ يركز على الجوانب المعنوية كالعقيدة ، والفكر ، والقيم الإجتماعية ... لتقوية الروح المعنوية قصد حماية أفراد الأمة من الحرب النفسية الموجهة ضدهم .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفصل الثالث

أسلحة الحرب النفسية

أولا : الدعاية

تمهيد

أ- تعريفها ب- انواعها

جـ - اهدافها د-مميزاتها

هـ- تقنياتها و- مقوماتها

ثانيا : الشائعة

تمهيد

أ- تعريفها ب- انواعها

جـ- اهدافها د-مميزاتها

هـ- تقنياتها و- مقوماتها

ثالثا : غسل الدماغ

تمهيد

أ- تعريفه ب- اهدافه

جـ- تقنياته د- مقوماته

رابعا : الإعلام التضليلي

تمهيد

أ- تعريفه ب- اهدافه

جـ- تقنياته د- مقوماته

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

« ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام
لتفتروا على الله الكذب
إن الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون »

النحل:١١٦

« إنما يفتري الكذب الذين لا يومنون بآيات الله وأولئك هم الكاذبون »

النحل : ١٠٥

« وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به
ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم
لعلمه الذين يستنبطونه منهم
ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان إلا قليلا »

النساء : ٨٣

« ياأيها الذين ءامنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا
أن تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين »

الحجرات : ٦

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

أولا : الدعاية

تمهيد

الدعاية قديمة قدم البشرية لأنها جزء لا يتجزأ من الحرب النفسية، لكنها في عصرنا اليوم أخذت طابع الإستقلالية والتخصص ؛ مثلها مثل باقي العلوم التى انفصلت عن علومها الأصلية ، و أصبح مصطلحها متداولا بين الناس و خاصة المتخصصين منهم .

و إذا كانت الحرب النفسية تستهدف شخصية الإنسان ، فإن الدعاية تعد أكثر مباشرة و أداة ، توجه إلى نفسية الإنسان ، و ذلك باستخدامها وسائل وتقنيات متعددة و كثيرة ؛ نجدها في كل كلمة ـ مكتوبة أو منطوقة ـ كما نجدها في كل صورة ـ مرسومة أو مطبوعة ـ مما يجعلها تسري سريان الدم في فكر الإنسان دون شعور منه ، فتصبح تطبع حياته ، وتتحكم في كل مجالات حياته الإقتصادية و الإجتماعية والسياسية ، لأنها وسيلة من وسائل الضغط الإجتماعي ـ على جميع الأصعدة ـ .

و الدعاية كعمل إعلامي تباشر به العمل المنظم لتحقيق الأهداف المسطرة على أوسع نطاق ، وعلى كافة الجبهات التي يجب التحرك ضمنها لتحقيق الأهداف الإستراتجية على المدى القريب و البعيد ، لذا فالعمل الدعائي النفسي يريد تجنيد كل الطاقات للإستفادة من كل الخبرات الدعائية الإعلامية ـ التارخية والمعاصرة ـ وفق مخطط تكتيكي مدروس ؛ قصد تحقيق أهداف الدعاية الكبرى .

لذلك تعتبر الدعاية من الوسائل الهامة التي تؤثر إما في تكوين رأي عام جديد ، أو تغيير أو توجيه رأي عام موجود من قبل ، لأنها رسالة إعلامية تفتعل ما لم يحدث أو تشوه ما حدث ، وذلك بامتلاكها القدرة على التأثيرات المختلفة ـ على جميع الأصعدة ـ للوصول إلى تحقيق أهداف استراتيجية ، أو تكتيكية ، أو سياسية ، أو اقتصادية ، أو عسكرية ، أو تجارية ... الخ .

و إذا لم يعرف الرأي العام إمكانية التحقق و التأكد مما وقع ، و يقع وسيقع ، فإن الدعاية عندئذ تتحول إلى حقيقة في نظر الرأي العام . و هذا بطبيعة الحال يجعلها تفعل فعلتها في تغيير التصورات و السلوكات الفردية والجماعية.

*****

أ ـ تعريف الدعاية

الدعاية مثلها مثل باقي المصطلحات المعاصرة ؛ فهي متعددة التعاريف والمفاهيم ، و ذلك حسب الأهداف التي يسعى المرسل إلى تحقيقها و من بين هذه التعاريف ما يلي :

يعرفها الباحث "فورمان جون باول" بأنها : «نشر الآراء ووجهات النظرالتي تؤثرعلى الأفكارأوالسلوك أو كليهما معا »[1].

أما "لاسويل" فيعرفها تعريفا موجزا بقوله : « إن الدعاية هي فن الإحتيال عن طريق الرموز »[2].

و يرى الكاتب الأمريكي "والتر ليبمان" أن الدعاية هي : « محاولة التأثير في شخصيات الأفراد والسيطرة على سلوكهم لأغراض تعتبر غير علمية ، أو ذات قيمة مشكوك فيها في مجتمع ما في الزمن بالذات » [أو] « هي تنشر معلومات بين الناس الهدف منها التأثير في الرأي العام وفق اتجاه معين دون الكشف عنه»[3].

و هناك تعريف يعتبر أكثر دقة و علمية نجده عند الدكتور "حامد عبد السلام" الذي يعرف الدعاية بقوله : « هي الإستخدام المخطط لأي نوع من وسائل الإعلام بقصد التأثير في عقول و عواطف جماعة معادية معينة ، أو جماعة محايدة ، أو جماعة صديقة لغرض استراتيجي أو تكتيكي معين .. .[إلى أن يقول عن أثرها وأهدافها] ... و الدعاية لها أثر على المدنيين و العسكريين على السواء ، و تبنى على أساس علم النفس ، و علم الإجتماع ، و علم النفس الإجتماعي... [و هي] ...تنشر التخاذل ، و تثبط المعنويات ، و تعمل على تحطيم الدوافع ، و البواعث للقتال »[4].

أما أحمد نوفل فيعرفها تعريفا عاما حيث يقول : « إن الدعاية هي إقناع الآخرين بأن يسلكوا في حياتهم سلوكا معينا ما كانوا يسلكونه من قبل »[5].

و هذا الدكتور عبد اللطيف حمزة يعرفها بقوله : « الدعاية هي محاولة التأثير في الأفراد و الجماهير و السيطرة على سلوكهم لأغراض مشكوك فيها، و ذلك في مجتمع معين و زمان معين و لهدف معين »[6].

و التعريف الشامل ـ في نظرنا ـ هوتعريف الأستاذ "موسى زيد الكيلاني" إذ يقول :« هي إبداء الحقائق أوالخط السياسي ذي الطبيعة الإجتماعية الإقتصادية مستهدفين بذلك تحقيق نتائج غيرالأهداف المعلن عنها، وهي تستهدف التأثير على

---

(1) ـ د.أحمد نوفل : الحرب النفسية ـ الكتاب الأول ـ(مرجع سابق) ص82.

(2) ـ محمد فوزي عبد الحميد : نحو اتصال دولي جديد (مرجع سابق) ص208 .

(3) ـ د.محمد مصطفى زيدان : علم النفس الاجتماعي ، الجزائر:ديوان المطبوعات الجامعية ، ص146 .

(4) ـ د.حامد عبد السلام زهران: علم النفس الاجتماعي (مرجع سابق) ص400.

(5) ـ د.أحمد نوفل: الحرب النفسية ـ الكتاب الأول ـ (مرجع سابق) ص85 .

(6) ـ د.عبد اللطيف حمزة: الإعلام والدعاية ، دار الكتاب العربي ، (1404هـ ـ 1984م) ص130.

سلوك الآخرين وأفكارهم بواسطة الإستخدام الذكي الإنتقائي المدروس للرموز ونشرها سواء أكانت الرموز لفظية أو سمعية ، أم بصرية ،أم إدراكية ، و التركيز على الكلمة ـ الرمز منحوتة أو مقروءة أو مسموعة أو مصورة أو مرئية أو كل ذلك معا ـ وقد تكون الدعايةواضحة (بيضاء) أو مستترة (سوداء) أو ما بينهما (رمادية) »[1].

من خلال هذه التعريفات يتبين أن الدعاية تهدف الى التأثيرعلى الرأي العام بواسطة نشر أفكار و سلوكات بطريقة ما؛ قصد تحقيق أهداف إستراتيجية ومخططة من قبل الخصم تجاه خصمه بواسطة أساليب تقنية و علمية ـ خاصة في عصرنا الحاضر ـ لأهداف غير معلنة و مشبوهة، مما يصعب على الخصم معرفتها و بالتالي مقاومتها؛ و خاصة إذا علمنا أن الدعاية أصبحت اليوم تستخدم في أغراض عديدة. سياسية ،و إقتصادية ، و إجتماعية و تجارية ... و في الوقت نفسه أصبحت مرتبطة بارتباطات عقائدية و إديولوجية ؛ مستعملة وسائل العصر كالصحافة و الإذاعة والتلفزة ... مما تجعل تأثيراتها على الجماهير فعالة ذات سيطرة قوية تؤدي الى تشكيل أراء و عقليات جديدة يصعب فيما بعد محوها و تبديلها[2] .

ب ـ أنواع الدعاية

1 ـ **الدعاية الإستراتيجية**:وهي الدعايةالتي توجه ضدالجبهةالمعادية ـ على جميع الأصعدة ـ وفق خطة إستراتيجية مدروسة و مضبوطة ـ مكانا و زمانا ـ لبث روح الإستسلام و اليأس .

2 ـ **الدعاية التكتيكية** : و هي دعاية تكتيكية تقوم على مخطط توجيهي تجاه عدد من الأفراد محدود في الغالب لإعطاء تعليمات خاصة محلية ، و قد توجه ضد الجبهة العسكرية المعادية بغرض بث روح الهزيمة فيها .

لكن الدكتور "حامد عبدالسلام زهران" يفرق بين النوعين فيرى أن : « الدعاية الإستراتيجية توجه ضد الشعوب المعادية لبث روح اليأس و الإستسلام و الدعاية التكتيكية توجه ضد القوات المسلحة المعادية لبث روح الهزيمة »[3].

3 ـ **الدعاية الرسمية** : و هي دعاية صريحة و مكشوفة لأنها لا تخفي مصدرها و تستخدم جميع وسائل الإعلام الرسمية ، و تسمى **الدعاية البيضاء** .

4 ـ **الدعاية المتخفية** : و هي دعاية خفية مجهولة المصدر، مما يجعلها لا تخشى أية مسؤولية أو دعاية مضادة ، و لذا تصعب مقاومتها، و تسمى **الدعاية السوداء** .

---

(1) ـ **موسى زيد الكيلاني**:الإعلام السياسي و الإسلام ، بيروت :مؤسسة الرسالة، (1405هـ ـ 1985م) ص5.

(2) ـ للمزيد من المعلومات أنظر:

ـ **محمد فوزي عبد الحميد** : نحو اتصال دولي جديد (مرجع سابق) ص207 إلى223.

(3) ـ د.**حامد عبد السلام زهران**: علم النفس الاجتماعي (مرجع سابق) ص400،401 .

5ـ الدعاية المتنكرة : و هي دعاية مجهولة المصدر لأنها بين العلنية والسرية لاستعارتها اسما تتنكر وراءه ، و تسمى **الدعاية الرمادية**.

6ـ الدعاية المضادة : «هي جملة الإجراءات الدعائية المنفذة بواسطة مختلف وسائل الإعلام و التي تستهدف إبطال دعاية العدو بدحضها و تكذيبها، أو بإضعاف تأثيرها على الرأي العام الداخلي و الخارجي . تنفذ الدعاية المضادة على المستوى الإستراتيجي الدعائي و القتالي »[1].

هذه أهم أنواع الدعاية ، و هناك أخرى أقل شأنا و مداولة بين الناس لأنها تدخل في إطار هذه الأنواع المذكورة سلفا . و من هذه الأنواع : **الدعاية الإنقسامية** و **الدعاية الخاصة** ، و **دعاية التركيز**، و **الدعاية التجارية** ، و **الدعاية الدينية** ..الخ.

جـ ـ أهداف الدعاية

الدعاية مثلها مثل أنواع أسلحة الحرب النفسية فهي تسعى الى تحقيق أهداف استراتيجية و تكتيكية سواء على مستوى الصعيد الإجتماعي أوعلى مستوى الصعيد العسكري ، و من أهم الأهداف مايلي :

1 ـ محاولة تغيير الفكرة أو الإتجاه ، أو القيم و المعتقدات ، و الرأي والسلوكات تغييرا إيجابيا أو سلبيا وفق الخطة المدروسة .

2 ـ إحداث الفرقة و التشتت بين صفوف الجبهة المعادية ، و زعزعة إيمانها ومعتقداتها و أفكارها ؛ قصد إضعاف الروح المعنوية عند الخصم .

3 ـ تهيئة الرأي العام للوقوف أو التأييد لفكرة ما، وفق خطة مدروسة استراتيجيا أو تكتيكيا.

4 ـ بث الرعب و الخوف في قلوب الجبهة المعادية ـ على الصعيد المدني والعسكري ـ مما يجعلها تستسلم و تخضع للأمر الواقع.

5 ـ استعمال التمويه و الخداع الإستراتيجي و التكتيكي للتقليل من شأن الجبهة المعادية و تضخيم أخطائها و هزائمها.

6ـ محاولة كسب الرأي العام ـ الصديق و المحايد ـ و ذلك بتقوية روابط الصداقة مع الجبهات الصديقة و الحليفة ، و محاولة كسب الجبهات المحايدة.

7 ـ محاولة كسب الجبهة المعادية ـ فكريا ـ و ذلك بإظهار أن القضية التي تدافع عنها قضية خاسرة ، و لذا فلا جدوى من المقاومة ؛ مستغلة "الطابور الخامس"

وتحريكه في الوقت اللازم و المناسب لبلبلة أفكارالجبهة المعادية و زعزعتها و شل نشاطها .

8 ـ استمرارية المحافظة على روح التصدي و الصمود للجبهة الداخلية وتقويتها برفع المعنويات و خاصة على الصعيد المدني .

9 ـ العمل على قيادة الأفراد أو الجماعات بتبني فكرة ما، مع محاولة التأثير في سلوكاتهم و تصرفاتهم و توجيههم إلى القيام بأعمال مخططة و مدروسة .

---

(1) ـ **الجيش (مجلة) الجزائر** : العدد 293، السنة 25 (أكتوبر 1988) ص38.

10 ـ محاولة التأثير على الرأي العام ـ الداخلي و الخارجي ـ خاصة إذا كانت الأنظمة برلمانية وفق إنتخابات حرة ، و ذلك قصد التأثير في رأيها بصفتها صاحبة القرار.

11 ـ إغراق الرأي العام ـ داخليا و خارجيا ـ بالمعلومات وفق الخطة المرسومة، و جعله بوقا لهذه المعلومات المستهدفة .

د ـ مميزات الدعاية

من مميزات الدعاية مايلي :

1 ـ إنها تسعى لتحقيق سلوك معين، معتمدة على مخاطبة العاطفة و تحريكها بالوسائل المناسبة ، سواء كانت الطريقة مباشرة أو غير مباشرة دون أن تهمل الجانب العقلي.

2 ـ إنها تسري في النفوس دون ضجة و لا صخب ـ رويدا رويدا ـ حتى تبدل الآراء و القيم و المعتقدات ، للوصول الى اعتناق آراء و تصورات جديدة مرسومة .

3 ـ إنها تنشر التخاذل ، و تثبط العزائم ، و تعمل على تحطيم الدوافع والبواعث القتالية .

4 ـ إنها «تجد طريقها في الكلمة و المطبوعة ، و الصورة ، و تنساب في تيار الحياة اليومية ، و تسري في النفوس بلا ضجة إلى أن تنتهي بتغييرالرأي والعقيدة و الإتجاه ، ثم إعتناق الرأي الذي يُرسَم »[1] .

5 ـ إنها « لها تكتيك يشبه تكتيك القتال ، فهي تهاجم و تدافع ، و قد تنسحب من قطاع من الجبهة لكي تسدد ضرباتها في قطاع أخر، و قد توهم بالهجوم من ناحية بينما تحشد قواها من ناحية أخرى»[2].

هـ ـ تقنيات الدعاية

لنجاح استراتيجية معينة لا بد لها من تكتيك معين ، لذا فالدعاية تعتمد على تقنيات تبنى على معرفة النواحي السيكولوجية و الدراسة الواقعية و المنطقية لمجال تحركاتها ومن هذه التقنيات ما يأتي :

1 ـ المعرفة العلمية بالإتجاهات ، و السلوكات ، و الواقع المعيش ـ على جميع الأصعدة ـ لمن توجه لهم الدعاية .

2 ـ معرفة الإستجابات الفردية ، و الجماعية للمدعوين لزرع إثارتها بالمادة الإعلامية الدعائية .

3 ـ التحقق من قوة الإستجابة للمؤثر الدعائي ؛ قصد تحقيق الأهداف المطلوبة وفق الخطة المدروسة .

---

(1) ـ د.أحمد نوفل: الحرب النفسية ـ الكتاب الأول ـ (مرجع سابق) ص82

(2) ـ د.حامد عبد السلام زهران : علم النفس الاجتماعي (مرجع سابق) ص400.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

4 ـ استخدام تقنيات الحذف أحيانا ، و التحريف أحيانا ، و التضليل أحيانا أخرى ... و هذا وفق الوسائل الفنية اللازمة للتضليل و الإيهام .

5 ـ اعتماد التكرار أحيانا، و التنويع و الاستمرار أحيانا أخرى، و ذلك قصد تقوية الإستجابة لدى الرأي العام الذي توجه له الرسالة الدعائية .

6 ـ اعتماد الحداثة و التجديد مع اختيار الزمن المناسب في المكان المناسب حتى تؤدي الدعاية هدفها .

7 ـ اعتماد البساطة و الوضوح ، و تجنب الإبهام ؛ قصد الوصول الى عقول المدعوين ، و مخاطبتهم بما يفهمون ـ ثقافة ولغة ـ لإيصال الأفكار دون خلط أو تشويه أو إيهام .

8 ـ استعمال جميع الوسائل الإعلامية ـ مجلات، صحف، نشرات، كتب مراكز إعلامية... ـ من أجل تحقيق أكبر عملية دعائية ؛ قصد تغيير السلوكات و توجيهها لصالح مخطط ما؛ لأن التضليل الإعلامي الدعائي واحد من أبرز و أخطر مظاهر التلاعب بالمعلومات ، و هو من أكثر تقنيات الدعاية حداثة و مردودية .

9 ـ اعتماد مبدأ الشهادة ، و ذلك بدعوة شخصيات لها مكانتها السياسية، أو العسكرية ، أو الإعلامية ، أو الإقتصادية ، أو الإستراتيجية... للمساهمة في تبرير أي عمل تقوم به المؤسسة التي تهدف إلى دعاية ما.

10 ـ الإعتماد على جمهرة الفكرة ، و ذلك باستخدام وسائل الإعلام المختلفة وقيامها بجعل الفكرة جماهيرية ، و نابعة من الجمهور، و أنها صادرة منه ، و من مواقفه ، و قيمه...الخ .

11 ـ اعتماد عنصر الإنتخاب من بين الحقائق ، و هذا دور وسائل الإعلام الذي تختار جزيئات تخدم الفكرة ، و تضخيمها ، و توجيهها للرأي العام بأكثر فعالية ممكنة ...الخ .

12 ـ محاولة توسيع دائرة الفكرة ، و ذلك بنشرها للرأي العام ـ الداخلي و الخارجي ـ حسب طبيعتها ، و جعلها كأنها أسلوب و سلوك عادي يمكن أن يقوم به أي إنسان يتعرض إلى هذه الوضعية ...

هذه أهم تقنيات الدعاية ، و هناك تقنيات أخرى : كاستعمال توظيف عنصر التعميمات اللماعة و عنصر التحويل ، و الكذب المقنن ، و عنصر التعويض والنكتة ، و الاستضعاف و الاستعطاف ، و الشعارات ...الخ .

و ـ مقاومة الدعاية

التخطيط أساس كل عمل ناجح ، لذا لا بد من خطة مضادة ـ علمية و مدروسة ـ لمجابهة و مقاومة الدعاية ، و هذه المقاومة تكمن في تحقيق الأهداف التالية:

1 ـ الاستمرار في رفع المعنويات على صعيدي الجبهة المدنية و الجبهة العسكرية .

2 ـ محاولة كشف دعاية العدو و التصدي لها ، و كشفها للرأي العام مما يجعل مفعولها باطلا و خفيفا .

3 ـ اعتماد السرعة في نشر الأخبار الصحيحة قصد تفويت الفرصة على العدو بعدم استغلالها ، و بالمقابل تجنب نشر الأخبار و المعلومات عن ظروف الجبهة العسكرية و المدنية ، حتى لا يستفيد منه العدو .

4 ـ التركيز على ميدان التربية و التوعية قصد تحقيق وعي إيجابي لتفنيد الدعايات عن طريق الحجج و الأدلة و البراهين ، و الاعتماد على الحقائق المنطقية والملموسة ، وذلك باستعمال الوسائل المختلفة من: صحافة ، محاضرات ندوات ...

5 ـ العمل على تنمية الشعور بالثقة في النفس بالاعتماد على العقيدة و القيم الوطنية ، لأن الثقة بالنفس أساس كل نجاح لرفع معنويات الرأي العام للجبهة الداخلية ، و جعلها تصمد في وجه جبهة الخصوم .

6 ـ محاولة إقناع الجبهة الداخلية بقضيتها العادلة ، و بحقها المشروع و ذلك باستمرار الكفاح بمفهومه الواسع ؛ من أجل المحافظة على الوطن و القيم و دفع خطر العدو مهما كان .

7 ـ تحضير الجماهير للتصدي و الصمود في وجه الهجمات المخططة من قبل الأعداء ـ في جميع المجالات ـ مع تقوية الروح المعنوية لديهم ، و ذلك بعدم اليأس والقنوط ، و حثهم على الثبات و الصبر و الوحدة .

8 ـ التركيز على تقوية و غرس الروح العقدية ، و القيم الشخصية النابعة من الأصالة ، و العمل على التعبئة العامة و خاصة ـ وسط الشباب ـ و تهيئته لمواجهة الجبهة المعادية و محاربتها على الصعيدين المدني و العسكري ، و ذلك بكل الوسائل الممكنة .

9 ـ العمل على ترسيخ روح الثقة و التلاحم بين القيادة و الجماهير؛ قصد الوحدة الشاملة ، و رد كل الشكوك و القضاء على البلبلة بجميع أنواعها ، و بهذا تُسَد الطريق أمام المبادئ و السلوكات الانهزامية التي تغزو العقول و العواطف...

10 ـ العمل على بث و غرس روح العقيدة الدينية و الوطنية ، و زرع روح الوحدة بين أفراد الجماهير ـ قيادة و شعبا ـ و بالمقابل العمل على إذكاء روح التمرد لدى الجبهة المتحالفة مع الأعداء و إقناعها بأنها تدعم جبهة معادية للحضارة و للقيم الإنسانية...

*****

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ثانيا : الشائعة

تمهيد

الشائعة مثلها مثل الدعاية لأنها جزء لا يتجزأمن الحرب النفسية ، و هي قديمة قدم الشخصية الإنسانية لأنها تعيش معها و تلازمها و تتطور مثلها ؛ و هي من أفتك و أمضى أسلحة الحرب النفسية لسمَاتها المتميزة بالإنتشار السريع حيث : «يعتبر علماء الحرب النفسية الإشاعة من أهم الأسلحة التي يلجأون إليها في الحرب داخليا و خارجيا »[1] .

و الشائعة اليوم أصبحت علما قائما بذاته له رجالاته و علماؤه ، بل أصبحت لها أهداف مدروسة و مخططة وفق مقاييس علمية استراتيجية و تكتيكية .

و الشائعة ذات تأثير نفسي كبير سواءعلى مستوى الأفراد أو الجماعات لأنها تعتمد البلبلة الفكرية ، و التشويه الذهني ، و تؤثر على التصورات و السلوكات الفردية و الجماعية ؛ قصد تفتيت الصفوف و تحطيم المعنويات داخل الجبهة المعادية ، و بالمقابل تلعب دورا أساسيا في دعم الجبهة الداخلية لأنها تعزز الشعور بالقوة ، و الإيمان بالنصر القريب ؛ قصد رفع الروح المعنوية على صعيد الجبهة الداخلية .

و الشائعة تمس أحداثا معينة لأنها ظاهرة اجتماعية بالغة الأهمية ، كما قد تمس أشخاصا معينين ، و لها أشكال مختلفة مثل النكتة ، و الثرثرة ، و التقولات والقذف و التنبؤ بالأحداث المستقبلية . لذا فهي :« تعتبر ...وسيلة مؤثرة من وسائل الدعاية ، و يعتقد الكثيرون أن لها نفس التأثير الذي للراديو ، أو الصحافة ويمكن أن تستخدم استخداما إيجابيا لتقوية موقف من ينشرها أو لتكسب له الأصدقاء وهي من الناحية السلبية تحدث نوعا من القطيعة بين الناس و حكومتهم و تجعلهم يشكون في عدالة قضيتهم و بخاصة عندما تؤثر في توجيههم »[2].

و هذا ما سنعرفه - إن شاء الله - بدراستنا لسلاح الشائعة الفتاك في ميدان الحرب النفسية على جميع الأصعدة .

*****

(1) - موسى زيد الكيلاني : الإعلام السياسي و الإسلام (مرجع سابق) ص53 .

(2) - د.أحمد نوفل : الحرب النفسية - الكتاب الأول - (مرجع سابق) ص100.نقلا عن : د.محمد عبد القادر حاتم ، الرأي العام وتأثره بالإعلام والدعاية - الكتاب الثاني - ص176إلى 181.

أ ـ تعريف الشائعة

الدارس لمصطلح الإشاعة يجد أن كل الذين كتبوا في هذا الموضوع لم يتوصلوا الى تعريف علمي جامع للشائعة ، و هذا يرجع ـ في نظرنا ـ الى أن مصطلح الشائعة يتطور مع العلوم الحديثة و خاصة في ميدان الحرب النفسية ، و لذا فما هو صالح اليوم يكون في الغد قاصرا و هكذا ...

و بالتالي تعددت التعاريف و تشعبت و تكاثرت رغم أن مضمونها يصب في صعيد واحد و هذه بعض التعاريف المنتقاة .

1 ـ يعرفها "جوردون البورت ، و ليوبوستمان" بأنها : «كل قضية أو عبارة (أو موضعية) قابلة للتصديق ، تتناقل من شخص الى شخص ، عادة بالكلمة المنطوقة وذلك دون أن تكون هنالك معايير أكيدة للصدق »[1].

2 ـ و يعرفها الدكتور "جمال الدين محفوظ" في كتابه "المدخل إلى العقيدة و الإستراتيجية العسكرية الإسلامية" بأنها : «أخبار مشكوك في صحتها و يتعذر التحقق من أصلها ، و تتعلق بموضوعات لها أهمية لدى الموجهة إليهم و يؤدي تصديقهم أو نشرهم لها إلى إضعاف روحهم المعنوية »[2] .

3ـ "زهير الأعرجي" يعرف الشائعة بأنها : «النبأ الهادف الذي يكون مصدره مجهولا، و هي سريعة الإنتشار ذات طابع استفزازي أو هادئ حسب طبيعة ذلك النبأ...»[3].

4 ـ و هي عند "مصطفى الدباغ" : « كل خبر يحتمل الصدق، مجهول المصدر،وليس معه دليل على صحته ؛ يتناقله الأفراد لارتباطه بموضوعات تعتبر هامة بالنسبة إليهم ، و يُروِّج له بوسائل مختلفة بقصد تقبُّله ليخدم أهداف جهة المنشأ »[4].

5 ـ أما عند الدكتور "عبد الحميد محمد الهاشمي" فإنها : « قول أو خبر أوحادثة يتناقلها الناس دون التثبت من صحتها و صدقها ، و هي ظاهرة نفسية إجتماعية تعتمد نشر حادث مختلق أو تضخيم خبر تافه قصدا إلى تثبيط الروح المعنوية أو لتقويض التماسك الجماعي لدى الطرف المعادي . كما أنها في نفس الوقت تهدف إلى تنشيط الروح المعنوية أو بعثها من جديد في أفراد الأمة أوالجماعة الموالية ... [إلى أن يقول] ... فالإشاعة سلاح نفسي اجتماعي ذو حدين يستخدم في

---

(1) ـ جولدون البورت ، وليوبوستمان : سيكولوجية الإشاعة ، ترجمة : د.صلاح مخيمر ، ومراجعة وتقديم اللواء سيدعبدالحميدمرسي . مصر: إدارة الشؤون العامة والتوجيه المعنوي (يناير1965) ص11.

(2) ـ د.أحمد نوفل : الإشاعة (مرجع سابق) ص16،17. نقلا عن : د.جمال الدين محفوظ. المدخل إلى العقيدة والاستراتيجية العسكرية الإسلامية ، ص122.

(3) ـ زهير الأعرجي : الرأي العام الإسلامي وقوى التحريك ، بيروت : دار التعارف للمطبوعات .(1397هـ ـ 1977م) ص46.

(4) ـ مصطفى الدباغ : الحرب النفسية الإسرائيلية (مرجع سابق) ص130.

حروب الأعصاب و في الحروب عموما كسلاح نفسي فعال »[1] .

6 ـ و يعرفها الدكتور "أحمد بدر" بقوله : « ...بأنها ضغط اجتماعي مجهول المصدر يحيطه الغموض و الإبهام و تحظى من قطاعات عريضة أو أفراد عديدين بالإهتمام... ويتداول الناس الإشاعة لا بهدف نقل المعلومات بل بهدف التحريض والإثارة و بلبلة الأفكار ...»[2].

7 ـ و يقول الدكتور "حسنين عبد القادر" بأنها : « فكرة خاصة ليؤمن بها الناس ، تنتقل من شخص إلى آخر و يتم هذا عادة بواسطة الكلمة التي يتفوه بها الإنسان ، دون أن يستند الى دليل أو شاهد . على أنه كثيرا ما تنتقل الشائعة عن طريق الصحافة أو الإذاعة أو أجهزة الإعلام المختلفة ، و تتسم الشائعة بصفة التناقض و قد تبدأ على شكل حملات هامسة أو تهب كريح عاتية ، و قد تكون مسالمة لا تحمل أكثر من التمنيات الطيبة أو مدمرة تحمل كل معاني الحقد و الكراهية والتخريب »[3] .

8 ـ كما عرفها الدكتور "حامد عبد السلام زهران" بقوله : «الشائعة هي موضوع خاص يتناوله الأفراد بواسطة الكلمات بقصد تصديقه أو الاعتقاد بصحته دون توافر الأدلة اللازمة على حقيقته »[4].

9 ـ و نجد الدكتور "محمد فريد محمود عزت" يعرفها بأنها : «معلومة لا يتحقق من صحتها و لا من مصدرها تنتشر عن طريق النقل الشفوي»[5].

أو هي على حد قول الدكتور "محمود أبو زيد" : «رواية تتناقلها الأفواه دون التركيز على مصدر يؤكد صحتها ، أو أنها اختلاق لقضية أو لخبر ليس له أساس من الواقع ، أو هي مجرد التحريف بالزيادة أو النقصان في سرد خبر يحتوي على جزء ضئيل من الحقيقة ، و كله قد يعبر عنه باللفظ أحيانا أو بالنكتة و الرسم في أحيان أخرى »[6].

10 ـ و هي عند الدكتور "إبراهيم إمام" : « تقوم على أساس انتزاع بعض الأخبار و المعلومات ، و معالجتها بالمبالغة و التأكيد أحيانا ، و بالحذف و التهوين أحيانا أخرى ، ثم إلقاء ضوء باهر على معالم محددة ، تجسم بطريقة انفعالية ، و تصاغ صياغة معينة ، بحيث يتيسر للجماهير فهمها ، و يسهل سريانها ، و استساغتها واستعابها، على أساس إتصالها بالأحداث الجارية ، و تمشيها مع العرف و التقاليد والقيم السائدة »[7].

---

(1) ـ د.عبدالحميدمحمدالهاشمي:المرشد في علم النفس الاجتماعي(مرجع سابق) ص155

(2) ـ د.أحمد بدر : الرأي العام (مرجع سابق) ص154 .

(3) ـ محمد فوزي عبد الحميد: نحو اتصال دولي جديد .(مرجع سابق) ص233.

(4) ـ د.حامد عبد السلام زهران : علم النفس الاجتماعي .(مرجع سابق) ص402.

(5) ـ د.محمد فريد محمود عزت : بحوث في الإعلام الإسلامي ، جدة : دار الشروق ـ ط 1. (1403هـ-1983م) ص14.

(6) ـ المرجع السابق ، ص15، نقلا عن : د. محمود أبو زيد ، الشائعات والضبط الاجتماعي . ص65.

(7) ـ د.إبراهيم إمام : الإعلام والاتصال بالجماهير، القاهرة :مكتبة الأنجلو المصرية ـ ط 3 (1984) ص241.

من خلال هذه التعاريف يتبين لنا أنها تتفق في مضمونها رغم أن كل تعريف يركز على جانب معين و هذا راجع الى تخصصات الباحثين . والقارئ المتمعن لهذه التعريفات يستنتج أن الشائعة تمارس على الخصوم حربا نفسية مدمرة ؛ لأنها تسمم الجو بأخبار ملفقة نافثة ضبابها لحجب الرؤية الصحيحة للواقع ، و ذلك بواسطة أنباء مزعجة و مرعبة قصد بث الرعب في النفوس ، و بلبلة الأفكار و تشويش الذهن ، و بالتالي القضاء على جبهة الخصم معنويا و ماديا ـ على جميع الأصعدة ـ مما يحتم على جبهة الخصم أن تكون قوية بإيمانها و صبرها و إصرارها على الثبات لمبادئها مما يؤدي بالإشاعة إلى الأفول و إلى آثار عكسية بالغة لمروجيها سواء على المستوى الفردي أو الجماعي أو المؤسساتي .

ب ـ أنواع الشائعة

لقد عرفنا أن الشائعة من أمضى أسلحة الحرب النفسية ، و أنها نوع مستقل عن الدعاية ؛ تلتقط بالأذن ، و تنتشر بسرعة فائقة و لها تأثير كبير على الرأي العام وتكون الشائعة حسب أنواعها ، و أنواعها تكون حسب أهدافها و دوافعها و أنواعها كالتالي:

1ـ **الشائعة السريعة أو العنيفة**: و هي شائعة تنتشر في أوساط الجماهير الشعبية و ذلك في زمن قصير، و خاصة أثر الأحداث الكبيرة كالكوارث الطبيعية و السياسية ، و الإقتصادية...الخ .

2 ـ **الشائعة البطيئة أو الزاحفة** : و هي الشائعة التي يتناولها الرأي العام همسا و بطريقة خفية ، إلى أن تنتهي في آخر الأمر إلى أن يعرفها الجميع رغم أنها تروج ببطء .

3 ـ **الشائعة الغائصة** : و تسمى الشائعة الغاطسة ، و هي شائعة تروج في وقت معين ثم تغوص و تختفي ، و عندما تتوفر الظروف لها تعاود الظهور من جديد و قد تنقسم إلى ثلاثة أنواع :

أ ـ **الشائعات الحالمة** : و هي الشائعات المليئة بالخيالات و التصورات لأنها تعبر عن الأماني و الأحلام .

ب ـ **الشائعات الوهمية** : و هي الشائعات التي تعبر عن الخوف و ليس عن الرغبة .

جـ ـ **شائعات الفرقة و الإنفعال** : و هي الشائعات التي تهدف إلى إحداث الفرقة و العداوة بين الأفراد ، أو الجماعات ، أو الشعوب ، أو الجبهات...الخ .

و إلى جانب هذه الشائعات الرئيسة هناك شائعات أخرى تخص جانبا معينا مثل :

ـ **الشائعات الهجومية** : و هي الشائعة التي توجه ضد العدو .

ـ **شائعات العنف** : وهي الشائعات التي تنتشربسرعة في وسط الجماهير

وتروج أثناء الحرب و الحوادث و الكوارث ، و الهزائم ، و الانتصارات ...الخ .

ـ **شائعات الفضائح** : و هي شائعات تستعمل أثناء الحروب كأسلوب لتهييج الخواطر، و تسمم الأفكار، و تثير السخط لدى الرأي العام ، و ذلك بسبب فظائع الحرب ، و التمثيل بالأسرى ، و التعذيب ...

و يقول "مصطفى الدباغ" : « و يمكن تقسيم الإشاعة إلى أنواع تبلغ العشرين نوعا و ذلك حسب معايير ستة هي : معيار الوقت ، ومعيار موضوع الإشاعة ومعيار الدوافع و البواعث و آليات الدفاع النفسية ، و معيار مدى الانتشار، و معيار الهدف المباشر والأثر ، و أخيرا معيار الأسلوب .

و نجد تحت هذه التقسيمات أنواعا مثل : الإشاعة الزاحفة ، و إشاعة العنف والغائصة ، و إشاعة الكراهية ، و الرغبة ، و الخوف و الإسقاط ، و الإشاعة كمصيدة و كطعم و كستارة دخان ، و الإشاعة الدفاعية و الهجومية...الخ »[1].

و إذا كان "مصطفى الدباغ" يقسمها إلى أنواع حسب معايير معينة . فإن هناك من يقسمها حسب موضوعها إلى : «إشاعة اتهامية ، و إشاعة توقعية ، و إشاعة الفضائح ، و إشاعة مروعة (غولية) ، و إشاعة الفضول (الإستطلاع) ، و إشاعة هدامة و إشاعة مفرقة ، و إشاعة مثيرة للأعصاب ، و إشاعة الخوف ، و إشاعة الكراهية والعداء ، و إشاعة ملتهبة ، و إشاعة سوء السلوك ، و إشاعة سابقة على الشغب وإشاعة جنسية ، و إشاعة افترائية ، و إشاعة سامة (إشاعة الضغائن) ، و إشاعة شريرة ، و إشاعة التمني (الأماني) »[2].

من خلال هذه الأنواع يتبين أن للشائعة أنواعا عديدة نظرا لتشعب ميادينها، مما يجعل كل شائعة تختص بهدف معين وفق الزمان و المكان ، لهذا نجد المختصين أعطوها تقسيمات مختلفة ؛ رغم أنها في كثير من الأحيان تدل على المعاني نفسها،لكن مادامت الشائعات تختلف حسب الزمان و المكان و أخلاقيات المجتمع فهي تقسم حسب المعايير الاجتماعية ، أو السياسية ، أو الاقتصادية و حتى حسب ظروف الأفراد و المجتمعات .

هذه الأنواع التي من خلالها نتوصل إلى معرفة تقنياتها و تأثيراتها ، و من يقف وراءها ، ليتسنى لنا حماية أنفسنا من غول "الإشاعة" الذي إن تمكن من نفسيات أفراد الأمة يقضي على الأخضر و اليابس ، لذلك علينا بالتمسك بعقيدتنا و مبادئنا مثلما كان أسلافنا حتى تكتسب نفوسنا مناعة عقائدية تحفظنا من هذا السلاح الخطير الذي هدد مجتمعات عديدة ، و أصبح اليوم يهدد أمتنا على جميع الأصعدة .

*****

(1) ـ **مصطفى الدباغ** : الحرب النفسية الاسرائيلية .(مرجع سابق) ص130.131.

(2) ـ **د.حامد عبد السلام زهران**: م النفس الاجتماعي .(مرجع سابق) ص403.

وانظر كذلك :

ـ **جولدون البورت ، وليوبوستمان**:سيكولوجية الإشاعة .(مرجع سابق) ص150.

ـ **د.أحمد نوفل** : الإشاعة .(مرجع سابق) ص78.

جـ ـ أهداف الشائعة

الشائعة مثلها مثل الدعاية تسعى لتحقيق أهداف استراتيجية ، و أهداف تكتيكية ؛ سواء على صعيد الجبهة المدنية أو على صعيد الجبهة العسكرية ، و يمكن تلخيص أهداف الشائعة فيمايلي :

1 ـ العمل على تشتيت الصفوف ، و بث الفرقة و الشكوك ، و إشعال نار العداوة و البغضاء و الفتنة في صفوف الجبهة المعادية ؛ قصد تحطيم و تفتيت الجبهتين المدنية و العسكرية .

2 ـ بلبلة الأفكار و ذلك بواسطة إطلاق شائعات تحمل بعض الأخبار الصحيحة قصد إرباك الجبهة المعادية من تمييز الأخبار الصحيحة من الكاذبة لإفساد خطة الأعداء .

3 ـ تحطيم مصداقية وسائل إعلام الجبهة المعادية ، و ذلك بواسطة أخبار وهمية توهم الجبهة المعادية بأنها صحيحة ، و عندما يذيعها أو ينشرها تفند بأخبار صحيحة و واقعية ؛ قصد ضرب مصداقية وسائل إعلام الجبهة المعادية لدى الرأي العام .

4 ـ شن حملات نفسية من التشكيك قصد بث الرعب و الخوف في صفوف الجبهة المعادية و تفتيتها من الداخل بزرع الفتنة و الشقاق... و ذلك عن طريق الشائعات الهجومية .

5 ـ العمل على جعل الجبهة المعادية أمام الرأي العام ؛ مصاصة للدماء ووحشية و مرتكبة لفظائع تتنافى مع القيم الإنسانية و الأخلاقية ، و ذلك قصد إسقاط الدوافع والنوازع الشريرة للجبهة المعادية .

6 ـ العمل على تحطيم معنويات الرأي العام لجبهة العدو، و دفعه إلى الانسياق مع الشائعات لتطبيعها و التمكين لها ، و بالتالي يساهم ـ الرأي العام ـ بوعي أو بدون وعي في تحطيم نفسه بنفسه ، و الخضوع للأمر الواقع و التسليم به .

و كما يقول "اللواء جمال الدين محفوظ" في كتابه "المدخل إلى العقيدة والاستراتيجية العسكرية الإسلامية" بأن من أهداف الشائعة : « زعزعة ثقة العدو في قوته من حيث الرجال و العتاد و القادة ، و ثقته في إمكان إحراز النصر و إقناعه بأنه لا جدوى من شن الحرب أو الاستمرار في القتال »[1] .

و من أهداف الشائعةكذلك ماجاءعندالدكتور"حامد عبد السلام زهران"قوله هي :

« تدمير القوى المعنوية و تفتيتها ، و بث الشقاق و العداء و عدم الثقة (حملات نفسية من التشكيك) ، و الإرهاب و بث الرعب في النفوس (الهجوم بالإشاعة) . و استخدامها كستار دخان لإخفاء حقيقة ، و للحط من شأن مصادر الأنباء و كطعم بقصد إظهار الحقيقة (من الجانب الآخر) . و تحطيم و تفتيت معنويات الجبهتين العسكرية و الداخلية »[2].

---

(1) ـ د.أحمد نوفل: الإشاعة .(مرجع سابق) ص99.

(2) ـ د.حامد عبد السلام زهران : علم النفس الاجتماعي .(مرجع سابق) ص402

د ـ مميزات الشائعة

من مميزات الشائعة مايلي :

1 ـ تمتاز بـ : الإيجاز، سهولة التذكر، سهولة نقل الرواية ، التناقض الأهمية الغموض ، الحذف ، الإضافة ، التكييف ، المبالغة ، إعتماد التكرار والإعادة التكريز على الوسط الذي تتعامل معه ، و هذا كله قصد تماشيها مع الجو العام للأحداث لكي تعبر عن الحالة النفسية التي يعيشها الرأي العام .

2 ـ تبدأ من : إيجاد خبر غير صحيح ، تلفيق خبر فيه جانب من الصحة،المبالغة في نقل خبر فيه جانب من الصحة ، و هذا قصد بناء النواة الأساسية للشائعة وانتشارها .

3 ـ تنشط في : الأوساط التي تعاني خنقا عنيفا في الفكر، و الحرمان من الحرية ؛ حيث تنعدم الأخبار الحقيقية و الموضوعية .

4 ـ تنفس عن : المشاعر المكبوتة ، و تجعل راويها يشعر بأنه شخصية مرموقة و مهمة لقدرته على تفسير بواطن الأمور.

5 ـ تزدهر في الحالات التالية :

- فقدان الأخبار الصحيحة و الموضوعية .
- وفرة الأخبار وعدم تمييز صحيحها .
- الشك و الارتياب في الأخبار المتداولة .

6 ـ القانون الأساسي للشائعة هو :

« قدر الإشاعة السارية يتغير تبعا لمدى أهمية الموضوع عند الأشخاص المعنيين و تبعا لمقدار الغموض المتعلق بالمسألة المعينة (و العلاقة بين الأهمية و الغموض ليست علاقة إضافة و إنما علاقة تضاعفية) »[1] .

هـ ـ تقنيات الشائعة

1 ـ استخدام الشائعة قصد التفتيت : و هذا كي تلعب دور تفتيت قوى الجبهة المعادية معنويا بواسطة شائعات متشائمة و مزجها بشائعات متفائلة .

2 ـ استخدام الشائعة كستاردخان : وهذا بالسماح لتسرب بعض الأخبار والمعلومات الصحيحة ، وخلطها ببعض الشائعات المناسبة ، حتى يصعب على الجبهة المعادية اكتشاف الأخبار الصحيحة من الكاذبة .

3 ـ استخدام الشائعة كطعم لظهور حقيقة ما : و هذا بترويج شائعات مبالغ فيها تجاه الجبهة المعادية لإثارتها و جعلها تنشر بعض الحقائق التي يكون لها تأثير كبير و مفاجئ للرأي العام .

---

(1) ـ د.حامد عبد السلام زهران : علم النفس الاجتماعي .(مرجع سابق) ص402

وانظر كذلك : ـ د.مختار حمزة : أسس علم النفس الاجتماعي .(مرجع سابق) ص258.

4 ـ استخدام الشائعة للحط من شأن مصادر الأخبار : و ذلك بنشر شائعات ؛ و عند إذاعتها من قبل الجبهة المعادية ، يُرد عليها بالأخبار الحقيقية المستندة إلى الأدلة العلمية و الواقعية ؛ قصد فقد الرأي العام مصداقيته و ثقته بأخبار جبهته .

و ـ مقاومة الشائعة

1 ـ العمل على محاولة تطويق الشائعات ، و ذلك بالتنسيق مع جميع الأجهزة المختصة و الرأي العام ، و خاصة وسائل الإعلام ؛ قصد تجنب التناقص الذي يفتح الأبواب لمروجيها .

2 ـ تجنب الرد الفوري الفوضوي ؛ لأنه قد يكون عكسيا و قد يزيد الإشاعة انتشارا و تصديقا ، لذا يجب أن يتولى الرد جهاز مختص في الوقت المناسب بالاعتماد على المنطق العلمي بالحجج و الأدلة الملموسة ، و التزام الموضوعية؛قصد غلق الأبواب أمام وجهات النظر المختلفة .

3 ـ العمل على تجنب نسبة الإشاعة للجبهة المعادية لأن ذلك يعتبر تضخيما لها و تجنب الرد على الشائعات العادية و الضعيفة ، لأن الرد قد يكسبها مصداقية لدى الرأي العام .

4 ـ العمل على توفير المعلومات و الأخبار الصحيحة للرأي العام ـ و خاصة المواضيع التي يكثر فيها الغموض و الجدل ـ لسد الطريق أمام الشائعات ، وبالتالي تربية أفراد المجتمع و جعله يبتعد عن ظاهرة القيل و القال ، و سفاسف الأمور ،والاهتمام بالأمور الجادة التي تخدم المصلحة العامة ـ في جميع الأصعدة ـ .

5 ـ العمل على كتمان الأسرار و الصد ـ بكل الوسائل ـ لمنع طرق و أساليب انتشار الشائعات ، و بالمقابل كشف أساليب شائعات الجبهة المعادية و فضحها أمام الرأي العام .

6 ـ التصدي للقوى المضادة و العميلة ـ داخل الجبهة الداخلية ـ لأنها هي المصدر الأساسي لترويج الشائعات .

7 ـ دحض الشائعات من خلال الأجهزة المختصة ، و ذلك بإظهار الحقائق وتوفير المعلومات للرأي العام الداخلي حول القضايا الكبرى للأمة .

8 ـ العمل على تحليل مضامين الشائعات و قياس خطورتها بالطرق العلمية قصد الوصول إلى أسباب نشرها ، و بالتالي الوصول إلى مروجيها و إبطال مفعولها.

9 ـ العمل المستمر في تربية الجماهير و تنمية الوعي لديها حول خطورة الشائعات ، و ذلك بنشر القيم الوطنية ، و بث روح العقيدة في نفوس الجماهير لأنها تلقيح أساسي مضاد لخطر الشائعات .

10ـ العمل المستمر على دعم الإتجاهات الوطنية الأصيلة للشعب، و جعلها حصنا منيعا في وجه الشائعات ، و هذا لا يتحقق إلا بتجنيد و تظافر جهود كل

الهيئات التربوية و التعليمية ، و الثقافية ، و السياسية ؛ زيادة على الدور الفعال الذي يلعبه الإعلام في هذا المجال .

11ـ التركيز على دور المؤسسات الدستورية الشعبية ؛ لما لها من دور فعال في توعية الجماهير ، و ذلك بإتاحة فرصة حرية الكلمة بطريقة علنية مشروعة بدل السرية و الهمس و الاختفاء وراء الشائعات .

12ـ العمل الدؤوب على تماسك الجبهة الداخلية ، و القضاء على أسباب الفرقة و الإنقسامات ـ بكل الطرق ـ حتي تسود روح الوحدة ، و بالمقابل إثارة روح الانقسام و الفرقة بين صفوف الجبهة المعادية و تحطيم معنوياتها و جعلها تنتقم من بعضها البعض ، و تحطم ذاتها بنفسها .

13ـ تخصيص مكتب استعلامات للإجابة على كل الاستفسارات ، و ما سمع من إشاعات ، و ذلك قصد القضاء على الشائعة في مهدها ، مع إصدار نشرة خاصة إعلامية تتناول الشائعات ، و تعلق عليها بالأدلة و البراهين الملموسة لسد سبل أنواع الشائعات .

14ـ العمل على إقامة محطات للتشويش الإعلامي المرئي و الإذاعي ... لسد الطريق أمام الجبهة المعادية لنشرها الإشاعات و تسميم الأفكار.

15ـ التركيز على الوعي السياسي و الحضاري و تقويته على جميع الأصعدة والقطاعات ؛ مع العمل علي استقرار الجبهة الداخلية ـ سياسيا ، اقتصاديا اجتماعيا ـ قصد تجنب سموم الشائعات لأنها تزدهر و تروج و تنشط ضمن الأوضاع المتردية سواء على الصعيد المدني أو العسكري .

16 ـ العمل على غرس القيم العقَدية في نفوس الناشئة و الشباب ؛ قصد التلقيح ضد تسرب الأفكار الانهزامية إلى العقول ، مع التركيز على الإيمان بالقضايا العادلة ، و بالحق المشروع في استمرار النضال و الكفاح لكل عدوان متوقع .

و يلخص لنا "الدكتور حامد عبد السلام زهران" مقاومة الشائعة و التي يرجعها إلى مسؤولية القيادة ، و مسؤولية الأفراد ، و مسؤولية مكتب الأمن ، و من أهم أساليب مقاومة الشائعة عنده ما يلي :

« ـ تعاون الجمهور في الإبلاغ عن الشائعات ، و تكذيبها و عدم ترديدها .

ـ تكاتف وسائل الإعلام المختلفة من أجل عرض الحقائق في وقتها و إشاعة الثقة بين المواطنين ، و تنمية الوعي العام و تحصينه ضد الحساسية النفسية بصفة عامة و ضد الشائعات بصفة خاصة .

ـ التوعية المستمرة لتثبيت الإيمان و الثقة بالبلاغات الرسمية عن طريق الندوات و المحاضرات و المناقشات .

ـ اقتفاء خط سير الشائعة و الوصول إلى جذورها ، و إصدار البيانات الصحيحة الصريحة ، و التخطيط الشامل و تكاتف الجهود .

ـ الثقة بالقادة و الرؤساء ، و الثقة بأن العدو يحاول خلق الشائعات عندما لاتتيسر لديه الحقائق .

ـ تولية الأمر و القيادة لأهل العلم والخبرة و الخُلق و الدين »[1] .

و هذا "زهير الأعرجي" يبين لنا كيفية مقاومة الشائعة بالشائعة المضادة حيث يقول إنها لا تولد في الأمة المريضة التي ليست لديها قابلية الشفاء ، و إنما : « ... تولد في الأمة القوية المحصنة فكريا و روحيا ... فبدل أن يضحك الفرد للفكاهة التي تستهدف تحريف أشرف كتب السماء ، بدل أن يضحك ؛ يستطيع أن يرد الفكاهة على أذن قائلها و يعلّمه كيف أن بعض الناس (عندما يتحجر الفكر) يصبحون كالأجهزة الميكانكية تنقل الأخبار بالأزرار بدون وعي و لا إدراك...»[2] .

من خلال عرضنا لموضوع الشائعة التي تعتبر من أهم أسلحة الحرب النفسية يتضح أن الشائعات ـ بجميع أنواعها ـ تشكل خطرا فتاكا في هدم مؤسسات الأمن سواء على مستوى الأفراد أو على مستوى الجماعة ؛ بل حتى على مستوى المؤسسات الرسمية و التي تتمتع بتحصينات معرفية و استراتيجية تقف في وجه صانعي الشائعات و مؤسساتهم .

لذا يجب على الجهات المعنية أن تتحمل مسؤولياتها كاملة في الأمة و ذلك بنشر العلم و المعرفة داخل الأمة ؛ قصد المزيد من الوعي و الترابط و الوحدة وتقوية عنصر الثقة بين الساسة و جماهير الأمة مع حث الرأي العام على الانتباه والتبين من مصادر الأخبار و مؤسساتها ، سواء أكانت إعلامية أم مؤسسات خاصة وسواء أكانت فردية أم جماعية ؛ بل الحيطة و الحذر و الابتعاد عن الأخبار المشكوك في صحتها أساس الفكر الواعي لكل أمة قوية .

ثالثا : غسل الدماغ

تمهيد

إن من أسلحة الحرب النفسية الفتاكة في تحطيم شخصية الأفراد ما يعرف في عصرنا الحديث بمصطلح "غسيل المخ" أو "غسل الدماغ" هذا المصطلح الذي ظهر حديثا في قاموس المصطلحات السياسية ، و الذي يراد به إعادة تنظيم العمليات التفكيرية بوسائل سيكولوجية و فيسيولوجية ؛ قصد حث الفرد على التخلي بطريقة لاإرادية عن عقيدته ، و تصوراته و رأيه ، و تبني آراء و أفكار جديدة و بالتالي تشكيل عقل جديد .

يرى الباحثون أن أول من ابتكر اصطلاح "غسل الدماغ" هو صحفي أمريكي يدعى "إدوارد هنتر" ألّف كتابا عن الموضوع على إثر الحرب الكورية و الفضيحة التي روعت وزارة الدفاع و الحكومة الأمريكية ؛ و يرى البعض أن "هنتر" استفاد من « ترجمته لكلمة صينية هي (ناو) و التي تعني : النظرية الصينية حول إصلاح الفكر أو إعادة التشكيل الإيديولوجي »[3] .

---

(1) ـ د.حامد عبد السلام زهران: علم النفس الاجتماعي .(مرجع سابق) ص403

وانظر كذلك : ـ د.مختار حمزة : أسس علم النفس الاجتماعي.(مرجع سابق) ص259.

(2) ـ زهير الأعرجي : الرأي العام الإسلامي وقوى التحريك .(مرجع سابق) ص48.

(3) ـ د.أحمد نوفل: الحرب النفسية ـ الكتاب الأول ـ (مرجع سابق) ص48.

و يقول الدكتور "أحمد نوفل" أن اصطلاح "غسل الدماغ" استخدم للدلالة على التقنيات المطبقة في الدول الشيوعية قصد تحقيق الهدفين التاليين :

1ـ إرغام الشخص البريء على أن يعترف بكل إخلاص ذاتي أنه قد ارتكب جرائم خطيرة ضد الشعب و الدولة .

2 ـ إعادة تشكيل معتقدات الشخص السياسية حتى ينكر معتقداته السابقة و يصبح داعية للشيوعية [1].

و رغم شيوع مصطلح "غسل الدماغ" فإن هناك مسميات أخرى تدل على هذا المعنى منها : "التحكم في الفكر" و "الإصلاح الفكري" و "الإصلاح الإديولوجي" و"الإغتصاب العقلي" ...الخ .

و من هنا يتبين لنا أن مصطلح "غسل الدماغ" له ارتباط وثيق بأسلحة الحرب النفسية ؛ قصد تحقيق و تشكيل اتجاهات و تصورات و آراء جديدة ، و ذلك بعد تفريغ دماغ الشخص من أفكاره الماضية بواسطة تقنيات علمية نفسية وفيسيولوجية .

و كما يقول "الدكتور حامد عبد السلام زهران " : «و لقد استغل المشتغلون بالحرب النفسية دراستهم لعلم وظائف الأعضاء ، و الجهاز العصبي و العلاقة بين علم وظائف الأعضاء وسيطرتهاعلى المخ»[2]

أ ـ تعريف "غسل الدماغ"

مصطلح "غسل الدماغ" متعدد التعاريف مثله مثل بقية المصطلحات التقنية المستعملة كأسلحة في الحرب النفسية . و من بين هذه التعاريف ما يلي :

1 ـ يقول "فخري الدباغ" في كتابه "غسل الدماغ"بأنه :«كل محاولة للسيطرة على العقل البشري و توجيهه لغايات مرسومة بعد أن يجرد من ذخيرته و معلوماته ومبادئه السابقة»[3].

2 ـ أما "صلاح نصر" في كتابه "الحرب النفسية ج2" فيعرفه بأنه : «أية محاولة لتوجيه الفكر الإنساني أو العمل الإنساني ضد رغبة الفرد الحر أو ضد إرادته أو عقله»[4] .

3 ـ و يعرفه الدكتور "حامد ربيع" في كتابه "الحرب النفسية" بأنه : «أسلوب من أساليب التعامل النفسي يدور حول الشخصية الفردية ، بمعنى نقل الشخصية المتكاملة أو ما في حكم المتكاملة إلى حد التمزق العنيف بحيث يصير من الممكن التلاعب بتلك الشخصية للوصول بها إلى أن تصير أداة طيّعة في أيدي

---

(1) ـ المرجع السابق ، ص49.

(2) ـ د.حامد عبد السلام زهران :علم النفس الاجتماعي .(مرجع سابق) ص 404.

(3) ـ د.أحمد نوفل : الحرب النفسية ـ الكتاب الأول ـ (مرجع سابق) ص47،نقلا عن:
د.فخري الدباغ ، غسل الدماغ ، ص11.

(4) ـ المرجع السابق ، ص47. نقلا عن : صلاح نصر ، الحرب النفسية ج 1 ، ص30.

المهيـج أو خبير الفتن و القلاقل... [إلى أن يقول]...إن التحويل العقيدي صورة من صور غسيل المخ ، و لكنها تتجه إلى المجتمع الداخلي بغرض خلق الأصدقاء ، بعبارة أخرى : هي دعوة عقائدية و لكنها لا تقتصر على الإقناع »[1].

4 ـ و بعد ما عرض الدكتور "أحمد نوفل " هذه التعاريف في كتابه "الحرب النفسية ج1" يتوصل إلى تعريف لمصطلح "غسيل المخ" فيقول إنه : « إعادة تشكيل الفكر ، و هو عملية تغيير الإتجاهات النفسية بحيث يتم هذا التغيير بطريقة التفجير . إنه عملية إعادة تعليم ، و هو عملية تحويل الإيمان أو العقيدة إلى كفر بها ثم إلى الإيمان بنقيضها »[2].

5 ـ و غسيل المخ عند الدكتور "حامد عبد السلام زهران "هو : « عملية تطويع المخ و إعادة تشكيل التفكير ، و هو عملية تغيير الإتجاهات النفسية ، بحيث يتم هذا التغيير بطريقة التفجير السريع ، و هو محاولة توجيه الفكر الإنساني أو العمل الإنساني ضد رغبة الفرد أو ضد إرادته أو ضد ما يتفق مع أفكاره و معتقداته و قيمه إنه عملية إعادة تعليم ، و هو عملية تحويل الإيمان أو العقيدة إلى كفر بها ثم الإيمان بنقيضها . إن توغل القوى النفسية البينية في الانفعالات الداخلية للفرد هي من أهم الحقائق الهامة في عملية غسيل المخ و تطويعه و إعادة تشكيل التفكير »[3].

إذن من خلال هذه التعريفات يتضح لنا أنا عملية "غسيل المخ" تهدف إلى تغيير عميق في تفكير الفرد و آرائه ، و عقيدته ، و بالتالي تغيير شامل في سلوكاته الناتجة عن تصوراته .

لكن يبقى السؤال المطروح ما هو الفرق إذن بين "غسل الدماغ" و بين عملية التوجيه الديني و الاجتماعي ، و التربية و التعليم ... و الذي يهدف كذلك إلى تغيير تفكير الفرد و تصوراته ؛ بحيث يجيب على هذا السؤال الدكتور "محمد سيد محمد" بقوله : « فصل الخطاب يكمن في الفوارق بين ما نسميه "غسيل مخ" و ما نسميه تربية عقائدية أو ما نسميه بالتثقيف العقائدي . و ما هو الميزان الذي نستطيع أن نقيس به كلا الأمرين فنعرف كلاً منهما بوضوح شديد لا لبس فيه و لا غموض ؟ هذا الميزان ، في رأيي ، يتكون من نقطتين . أولهما حرية الإرادة في الاختيار و الاقتناع و ثانيهما عرض الأفكار المقابلة و الرد عليها . و كلا النقطتين يتطلب إعمال العقل . فإذا تم التلقين عن طريق سلب الإرادة و إخفاء الأفكار المقابلة كان غسيلا للمخ . أما إذا تم بالإرادة الحرة و بعرض الأفكار المقابلة ، و الرد عليها فهو تثقيف عقائدي أو تربية عقائدية . و هذا الموقف معبر عنه في الإسلام بـ : "لا إكراه في الدين" و بأن القرآن هو أكبر مرجع لدراسة آراء و مقولات ، و حجج الكافرين والضالين و المنافقين و الرد عليها ردا منطقيا مفصلا »[4].

---

(1) ـ المرجع السابق ، ص47 .

(2) ـ المرجع السابق ، ص47.

(3) ـ د.حامد عبد السلام زهران : علم النفس الاجتماعي ، (مرجع سابق) ص404.

وانظر : د.مختار حمزة ، أسس علم النفس الاجتماعي ،(مرجع سابق) ص259.

(4) ـ د.محمد سيد محمد : المسؤولية الإعلامية في الإسلام ، (مرجع سابق) ص154.

ب ـ أهداف "غسيل المخ"

تسعى عملية "غسل الدماغ" إلى تحقيق أهداف منها :

1ـ حث الأفراد على قَبول عقيدة ما ، و ذلك عن طريق الفعل اللاإرادي بواسطة الضغوطات المادية و المعنوية .

2 ـ العمل على تغيير الإتجاهات تغييرا عكسيا، و خاصة لدى أسرى الحرب .

3 ـ التركيز عن طريق تقنيات معينة على غرس مبادئ و عقائد و قيم معينة مع الإصلاح الإديولوجي ، أو العقدي في عقول الأفراد، أو الجماعات أو الجماهير... وذلك بطريقة متعمدة قائمة على أساس برامج سيكولوجية واعية للوصول في النهاية إلى قيم عقدية جديدة .

4 ـ استعمال جمعيات ـ علنية أو سرية ـ و تزويدها بنوع معين من الأفكار والقيم و السلوكات... قصد تشكيل و بناء فكر جديد لأعضائها .

5 ـ العمل على الوصول بالأفراد إلى طرح أفكارهم ، و عقائدهم وإديولوجياتهم ، والوصول بهم إلى اعتقاد تصورات جديدة ... وإلي عدم التمييز بين البراءة و الذنب .

و على العموم فإن "غسيل المخ" « تستهدف بطريقة عمدية سلخ الفرد ، أو تجريده ، أو نزعه ، أو سلخه عن ذاته ، و بعد ذلك تحاول هذه العملية بناء شيئ جديد على أساس ما بقي من آثار في هذا الذات »[1].

جـ ـ تقنيات "غسل الدماغ"

لقد أصبحت التقنيات المستعملة في عملية "غسل الدماغ" مقننة علميا في وقتنا الحاضر، و ذلك رغم اختلاف طبيعة الأفراد ، سواء من حيث شخصيتهم أو ظروفهم ـ الطبيعية و الحياتية ـ أو أهمية قضيتهم أو كفاءتهم ...الخ .

و رغم وجود بعض الفروق في الممارسات بين مستعملي عملية "غسل الدماغ" فإنها تخضع للتقنيات التالية :

1ـ العزل ، أو دور التحطيم النفسي الجسدي : في هذه المرحلة يعزل الشخص : (زنزانة ، معتقل ، سجن ، محتشد ، مستشفى...الخ) .

2ـ الضغط الجسماني ، أو التعذيب : و ذلك بواسطة (حرمانه من الطعام النوم ، الماء ، الراحة ، الملابس ...) و تعرضه لألوان من التعذيب المادي و المعنوي (التصفيد بالأغلال ، العقاقير المخدرة ، الصدمات الكهربائية،تلفيق الأكاذيب الشائعات ، طول مدة التحقيقات) و هذا كله يتم قصد إضعاف شخصيته و صحته و ضعف حواسه و الوصول به إلى درجة معينة من التطويع العقلي .

3 ـ السيطرة الكاملة : أي التحكم الكامل في تصرفاته ـ حتى قضاء الحاجة ـ تحكما سيكولوجيا مستمرا حتى يشعر بأنه وحيد فريد مجرد رقم بين جدران

---

(1) ـ د.عبد الرحمن عيسوي : دراسات في علم النفس الاجتماعي ،(مرجع سابق) ص134.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

موصدة و أن سجانيه هم القادرون على كل شيء .

4. الضياع و الشك: يترك السجين ـ بعد تحكم الجوع و التعب ـ دون توجيه تهمة معينة له ، ليبدأ الشك ـ الإدراكي و العقلي ـ و يقابل ذلك تصريحات غامضة من قبل سجانيه ، و أنه يعرف الجرائم التي ارتكبها ؛ و لذا عليه بالاعتراف السريع ، و في هذه الحالة لا يستطيع أن يدافع عن نفسه لجهله الإتهامات ولايستطيع إرجاع طلبات مستجوبيه .

5. دور الإتهامات لتثبيت الجرم : بعد استعمال التقنيات المناسبة التي تجعل الأفراد منهارين إراديا ؛ قصد إحساس المتهم بأنه مذنب ، و أنه مخطئ و لم يبق له إلا الاعتراف حتى يطلق سراحه أو تخفيف معاناته ، و بالتالي يبدأالمتهم يدلي باعترافات عامة ، و يظهر نفسه على أنه ضحية أو كبش فداء ...الخ

6. دور اللين و المهادنة : وفي هذه المرحلة يعتذر للمتهم ،ويكرم بعد الشدة عن طريق المقابلات الشخصية ، ومحاولة الإقناع بتقديم دروس جماعية وفردية نشرات خاصة ، محاضرات ، أسئلة ..الخ . و خاصة في الدول الشيوعية سابقا و بهذا يشعر المتهم براحة نفسية بعد اعترافاته الغامضة و الكاذبة ؛ قصد تشجيعه إلى مزيد من عملية التنفيس و التفريغ النفسي .

7. دور الإعتراف و الإقناع : و تتم هذه العملية بتقنيات عديدة منها : التكرار ، الإغراء ، الجدل ، الحجج ، الأدلة ...الخ .

و هذا كله من أجل إحداث تغيير شامل لشخصية الفرد بطريقة مباشرة أو غير مباشرة ترهيبا و ترغيبا[1].

د ـ مقاومة "غسل الدماغ "

1 ـ العمل المستمر على تربية النفس بالثقة ، والإرادة ، و قوة الشخصية لدى الأفراد .

2 ـ التربية على المواقف القوية ، وعدم الاستسلام للضغوطات ، والامتناع عن الإدلاء بأية معلومات مهما كانت هذه الضغوطات .

3 ـ العمل على تربية النفس ، وجعلها تتجاهل الهجوم الكلامي و عدم السماع للاتهامات ...

---

(1) ـ أنظر :

ـ د.أحمد نوفل : الحرب النفسية ـ الكتاب الأول ـ (مرجع سابق) ص50، 51، 52، 5.

ـ د.عبد الحميد محمد الهاشمي : المرشد في علم النفس الاجتماعي ،(مرجع سابق) ص201، 202، 203.

ـ د.مختار حمزة : أسس علم النفس الاجتماعي ،(مرجع سابق) ص259، 260.

ـ د.حامد عبد السلام زهران : علم النفس الاجتماعي ، (مرجع سابق) ص404، 405.

ـ محمد فوزي عبد الحميد : نحو اتصال دولي جديد ، (مرجع سابق) ص241، 242.

جمعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

4 ـ التركيز على ترسيخ الإيمان ، والعقيدة ، والقيم الوطنية ، والحرية والإيمان بالقضية التي يعمل لها .

5 ـ الاحتراس و الحذر من الأدوار الخطيرة التي يلعبها "جهاز المخابرات" في "غسل الدماغ" و ذلك عن طريق الهجوم أو الدفاع .

6 ـ الاحتراس من فكرة "النكتة" لانتقالها بسرعة فائقة ؛ مستغلة نفسية الرأي العام و ميله إلى الفكاهة .

و يلخص لنا الدكتور "حامد عبد السلام زهران" مقاومة "غسل الدماغ" في : «زيادة الثقة بالنفس ، و عدم الاستسلام ، والإمتناع عن الإدلاء بأية معلومات ، و عدم الإستماع إلى الهجوم الكلامي من العدو ، و الإيمان بالله و الوطن ، ونظام الدولة والقضية التي نحارب من أجلها »[1].

و على العموم فإن عملية "غسل الدماغ" سلاح مدمر للشخصية الإنسانية بحيث يتنافى و ذات الإنسان ؛ لكن الطبائع الشريرة في بني البشر تجعلهم يمارسون شتى أنواع العذاب المادي و المعنوي ؛ تجاه بني جلدتهم من أجل أفكارهم و إيديولوجياتهم و فرضها على الآخرين بالأفعال اللاإرادية ، و خاصة في المعسكرات الشرقية ـ سابقا ـ والأنظمة الديكتاتورية ، رغم زعمهم بأنهم يمثلون التقدمية والحضارة ، والحرية والدفاع عن حقوق الإنسان ...

رابعا : التضليل الإعلامي

تمهيد

مما لا خلاف فيه أن عصرنا الحاضر عصر الحروب الإعلامية التي أصبحت تقوم على أحدث الوسائل الصناعية المعدة للإتصالات عبر القنوات العالمية المختلفة و التي تستفيد حتى من خدمات الربط المتصلة بالأقمار الصناعية المعدة لهذا الشأن.

و إذا كان الإعلام اليوم يقوم بدور خطير في توجيه الجماهير و تكييفها وتوجيهها الوجهة التي يريدها ، لأنه إعلام دعائي إيديولوجي مبني على فلسفة وسياسة معينة ، فإن التأثير فيه يكون دائما للأقوى ، و الأقوى من يملك أداة الصراع ؛ لما لهذا الصراع من تأثير بارزفي نفسية الإنسان ـ على جميع الأصعدة ـ قصد تشكيل رأي عام موجه .ومما ساعد على هذه الوسائل العلمية المعقدة ـ نفسيا و تقنيا ـ التي أصبحت تخضع لعلماء و خبراء و تقنيين من أجل توصيل الأفكار والقيم و المعايير السلوكية ...

و قد تنبه إلى خطر الإعلام و دوره في السيطرة على العقول ـ حكماء صهيون ـ حيث جاء في البروتوكول الثاني عشر قولهم : «سنمتطي صهوة الصحافة و نكبح جماحها ـ يجب أن لا يكون لأعدائنا وسائل صحفية يعبرون فيها عن آرائهم ـ لن

---

(1) ـ د.حامد عبد السلام زهران : علم النفس الاجتماعي ، (مرجع سابق) ص406.

يصل طرف من خبر إلى المجتمع من غير أن يمر علينا »[1].

و إذا كان الإعلام كعلم مستقل القصد منه تزويد الرأي العام بكل الأخبار و المعلومات الصحيحة حول قضية من القضايا الحياتية للناس ، فإن ما نريد أن نركز عليه في مجال أسلحة الحرب النفسية هو "الإعلام التضليلي" الذي يعتبر سلاحا خطيرا لا يقل أهمية عن سلاح الدعاية و الشائعة ؛ بل هو الإطار الأساسي لخدمة الدعاية و ترويج الشائعات . هذا الإعلام الذي من مظاهره التلاعب بالمعلومات و الأخبار من أجل تحقيق أهداف معينة - علنية أو خفية - وفق استراتيجية مدروسة و مخططة ، لأن هذا النوع من الإعلام - الإعلام التضليلي - يعتبر وجها أخر من أسلحة الحرب النفسية . خاصة و نحن نعلم أن الدور الإعلامي الذي تقوم به وكالات الأنباء في العالم اليوم و تأثيرها في العلاقات الدولية جعل الدول الكبرى تملك أقوى و أكبر وكالات الأنباء في العالم لتستخدمها في الترويج لمصالحها وبسط نفوذها - في كل المجالات - و رغم الشعارات البراقة التي تنادي بها و هي خدمة الإنسانية ، وذلك بتحريها الصدق والموضوعية ، والأمانة في نقل الأخبار والمعلومات ، وإيصالها إلى و سائل الإعلام دون تحريف أو تزييف ، فرغم هذه الشعارات و الأقوال البراقة فإن الواقع - والواقع أصدق دليل - يُكذب و يفند و يبطل مفعول هذه الشعارات ؛ بل إن هناك إجماعا من الساسة و المفكرين والإعلاميين في مختلف أنحاء العالم يقرون على أن الوكالات الكبرى التي أثبتت الإحصائيات أنها تسيطر على75% من التغطيةالإعلامية لدول أوروباالغربيةو 40%من مساحة العالم كله تعتبر أبواقا دعائية للدول التي تنتمي لها . لذلك فهذه الوكالات ما هي في الحقيقة إلا قنابل تضليلية و سلاح نفسي خطير لغزو البلدان و الأمم الضعيفة ثقافيا ، وإعلاميا ، وسياسيا و عسكريا ، و احتكارها لفكر الإنسان و توجيهه وجهة غير وجهته [2].

أ - تعريفاته

الإعلام مثله مثل باقي العلوم الحديثة متعدد التعريفات والمفاهيم رغم تداول مصطلحه على نطاق واسع ؛ مما يجعله يُستعمل في أغراض دعائية وتضليلية بقصد التأثير و التوجيه ، و ذلك باستعمال كل الوسائل المتاحة و خاصة في عصرنا الحاضر عصر الأقمار الصناعية ...

وهذه بعض التعاريف المختلفة :

فالإعلام بمعناه المجرد هو : « حمل الخبر أو النبأ من جهة إلى أخرى ، ثم تطور حتى صار مفهومه تبني قضية من القضايا وطرحها من خلال قناعات معينة بقصد إيصالها إلى المتلقي سامعا أو مشاهدا أو قارئا »[3] .

---

(1) - فؤاد بن السيد عبد الرحمن الرفاعي : النفوذ اليهودي في الأجهزة الإعلامية والمؤسسات الدولية ، الجزائر : دار الشهاب . ص3

(2) - للمزيد من المعلومات أنظر : منار الإسلام (مجلة) الإمارات العربية ،العدد 4. السنة العاشرة (يناير 1985) ص2 3،3 4،3.

(3) - يوسف العظم : رحلة الضياع للإعلام العربي المعاصر ، السعودية : الدار السعودية للنشر والتوزيع - ط2 . (1401هـ-1981م) .

أما الإعلام الموجه فهو : « الاستخدام المخطط المدروس لأسلوب الدعاية ولأسالب أخرى بهدف التأثير على آراء و عواطف و اتجاهات و سلوكات الطرف الآخر سواء أكان صديقا أو عدوا أو محايدا ، و ذلك خدمة لأهداف الدعوة و تعزيزا للإنجازات الوطنية و القومية و العقائدية »[أو هو تلقيح و تحصين ضد التضليل الإعلامي المعادي أي هو] : « عملية تربوية منها فن الإقناع ، وخلق الإتجاهات والميول والسلوك لدى الكبار من ناحية ، و زرع القيم و المثل لدى الأجيال الناشئة في سن التكوين دون التاسعة ، و تحصينهم ضد الإعلام المعادي مستقبلا من ناحية أخرى »[1].

و يعرفه الدكتور "إبراهيم إمام "بقوله :« هو نشر للحقائق و الأفكار و الآراء بوسائل الإعلام المختلفة »[2].

أما الدكتور "عمارة نجيب" فيعرفه تعريفا عاما فيقول هو:« كل نقل للمعلومات و المعارف والثقافات الفكرية والسلوكية بطريقة معينة من خلال أدوات و وسائل الإعلام و النشر الظاهرة والمعنوية ذات الشخصية الحقيقية أو الاعتبارية بقصد التأثير سواء عبّر موضوعيا أو لم يعبر ، و سواء كان التعبير لعقلية الجماهير أو لغرائزها »[ثم يخصص تعريفاللإعلام الإسلامي فيقول بأنه] : « بيان الحق و تزيينه للناس ، بكل الطرق والأساليب و الوسائل العلمية المشروعة ، مع كشف وجوه الباطل و تقبيحه بالطرق المشروعة ؛ بقصد جلب العقول إلى الحق و إشراك الناس في نوال خيرالإسلام و هديه ، و إبعادهم عن الباطل أوإقامة الحجة عليهم »[3].

و منهم من عرفه بأنه :« بث رسائل واقعية أو خيالية موحدة على أعداد كبيرة من الناس يختلفون فيما بينهم من النواحي الاقتصادية و الاجتماعية و الثقافية و السياسية و ينتشرون في مناطق متفرقة »[4].

أو هو :« تزويد الناس بالأخبار الصحيحة و المعلومات السليمة و الحقائق الثابتة التي تساعدهم على تكوين رأي صائب في واقعة من الوقائع أو مشكلة من المشكلات ؛ بحيث يعبر هذا الرأي تعبيرا موضوعيا عن عقلية الجماهير واتجاهاتهم و ميولهم »[5].

كما يعرفه الدكتور "محمود محمد سفر" بأنه : « نشر للأخبار و الحقائق والآراء يتم التعبير عنها بطريقة مباشرة أو غير مباشرة في إطار موضوعي بعيد عن الهوى و الغرض ، من خلال أدوات و وسائل محايدة بهدف إتاحة الفرصة للإنسان للوقوف على الأخبار و الحقائق و الأفكار و الآراء ليكون قادرا على تكوين فكره

---

(1) ـ موسى زيد الكيلاني : الإعلام السياسي في الإسلام ، (مرجع سابق) ص27،28.

(2) ـ د.إبراهيم إمام : الإعلام والاتصال بالجماهير ،(مرجع سابق) ص11.

(3) ـ د.عمارة نجيب : الإعلام في ضوء الإسلام ، الرياض : مكتبة المعارف ـ ط 1.

(1400هـ-1980م) ص17،18.

(4) ـ د.محمد كمال الدين إيمان : النظرة الإسلامية للإعلام محاولة منهجية ، الكويت :

دار البحوث العلمية ـ ط 2. (1403هـ-1983م) ص13،14.

(5) ـ د.عبد اللطيف حمزة :الإعلام والدعاية ، (مرجع سابق) ص60.

الخاص به الذي يمكّنه من اتخاذ الموقف الذي يراه ملائما »[1].

و يعرف "محمد موفق الغلاييني" الإعلام الإسلامي بقوله : « استخدام منهج إسلامي بأسلوب فني إعلامي يقوم به مسلمون عالمون عاملون بدينهم متفهمون لطبيعة الإعلام و وسائله الحديثة ، وجماهيره المتباينة ؛ مستخدمون تلك الوسائل المتطورة لنشر الأفكار المتحضرة و الأخبار الحديثة ، و القيم الأخلاقية و المبادئ و المثل للمسلمين و لغير المسلمين من كل زمان و مكان ، في إطار الموضوعية التامة بهدف التوجيه والتوعية والإرشاد لإحداث التأثير المطلوب »[2].

من خلال هذه التعاريف يتضح لنا أن للإعلام دورا خطيرا في مجال الحرب النفسية وفق مخطط استراتيجي علمي على صعيد الجبهة الداخلية والخارجية خاصة إذا علمنا أن الإعلام اليوم يخضع للتوجيه المخطط و المدروس قصد التأثير على الرأي العام الداخلي و الخارجي . و ما التعاريف التي تنظر إلى الإعلام على أنه وسيلة لنشر الحقيقة و الأخبار الصحيحة قصد تزويد الرأي العام بالمعلومات ما هي إلا دعاية في خدمة الإعلام التضليلي الدعائي ، و الواقع المعيش ـ على كل الأصعدة ـ يثبت هذه الحقيقة .

ب ـ أهداف الإعلام التضليلي

إذا كان الإعلام كمصطلح علمي هدفه تزويد الجماهير بقدر من الأخبار والحقائق و المعلومات الصادقة قصد التثقيف و التنوير و الرفع من مستواهم ومخاطبة العقول بدل الغرائز، فإن أهداف الإعلام التضليلي عكس هذه الحقائق تماما رغم ظهوره بمظهر الموضوعية و الصدق و التعليم و التثقيف ...

و هذه بعض أهدافه :

1 ـ العمل على إفساد العقائد و ذلك بتلويث النفوس النظيفة بإشاعة الفاحشة والفجور قصد تخريب النسيج الاجتماعي معتمدا على الوسائل الإعلامية المختلفة كالصحف ، والمجلات ، والراديو ، والتلفزة ، والسينما ، والفيديو...

2 ـ محاولة إغراق جماهير الجبهة المعادية ـ خاصة الشباب ـ في أوحال الفساد المتنوعة من فجور ، و خمور ، ومخدرات ، و ذلك عن طريق إنتاج أفلام الجنس و الشذوذ الجنسي ، و المجلات ، و الكتب المتخصصة في هذا المجال قصد تخريب العقول و جعل شباب و أطفال الجبهة المعادية عبارة عن حيوانات لايفكرون إلا بما يشبع غرائزهم .

3 ـ استغلال الأساليب المضللة و المخادعة قصد تشويه صورة الإنسان الخصم و تشويه قيمه و حضارته سواء بشكل مباشر أو غير مباشر، و بالمقابل إعطاء البديل المتمثل في قيمه الإيجابية و الحضارية .

---

(1) ـ د. محمود محمد سفر: الإعلام موقف ، جدة : الكتاب العربي السعودي (تهامة) ـ ط 1 . (1402هـ ـ 1982م) ص24.

(2) ـ محمد موفق الغلاييني : وسائل الإعلام وأثرها في وحدة الأمة ، جدة :دار المنارة ـ ط 1. (1405هـ ـ 1985م) ص40.

4 ـ التخطيط الدقيق و المدروس لضرب القيم و الأخلاق التي تقف حصنا منيعا في وجه العدو ـ داخليا و خارجيا ـ و ذلك بضرب حضار إعلامي عليها وتشويهها ـ على جميع الأصعدة ـ و بالتالي الوصول بالخصم إلى ترويضه تدريجيا ليستسلم للأمر الواقع و قَبول الباطل والتزييف و الانحراف ، و الانسلاخ عن قيمه و حضارته.

5 ـ العمل على ترويج الأقاويل و الشائعات لإيجاد بؤر للتوتر ، و تكريس الواقع المر عن طريق ثقافة الانهزام و الإنبطاح ، والصراعات الطائفية و القبلية و العقدية ، و ذلك قصد تعْليب الرأي العام و تخديره ، مع العمل على ترسيخ التبعية و الاستغلال والاستبداد ...

6 ـ العمل على إثارة الفتن و الفرقة ، و التناحر بين أبناء الجبهة الواحدة،وذلك باستغلال الرصيد السلبي الماضي و تنميته و إبرازه اعتمادا على الأخبار المضللة قصد تمزيق الصفوف الموحدة بتهيئة المناخ لظهور نزعات شعوبية ، وقومية ، وعرقية ، ووطنية ضيقة ؛ حتى تسد كل السبل للوصول إلى بناء جبهة موحدة قوية .

7 ـ العمل على اجترار مادة إعلامية خالية من أبسط المعلومات ، و اعتماد مصدر واحد في نقل المعلومات والأخبار" كوكالات الأنباء "مع غربلتها وجعلها تخدم الهدف المسطر، وتقديمها على أنها معلومات مباشرة و صادقة بينما هي في الحقيقة كاذبة ومغلوطةومضلِّلة،وهذا من أجل تضليل الخصم والرأي العام بجميع أنواعه وإحباط معنوياته وبالتالي انهزامه نفسيا قبل انهزامه عسكريا .

8 ـ استعمال التعتيم الكامل أو الجزئي ـ حسب الظروف و الزمكان ـ باعتباره عنصرا أساسيا و استراتيجيا تجاه الخصم ، مع الحذر من المبالغة من التكرار ، والتضخيم ، والتعتيم ، والفبركة ؛ حتى لاتنتبه الجماهير ـ خاصة المتعلمون ـ و بالتالي تصبح عملية التضليل الإعلامي عكسية و تفيد الخصم بدون جهد يقدمه .

9 ـ العمل على استخدام الرقابة على الإعلام الحر والتضييق عليه ؛ مع ممارسة الصمت الرهيب حول القضايا التي لا تخدم المصلحة ـ خاصة أو عامة ـ وبالمقابل استخدام أساليب الكذب المقنن والتضليل المدروس ، و هذا يستعمل من قبل القادة والساسة للحفاظ على كراسيهم و سلطتهم مع قمع كل الذين يخالفونهم في الرأي سواء في القمة أو القاعدة .

10ـ العمل على تكريس الحملات الدعائية و خاصة أثناء الحرب أو حلول أزمة ما ، مع إعطاء وسائل الإعلام و خاصة "التلفزة" حيزا كبيرا و ذلك قصد توظيف الدعاية الإعلامية بالكلمة والصورة ، والضيوف المدعوين للندوات والمحاضرات؛ مع جعل هذه الحملات كسلاح فتاك لتخريب البنيات الأساسية للجبهة المعادية ، سواء أكانت سياسية، أم اقتصادية ، أم ثقافية ، وذلك بإثارة الفتن والدجل و الكذب و إيجاد أقلام مستأجرة لتزييف الحقائق ، وتمسيخ تاريخ الجبهة المعادية و تزويره ـ على جميع الأصعدة الداخلية والخارجية ـ .

11 ـ العمل على تغريب المجتمعات عن عاداتها ، وتقاليدها ، وثقافتها

وأخلاقها مع جعل ناقلي الأخبار مجرد قنوات للتضليل الإعلامي و الحرب النفسية .

12 ـ العمل على تضخيم القدرات وتبرير الاعتداءات ، و استخدام أسلوب التعتيم الإعلامي لرأي الخصم ، والتلاعب بعملية سبرالآراء والكذب الجماعي وذلك قصد إخفاء الأهداف الحقيقية للأحداث ، والوصول إلى رد فعل متقبل ومؤيد لأفكار وأهداف معينة .

و على العموم فإن التضليل الإعلامي يهدف إلى : « ... تزويد الناس بأكبر قدر من الأكاذيب و الضلالات و أساليب تهييج الغرائز ، و يعتمد على الخداع والتزييف و الإيهام ، و قد ينشر الأخبار و المعلومات الكاذبة ، أو التي تثير الغرائز ، وتهيج شهوة الحقد ، و أسباب الصراع ، فتحط من مستوى الناس ، وتثير بينهم عوامل التفرق والتفكك لخدمة أعداء الأمة ، و حينئذ يتجه إلي غرائزهم لا إلى عقولهم ... »[1] .

وهكذا يتضح لنا أن أهداف الإعلام التضليلي يُقصد من ورائها تحطيم جبهة الخصم بكل الوسائل الممكنة إعلاميا ، ورغم أننا نعيش في عصر الاتصالات وهو ما يسهل للرأي العام معرفة الدعايات والتضليلات من خلال وسائل الإعلام المختلفة المعادية لجبهة الخصم ؛ وبالأخص في عصرنا عصر الأقمار الصناعية والهوائيات المقعرة التي أصبح الإنسان بواسطتها يستفيد من فضائح الإعلام التضليلي تجاه بعضه البعض .

لكن في كل الأحوال فإن أي إعلان تضليلي وضح الحقيقة للرأي العام وفضح خصمه فإنه في الوقت نفسه يريد خدمة دعائية تضليلية لصالح جبهته .

هـ ـ تقنيات الإعلام التضليلي

يستعمل الإعلام التضليلي عدة تقنيات مادية و معنوية لتحقيق أهدافه و من بينها :

1 ـ **المركزية** : أي استغلال جهاز الإعلام وفق خطة استراتيجية عامة و لكل وسائل العمل الإعلامي من (صحافة ، وإذاعة ، وتلفزة ، ووكالة الأنباء ،ومراسلين ..) و هذا قصد التأثير في الرأي العام الداخلي أولا ، ثم الرأي العام الخارجي ثانيا .

2 ـ **التخصص** : أي إيجاد أسلوب متنوع في الرسالة الإعلامية و ذلك بما يتناسب و المتلقي ...

3 ـ **التركيز** : و ذلك بالتركيز على هدف واحد ، لأن الحرب النفسية تعتمد الرسالة القصيرة و المركزة ضمن عملياتها الدعائية الإعلامية قصد تنفيذها بالإعتماد على التكرار و في جميع النواحي التي تصبح مزرعة للتضليل الإعلامي.

4 ـ **التوقيت** : لأن الإعلام النفسي التضليلي الناجح ينطلق في الوقت المناسب بعد تهيئة الجو له و شحنه بعوامل القَبول و التصديق .

---

(1) ـ د.عمارة نجيب : الإعلام في ضوء الإسلام ، (مرجع سابق) ص17.

5 ـ **المصداقية** : اعتماد المصداقية النسبية لأنها أساس ثقة المتلقي سواء أكان صديقا أو عدو أو محايدا ، و هذا لا يتم إلا من خلال دراسة سيكولوجية للرأي العام الداخلي و المؤيد و الخصم ؛ مع استغلال ضعف الإعلام المعادي و كشفه ... مما يجعل المصداقية مصيدة لجذب المتلقي الذي تسهل عملية غسل دماغه وتبديل قناعته و أفكاره و مواقفه و اتجاهاته .

6 ـ **المرونة** : و ذلك بإظهار عامل المرونة من خلال التعامل مع الواقع مع تطبيق سياسة : "لكل مرحلة أسلوبها و أهدافها " . من هنا يجب أن يقف وراء العمل الإعلامي التضليلي باحثون اختصاصيون يعتمدون الدروس الواقعية ـ سلبا و إيجابا ـ للاستفادة منها في التقويم و التحليل و الإستنتاج .

7 ـ **الهجوم** : وهذا من طبيعة الإعلام التضليلي الدعائي في حرب العدو لأنه يتصف في شكله العام بالتحريض و الاستفزاز بل يتعدى إلى العدوان ...

8 ـ **التكامل** : أي أن العمل الإعلامي التضليلي لابد أن ينطلق من مصدر متكامل حتى لا يحدث التناقض و الثغرات التي تؤدي إلى العملية العكسية .

9 ـ **استعمال اسلوب التحويل السريع للأخبار** : وهذا قصد بلبلة الأفكار وتشتيت الذهن ... مما يجعل عملية التمحيص و الغربلة شاقة لدى المتلقي ...

10 ـ **التعتيم** : وذلك بإخفاء الأخبار الملائمة للخصم و تضليله عنها بضرب جدار من الصمت في كل الجهات و الميادين ...

11 ـ **التشويه** : و هذا يتم بنشر أخبار و معلومات مضللة ، و متناقضة قصد بلبة أفكار وعقول الجماهير ، وإشاعة عدم الثقة في الأخبار و المعلومات والتشكيك
في صحة كل ما تنقله أجهزة إعلام جبهة الخصم .

12 ـ **سهولة التداول** : العمل على جعل الرسالة الإعلامية المضللة سهلة التداول بين الجماهير، و خاصة إذا علمنا أن وسائل الإتصال تطورت تطورا سريعا مما سهل هذه المهمة و جعلها في متناول الجميع .

13 ـ **استخدام العوامل النفسية** :لنجاح العمل الإعلامي التضليلي لابد من معرفة الجوانب النفسية للجماهير ، واستغلال عواطفها ، والتركيز على الظواهر الاجتماعية ، و ذلك قصد التأثير و نجاح الأهداف المسطرة [1] .

ـ مقاومة الإعلام التضليلي

لقد عرفنا أن الإعلام الدعائي التضليلي سلاح نفسي خطير يصيب الشخصية فيخربها عقليا ونفسيا مثلما يفعل مرض السرطان والكوليرا والسيدا في تفتيت نسيج البنية الجسمية للإنسان . لذا يجب التصدي لأخطار هذا الإعلام حتى لايستفحل أمره وتصعب مقاومته ، ومن طرق مقاومة هذا السلاح الخطير ما يلي :

1 ـ العمل على بذل الجهود الجادة والصادقة لجعل وسائل الإعلام أجهزة

---

(1) ـ للمزيد من المعلومات أنظر :

ـ مصطفى الدباغ : الحرب النفسية الإسرائيلية ، (مرجع سابق) ص38إلى 44 .

بناءة للمجتمع و عوامل إصلاح لا وسائل إفساد ، و جعلها في خدمة الأمة و قيمها لا في خدمة هيئات معينة على حساب المصلحة العليا للأمة .

2 ـ العمل على عدم المساس بعقيدة الأمة و قيمها و ذلك بوضع خطط إعلامية مدروسة وفق مبادئ الجماهير و الالتزام بها أثناء المعالجة ، مع عدم التضحية بالمضمون من أجل الشكل .

3 ـ الحرص كل الحرص على تزويد الرأي العام ـ بجميع أنواعه ـ بالخبر الصادق ، و التحليل الموضوعي والاستنباط العقلي للمواقف في مختلف القضايا مع استخدام الأساليب المناسبة لتحقيق وتوصيل مضمون الرسالة الإعلامية ـ كما هي ـ شكلا و مضمونا .

4 ـ التركيز على اليقظة و الفكر الواعي و ذلك قصد الحذر و الحيطة من أخطبوط التضليل الإعلامي ـ على المستوى الداخلي أو الخارجي ـ و قد رته بالوسائل الفنية و التقنية على تهيئة الأذهان لتوصيل توجيهاته و آرائه إلى الرأي العام و التأثير فيه .

5 ـ الحذر ثم الحذر من البرامج الدعائية و المجلات المختصة في مجال الدعاية الإعلامية ، و كذلك الأفلام و الأشرطة المستوردة التي يقصد من ورائها ربط الجماهير بقيم مخالفة و مغايرة لقيمها و معتقداتها ؛ و بالمقابل العمل على تقديم مواد إعلامية تتماشى وقيم و معتقدات الرأي العام لتحصينه من كل غزو إعلامي تضليلي .

6 ـ استخدام الوسائل الإعلامية لنقد الأوضاع و الأنظمة و توجيهها ومحاولة الوصول بها إلى خدمة قيم الأمة ، و الابتعاد عن النزول إلى أهواء الناس وشهواتهم و غرائزهم و بهذا تغلق الثغرات التي ينساب منها الإعلام التضليلي .

7 ـ العمل على بناء الفرد بناء إعلاميا و ذلك بتسليحه بالثقافة الأصيلة المبنية على تاريخه و حضارته مع تعريفه بكل ما يدور حوله جغرافيا و عسكريا و اقتصاديا و حضاريا ...

8 ـ العمل على تعبئة الجماهير و تحضيرها لشن الحملات الإعلامية التضليلية مع التركيز على المصداقية في طرح الحقائق بصراحة و وضوح ونقد موازين القيم ، و كل هذا يتم باحترام عقول الناس و إنسانيتهم و قيمهم وعدم تضليلهم أو غشهم أو خداعهم ، حتي يكون الإعلام فعالا و مؤثرا و مسايرا للتقدم العلمي و التكنولوجي و الحضاري .

9 ـ العمل على وضع سياسة إعلامية ـ علميا وتكنولوجيا ـ معتمدة الصدق والموضوعية والوضوح ؛ قصد تبيان الحقيقة من التضليلات الإعلامية ،وبالمقابل الرد القوي على جبهة الخصم بالحجج الواقعية على سياسة التعتيم الإعلامي وتعريف الجماهير (الرأي العام) بأساليب و وسائل التضليل الإعلامي الذي يدخل ضمن استراتيجية الحرب النفسية .

10 ـ العمل على التجديد المستمر في ابتكار الوسائل التقنية و الفنية للتحكم في و سائل الإعلام وفق ما يقتضيه العصر ، و ذلك من أجل المواجهة الإعلامية المضادة و رد سمومها ، و جعل سلاح الإعلام يتماشى مع السلاح العسكري ..

11 ـ العمل على إيجاد إعلام يوضع لإعلاء صرح الأمة ورص صفوف جماهيرها و تقوية مكانتها ؛ و ذلك بتربية الجماهير على الخير و الفضيلة و الحب وتحذيرهم من العواقب الوخيمة التي تنجم عن الشر و الرذيلة و الفوضى والاستبداد والابتعاد عن تجاوز الحدود المصلحية و ترك المطامح الذاتية والأنانية الحزبية والعنصرية والإقليمية ، والقومية ...الخ .

12 ـ العمل على تربية رجل الإعلام على نشر القيم الأصيلة لبلده ، و جعله يتحمل مسؤوليته كاملة و تحذيره من أن يتحول إلى قلم مأجور أو مهادن للباطل ـ بكل أشكاله ـ أو مذيع ينتهج التضليل الدعائي الإعلامي .

13 ـ العمل على تعريف الرأي العام بطبيعة الصراع و المواجهة مع التزام الواقعية و تبني مطالب الجماهير و حل مشاكلها و وضع الحلول المناسبة لها دون تهرب أو ديماغووجية أو تضليل أورضوخ لمطالب سياسية أومادية أو إيديولوجية على حساب قيم الأمة ...

وعلى العموم فإن مجال الإعلام التضليلي مجال هدام وسلاح مدمِّر ؛ لذا يجب على كل فرد في أمته أن يسعى ـ قدر إمكاناته ـ بمزيد من الجهد والاجتهاد للوصول إلى نموذج أفضل في مواجهة التحديات و ذلك وفق تخطيط استراتيجي للإعلام تتحدد على أساسه الأهداف و الغايات التي يسعى إليها ؛ مع الاهتمام بالوسائل التقنية والتكنولوجية ، زيادة عن القوالب الفنية التي توضع الرسالة الإعلامية في إطارها .

*****

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الباب الثاني

أساليب الحرب النفسية على الصعيد المدني

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفصل الأول

أساليب المشركين

تمهيد

أولا : الأذى المعنوي (النفسي)

1. السخرية والاستهزاء والتحقير والسب والشتم.
2. أسلوب الغمز واللمز.
3. الاتهام بالكذب .
4. الاتهام بالكهانة والشعر .
5. الاتهام بالجنون .
6. الاتهام بالسحر والشعوذة .
7. إثارة الفتنة والوقيعة داخل جبهة الخصم .
8. أسلوب الإغراء .
9. أسلوب المساومة(أنصاف الحلول) .
10. أسلوب الحصار والمقاطعة .
11. أسلوب التعجيز .
12. أسلوب الحرب الكلامية (الجدل والمغالطة) .

ثانيا : الأذى المادي (الحسي) :

ا ـ اسلوب الاعتداء :

1. التهديد بالعنف .
2. زرع الأشواك في الطريق .
3. وضع الأوساخ .
4. نثر التراب على الرأس .
5. البصق في الوجه .
6. الضرب قصد تهشيم أعضاء الجسم .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ب ـ أسلوب القتل :

1. القتل عن طريق الخنق .

2. القتل عن طريق تهشيم الدماغ .

3. القتل جماعيا .

4. شراء الخصم لقتله .

ثالثا : أسلوب التشكيك في العقيدة :

1. المعارضة السلبية التضليلية .

2. المجادلة التشويهية .

3. التلفيق والافتراء .

4. بشرية القرآن .

رابعا : أسلوب العنف والإضطهاد للأتباع :

1. التعذيب بواسطة الضرب والتقييد .

2. التعذيب بواسطة الحرق والربط والخنق .

3. أسلوب التعذيب حتى الموت .

4. أسلوب الاستنطاق عن طريق عمليات غسيل المخ .

5. أسلوب تعذيب المرأة .

6. أسلوب اللهو والمجون .

7. أسلوب التحكم في الأرزاق ومصادرتها .

8. أسلوب النفي والتشريد والطرد .

9. أسلوب التصدي لمن يريد سماع النبي أو لقاءه .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

« وإذ يمكر بك الذين كفروا

ليثبتوك

أو يقتلوك

أو يُخرجوك

ويمكرون

ويمكر الله

والله خير الماكرين »

الأنفال: ٣٠

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

تمهيد

لم يكن المشركون يدركون في بادئ الأمر خطر دعوته ـ صلعم ـ ولم يكونوا يعرفون ما تتعرّض له مصالحهم ، حيث كانوا يعتقدون أنّ محمّدا ما هو إلا رجل اختار لنفسه منهجا في الحياة و وافقه عليه بعض الذين لم يجدوا مكانتهم في مجتمع مكّة ـ حسب زعمهم ـ مثله مثل الكثير من الأشخاص في كلّ عصر و مصر .

لكنّ الأيّام تمرّ و تظهر الدّعوة و تبدأ في الانتشار ، و تتعمّق في نفوس معتنقيها ؛ خاصة إذا عرفنا أن معظم الذين استجابوا لنداء الرسالة المحمدية شباب حتى وإن كانوا من المستضعفين اجتماعيًا ، فإنّ شجاعتهم و إرادتهم كانت عالية . لهذا أدركت قريش أنّ الخطر الجديد أصبح يهدّد فعلا مكانتهم و منزلتهم ، وأنّ دينهم الذي ورثوه أبا عن جدّ أصبح قاب قوسين أو أدنى من نهايته .

امتلأت قلوب المشركين غضبا وحقدا و استكبارا على محمّد و أتباعه لتركهم دين الآباء و بدأوا يفكّرون جدّيا في استراتيجية عمليّة للتّصدّي لمحمّد وتعاليمه ، و ذلك قصد البقاء على واقعهم الذي يمكّن لهم مكانة خاصّة بين قبائل العرب ؛ زيادة عن مكانتهم في قريش ، لذا قرّروا بعد اجتماعاتهم المتكرّرة في "دار الندوة" محاربة الأفكار الجديدة التي طلع بها محمّد بن عبد اللّه وبكلّ الوسائل وعلى جميع الأصعدة ، وقد تزعّم هذه "الحرب النّفسية" أربعة رجال وهم :« أبو سفيان (صخر بن حرب) و هو زعيم بني أمية ، والوليد (والد خالد) ، وأبو لهب (عمّ الرسول ـ صلعم ـ) ، و أبو الحكم (أبو جهل) »[1] .

وضع المشركون استراتيجية كفيلة ـ في نظرهم ـ للقضاء على الدّين الجديد وذلك باستعمال أساليب نفسية دعائية متعدّدة ـ حسب الزمان و المكان ـ و هذا بدءا من التخلّص من صاحب الدّعوة ـ محمّد بن عبد اللّه ـ و بالتّالي القضاء بطريق غير مباشر على أتباع محمّد و تعاليمه ـ حسب رأيهم ـ ففكّروا في قتله منذ الوهلة الأولى لكنّ حكمة أحبارهم جعلتهم يفضّلون أساليب أخرى أقلّ حدّة من أسلوب القتل ، لعلّها تكون كافية لاستراتيجيتهم بدلا من القتل الذي يفتح فتيل الحرب الأهلية التي تأكل الأخضر واليابس ، وهم يعلمون جيّدا الثّأر العربي ؛ لأنّه مبدأ لا يتنازل عنه العربي "الجاهلي" مهما كلّفه هذا الثأر من تضحيات مادية و بشرية .

---

(1) ـ الجنرال.أ.أكرم : سيف اللّه خالد بن الوليد ، ترجمة : العميد الركن صبحي الجابي . بيروت : مؤسسة الرسالة .(1399هـ ـ 1979م) ص28،29 .

أولا: الأذى المعنوي (النفسي)

الحقيقة أنّ الأذى النّفسي له أثر على شخصية الإنسان ـ كإنسان ـ أكثر من الأذى الحسّي ، لهذا عمد المشركون إلى هذه الأساليب الخسيسة ، و تفنّنوا فيها قصد تخريب أعصاب محمّد ـ صلعم ـ و تحطيم معنوياته العالية التي يستلهمها من القرآن الكريم ، و من هذه الأساليب المستعملة مع صاحب الرّسالة ـ صلعم ـ و التي تدخل ضمن أساليب الحرب النفسية ـ قديما و حديثا ـ لما لها من تأثير على تحطيم الرّوح المعنوية سواءعلى صعيد الأفراد أو الجماعات ، أو العقيدة ، أو الأفكار .... ومن هذه الأساليب ما يلي:

1ـ السخرية و الإستهزاء و التحقير و السب و الشتم : لقد استعمل هذا الأسلوب لما له من وقع نفسي مؤثّر على نفسية المتلقي و بالأخصّ ـ نفسية العربي ـ واستعمل هذا الأسلوب من قبل المشركين قصد تحقير شأن النبيّ ـ صلعم ـ أمام الرأي العامّ و الحطّ من قيمته في مجتمع مكّة أولا ، ثمّ عند القبائل العربية ثانيا وبالتالي لا يكون لدعوته أيّ أثر في النّفوس ، لأنّه يصبح في نظرهم ضعيف العقل أبله ، قليل الإدراك ، مشوّه الفكر ... و كلّ هذا من أجل ثني عزيمة النبي ـ صلعم ـ وتحطيم معنويات أتباعه ، و تشويه الدين الجديد ؛ ممّا يؤدّي ـ في زعمهم ـ إلى التخلّي عن هذه التعاليم الجديدة بالتنازل عنها تحت ضغط هذه الأساليب الجهنّمية .

و من الأمثلة على هذا :

ما ترويه كتب السيرة أنّ النبي ـ صلعم ـ لمّا نزل عليه قول اللّه تعالى :

« * * و أنذر عشيرتك الأقربين * * »[1] .

« دعا محمّد عشيرته إلى طعام في بيته ، و حاول أن يحدّثهم داعيا إياهم إلى اللّه عزّ و جلّ ؛ فقطع عمّه أبو لهب حديثه و استفزّ القوم ليقوموا و دعاهم في الغداة كرّة أخرى . فلما طعموا قال لهم : ما أعلم إنسانا في العرب جاء قومه بأفضل مما جئتكم به ، قد جئتكم بخيري الدنيا والآخرة . و قد أمرني ربّي أن أدعوكم إليه . فأيّكم يؤازرني على هذا الأمر ؟ فأعرضوا عنه و همّوا بتركه . ولكنّ عليّا نهض ، و هو ما يزال صبيا دون الحلم ، وقال:" أنا يا رسول اللّه عونك . أنا حرب على من حاربت". فابتسم بنو هاشم و قهقه بعضهم ، و جعل نظرهم ينتقل من أبي طالب إلى ابنه ، ثمّ انصرفوا مستهزئين »[2] .

---

(1) ـ سورة **الشعراء**: الآية ٢١٤ .

(2) ـ **محمد حسين هيكل** : حياة محمد ، القاهرة : مكتبة النهضة المصرية ـ ط 5(1952) ص142 .

للمزيد من المعلومات أنظر :

ـ **ابن هشام** : السيرة النبوية ج 1، بيروت :دار إحياء التراث العربي ، ص280.

ـ **ابن كثير** : السيرة النبوية ج 1، بيروت : دار إحياء التراث العربي ، ص455.

ـ **أبو الحسن الندوي** : السيرة النبوية ، بيروت : منشورات المكتبة العصرية (1401هـ ـ 1981م) ص137.

وبعد هذه الحادثة التي تكون قد أثّرت في نفسية النبيّ ـ صلعم ـ و قد جاءت من أقرب النّاس ، و رغم هذه الحادثة فإنّه عليه الصلا ة والسّلام أعلن دعوته ـ جهراً ـ ووسّعها لتشمل بطون قريش ، حيث صعد "جبل الصفا " ونادى بأعلى صوته متحدّيا قوى قريش ، واثقا من نصر اللّه له ، قائلاً :« يا بني عبد المطّلب ، يا بني فهر ، يا بني كعب أرأيتم لو أخبرتكم أنّ خيلا بسفح هذا الجبل تريد أن تغير عليكم صدّقتموني؟ » . قالوا : نعم ! قال: فإنّي نذير لكم بين يدي عذاب شديد ». فقال أبو لهب ـ لعنه اللّه ـ تبّا لك سائر اليوم ! أما دعوتنا إلاّ لهذا . فأنزل اللّه عزّ و جلّ : « * تبت يدا أبي لهب * و تبّ ... »[1].

رغم أنّ أسلوب النّبيّ ـ صلعم ـ كان في منتهى قمّة الوعي ، وذلك بإقامة الحجّة عليهم قبل إخبارهم بما يريد « أرأيتم ... صدّقتموني ؟ »فعندما أقرّوا بأنّه الصّادق الأمين ، و أنّهم ما جرّبوا عليه كذبا ، أخبرهم بدعوته التي هي خير لهم في الدنيا و الآخرة . لكنّ نفسية المستكبرين تعمي عن الحقّ دائما ـ في كلّ عصر وزمان ـ وانقلبوا في رمشة عين إلى تكذيبه بعد تصديقه ، وإلى مجافاته ، وسبّه وشتمه ، والسّخرية والاستهزاء به علانية وأمام هذا المشهد الجماعيّ ، و بالأخصّ من قبل عدوّ الرسالة " أبو لهب " .

وهكذا نجده ـ صلعم ـ ينتقل من الدور الإعلاميّ الشخصي السرّي إلى الدور الإعلامي الجماعي العلني ؛ ممّا جعل المشركين يشدّدون في أساليبهم النفسية ،وذلك بتحريض الرعاع في مجتمعهم ، للتصدّي لمحمّد ـ صلعم ـ في الطرق وحتى عند الكعبة ـ التي تعتبر مكانا مقدّسا عندهم ـ لكنّ المصالح والأهواء تجعل أصحابها يدوسون كلّ القيم و الأعراف و هذه سنّة من سنن اللّه في أرضه ، وواقعنا اليوم أكبر شاهد على هذا .

ومن أساليب السخرية والاستهزاء والسبّ والشتم ما يروى أنّ أبا جهل مرّ يوماً بالرسول ـ صلعم ـ فآذاه نفسيًا بالسبّ والشتم والسخرية بل تعدّى إلى شتم دينه والتقوّل فيه ، لكنّ رسول اللّه ـ صلعم ـ أبت نفسه الكبيرة أن تردّ وأن تنزل إلى هذه المنزلة من الانحطاط الأخلاقيّ فانصرف عنه ولم يكلّمه .

ومن صور هذه الأساليب تعييبه ـ صلعم ـ باليتم ، ومناداته بابن كبشة* ووصفه بالأبتر ، ومناداته وخاصّة من قبل " أمّ جميل " ـ زوج أبي لهب ـ بـ"مذمّما "...

هكذا يظهر أنّ هذا الأسلوب من قبل المشركين الذين هم خبراء بدون منازع في هذا الميدان وما شعرهم إلاّ دليل واضح على تقنياتهم في هذا الفنّ ، لكن رغم امتلاكهم لهذا الفنّ " فنّ السخرية والإستهزاء " فإنّه تكسّر أمام عزيمة صاحب الرسالة وأتباعه ، وكيف لا يتحطم مثل هذا الأسلوب أمام نفس اختارها اللّه سبحانه وتعالى لحمل رسالته للبشرية جمعاء .

ومن المعلوم أنّ النبيّ ـ صلعم ـ بشر يتأثّر معنويًا و حسّيًا فإنّ هذه الأساليب كان لهاأثربليغ في نفسية النبيّ ـ صلعم ـ لذا كان القرآن ينزل فيخفّف عنه هذه الآلام ويعطيه دفعًا قويًا نحو الأمام وبالمقابل كان القرآن أسلوبًا مضادًا في وجه المشركين المستكبرين ، وذلك بتعريتهم أمام الرأي العام ـ بجميع أنواعه ـ ممّا

---

(1) ـ **أبو الحسن الندوي** : السيرة النبوية .(مرجع سابق) ص137.[سورة المسد: السورة .] .

* **أبوكبشة** زوج مرضعته ، وهذه المناداة القصد منها التحقير .

كان له وقع نفسي كبير على تخطيطاتهم واستراتيجيتهم فأوقعهم في البلبلة والفوضى الفكرية ، والاضطرابات النفسية ، والتناقضات الصّارخة ... الخ .

وهذا ما يعبّر عنه القرآن الكريم حيث يقول تعالى لنبيّه الكريم :

« * قد نعلم إنه ليحزنك الذي يقولون ...»[1] . ثمّ يطمئن اللّه سبحانه نبيّه بعاقبة هؤلاء المستهزئين فيقول : « ...فسوف ياتيهم أنباء ما كانوا به يستهزئون * »[2].

ثمّ ينتقل السياق القرآني مخفّفا وطأة المثير عن نفسه موضّحا له بأن هذه الأساليب طبيعية مع الرسل والأنبياء و قد استعملت مع الرسل الذين سبقوه لكنّ عاقبة المستهزئين كانت خسرانًا و دمارًا عليهم وعلى من تبعهم فيقول ابن إسحاق :« ومرّ رسول اللّه ـ صلعم ـ ، ـ فيما بلغني ـ بالوليد بن المغيرة ، وأميّة بن خلف ، وبأبي جهل فهمزوه واستهزءوا به ، فغاظه ذلك فأنزل اللّه تعالى عليه في ذلك من أمرهم:« * ولقد استهزئ برسل من قبلك فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزئون * »»[3]

وقوله تعالى : « * وإذا رءاك الذين كفروا إن يتخذونك إلا هزوا ...»[4].

وبعدما روّح القرآن عن النبيّ ـ صلعم ـ بآياته التي تنزل بردا وسلامًا على المؤمنين . أمر اللّه سبحانه نبيّه بأن يصدع بالحقّ ، وأن يواصل طريقه رغم ضراوتها وشدّتها ، وأن يكون صلبًا في مواجهة التحدّيات مهما كانت المحن ، فيقول تعالى : « * فاصدع بما تومر وأعرض عن المشركين * إنا كفيناك المستهزئين * .»[5] .

يقول "سيّد قطب " : « وحين يصل السياق إلى هذا الحدّ ، يتّجه بالخطاب إلى الرسول ـ صلعم ـ أن يمضي في طريقه ، يجهر بما أمره اللّه أن يبلّغه ، ويسمّى هذا الجهر صدعًا ـ أي شقًّا ـ دلالة على القوّة والنّفاذ . لا يقعده عن الجهر والمضيّ شرك مشرك فسوف يعلم المشركون عاقبة أمرهم ، ولا استهزاء مستهزئ فقد كفاه اللّه شرّالمستهزئين . »[6] .

2 ـ أسلوب الغمز واللمز: ومن أساليب الحرب النفسية ـ من قبل المشركين ـ أسلوب الغمز واللّمز ، هذا الأسلوب الذي كانوا يقصدون من ورائه تحقير النبي ـ صلعم ـ و ذلك بسبّه و شتمه ـ سرا وعلانية ـ حتى يحطّموا قيمته الاجتماعية ويجعلوه إنسانًا عاديا بل لا مكانة له إطلاقًا في المجتمع .

لكن القرآن بالمرصاد لهم دائمًا حيث نزلت سورة " الهمزة " تبين نفسياتهم الخسيسة المستكبرة بالجاه والمال ، ممّا جعلهم يحتقرون أفضل الخلق ويستهزئون به بالغمز واللّمز .

وقد وردت عدّة روايات في تعيين هذه الشخصيات التي نزلت بسببها هذه السورة ، منها أنّ "أميّة بن خلف" كان كلّما رأى رسول اللّه ـ صلعم ـ سبّه علنًا وسرًا

---

(1) ـ سورة **الأنعام** : الآية ٣٣ .

(2) ـ سورة **الأنعام** : الآية ٥ .

(3) ـ **ابن هشام** :السيرة النبوية (مصدر سابق) ص36 [سورة الأنعام: الآية ١٠] .

(4) ـ سورة **الأنبياء**: الآية ٣٦ .

(5) ـ سورة **الحجر**: الآيتان ٩٤ ، ٩٥ .

(6) ـ **سيد قطب** : في ظلال القرآن ج14، بيروت: دار الشروق ـ ط10.(1402هـ1982م) ص2155 .

وقيل إنّها نزلت في "الوليد بن المغيرة" لأنّه كان يغتاب النبيّ ـ صلعم ـ من ورائه ويقدح فيه في وجهه ...[1] يقول تعالى :« ويل لكلّ همزة لمزة * الذي جمع مالاً وعدّده * يحسب أنّ ماله أخلده * كلاّ لينبذنّ في الحطمة * وما أدراك ما الحطمة * نار الله الموقدة * التي تطلع على الأفئدة * إنها عليهم موصدة * في عمد ممددة * »[2].

و يعلّق "سيد قطب" على هذه السورة فيقول : « تعكس هذه السورة صورة من الصور الواقعية في حياة الدعوة في عهدها الأوّل . وهي في الوقت ذاته نموذج يتكرّر في كلّ بيئة .. صورة اللّئيم الصغير النفس ، الذي يؤتى المال فتسيطر نفسه به ، حتّى ما يطيق نفسه ! ويروح يشعر أنّ المال هو القيمة العليا في الحياة . القيمة التي تهون أمامها جميع القيم وجميع الأقدار ... ومن ثمّ ينطلق في هوس بهذا المال يعدّه ويستلذّ تعداده ؛ وتنطلق في كيانه نفخة فاجرة ، تدفعه إلى الاستهانة بأقدار الناس وكرامتهم ، ولمزهم وهمزهم .. يعيبهم بلسانه ، ويسخر منهم بحركاته . سواء بحكاية حركاتهم وأصواتهم ، أو بتحقير صفاتهم و سماتهم ... بالقول والإشارة. بالغمز واللّمز . باللّفتة الساخرة والحركة الهازئة !

وهي صورة لنيمة حقيرة من صور النفوس البشرية حين تخلو من المروءة وتعرى من الإيمان . »[3].

3 ـ **الإتهام بالكذب**:من أساليب الحرب النفسية المستعملة مع النبي ـ صلعم ـ اتهامه بالكذب ؛ قصد تشويه صورته ـ صلعم ـ بين الناس ، وجعلهم يشكّون فيما يبلّغه عن ربّه وبالتالي تنعدم الثقة فيه فيتركونه وشأنه .

وقد بيّن الله سبحانه وتعالى أساليبهم الماكرة ، وأقرعهم بالحجّة وتحدّاهم بأن يثبتوا بالأدلّة العلمية والعملية هذه الدعايات و الشائعات . حيث جاءت هذه الآيات تتضمّن أقوالهم والتحدّي القرآنيّ لهم ، يقول تعالى :

« ... وقال الكافرون هذا ساحر كذّاب * »[4].

« * بل قالوا أضغاث أحلام بل افتراه بل هو شاعر فليأتنا بآية كما أرسل الأولون * »[5].

« ... إن هذا إلاّ إفك افتراه... »[6]

« * أم يقولون افتراه قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات . وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين * »[7]

« * أم يقولون افتراه قل فأتوا بسورة من مثله ... »[8] .

---

(1) ـ أنظر : **القرطبي** : الجامع لأحكام القرآن مج 10، بيروت : دار إحياء التراث العربي ، ص183.

(2) ـ سورة **الهمزة** : الآيات ١ إلى ٩.

(3) ـ **سيد قطب** : في ظلال القرآن ج30 (مصدر سابق) . ص3972.

(4) ـ سورة ص: الآية ٤ .

(5) ـ سورة **الأنبياء** : الآية ٥ .

(6) ـ سورة **الفرقان** : الآية ٤ .

(7) ـ سورة **هود** : الآية ١٣ .

(8) ـ سورة **يونس** : الآية ٣٨ .

« * أم يقولون افتراه بل هو الحق ... »[1] .

« * أم يقولون افتراه قل ان افتريته فعلي إجرامي وأنا بريء مما تجرمون * »[2] .

وكما يقول الدكتور "أحمد نوفل": « لاحظ تكرار "بل" ثلاث مرّات ، وهي تشي بالبلبلة الفكرية والتردّد والإضطراب الذي كان عليه المعسكر المعادي للرسول - صلى الله عليه وسلّم - فهم لا يدرون ما يقولون »[3] .

ورغم أنّ المشركين كانوا يعلمون علم اليقين ، أنّ محمّدًا لا يكذب ، وما جرّب عليه كذب قطّ ؛ لكنّ طبيعتهم الاستكبارية جعلتهم يلفّقون التهم والأباطيل رغم أنّهم يكذّبون أنفسهم حين ينطقون بها ، ولذا طمأن اللّه قلب نبيّه وأخبره بأنّهم يعلمون صدقه ، ولكنّها النفوس الجاحدة لآيات اللّه وهذه هي طبيعة الظالمين . يقول تعالى : « ... فإنهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون * »[4] .

وما قصّة أبي سفيان مع هرقل عندما كان في تجارة بالشام إلاّ من قبل "وشهد شاهد من أهلها"[5].

ومن الشائعات الكاذبة ما أشاعته قريش عن "الحدّاد الرومي" أنّه هو الذي علّم محمّدًا - صلعم - ما جاء به وليس الذي جاء به وحيًا - في زعمهم - وفي هذا يقول تعالى : « * ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر لسان الذي يلحدون إليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين * »[6] .

4- **الإتهام بالكهانة والشعر** : من الأساليب التشويهية اتّهامه - صلّى اللّه عليه وسلّم - بالكاهن الذي يدّعي علم الغيب رغم علمهم بأنّه منزّه عن ذلك ، وكذلك اتّهامه بالشعر الذي هو محض تخيّل ووهم ، أويتلقّى أفكاره من شيطانه - كما كانت تعتقد العرب - رغم أنّهم يعرفون هذا الفنّ معرفة تعجز أمّهات الكتب أن تفيها حقّها ، لذلك فهم يعتقدون داخل سرائرهم يقينًا بأنّ محمّدًا ليس بشاعر ، وهذا ما أقرّ به كبيرهم في معرفة هذا الفنّ " الوليد بن المغيرة " ولكنّ الجحود والعمى عن قول الحقّ جعلهم يفترون على رسول اللّه الاتّهامات الاعتباطية حتّى ولو كانت هذه الدعايات التضليلية لا تجد مكانها في أرض الواقع .

لكن دائمًا نجد القرآن بالمرصاد لهذه الأقاويل الدعائية ، فيفنّدها ، ويقطع دابر الكافرين ويردّ كيدهم إلى نحورهم بالأدلّة - النفسية والبدنية - الداحضة لافتراءاتهم وشائعاتهم مؤنبًا إياهم على تعطيل حواسّهم الخارجية والداخلية حيث يقول تعالى :

---

(1) - سورة **السجدة** : الآية ٣ .

(2) - سورة **هود** : الآية ٣٥ .

(3) - د.**أحمد نوفل** : الإشاعة .(مرجع سابق) ص34 .

(4) - سورة **الأنعام** : الآية ٣٣ .

(5) - لمعرفة الحوار الذي دار بين **أبي سفيان و هرقل** أنظر : د.**علي محمد جماز**: دراسات في اليسرة النبوية ، الكويت : دار القلم - ط 1.(1402هـ-1982م) ص25،26.

(6) - سورة **النحل** : الآية ١٠٣ .

« * فلا أقسم بما تبصرون * وما لا تبصرون * إنه لقول رسول كريم * وما هو بقول شاعر قليلا ما تؤمنون * ولا بقول كاهن قليلا ما تذكرون * »[1] .

« * وما علمناه الشعر وما ينبغي له إن هو إلا ذكر وقرآن مبين * »[2] .

« * بل قالوا أضغاث أحلام بل افتراه بل هو شاعر ... »[3].

« * أم يقولون شاعر نتربص به ريب المنون * »[4].

« ... أينا لتاركوا آلهتنا لشاعر مجنون * »[5].

5 ـ **الإتهام بالجنون:** من صور الاتّهامات الدعائية اتّهامه ـ صلعم ـ بالجنون قصد تشكيك الرأي العام في قدراته العقلية ممّا ينتج عنه الابتعاد والترك وعدم الصدق في أقواله .حيث جاء في تهذيب سيرة ابن هشام :« ثمّ إنّ قريشًا اشتدّ أمرهم للشقاء الذي أصابهم في عداوة الرسول ـ صلّى اللّه عليه وسلّم ـ ، ومن أسلم معه منهم فأغروا به سفهاءهم فكذّبوه وآذوه ، ورموه بالشعر والكهانة والجنون »[6] .

ولكنّ القرآن دائمًا بالمرصاد لهم فقد ردّ هذه الدعاية الخفيّة في عدّة آيات من الذكر الحكيم يقول تعالى:

« * وقالوا يا أيها الذي نزل عليه الذكر إنك لمجنون * »[7].

« * ويقولون أينا لتاركوا ءالهتنا لشاعر مجنون * »[8].

« * ثمّ تولوا عنه وقالوا معلم مجنون * »[9].

وهذه هي حال الذين جحدوا بآي الذّكر الحكيم يفترون الكذب على الأنبياء وعلى المصلحين و يتّهمونهم بكلّ التهم والنعوت وعلى جميع المستويات .

لكنّ القرآن يردّ بقوّة ليدحض هذه الدعاية التي هدفها بثّ الشكوك في رجاحة عقل الرسول ـ صلعم ـ الذي بالأمس القريب ـ قبل البعثة ـ حكّموه في وضع الحجر الأسود ، ورضوا به جميعًا وقالوا :" رضينا بالأمين حكمًا "، لكنّهم بعد بعثته قذفوه دون حرج بشتّى النعوت ومنها اتّهامه بالجنون ، لذا نجد في القرآن آيات في عدّة سور تدحض هذه الفرية فيقول تعالى:

« * أم يقولون به جنة بل جاءهم بالحق وأكثرهم للحق كارهون * »[10].

---

(1) ـ سورة الحاقة : الآيات ٣٨ إلى ٤٢ .

(2) ـ سورة يس : الآية ٦٩ .

(3) ـ سورة الأنبياء : الآية ٥ .

(4) ـ سورة الطور : الآية ٣٠ .

(5) ـ سورة الصافات : الآية ٣٦ .

(6) ـ عبد السلام هارون : تهذيب سيرة ابن هشام ، بيروت : دار إحياء التراث العربي . ص69.

(7) ـ سورة الحجر: الآية ٦ .

(8) ـ سورة الصافات : الآية ٣٦ .

(9) ـ سورة الدخان : الآية ١٤ .

(10) ـ سورة المؤمنون : الآية ٧٠ .

« * قل انما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا ما بصاحبكم من جنة إن هو إلا نذير لكم بين يدي عذاب شديد * »[1] .

« * أولم يتفكروا ما بصاحبهم من جنة إن هو إلا نذير مبين * »[2] .

« * وما صاحبكم بمجنون * »[3] .

« ن والقلم وما يسطرون * ما أنت بنعمة ربك بمجنون * »[4] .

« * وإن يكاد الذين كفروا ليزلقونك بأبصارهم لما سمعوا الذكر ويقولون إنه لمجنون * »[5] .

إنّها لحرب نفسية قذرة وإلاّ كيف يتّهم صاحب العقل الذي تحمّل أعظم رسالة عرفتها البشرية بتهمة الجنون لذا قال صاحب الظّلال :« وإنّ العجب ليأخذ كلّ دارس لسيرة الرسول ـ صلعم ـ في قومه من قولتهم هذه عنه ، وهم الذين علموا منه رجاحة العقل حتّى حكّموه بينهم في رفع الحجر الأسود قبل النبوّة بأعوام كثيرة إنّ الإنسان ليأخذه العجب أن يبلغ الغيظ بالنّاس إلى الحدّ الذي يدفع مشركي قريش إلى أن يقولوا هذه القولة وغيرها عن هذا الإنسان الرفيع الكريم ، المشهور بينهم برجاحة العقل ، وبالخلق القويم ، ولكنّ الحقد يعمي ويصمّ ، والغرض يقذف بالفرية دون تحرّج ، و قائلها يعرف قبل كلّ أحد أنّه كذّاب أثيم ... ثمّ إن الذكر لايقوله مجنون ولا يحمله مجنون »[6] .

6ـ **الإتهام بالسحر والشعوذة** : و من صور الدعاية التضليلية تهمته ـ عليه الصلاة والسلام ـ بالسحر والشعوذة زاعمين أنّه يفرّق بين المرء وأهله وعشيرته جاهلين أو متجاهلين أنّه جاء ليفرّق بين الحقّ والباطل ، وهذا الأسلوب الدعائي التضليلي القصد منه الخداع ، والإيهام ، والتمويه ، والتشكيك بهدف زعزعة الجماهير في المجتمع المكّي وخارجه وجعلها لا تثق في رسالته وحتّى في شخصه وقد حكى القرآن عن هذا الأسلوب النفسي الخطير الذي اتّفقوا عليه بعد الدراسة والمشاورة من طرف دهاقنة الشرك المختصّين في هذا الميدان وعلى رأسهم "الوليد بن المغيرة" ، ثمّ خرجوا بهذا المصطلح وأشاعوه بين الملإ من جبابرة قريش ، ثمّ أشيع بين عامّة النّاس في مكّة وخارجها .

يقول تعالى : « ...قال الكافرون إن هذا لسحر مبين * »[7] .

« ... وقال الكافرون هذا ساحر كذاب * »[8] .

« ...إذ يقول الظالمون إن تتبعون إلا رجلا مسحورا * »[9] .

(1) ـ سورة سبأ : الآية ٤٦ .

(2) ـ سورة الأعراف : الآية ١٨٤ .

(3) ـ سورة التكوير : الآية ٢٢ .

(4) ـ سورة القلم : الآيتان ١ ، ٢ .

(5) ـ سورة القلم : الآية ٥١ .

(6) ـ سيد قطب : في ظلال القرآن ج 29، (مصدر سابق) ص3655.

(7) ـ سورة يونس : الآية ٢.

(8) ـ سورة ص : الآية ٤ .

(9) ـ سورة الإسراء : الآية ٤٧ .

ثمّ ينقلنا السياق القرآني ليعرّفنا بنفسية هؤلاء الجاحدين الذين لا يؤمنون حتّى و لو شاهدوا المعجزات الحسّية فيقول تعالى :

« * ولو نزّلنا عليك كتابا في قرطاس فلمسوه بأيديهم لقال الذين كفروا إنْ هذا إلاّ سحر مبين * »[1].

« * وإنْ يروا اية يعرضوا ويقولوا سحر مستمرّ * »[2] .

« * ولمّا جاءهم الحقّ قالوا هذا سحر وإنّا به كافرون * »[3].

« * وإذا رأوا اية يستسخرون * وقالوا إنْ هذا إلاّ سحر مبين * »[4].

« ... وقال الذين كفروا للحقّ لمّا جاءهم إنْ هذا إلاّ سحر مبين * »[5].

ومـمّا جاء في كتب السيرة : أنّه عندما اقترب موسم الحجّ خاف زعماء قريش من هذا التجمّع السنوي أن يكون فرصة ملائمة لدعوة محمّد ليسهل له الاتّصال الشخصي بقادة الوفود ، وقادة القبائل ، ممّا جعل أحد رؤوسهم [6]في التخطيط يستدعيهم ويعرض عليهم الأمر قصد الاتّفاق على دعاية واحدة يضلّلون بها هؤلاء ، وحتى لا تكتشف دعاياتهم التضليلية إن هم تناقضوا في الاتّهامات والأكاذيب. فقال بعضهم نقول كاهن ، وقال أخرون نقول مجنون ، وقالت فئة نقول ساحر ، وقال نفر نقول شاعر .. لكن في كلّ رأي من هذه الآراء كان كبيرهم يردّ بالنفي على هذه الادّعاءات لأنّه عليم بهذه الصفات ، وعليم بحقيقة محمد الذي يعرف كلّ الناس بأنّ هذه الصفات لا أثر منها في شخصية محمّد بن عبد اللّه .

وعندما لم يجدوا صفة يتّفقون عليها وجّهوا الأمر له بصفته مختصّا في هذه الميادين وقالوا : فماذا تقول أنت ؟ قال : « واللّه إنّ لقوله لحلاوة ، وإنّ أصله لعذق ، وإنّ فرعه لجناة ، ومأانتم بقائلين من هذا شيئا إلاّ عرف أنّه باطل ، وإنّ أقرب القول فيه لأن تقولوا : ساحر ، جاء بقول هو سحر يفرّق بين المرء وأخيه ، وبينالمرء وزوجه ، وبين المرء و عشيرته »[7] .

7ـ **إثارة الفتنة والوقيعة داخل جبهة الخصم:** أساليب الحرب النفسية السالفة الذكر التي استعملها المشركون وتفنّنوا فيا فشلت فشلاً ذريعًا أمام عزيمة محمّد ـ صلعم ـ ولم تزده والمؤمنين إلاّ قوّة وتحدّيا وخاصة أن القرآن ينزل لتوجيه الرسول ـ صلعم ـ وتطمينه وتقوية معنوياته هو ومن معه ، وذلك بدحض ادّعاءاتهم وشائعاتهم و فضحهم نفسيًا وعقليا وأخلاقيا ، ممّا جعلهم (أي المشركين) يغيّرون استراتيجيّتهم وينتقلون إلى أساليب أخرى أكثر شرًا وبلاءً، ومن هذه الأساليب

---

(1) ـ سورة **الأنعام** : الآية ٧ .

(2) ـ سورة **القمر**: الآية ٢ .

(3) ـ سورة **الزخرف** : الآية ٣٠ .

(4) ـ سورة **الصافات** : الآيتان ١٤ ، ١٥ .

(5) ـ سورة **سبأ** : الآية ٤٣ .

(6) ـ **الوليد بن المغيرة** ، الذي نزل فيه قول اللّه تعالى :« * إنه فكر وقدر * فقتل كيف قدر * ثم قتل كيف قدر * ثم نظر * ثم عبس وبسر * ثم أدبر واستكبر * فقال إنْ هذا إلاّ سحر يؤثر * إنْ هذا إلاّ قول البشر * » سورة المدثر :١٨ إلى ٢٥.

(7) ـ د.عمادالدين خليل:دراسةفي السيرة،بيروت:مؤسسة الرسالة،ط 9(1406هـ ـ 1985م)ص70

إثارة الوقيعة داخل جبهة الخصم المتمثّلة في النّبيّ ـ صلّى اللّه عليه وسلّم ـ الخصم الرئيسي ، وفي عمّه أبي طالب حاميه والحصن المنيع له من المشركين .

بعد الاتّفاق على الخطّةالجديدة توجّه وفد من أشراف المشركين يتمثّل في: عتبة وشيبة ابني ربيعة ، وأبي البحتري بن هشام ، والأسود بن المطّلب ، والوليد بن المغيرة ، وأبي جهل بن هشام ، والعاص بن وائل ، ونبيه ومنبّه ابني الحجّاج.. ومن مشى معهم وقالوا : « يا أبا طالب إنّ ابن أخيك قد سبّ آلهتنا ، وعاب ديننا، وسفّه أحلامنا ، وضلّل آباءنا ، فإمّا أن تكفّه عنّا وإمّا أن تخلّي بيننا وبينه ، فإنّك على مثل ما نحن عليه من خلافه . فقال لهم أبو طالب قولاً و ردّهم ردًا رقيقًا فانصرفوا عنه »[1] .

يظهر لنا جليا في هذه الرسالة الإعلامية التي حملها وفد المشركين إلى أبي طالب تهدف إلى دغدغة عواطفه وإثارة مشاعره ، وتنبيهه ـ في نظرهم ـ إلى خطورة الوضع الذي تسبّب فيه ابن أخيه المتمثّل في سبّ الآلهة ، وتسفيه الأحلام وتضليل الآباء.. وهذه القيم لها مكانة عليا عند العرب فلا يجب أن تُمسّ بأذىً مهما كانت الذرائع حتى ولو أدّى الأمر إلى الحرب التي لا تبقي ولا تذر .

ولكن أبا طالب بحلمه ، ومكانة ابن أخيه عنده لم يستجب لمطالبهم وتركهم ينصرفون غاضبين رغم المعاملة الطيّبة والكلام الحسن الذي ردّ به على رسالتهم .

ورغم فشلهم في هذه المفاوضات فإنّهم أعادوا الكرّة من جديد وقصدوا "أبا طالب "واستعملوا أسلوبًا أكثر حدّة من سابقه وقالوا : « يا أبا طالب إنّ لك سنًّا وشرفًا ومنزلة بيننا ، وإنّا قد استنهيناك من ابن أخيك فلم تنهه عنّا ، وإنّا واللّه لا نصبر على هذا من شتم آبائنا ، وتسفيه أحلامنا ، وعيب آلهتنا ، حتى تكفّه عنّا أو ننازله وإياك في ذلك حتى يهلك أحد الفريقين »[2] .

هذه الرسالةالإعلامية كان لها وقع عظيم ومؤثّرعلى نفسية أبي طالب ؛ لأنّ مضمونها مثير ومخيف ، ولذا كادت أن تنجح في تغيير رأي أبي طالب تجاه ابن أخيه ، لذلك بعث أبو طالب لرسول الله ـ صلعم ـ وأبلغه رسالة القوم . وقال له : « يا ابن أخي إنّ قومك قد جاؤوني فقالوا لي كذا وكذا ، فابقِ عليّ وعلى نفسك ، ولا تحمّلني من الأمر ما لا أطيق » فظنّ رسول اللّه ـ صلعم ـ أنّه قد أبدى لعمّه فيه بداء وأنّه خاذله ومُسلّمه ، وأنّه قد ضعف عن نصرته والقيام معه فقال: ـ صلعم ـ بلغة المتيقّن من نجاح دعوته ـ رغم حالته النفسية ـ قاطعًا الطريق أمام كلّ الضغوطات والإرهاب النّفسي حتى ولو كانت من عند عمّه أبي طالب : « يا عمّ ، واللّه لو وضعوا

(1) ـ ابن هشام : السيرة النبوية ج 1 .(مصدر سابق) ص 283 ، 284 .

وانظر : ـ الشيخ أحمد محمد مساف : خلاصة الأثر في سيرة سيد البشر ، بيروت : دار إحياء العلوم ـ ط 1 . (1398هـ ـ1978م) ص41 ، 42 .

ـ أبو الحسن الندوي : السيرة النبوية .(مرجع سابق) ص139.

ـ علي رضوان أحمد الأسطل : الوفود في العهد المكي وأثرها الإعلامي،الأردن: مكتبة المنار ـ ط 1.(1404هـ ـ1984م) ص30.

(2) ـ علي رضوان أحمد الأسطل .(المرجع السابق) ص31.

الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره اللّه أو أهلك دونه ما تركته » ثمّ استعبر رسول اللّه ـ صلعم ـ باكيًا ، وتهيّأ للانصراف وكانت هذه رسالة من محمّد ـ صلعم ـ إلى عمّه أكثر قوّة في شكلها ومضمونها ممّا جعل أبو طالب يعزم العزم ليبقى على مبدئه الأوّل ، وهو حماية "ابن أخيه" مهما كانت الوقائع فنادى محمّدًا وجدّد له العهد بقوله :« أقبل يابن أخي فقل ما أحببت فواللّه لا أسلّمك لشيء أبدًا »[1] .

وبهذا ربح محمّد ـ صلعم ـ مساندة ودفاع عمّه إلى النهاية ، وذلك بقوّة شخصيته وثباته على المبدإ حتى في أحلك المواقف ، وخيّب اللّه ظنّ المشركين وردّ كيدهم . ولكن هيهات هيهات أن يتوقّف المعاندون والمستكبرون عن أساليبهم الخسيسة واللاإنسانية ، بحيث لجأوا إلى أسلوب أكثر دناءةً من الأسلوبين السابقين هذا الأسلوب يتمثّل في تخلّي أبي طالب عن محمّد ليقتلوه وبالتالي قتل مبادئه ـ في تصوّراتهم ـ وتعويض أبي طالب " بعمارة بن الوليد بن المغيرة " ليكون في مكان محمّد ـ صلعم ـ .

ولنتصوّر هذه العقلية التي تنظر إلى الإنسان كما تنظر إلى إبلها ، فتريد أن تبدل من تشاء بمن تشاء ضاربة كلّ القيم الإنسانية بما تحمل من مشاعر وعواطف وإحساسات زيادة عن دور الفطرة في هذا المجال .

لكن المشركين عميت إبصارهم وبصيرتهم وطرحوا هذه القيم أرضًا وتوجّهوا إلى أبي طالب وقالوا : « يا أبا طالب إنّ هذا الفتى أنهد فتى في قريش وأجمله ، فخذه فلك عقله ونصره ، واتّخذه ولدًا فهو لك ، وأسلم إلينا ابن أخيك هذا الذي خالف دينك ودين آبائك ، وفرّق جماعة قومك وسفّه أحلامهم ، فنقتله فإنّما هو رجل برجل »[2] .

وبعد هذا العرض الدنيء والخسيس والذي أرادوا من ورائه تضليل أبي طالب بوصف فتاهم بأشدّ وأقوى وأجمل فتى في قريش ، ووصف محمّد بأنّه أرذل فتيان قريش ـ تعالى اللّه عمّا يصفون ـ بمخالفته دين الآباء ، وتشتيت الجماعة وتسفيه الأحلام ، محاولين مرّة أخرى دغدغة عواطف أبي طالب بجعل ما ارتكبه محمّد ضدّه ، وذلك بقولهم : « .. خالف دينك .. فرّق جماعة قومك .. » وهذا كلّه قصد إثارة حميّة الجاهلية في نفس أبي طالب وجعله يغيّر رأيه ويعاديه مثل ما عاداه عمّه " أبو لهب " . ولكن أبا طالب بحلمه وعقله الراجح أدرك مغزاهم وعرف هذه المرّة فعلاً خستهم ونذلهم ، ولذلك كان جوابه قاسيًا وشديدًا حيث قال : « واللّه بئس ما تسومونني أتعطوني ابنكم أغذوه لكم ، وأعطيكم ابني تقتلونه ! هذا واللّه مالا يكون أبدًا . فقال المطعم بن عديّ بن نوفل بن عبد مناف بن قصي : واللّه يا أبا طالب لقد أنصفك قومك ، وجهدوا على التخلّص ممّا تكرهه ، فما أراك تريد أن تقبل منهم شيئًا فقال أبو طالب للمطعم : واللّه ما أنصفوني ، ولكنّك قد أجمعت خذلاني ومظاهرة القوم عليّ فاصنع ما بدا لك »[3] .

---

(1) ـ ابن هشام : السيرة النبوية ج 1 ،(مصدرسابق) ص284،285 . مع بعض التصرف .

(2) ـ المصدر السابق . ص285 .

(3) ـ المصدر السابق . ص285 ، 286 .

وهكذا بعد هذا العرض الأخير تفشل قريش في الوقيعة بين أبي طالب وابن أخيه ، رغم تعدّد الأساليب الدعائية التضليلية في هذا المجال . ولكن هل يتوقّف المعاندون المستكبرون؟ لا! أبداً بل نجدهم يخطّطون لاستراتيجية جديدة أشدّ وقعاً وتنكيلاً من سابقاتها .

8. **أسلوب الإغراء (الترغيب)** : لمّا فشل المشركون في الأساليب السالفة الذكر لجأوا إلى استراتيجية جديدة تتمثّل في الإغراء بالمال والجاه ، والسؤدد لأنّ الفرد الجاهليّ يعيش لذاته وشهواته ، وتفاخره . هذه النفسية المريضة جعلتهم يفكّرون في هذا الأسلوب معتقدين أنّ محمّداً ـ صلعم ـ له نفسية مثل نفوسهم .

ولأن أسلوب الإغراء أسلوب وسلاح خطير يستعمل في إطار الحرب النفسية ، وكم رأينا عبر التاريخ من شخصيات باعت ذممها ، وتنازلت عن مبادئها وخانت أوطانها ، وجبُنت بعد شجاعتها .. لأنّ الإغراءات المختلفة جعلتها عبداً لها لذلك يقول "سيد قطب" : « كثيرون يصبرون على التعذيب والإيذاء فلا يخيفهم ويصبرون على التهديد والوعيد فلا يرهبهم ، ولكن قليلين هم الذين يصبرون على الإغراء بالرغائب والمناصب والمتاع ، والزاد ! »[1] .

لهذا أرادت قريش أن تجرّب هذا الأسلوب لما له من وقع نفسيّ وتأثير قوي لا سيما عند أصحاب المصالح والأهواء . حيث تذكر كتب السيرة أنّ "أبا الوليد عتبة بن ربيعة" بُعث من قبل المشركين ليعرض على الرسول ـ صلعم ـ ما رأوه حلاً أخيراً ـ في نظرهم ـ وتنازلاً منهم ، توجّه عتبة إلى رسول اللّه ـ صلعم ـ وقال : « .. إنّك منّا حيث قد علمت من السِطَة* في العشيرة ، والمكان في النسب وإنّك قد أتيت قومك بأمر عظيم فرّقت به جماعتهم ، وسفّهت به أحلامهم ، وعبت به آلهتهم ودينهم وكفّرت به من مضى من آبائهم ، فاسمع منّي أعرض عليك أموراً تنظر فيها لعلّك تقبل منها بعضها ، فقال رسول اللّه ـ صلعم ـ : « قل يا أبا الوليد أسمع » . قال: يابن أخي ، إن كنت إنّما تريد بما جئت به من هذا الأمر مالاً جمعنا لك من أموالنا حتّى تكون أكثرنا مالاً ، وإن كنت تريد به شرفاً سوّدناك علينا حتّى لا نقطع أمراً دونك ، وإن كنت تريد به ملكاً ملّكناك علينا ، وإن كان هذا الذي يأتيك رئيّاً تراه لا تستطيع ردّه عن نفسك طلبنا لك الطبّ وبذلنا فيه أموالنا حتّى نبرئك منه ؛ فإنّه ربّما غلب التابع على الرجل حتّى يداوى منه . »[2] .

وهكذاعندما نتمعّن في هذه الوثيقة التي عرضها عتبة على محمّد ـ صلعم ـ ندرك جيّداً كيف أنّ المشركين أرادوا أن يتنازلوا لمحمّد ـ صلعم ـ ، بأن يصبح ملكاً عليهم ، وأن يصبح أكثر مالاً ... الخ . لكنّ القصد يدخل دائماً في إطار سياسة إبعاد محمّد ـ صلعم ـ عن رسالته التي بعثه اللّه بها لأنّهم عرفوا بأنّها تهدّد كيانهم السياسي والإقتصادي ، والإجتماعي ، فأرادوا من صاحب هذه الرسالة أن يتنازل عليها مقابل أيّ طلب مهما كان قدره فهم على استعداد لتنفيذه ،لكن هيهات هيهات أن يتنازل

---

(1) ـ **سيد قطب** : في ظلال القرآن ج17. (مصدر سابق) ص2378.

* ـ **السِطَة** : الشرف .

(2) ـ **ابو بكر جابر الجزائري** : هذا الحبيب محمد ـ صلعم ـ ، جدة : دار الشروق ـ ط3. (1406هـ ـ 1986م) .

صاحب الحقّ إلى أصحاب الأهواء وباطلهم . ولذا كان جواب رسول اللّه ـ صلعم ـ "لعتبة" جواباً شافياً سواء من الناحية العقلية ، أو من الناحية البيانية وكيف لا يكون جوابه كذلك وهو يتلو آيات بيّنات ، حيث قال عليه الصلاة والسلام :

« أقد فرغت يا أبا الوليد ؟ » قال: نعم . قال:« فاسمع منّي ». قال: أفعل. فقال الحبيب ـ صلعم ـ « بسم الله الرحمن الرحيم . حم . تنزيل من الرحمن الرحيم .. ومضى رسول اللّه ـ صلعم ـ يقرأ وقد ألقى "عتبة" يديه وراء ظهره معتمداً عليهما وهو يسمع منصتاً حتّى انتهى رسول اللّه ـ صلعم ـ إلى السجدة فسجد ، ثمّ قال: قد سمعت يا أبا الوليد ما سمعتَ فأنت وذاك !! »[1] .

وعندما سمع "عتبة" جواب رسول اللّه ـ صلعم ـ عاد أدراجه متأثّراً بكلام اللّه الذي تلاه عليه محمّد ، لذا عندما رآه أصحابه عرفوه بأنّه رجع بغير الوجه الذي ذهب به وسألوه :« ماوراءك يا أبا الوليد ؟ قال : ورائي أنّي واللّه قد سمعت قولاً ما سمعتُ مثله قط ، واللّه ما هو بالشعر ولا الكهانة ، يا معشر قريش أطيعوني واجعلوها لي ، خلّوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه واعتزلوه ، فواللّه ليكوننّ لقوله الذي سمعتُ نبأ ، فإن تصبه العرب فقد كُفيتُموه بغيركم ، وإن يظهر على العرب فملكه ملككم ، وعزّه عزّكم ، وكنتم أسعد الناس به . قالوا : سحرك واللّه يا أبا الوليد بلسانه . قال هذا رأي لكم ، فاصنعوا ما بدا لكم . »[2] .

ورغم هذه الحنكة السياسية التي يتمتّع بها "عتبة" عند المشركين ، فإنّ كلامه هذا المعقول ردّوا عليه بالسّفه والطيش واتّهموه بأنّ لسان محمّد قد سحره لذلك تركوه لأنّه فشل في إقناع خصمهم و كوّنوا وفداً يحمل نفس المطالب وبعثوه إلى رسول اللّه ـ صلعم ـ ، لكنّ الرسول ـ صلعم ـ ردّ عليهم ردّاً أفقدهم صوابهم وجعلهم يعيشون في حيرة وقلق حيث قال عليه الصلاة والسلام :« إنّه ما بي ما تقولون ، ما جئتُ بما جئتكم به أطلب أموالكم ، ولا الشرف فيكم ، ولا الملك عليكم ، ولكنّ اللّه بعثني إليكم رسولاً وأنزل عليّ كتاباً ، وأمرني أن أكون لكم بشيراً ونذيراً فأبلّغكم رسالات ربّي ، ونصحتُ لكم فإن تقبلوا منّي ما جئتكم به فهو حظّكم في الدنيا والآخرة ، وإن تردّوه عليّ أصبر لأمر اللّه حتّى يحكم بيني و بينكم . »[3] .

9 ـ **أسلوب المساومة (أنصاف الحلول)** : أسلوب المساومة أو أنصاف الحلول أسلوب يرجع إليه أيّ نظام يرى نفسه مهدّداً لأنّه قائم على الباطل فيبدأ في مساومة خصمه علّه يجد مكاناً للتعايش معه وذلك حفاظاً على مكانته الباطلة ، أو أنّه يستعمل هذا الأسلوب خداعاً وتضليلاً للخصم وفق استراتيجية مخطّطة ومدروسة . وهذا ما أرادت قريش أن تفعله مع النّبيّ ـ صلعم ـ حيث حاولت معه بالتفاوض أن يتنازل عن أمور من دينه ويتنازلون عن أمور لصالحه ، قاصدين بذلك تعايش الإسلام مع الشرك

---

(1) ـ **أبو بكر جابر الجزائري** : هذا الحبيب محمد ـ صلعم ـ (مرجع سابق) ص102،103.
[سورة فصلت: الآية ١] .

(2) ـ **ابن كثير** : السيرة النبوية ج 1.(مصدر سابق) ص504،505.

(3) ـ **عبد السلام هارون** : تهذيب سيرة ابن هشام. (مصدر سابق) ص75.

حيث يبيّن اللّه نفسيّتهم فيقول : « * ودّوا لو تدهن فيدهنون * »[1] .

وهناك رواية تفيد أنّ المشركين عرضوا على النبيّ ـ صلعم ـ أن يعبد آلهتهم عامًا ، وأن يعبدوا إلهه عامًا ، ورواية أخرى تفيد أنّهم قالوا: لو قبلت بآلهتنا نعبد إلهك [2].

ومن هذه الصور ما يرويه ابن اسحاق بسنده ، قال: « اعترض رسول اللّه ـ صلعم ـ وهو يطوف بالكعبة فيما بلغني ، "الأسود بن المطّلب بن أسد بن عبد العزّى،والوليد بن المغيرة ، وأميّة بن خلف ، والعاص بن وائل السهمي"، وكانوا ذوي أسنان في قومهم ، فقالوا : يا محمّد ، هلمّ فلنعبد ما تعبد ، وتعبد ما نعبد ، فنشترك نحن وأنت في الأمر ، فإن كان الذي تعبد خيرًا ممّا نعبد ، كنّا قد أخذنا بحظّنا منه وإن كان ما نعبد خيرًا ممّا تعبد ، كنت قد أخذت بحظّك منه . فأنزل اللّه تعالى فيهم : « قل يا أيها الكافرون ... ». أي إن كنتم لا تعبدون إلاّ اللّه إلاّ أن أعبد ما تعبدون ، فلا حاجة لي بذلك منكم ، لكم دينكم جميعًا ، ولي ديني »[3].

وهكذا يبيّن لنا اللّه أنّ المساومة في صلب العقيدة مرفوضة مهما كانت الشدائد والمحن ، لأنّ العقيدة إمّا أن تؤخذ كاملة أو تُترك كاملة ، ورغم هذا فإنّ المشركين يواصلون مساوماتهم عن طريق الضغط العائليّ ـ وهذه الصورة تكرّرت كثيرًا مع الدّعاة في عصرنا ـ واستغلّوا مرض عمّه أبي طالب ومشوا إليه في وفد يتكوّن "من خمس وعشرين تقريبًا" يتزعّمهم "عتبة ، وشيبة، وأبو جهل ، وأميّة ، وأبو سفيان "... فقالوا : « يا أبا طالب إنك منّا حيث قد علمت وقد حضرك ما نرى وتخوّفنا عليك ، وقد علمتَ الذي بيننا وبين ابن أخيك ، فادعه ، فخذ له منّا ، وخذ لنا منه ، ليكفّ عنّا ونكفّ عنه ، وليدعنا وديننا وندعه ودينه »[4] .

ولنتصوّر هنا منطق المعاندين الكفرة ـ وهذا في كلّ عصر ـ حيث أصبحوا يطالبون من محمّد عن طريق الضغط العائلي بما يُسمّى في عصرنا هذا " بحرية المعتقد" فيتركهم ودينهم ، ويتركونه ودينه ، ولذا هذا العرض في نظر أبي طالب كان منطقيًا ممّا جعله يستدعي ابن أخيه محمّدًا ويخبره بما عرضوه عليه فقال رسول اللّه ـ صلعم ـ :« نعم كلمة واحدة تعطونيها تملكون بها العرب وتدين لكم بها العجمُ . فقال أبو جهل : نعم وأبيك وعشر كلمات . قال : تقولون لا إله إلاّ اللّه ، وتخلصون ما تعبدون من دونه فصفّقوا بأيديهم ثمّ قالوا : أتريد يا محمّد أن تجعل الآلهة إلهًا واحدًا إنّ هذا لشيء عجيب . ثمّ قال بعضهم لبعض إنّه واللّه ما هذا رجل بمعطيكم شيئًا ممّا تريدون . فانطلقوا وامضوا على دين آبائكم حتّى يحكم اللّه بينكم وبينه ، ثمّ تفرّقوا . فأنزل اللّه تعالى :« ص والقرآن ذي الذكر ... [إلى قوله تعالى] ... * أجعل الآلهة إلها واحدا إن هذا لشيء عجاب * وانطلق الملأ منهم أن امشوا واصبروا على آلهتكم إن هذا لشيء يراد * ما سمعنا بهذا في الملة الآخرة إن هذا إلا اختلاق * » .

---

(1) ـ سورة القلم : الآية ٩.

(2) ـ صفي الرحمن المباركفوري : الرحيق المختوم ، الجزائر: شركة الشهاب(1989) ص99. بتصرف يسير .

(3) ـ ابن هشام : السيرة النبوية ج 1. (مصدر سابق) ص388.[سورة الكافرون].

(4) ـ صفي الرحمن المباركفوري : (المرجع السابق) ص134.

فقال أبو طالب لرسول الله ـ صلعم ـ والله يابن أخي ما رأيتك سألتهم شططاً .

وبهذا يغلق الرسول ـ صلعم ـ باب المساومات أمام المشركين . و حتى لجأت قريش إليها ظنًا منها أنّ سياسة اللين والمساومة كفيلة بتحطيم معنويات محمّد ـ صلعم ـ وجعله يقبل بأنصاف الحلول . لكنّها فشلت في هذه الاستراتيجية مثلها مثل باقي الاستراتيجيات السابقة ، لأنّهم يجهلون أو يتجاهلون رسالة محمّد ـ صلعم ـ وهذه حال الجاحدين المتكبّرين في كلّ عصروزمان ، وخاصّة في أيّامنا هذه

ومن صور هذا الأسلوب ـ وقع هذا والإسلام أصبح له المكانة الأولى عند العرب ـ أنّ وفد ثقيف عند دخولهم الإسلام وكان الإيمان لم يدخل قلوبهم بعد . لذا قاموا بمحاولة مساومة مع الرسول ـ صلعم ـ لقبول بعض مطالبهم جزاء دخولهم الإسلام ، وذلك بأن يدع لهم الرسول ـ صلعم ـ صنمهم (اللاّت) ثلاث سنين لا يهدّمها وأن يعفيهم من الصلاة ، وعند رفضه ـ صلعم ـ هذه المساومة ، طلبوا أن يعفي صنمهم من الهدم مدّة عامين ، ثمّ تراجعوا إلى مدّة عام واحد ، ثمّ شهر واحد . لكنّ حسم الرسول ـ صلعم ـ جعلهم في الختام يطلبون منه ألاّ يكسّروا أوثانهم بأيديهم . فأمّر الرسول ـ صلعم ـ عثمان بن أبي العاص ـ وهو أصغرهم سنًا ـ ولكنّه فقيه في الإسلام وتعلّم القرآن . ثمّ بعث معهم أبا سفيان بن حرب ، والمغيرة بن شعبة لأنّه كانت لهم بثقيف مودّة ورحمة ليهدّما (اللاّت) .وعند هدم المغيرة (اللاّت) كانت نساء ثقيف تبكين حسرةً ...[1].

وهذه هي حال الذين لم يتعمّق الإيمان في قلوبهم في كلّ عصر ومصر، فهم يحافظون على عادات الآباء وتقاليد المجتمع أكثر من محافظتهم على مبادئ الإسلام .

10 ـ **أسلوب الحصار والمقاطعة**: عندما فشلت قريش في أساليبها المختلفة نحو القضاء على محمّد ـ صلعم ـ ودعوته ، وأصبح الناس يدخلون في الدين الجديد وخاصّةً الذين لهم مكانة اجتماعية كحمزة ، وعمر بن الخطّاب ، وماكان لإسلامهما من عزّة للإسلام والمسلمين ؛ زيادة عن رفض النبيّ ـ صلعم ـ لكلّ المساومات والإغراءات ثمّ تحالف بني عبد االمطّلب وبني هاشم على حماية محمّد ـ صلعم ـ .

كلّ هذه الإيجابيات التي تحقّقت لرسالة الإسلام جعلت المشركين يزدادون غيظًا وحقدًا ، وتثور ثائرتهم ، ويزداد مكرهم ، وخاصّة عندما عجزوا عن التوصّل إلى رأي عام يقرّ قتل محمّد وذلك خوفًا من الحرب الأهلية التي تقضي على الأخضر واليابس .

اجتمع المشركون كعادتهم في دار النّدوة ، وبدأ برلمانهم يدرس الاستراتيجية الجديدة بعد تقييمهم لفشل الاستراتيجيات السابقة ، وبعد الأخذ والردّ أقدموا على خطّة تتنافى مع أدنى صفات الإنسانية حيث خرجوا بميثاق ـ ميثاق البغي والإعتداء ـ يحدّد في بنوده حصارًا ومقاطعة عامّة لبني هاشم وبني عبد المطّلب ما عدا أولئك الذين ثبتت عداوتُهم لمحمد ، وممّا جاء في ميثاق البغي

(1) ـ **علي بن جابر الحربي** : منهج الدعوة النبوية في المرحلة المكية ، القاهرة الزهراء للإعلام العربي ـ ط 1 (1406هـ-1986م) ص273،272 [سورة ص: الآيات ١ إلى ٦]

وانظر: **صفي الرحمن المباركفوري** : الرحيق المختوم .(مرجع سابق) ص135،134

(2) ـ د.محمد سيد محمد المسؤولية الإعلامية في الإسلام (مرجع سابق) ص180 بتصرف يسير

والإعتداء ما يلي[1] :

البند **الأوّل**: لا يُنكِحوا إليهم ولا يُنكحوهم .

البند **الثاني** : لا يبيعونهم شيئًا ، ولا يبتاعوا منهم.

البند **الثالث**: لا يجالسوهم ، ولا يكلّموهم ، ولايدخلوا بيوتهم .

البند **الرابع**: لايقبلوا منهم صلحًا أبدًا .

البند **الخامس** : لا تأخذهم بهم رأفة .

والتزم المشركون بتطبيق هذا الميثاق ، وضُرب حصار شديد على بني هاشم وبني عبد المطّلب ، ووُضعوا في محتشد يسمّى " شعب مكّة " مدّة ثلاث سنين (أي من المحرّم سنة سبع من البعثة إلى المحرّم سنة عشر من البعثة) ، ولم يدُم هذا الحصار إلاّ سنتين حسب بعض الروايات .

وخرج هذا الميثاق في صحيفة رسمية عُلّقت على جدران الكعبة لقيمتها ولإعلام الرأي العام داخل مكّة وخارجها لأنّ الكعبة مكان يؤمّه الناس من الداخل والخارج يوميًا وبدون انقطاع .

والمتأمّل في بنود هذه الوثيقة يجدها تشمل مقاطعة عامّة رسمية لم يشهد التاريخ الإنساني مثلها لأنّها شملت جميع المجالات : اجتماعية ، واقتصادية وسياسية ، وأمنية .

المجالات التي نصت عليها وثيقة المقاطعة و الحصار

ا- **المجال الاجتماعي** : تنص وثيقة المقاطعة على : أن لا ينكحوا إليهم و لا ينكحوهم،لا يجالسوهم ، و لا يكلموهم ، و لا يدخلوا بيوتهم . هذا الإجراء الظالم كان له أثر فعال و محزن لدى الأطفال و العجزة خاصة ، لأنّه فرض عليهم الحصار في شعب مكّة و انقطعوا عن عالمهم و أصبحوا لا يستطيعون التحرك خارج محتشدهم لشراء ما يقتاتون به أو ما يسترون به عوراتهم ، لذلك بلغ بهم الجهد الجسدي والمعنوي مبلغه و حل الفقر و المرض بحيث أصبح الأطفال يتضاغوُن من الجوع حتى يسمع بكاؤهم من بعيد . و لو لا الأشهر الحرم التي كانوا يغتنمون الفرصة فيها للاختلاط بالناس و التحدث إليهم ، و شراء بعض الحاجات التى لم تصل يد قريش إليها لكان هلاكهم محققًا ، و في هذه الأشهر الحرم - التي تضع الحرب فيها أوزارها - كان رسول اللّه - صلعم - يستغل هذه الأشهر و يدعو ليل نهار و ما ترك دعوته قط حيث يروي الإمام أحمد عن ربيعة بن عباد و كان جاهليًا أسلم يقول : « رأيت رسول اللّه - صلعم - ببصر عيني بسوق ذي المجاز يقول : « يا أيها الناس قولوا لا إله إلاّ

---

(1) - أنظر:

- **ابن هشام**:السيرة النبوية ج1.(مصدر سابق) ص375.
- **ابن كثير**: السيرة النبوية ج2 .(مصدر سابق) ص44.
- **صفي الرحمن المباركفوري**: الرحيق المختوم .(مرجع سابق) ص128.
- **د.عبد الحليم حنفي** : أسلوب السخرية في القرآن الكريم ،مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب .(1987) ص64.

اللّه تفلحوا » و يدخل فجاجها و الناس متقصفون* عليه ، فما رأيت أحدا يقول شيئا و هو لا يسكت يقول : يا أيها الناس قولوا لا إله إلاّ اللّه تفلحوا »[1].

ب - المجال الإقتصادي : و مما نصت عليه وثيقة قريش في أحد بنودها ألا يبيعونهم شيئا ، و لا يبتاعوا منهم ، و هذا الأسلوب الظالم جعل المسلمين يعيشون في أزمة إقتصادية حقيقية فرضت عليهم فرضًا فساءت حالتهم إقتصاديا و نفدت أرزاقهم من طول الحصار ، و أصبحوا يعيشون مجاعة فعلية حيث « جفت أثداء النساء من الجوع والعطش ، و شحبت الوجوه ، و ذوَت الأبدان ، و ذبلت الأعضاء ، و كان رسول اللّه - صلعم - يمر بينهم و هو يحمل أضعاف ما يحملون ، فيرى فوق هذه البطون الخاوية صدورا عامرة ممتلئة بالثقة تشكل مجتمعا متكافلا »[2] .

و استمرت الحرب الإقتصادية وزادت ضراوة بحيث أصبح المشركون يراقبون مصادر السلع التى كانت تدخل مكّة ، و كان المسلمون يشترون منها ما يقتاتون ، فعمد أهل مكّة إلى هذه السلع و أصبحوا يشترونها بأضعاف قيمتها حتى يقطعوا السبيل أمام المسلمين لأن عجزهم المالي في هذا الظرف الاستثنائي المضروب عليهم لا يسمح لهم بشراء السلع عن طريق السوق السوداء* ؛ مما اضطرهم إلى أكل أوراق الأشجار و الجلود اليابسة ، و قريش تعيش في البذخ والنعيم متجاهلة كل ما يحدث في "محتشد شعب مكّة" .

حتى وصل المحاصَرون إلى وضع إقتصادي لا يمكن تصديقه إلاّ في أنواع المجاعة التي تضرب إفريقيا في عصرنا هذا . و هذه بعض الصور الواقعية التي عاشها المحاصَرون في "شعب مكّة" روي عن سعد بن أبي وقاص رضي اللّه عنه قال : « لقد رأيتني مع رسول اللّه بمكّة فخرجت من الليل أبول ، فإذا أنا أسمع قعقعة شيء تحت بولي فنظرت فإذا قطعة جلد بعير فأخذتها فغسلتها ثم أحرقتها فرضضتها بين حجرين ثم استففتها فشربت عليها من الماء فقويت ثلاثا »[3] .

وهناك صورةأخرى عنه أيضاقال :« كنا قوما يصيبنا صلف العيش - بمكّة مع رسول اللّه صلعم - و شدّته فلما أصابنا البلاء اعترفنا و صبرنا له و كان مصعب بن عمير أنعم غلام بمكّة و أجوده حلة مع أبويه ثم لقد رأيته جهد في الإسلام جهدًا شديدًا حتى لقد رأيت جلده يتحشف تحشف جلد الحيّة حتى أن كنا لنعرضه على قسينا فنحمله مما به من الجهد و ما يقصر عن شيء بلغناه ثم أكرمه اللّه بالشهادة يوم أحد »[4] .

---

* - **متقصفون** : مجتمعون ومزدحمون .

(1) - د.عبد الحليم محمود:الرسول - صلعم - بيروت:دار الكتاب اللبناني - ط 2 (1980م) ص117

(2) - **محمود شاكر** : التاريخ الإسلامي ج2 (السيرة) ، بيروت : المكتب الإسلامي - ط 1. (1399هـ-1979م) ص89.

* - من أساليب السوق السوداء أثناء حصار المسلمين "في شعب مكة" أن الوليد بن المغيرة كان ينادي في قريش :« أيما رجل وجدتموه عند طعام يشتريه فزيدوا عليه وحولوا بينهم وبينه ومن لم يكن عنده نقد فليشترِ وعلي النقد » .

أنظر : **علي بن جابر الحربي** : منهج الدعوة النبوية في المرحلة المكية .(مرجع سابق) ص391

(3) - **سعيد حوى** : الرسول - صلعم - بيروت : دار الكتب العلمية - ط 4.(1399هـ-1979م) ص102.

(4) - **علي بن جابر الحربي** : منهج الدعوة النبوية في المرحلة المكية .(مرجع سابق) ص391.

هذان أنموذجان واقعان في محاصرة المشركين للمسلمين يدلان على المعاناة التي لاقاها المسلمون من جراء هذا الحصار الظالم كيف كانوا يموتون ببطء ، و قريش تتفرج و تستهزئ و تسخر منهم ، و لولا رحمة اللّه بعباده المؤمنين لكانت ثلاث سنوات حصاراً كافية للقضاء على محمّد و أتباعه ، أو الاستسلام والرضوخ لمطالب قريش كما كانوا يعتقدون أثناء موافقتهم على وثيقة العار .

و المتمعن في حال المستكبرين في كل عصر و مَصر أنهم يستعملون نفس الأساليب مع فرق في تجديد التقنيات المستعملة ، و ما تعيشه الحركات الإسلامية في العالم الذي يدّعي الإسلام إلاّ مرآة حقيقية لما عاشه النبي ـ صلعم ـ و أصحابه في سبيل نشر رسالة ربّه . إنها طريق الحق !!.

ب ـ **المجال السياسي** : لقد نص ميثاق المقاطعة في أحد بنوده " لا تقبلوا منهم صلحا أبدا ". هذا البند يظهر لنا قيادة قريش المتسلطة و المتجبرة على الجماهير المكّية،لأن وضع بنود الميثاق المتعاهد عليه كان عليه تحفظات من طرف الذين حضروا في دار الندوة لأنّهم رأوا في هذه البنود إجحافا و ظلمًا جماعيًا لم يخص محمّدًا فقط ، و إنما أصاب الكثير من بني عمومتهم و أخوالهم . لهذا عمدت لجنة صياغة الوثيقة و على رأسها المقرر "منصور بن عكرمة" ، و يقال "النظر بن الحارث" الذي دعا رسول اللّه ـ صلعم ـ عليه فشُلّ بعض أصابعه [1]. عمدت هذه اللّجنة إلى قطع الطريق على دعاة الصلح مع بني هاشم و بني عبد المطّلب بهذه المادّة التي تقول صراحة لا قبول للصّلح إطلاقًا ما لم يسلّموا محمّدًا لهم لقتله .

يتبيّن لنا من خلال هذه المواقف أنّ الملأ من قريش كان مُصمِّمًا في سياسته على تصفية محمّد ومن تبعه وحتّى المتعاطفين معه ، ولذا فرضوا سياستهم وأقرّوا المقاطعة رغم ضررها على مكانة قريش في الدّاخل والخارج . لأنّ مكّة انقسمت إلى معسكرين الأوّل يضُمّ محمّدًا وأتباعه مع بني هاشم وبني عبد المطّلب مسلمهم وكافرهم ، والثاني يضُمّ ما بقي من بطون مكّة . ممّا جعل التناقض يشتدُّ داخل قريش لنقض هذا الميثاق الظالم حيث تصدّى لهذه المهمّة جماعة من قريش بزعامة "هشام بن عمرو بن ربيعة" لأنّه ساءته أوضاع المحصورين لِما هم عليه من حالة اجتماعية واقتصادية وبدأ سياسته بتوعية المقرّبين من بني هاشم وبني عبد المطّلب وإخطارهم بما وصل إليه الوضع ، ومشى إلى "زهير بن أبي أمية" لأنّ أمّه "عاتكة " هي بنت عبد المطّلب ، وناشده باسم حقّ الرحم قائلاً :« يا زهير ، أرضيتَ أن تأكل الطعام وتلبس الثياب وتنكح النساء ، وأخوالك حيث قد علمتَ ؟..قال : فماذا أصنع إنّما أنا رجل واحد . واللّه لو كان معي آخر لنقضتُها . فقال قد وجدتَ رجلاً . قال فمَن هو ؟ قال أنا . قال ابغِنا ثالثا. فذهب إلى "المطعم بن عديّ "، فوافقه وطلب منه رابعًا ، فذهب إلى ابي البختري ، فوافقه على أن ينضمّ إليهم خامسًا فذهب إلى زمعة بن الأسود فانضمّ إليهم ، فاتعدوا خطم الحجون * ليلاً فاجتمعوا هنالك وتعاقدوا على القيام في نقض الصحيفة فقال زهير أنا أبدؤكم بالكلام »[2] .

---

(1) ـ انظر : **ابن هشام** : اليسرة النبوية ج1.(مصدر سابق) ص376.

* ـ **خطم الحجون** : موضع معروف بأعلى مكة نصب النبي ـ صلعم ـ الراية عام الفتح .

(2) ـ **علي بن جابر الحربي** : منهج الدعوة النبوية في المرحلة المكية .(مرجع سابق) ص393.

وانظر : **ابن هشام** : السيرة النبوية ج2. ص 14.

وفعلاً في الصباح توجّهوا إلى أنديتهم ونادوا أهل مكّة وقالوا لهم أنأكل الطعام ونلبس الثياب ، وبنو هاشم هلكى . ودخل زهير بن أبي أميّة في شجار كلامي مع أبي جهل إلى أن نكس أبو جهل رأسه .« وقام المطعم إلى الصحيفة ليشقّها فوجد الأرَضَة قد أكلتها إلاّ "باسمك اللّهمّ" »[1] .

« ـ **المجال الأمني** : تنصّ الوثيقة على بند يقول صراحةً " لا تأخذهم بهم رأفة " أي من الناحية الأمنية لا مجال للرأفة والرحمة واللّين مع هؤلاء الخارجين على قوانين مكّة حيث يبقى الأذى المعنويّ والماديّ مستمرًا بل الأكثر من ذلك يتعرّض كلُّ فرد يخالف بنود الميثاق سواء في المجال الإجتماعي ، أو الإقتصادي ، أو السياسي ، أو الأمني ممّا جعل الوضع الأمني العام مضطربًا وزاد الخوف والهلع وخاصّةً داخل المحاصَرين حيث كان أبو طالب « يخاف على رسول اللّه ـ صلعم ـ فكان إذا أخذ الناس مضاجعهم يأمر رسول اللّه ـ صلعم ـ أن يضطجع على فراشه ، حتّى يرى ذلك مَن أراد اغتياله فإذا نام الناس أمر أحد بنيه أو إخوانه أو بني عمّه فاضطجع على فراش رسول اللّه ـ صلعم ـ وأمره أن يأتي بعض فرشهم »[2] .

أمّا الناحية الأمنية خارج "شعب مكّة" فلا تقلُّ خطرًا بحيث أنّ آلام المحاصَرين جعلَت بعض أقاربهم يريد مساعدتهم لكنّه خوفًا من قريش لا يستطيع تقديم المساعدة ؛ ممّا دفع بأحدهم أن يوقر بعيره زادًا ثمّ يضربه يتّجه نحو محتشد "شعب مكّة" ويترك زمامه ليصل إلى المحاصَرين ممّا يخفّف عنهم آلام المجاعة والشدّة .

وكانت قريش ترصد كلّ فرد يحاول مساعدة المحاصَرين حتّى ولو كان أقرب الناس إليهم حيث تذكر كتب السيرة أنّ أبا جهل « لقي حكيم بن حزام بن خويلد بن أسد ، معه غلام يحمل قمحًا يريد به عمّته خديجة بنت خويلد ، وهي عند رسول اللّه ـ صلعم ـ ومعه في الشعب ، فتعلّق به وقال : أتذهب بالطعام إلى بني هاشم ؟ واللّه لا تبرح أنت وطعامك حتّى أفضحك بمكّة »[3] .

وهكذا نرى أنّ المسلمين وعلى رأسهم النبيّ ـ صلعم ـ قد ذاقوا آلام الجوع والعري ، والإهانة النفسية من ظلم المشركين المقنّن وضغوطاتهم المتنوّعة ، ورغم ذلك كان الصبر على الابتلاء دواءهم ، والعفّة والنقاء والإخلاص صفاتهم ممّا جعل الدعوة تكسب مكاسب جديدة وأنصارًا جددًا ، وبالمقابل سُجّلت انقسامات داخل المعسكر القرشي وبدأت الاستفسارات والتساؤلات تُطرح حول بنود الوثيقة الظالمة ، واضطرّ المشركون في الأخير إلى إنقاذ وثيقتهم تحت ضغط بعض الشخصيات التي لها وزنها في المجتمع القرشي .

وخرج المسلمون ومن وقف معهم من شعاب مكّة منتصرين ثابتين على مبدئهم ، وقد ازدادت نفوسهم علوًا وهمّةً لأنّها تربّت تحت الأحداث الواقعية . لذلك يقول الشيخ "محمد الغزالي" : «ولا أحسب شيئًا يُربّي النفوس على التجرُّد كهذا التفاني في الحقّ ، للحقّ ذاته ، ثمّ إنّ القرآن كان صارمًا في قمع المتاجرة بالعقائد . والإثراء على حسابها والعلوّ في الأرض باسمها :" ﴿ مَن كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوفّ

---

(1) ـ **ابن هشام** : السيرة النبوية ج2.(مصدر سابق) ص14.

(2) ـ **صفي الرحمن المباركفوري** : الرحيق المختوم .(مرجع سابق) ص129.

(3) ـ **ابن هشام** : السيرة النبوية ج1.(مصدر سابق) ص379.

إليهم أعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون * أولئك الذين ليس لهم في الآخرة إلا النار وحبط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون * ".»[1] .

1 1 ـ **أسلوب التعجيز**: بعدما عجزت قريش عن صدّ النبي ـ صلعم ـ عن دعوته استمرُّوا في حربهم النفسية وشدّدوا في أساليبهم ، وابتدعوا وتفنّنوا ، وهذا كلّه من أجل شلّ عزيمة النبي وأتباعه . ومن هذه الأساليب الحربية سلاح التعجيز ؛ أي طلب معجزات حسّية و ملموسة تشاهدها الجماهير ، وإذا حُقّق لهم ذلك آمنوا بدعوته ومن هذه المطالب التعجيزية ما يلي :

1ـ طلبوا منه أن يزحزح جبال مكّة التي نغست عيشهم وحياتهم .

2 . مطالبته بتفجير عيون المياه ، وذلك لحلّ هذه المشكلة التي يعانون منها في هذه الصحراء القاحلة .

3ـ مطالبته بتحويل قفار مكّة وما حولها إلى جنات من نخيل وأعناب ، وثمار...

4ـ مطالبته بإنزال كتاب من السماء يلمسونه بأيديهم ، ويقرأونه بأعينهم ..

5ـ مطالبته بنزول ملَك من السماء ليشهد له بأنّه نبي وفي الوقت نفسه يؤيِّده..

6 ـ بل الأكثر من كلّ هذا طلبوا منه بأن يُحيِيَ موتاهم من الآباء والأجداد ، وأن يبعثهم من القبور؛ مقابل تصديقهم بالبعث الذي يتحدّث عنه..

وهذا الأسلوب القصد منه تعجيز النبي أمام الأتباع والمتعاطفين والخصوم ؛ لتحطيم إرادته وتيئيس أتباعه ، وزعزعة إيمانهم وتشكيكهم ، وتضليلهم وجعل الجماهير تنظر إليه على أنّه إنسان مثل باقي الناس ، وليس بنبي بدليل أنّه عجز أن يحقّق أيّ مطلب من مطالبهم السالفة الذكر .

وهاهو القرآن يسجِّل مواقف هؤلاء المعاندين المستكبرين ، ويقيم عليهم الحجّة العقلية والمنطقية مبيِّنًا سبحانه وتعالى نفوسهم المريضة والجاحدة لآيات اللّه الكثيرة ؛ فاضحا مطالبهم التي هدفها التلاعب والمكر ، والتضليل ، وتبرير الكفر فقط . أمّا أن يؤمنوا ويتّبعوا طريق الحق والهدى ، فإنّ هذا لا يكون منهم أبدًا حتّى ولو شاهدوا المعجزات رأيَ العين لَمَا غيّروا قصدهم ، بل سيقولون هذا سحر هذا افتراء ، هذا جنون .. الخ . يقول اللّه تعالى :

« * و قالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا * أو تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الأنهار خلالها تفجيرا * أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا أو تأتي بالله والملائكة قبيلا * أو يكون لك بيت من زخرف أو ترقى في السماء و لن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه قل سبحان ربي هل كنت إلا بشرا رسولا * »[2]

« * وقالوا ما لهذا الرسول ياكل الطعام ويمشي في الأسواق لولا أنزل إليه ملك فيكون معه نذيرا * أو يلقى إليه كنز أو تكون له جنة ياكل منها وقال الظالمون إن تتبعون إلا رجلا مسحورا * انظر

---

(1) ـ محمد الغزالي : فقه السيرة ، بيروت : مؤسسة عالم المعرفة ـ ط 7.(1976م) ص126.

[سورة هود : الآيتان ١٥ ، ١٦] .

(2) ـ سورة الإسراء : الآيات ٩٠إلى ٩٣ .

كيف ضربوا لك الأمثال فضلوا فلا يستطيعون سبيلا * »[1].

« * و قالوا لولا نزل عليه ءاية من ربه قل إن الله قادر على أن ينزل ءاية ولكن أكثرهم لا يعلمون * »[2].

« * وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءتهم ءاية ليؤمنن بها قل إنما الآيات عند الله وما يشعركم أنها إذا جاءت لا يومنون * »[3].

إلى أن يقول سبحانه وتعالى مبيّنا نفسياتهم العنيدة :

« * وإذا جاءتهم ءاية قالوا لن نومن حتى نوتى مثل ما أوتى رسل الله الله أعلم حيث يجعل رسالاته سيصيب الذين أجرموا صغار عند الله وعذاب شديد بما كانوا يمكرون * »[4].

لكنّه سبحانه وتعالى وهو أدرى بهذه النفوس الماكرة ، و بهذه الأساليب المتكرِّرة ؛ فقال قاطعاً عليهم الطريق ، وقاطعا ما علق بنفس نبيِّه من رجاء أن ينزِّل اللّه عليهم آية لعلّهم يؤمنون بعدها :

« * و إن كان كبر عليك إعراضهم فإن استطعت أن تبتغي نفقا في الأرض أو سلّما في السماء فتاتيهم بآية و لو شاء الله لجمعهم على الهدى فلا تكونن من الجاهلين * »[5].

ثمّ ينتقل السياق القرآني لتعليم النبي الردّ العلمي المفحِم لهؤلاء الجاحدين الذين يهدفون من وراء هذه المطالب تعجيز النبي مستعملين الضغوطات المتنوِّعة ، والاستفزازات ، والادِّعاءات التضليلية ، حتى يلين ويتنازل عن دعوته ولو بأنصاف الحلول ؛ لكن الإسلام يرفض هذا المنهج من أساسه ولا يقبل بمثل هذه الأساليب إطلاقًا . فيقول تعالى :

« * قل لا أقول لكم عندي خزائن الله و لا أعلم الغيب و لا أقول لكم إني ملك إن اتبع إلا ما يوحى إلي قل هل يستوي الأعمى والبصير أفلا تتفكرون * »[6].

إلى أن يطالب نبيّه بتبيين حقيقة دعوته ورسالته فيقول :

« * قل إني على بينة من ربي وكذبتم به ما عندي ما تستعجلون به إن الحكم إلا لله يقص الحق و هو خير الفاصلين * قل لو أن عندي ما تستعجلون به لقضي الأمر بيني وبينكم و الله أعلم بالظالمين * »[7].

هذا الأسلوب التعجيزي كان له الأثر الكبير في نفسية الرسول - صلعم - لولم يكن القرآن ينزل فيخفِّف على نفسه وذلك بالردّ على هؤلاء المعاندين المستكبرين ويفضح نواياهم ويُهوِّن من شأن أساليبهم التي يكون مآلها الفشل والخسران أمام إرادة النبي وعزمه في السير قُدُمًا نحو نشر دعوة اللّه .

---

(1) - سورة الفرقان : الآيات ٧إلى ٩ .

(2) - سورة الأنعام : الآية ٣٧.

(3) - سورة الأنعام : الآية ١٠٩ .

(4) - سورة الأنعام : الآية ١٢٤.

(5) - سورة الأنعام : الآية ٣٥.

(6) - سورة الأنعام : الآية ٥٠ .

(7) - سورة الأنعام : الآيتان ٥٧ ، ٥٨.

لهذا كان جواب النبي ـ صلعم ـ للمشركين كما يرويه ابن هشام : « ما بهذا بُعثتُ إليكم ، وقد بلغتكم ما أُرسلت به إليكم ، فإن تقبلوه فهو حظُّكم في الدنيا والآخرة ، وإن تردُّوه عليّ ، أصبر لأمر الله تعالى حتى يحكم بيني وبينكم »[1]. وهذا مصداقًا للآيات السالفة الذكر .(الأنعام: ٥٧ ـ ٥٨)

2 1ـ **أسلوب الحرب الكلامية (الجدل و المغالطة)** : لمّا فشلت الأساليب السالفة الذكر تجاه محمد وأتباعه من المسلمين ، اجتمع المشركون كعادتهم ، و قرّروا الاعتماد هذه المرّة على أساليب و تقنيات جديدة خارجية . فبعثوا وفدًا برئاسة "النظر بن الحارث" و"عقبة بن أبي معيط" مساعدًا له إلى المدينة المنوّرة (يثرب) قاصدين أهل الكتاب (اليهود) ـ أهل المكائد والدسائس ـ وأخبروهم بخبر محمد ـ صلعم ـ وقالوا لهم : إنّكم أهل كتاب ، وقد جئناكم طالبين العون والخبرة في هذا الميدان . فرحّب أحبار اليهود بوفد قريش ، وحضّروا لهم أسئلة دينية دقيقة ـ في نظرهم ـ لا يعلمها أيّ أحد إلاّ اليهود ـ لأنّها موجودة في توراتهم ـ وقالوا لوفد قريش : « سلوه عن ثلاث نأمركم بهنّ فإن أخبركم بهنّ فهو نبي مرسل ، وإن لم يفعل فالرجل متقوّل فرُوا فيه رأيكم . سلوه عن فتية ذهبوا في الدهر الأول ما كان أمرهم ؛ فإنهم قد كان لهم حديث عجب ؛ وسلوه عن رجل طوّاف قد بلغ مشارق الأرض ومغاربها، ما كان نبؤه؟ وسلوه عن الروح ما هي؟ فإذا أخبركم بذلك فاتّبعوه ، فإنّه نبي ، وإن لم يفعل، فهو رجل متقوّل ، فاصنعوا في أمره ما بدا لكم ..»[2]

وعاد الوفد مستبشرًا بالخطّة الجديدة ، وأخبر قريشًا بها واستبشرت لظنّها أنّها أخيرًا وجدت الأسلوب الفتّاك لدعوة محمد . ووجّه المشركون الأسئلة للنبي ـ صلعم ـ وقال لهم : سأخبركم في الغد ولم يستثنِ . وجاء الغد ولم ينزل الوحي وانقطع قرابة نصف شهر. واستغلّت قريش هذه الفترة ببث دعاياتها وشائعاتها ولعبَ إعلامها التضليلي دورًا فعّالاً في أوساط الجماهير مُحييًا الدعايات والشائعات السابقة ، ومن الدعايات الجديدة في هذه الفترة قولهم أنّ شيطان محمّد قد قلاه* ؛ ممّا جعل القرآن يردُّ عليهم ويفحمهم بسورة كاملة هي سورة الضحى :

« والضحى * والليل إذا سجى * ما ودّعك ربك وما قلى*...[إلى آخر السورة]»[3] .

وبعد فترة انقطاع الوحي ، والتي كانت تأديبًا للنبي لأنّه لم يستثنِ ولم يقل ـ إن شاء الله ـ ممّا جعل النبي يعيش أيّامًا عصيبة ـ عقليا ونفسيا ـ نزل الوحي

---

(1) ـ **ابن هشام** : السيرة النبوية ج 1.(مصدر سابق) ص318.

وكذلك : **عبد السلام هارون** : تهذيب سيرة ابن هشام .(مصدر سابق) ص76 . بتصرف بسيط

(2) ـ **ابن هشام** : السيرة النبوية ج 1.(مصدر سابق) ص321 ، 322.

وانظر : **أبو بكر جابر الجزائري** : هذا الحبيب محمد ـ صلعم ـ(مرجع سابق) ص106، 107، 108

* ـ **قلاه** : تركه.

(3) ـ سورة **الضحى** : الآيات : ١ إلى ٣ .

يجيب عن أسئلتهم مفحمًا إيّاهم و من حضَر لهم هذه الأسئلة [1]. ورغم الإجابة المنطقية الدينية فإنّ المشركين لم يتّعظوا ولم يتوقّفوا عن أساليبهم النفسية ؛ بل استمرّوا في حربهم الدعائية الكلامية المُضلّلة محاولين إطفاء نور اللّه بكلّ ما يملكون .

وها هو كبيرهم أبو جهل يهزأ و يسخر كعادته و يقول :« يا معشر قريش يزعم محمّد أنّ جنود اللّه الذين يعذّبونكم في النار ويحبسونكم فيها تسعة عشر وأنتم أكثر الناس عددًا وكثرة ، أفيعجز كلّ مائة رجل منكم عن رجل منهم؟ و في هذا نزل قول اللّه تعالى من سورة المدثّر :" * وما جعلنا أصحاب النار إلا ملائكة وما جعلنا عدتهم إلا فتنة للذين كفروا ... *»[2] .

وتستمرّ الحرب الدعائية الكلامية فيجتمع برلمان القرشيين في ناديهم ويخرجون بمرسوم يمنع سماع القرآن لعلمهم أنّ له تأثيرًا قويًا على النفوس - حتّى في نفوس زعمائهم - وخوفًا من تأثير القرآن على النفوس والعقول أصدروا مرسومهم الذي يمنع منعًا باتًا أيّ سماعٍ للقرآن ، وعلى الجميع الالتزام به . لكنّ تأثير القرآن على النفوس جعل أصحاب المرسوم ينتهكونه في السـرّيّة ، وذلك بخروجهم ليلاً وتحت جنح الظلام ليسمعوا القرآن من محمّد - صلعم - وهو يصلّي في بيته ، وعند رجوعهم في الصباح افتضح أمرهم بملاقاة بعضهم البعض ، حيث عاتبوا أنفسهم ، ولكنّهم أعادوا الكرّة مُدّة ثلاثة أيّام ، وفي اليوم الرابع تعاهدوا ألاّ يعودوا أبدا .

وعن هذا المرسوم يقول تعالى كاشفًا تخطيطهم :«* وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرءان والغوا فيه لعلكم تغلبون *»[3] .

وهكذا يظهر لنا أنّ هذه الأساليب الجهنّمية كلها لم تنجح في إحباط الدعوة وإطفاء نورها في أرض الواقع لأنّ اللّه تعالى حمى دعوته ، وحمى نبيّه وتمّ نورُه حيث يقول تعالى :

«* يريدون ليطفئوا نور الله بافواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون *»[4] .

وهذا ما جعل المشركين يعيشون في حيرة وبلبلة في تفكيرهم وتخطيطاتهم ، وفي المقابل نجد ثبات النبي وصحبه على دعوة الحقّ ، فلم يألُ جهدًا ولم يلِن أمام المغريات والضغوطات ، والتحدّيات ، وكان - صلعم - يجابه على كلّ الجبهات .

ورغم هذا يبقى المشركون متمسّكين بكبريائهم ومتعنّتين لدعوة الحقّ ومجدّدين لأساليبهم الماكرة ، وخاصّةً من طرف زعيمهم "أبي جهل" لشدّة عداوته لمحمّد وصحبه .

---

(1) - أنظر :

- **ابن هشام** : السيرة النبوية ج 1. (مصدر سابق) ص323 إلى 329.

- **ابن كثير** : السيرة النبوية ج 1. (مصدر سابق) ص484 إلى 486 .

(2) - **ابو بكر جابر الجزائري** : هذا الحبيب محمد - صلعم - (مرجع سابق) ص108.

(3) - سورة **فصلت** : الآية ٢٦ .

(4) - سورة **الصف** : الآية ٨ .

ثانيا: الأذى المادي (الحسي)

لمّا فشلت قريش في الأساليب النفسية ذات التأثير المعنوي المتمثّل في الترهيب والترغيب انتقلت إلى استراتيجية جديدة تتمثّل في الإرهاب المادي عن طريق التعذيب بأشكاله المتعدّدة ، وكذلك الإرهاب بمحاولات القتل المتعددة التقنيات .

هذا السلاح الجديد الذي اعتمده المشركون تجاه محمّد ـ صلعم ـ كان يتمثّل في أسلوبين الهدف منهما القضاء النهائي على محمّد ودعوته. وهذان الأسلوبان هما :

أ ـ أسلوب الاعتداء :

1. التهديد بالعنف : من أساليب الاعتداء ما يرويه ابن عباس أنّ النبي ـ صلعم ـ كان يصلّي ، فجاء أبو جهل مهدّدًا فقال: « ألم أنهك عن هذا ؟ فانصرف النبي ـ صلعم ـ فزبره* فقال أبو جهل : إنّك لتعلم ما بها ناد أكثر منّي ، فنزلت : « * فليدعُ ناديه * سندعُ الزبانية * » . قال ابن عباس : والله لو دعا ناديه لأخذته زبانية الله »[1].

وروى الإمام الترمذي في سننه عن ابن عباس رضي الله عنهما ، قال أبو جهل : « لئن رأيتُ محمّدًا يصلّي لأطأنّ على عُنُقِه »[2] .

2. زرع الأشواك في الطريق : ومن الاعتداءات على النبي ـ صلعم ـ ما كانت تقوم به "أمّ جميل بنت حرب" زوج أبي لهب من وضع الأشواك عند باب النبي ـ صلعم ـ وفي طريقه ، وهذا قصد إيذائه جسديًا ومعنويا ، ولذا سمّاها القرآن "حمّالة الحطب" [3].

3. وضع الأوساخ: ومن اعتداءاتهم وأذاهم وضع القاذورات والفضلات الوسِخة على ظهر الرسول ـ صلعم ـ روى البخاري عن عبد الله رضي الله عنهما قال : « بينا النبي ـ صلعم ـ ساجد وحوله ناس من قريش جاء عقبة بن أبي مُعَيط بسلى جزور فقذفه على ظهر النبي ـ صلعم ـ فلم يرفع رأسه فجاءت فاطمة عليها السلام فأخذته من ظهره ودعَت على من صنع فقال النبي ـ صلعم ـ اللّهمّ عليك الملأ من قريش أبا جهل بن هشام وعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وأُمَيّة بن خَلَف أوأبيّ بن خلف شُعبةُ الشاكُ

---

* ـ زبره : نهره وأغلظ له في القول .

(1) ـ حامد محمود بن محمد بن منصور ليمود : منتقى النقول في سيرة أعظم رسول . مكة المكرمة : منشورات رابطة العالم الإسلامي ـ ط 1.(1402هـ ـ 1982م) ص192. [سورة العلق: الآيتان ١٧ ، ١٨].

(2) ـ د.محمد عبد القادر أبوفارس: الابتلاء والمحن في الدعوات ، الجزائر: دار الشهاب ـ ط 2. (1408هـ ـ 1988م) ص82.

(3) ـ أنظر : ابن هشام : السيرة النبوية ج 1.(مصدر سابق) ص380.

فرأيتهم قُتِلوا يوم بدر فألقوا في بئرٍ غير أمية أو أبيّ تقطّعت أوصاله فلم يُلقَ في البئر »[1] .

4. نثر التراب على الرأس: لمّا مات أبو طالب تفنّنت قريش في الإيذاء واستعملت فيه تقنيات شتّى لعلمها أنّ حاميَه قد ذهب . ففي يوم من الأيام اعترض أحدُ سفهاء المشركين رسولَ اللّه ـ صلعم ـ ونثر التراب على رأسه ـ عليه الصلاة والسلام ـ فرجع مسرعا إلى البيت ، فقامت إحدى بناته ، وجعلت تغسل التراب من وجهه ورأسه وهي تبكي ، ورسول اللّه ـ صلعم ـ يخفف عنها ألم الصدمة النفسية بقوله : « لا تبكِ يا بنية فإنّ اللّه مانعٌ أباك » ويقول بين ذلك : ما نالت منّي قريش شيئا أكرهه حتى مات أبو طالب »[2].

5. البصق في الوجه : ومن الاعتداءات التي استعملها المشركون هذه الوسيلة التي تعتبر إهانة كبيرة لشخص النبي ـ صلعم ـ كإنسان له مكانة بين قريش ـ قبل البعثة ـ فكيف به وهو رسول للبشرية جمعاء يهان هذه الإهانة و على يدي الأراذل ، ولكنّها طريق الحق مملوءة بالأشواك والمتاعب حتى مع الأنبياء لأنّهم القدوة الأساسية لأتباعهم في جميع المجالات بما فيها مجال الابتلاءات ، وممّا يُروى أنّ عتيبة بن أبي لهب أتى يوما إلى رسول اللّه ـ صلعم ـ فقال : « أنا أكفر بـ"النجم إذا هوى" وبـ"الذي دنا فتدلّى" ثمّ تسلّط عليه بالأذى ، وشقّ قميصه ، وتفل في وجهه ، إلاّ أنّ البزاق لم يقع عليه ، وحينئذٍ دعا عليه النبي ـ صلعم ـ وقال :اللّهمّ سلّط عليه كلبًا من كلابك »[3] .

وفعلاً قد استجاب اللّه لدعاء نبيه ، حيث هجمه أسد وهو في طريقه إلى الشام وأخذ برأسه .

6. الضرب قصد تهشيم أعضاء الجسم : ومن أساليب الاعتداء الجسدي استعمال أسلوب الضرب بواسطة الحجارة التي كانت وسيلة مؤذية جداً عند العرب ، فهي إمّا تهلك المضروب ، وإما تهشّم أعضاءه تاركة آثارا لا تندمل مدى حياته ؛ زيادة عن الآلام التي تحدثها ، وهذا ما جعل سفهاء قريش يستعملونها في رمي النبي ـ صلعم ـ .

ومما يروى في هذا المجال أنّ "أمّ جميل" زوج أبي لهب « حين سمعت ما نزل فيها وفي زوجها من القرآن ، أتت رسول اللّه ـ صلعم ـ ، وهو جالس في المسجد عند الكعبة ومعه أبو بكر الصديق ، وفي يدها فهر* من حجارة فلمّا وقفت عليهما أخذ اللّه ببصرها عن رسول اللّه ـ صلعم ـ فلا ترى إلاّ أبا بكر ، فقالت : يا أبا بكر ! أين صاحبك فقد بلغني أنّه يهجوني،واللّه لووجدتُه لضربتُ بهذاالفهرفاه ، أما واللّه إنّي لشاعرة

---

(1) ـ **البخاري** : صحيح البخاري مج2/ج4 ، دار الفكر .(1401هـ-1981م) ص239.

وانظر : ـ **البغوي**: شرح السنة ج13،بيروت: المكتب الإسلامي ـ ط2 .(1403هـ-1983م) ص230.

ـ **أبو الحسن الندوي** : السيرة النبوية .(مرجع سابق) ص148.

(2) ـ **ابن هشام** : السيرة النبوية ج2.(مصدر سابق) ص58.

وانظر: **علي بن جابر الحربي** : منهج الدعوة النبوية في المرحلة المكية .(مرجع سابق) ص343

(3) ـ **صفي الرحمن المباركفوري** : الرحيق المختوم .(مرجع سابق) ص116.

* ـ **فهر**: حجر على مقدار ملء الكف .

ثم قالت :

مُذَمَّمًا عصينا وأمرَه أبينا ودينه قلينا*

ثمّ انصرفت ، فقال أبو بكر يا رسول اللّه أما تراها رأتك ؟ فقال ما رأتني لقد أخذ اللّه ببصرها عنّي »[1] .

ومن هذا الأسلوب ما استعمل ضدّ النبي ـ صلعم ـ عندما خرج إلى الطائف يدعو لعلّه يجد من ينصره و يفهمه وبالتالي يجد قاعدة مؤيدة ينطلق منها ، وجلس إلى وفد من أشراف القوم وكلمهم فيما جاء من أجله . فردُّوا عليه ردًا عنيفًا ، وآذوه إيذاءً شديداً ، وأغروا به سفهاءهم ، وصبيانهم ، وعبيدهم ، فسبُّوه وشتموه، وصرخوا في وجهه والأكثر من ذلك رموه حتى بالحجارة حتى أدموا جسمه الشريف ، رغم أنّ زيد بن حارثة كان يقيه بنفسه حتى شج رأسه ، و ما يزالون به حتى ألجأوه إلى حائط يبعد ثلاثة أميال من الطائف ، ثم رجعوا عنه .

وهذه الحادثة كان لها الوقع الكبير في نفس النبي ـ صلعم ـ حيث امتلأ قلبه كآبة وحزنا وأسفا على القوم الذين قابلوه بهذه الشدة القاسية ، ورغم كلّ هذا فإنه ـ صلعم ـ راض بقضاء اللّه ، وما يصيبه في سبيل دعوة اللّه ، وحتى يخفف عن نفسه توجّه إلى ربّه شاكيا حالته الجسدية والنفسية قائلاً : « اللّهمّ إليك أشكو ضعف قوّتي ، وقلّة حيلتي ، وهواني على الناس ، يا أرحم الراحمين ، أنت ربّ المستضعفين ، وأنت ربّي ، إلى من تكلني ؟ إلى بعيد يتجهّمني ؟ أم إلى عدوٍّ ملّكته أمري ؟ إن لم يكن بك عليّ غضب فلا أبالي ، ولكن عافيتك هي أوسع لي ، أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات ، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة من أن تنزل بي غضبك ، أو يحلّ عليّ سخطك ، لك العتبى حتى ترضى ، ولا حول ولا قوة إلاّ بك »[2] .

ب ـ أسلوب القتل:

ومن الأساليب التي استعملها المشركون في حربهم ضد النبي ـ صلعم ـ محاولة قتله والتي فشلت كلّها بفضل حماية اللّه الذي نجّاه من عمليات قتل شتّى هذه العمليات التي استعمل فيهاالمشركون شتّى أنواع الوسائل لقتل محمّد ـ صلعم ـ و من هذه الأساليب ما يلي :

1 ـ القتل عن طريق الخنق : يروي البخاري عن عروة بن الزبير قال :« سألتُ ابن عمرو بن العاص قلت أخبرني بأشدّ شيء صنعه المشركون بالنبي ـ صلعم ـ قال بينا النبي

---

* ـ **قلينا** : أبغضنا .

(1) ـ **ابن هشام** : السيرة النبوية ج1.(مصدر سابق) ص381 ، 382.

(2) ـ انظر:

ـ **ابن هشام** : السيرة النبوية ج2.(مصدر سابق) ص60 ،61.

ـ **ابن كثير** : السيرة النبوية ج2.(مصدر سابق) ص149 ،150.

ـ **صفي الرحمن المباركفوري** :الرحيق المختوم . (مرجع سابق) ص148 ،149.

ـ **ابو بكر جابر الجزائري**: هذا الحبيب محمد ـ صلعم ـ (مرجع سابق) ص132 ،133.

ـ **اتيين دينيه**: محمد رسول اللّه ـ صلعم ـ ترجمة: د.عبد الحليم محمود و د.محمد عبد الحليم ،بيروت: دار الكتاب اللبناني ـ ط 1 .(1977م) ص154 ،155 .

ـ صلعم ـ يصلّي في حِجر الكعبة إذ أقبل عقبة بن أبي مُعَيط ، فوضع ثوبه في عنقه . فخنقه خنقًاشديداً . فأقبل أبو بكرحتى أخذ بمنكبه ، ودفعه عن النبي ـ صلعم ـ قال : « ...أتقتلون رجلاً أن يقول ربّي الله ... » [1] .

2 ـ **القتل عن طريق تهشيم الدماغ:** ومن أساليب القتل التي حاول المشركون تطبيقها على النبي ـ صلعم ـ ما ترويه كتب السيرة أنّ أبا جهل قال : « يا معشر قريش إنّ محمّدًا قد أبى إلاّ ما ترون من عيب ديننا ، وشتم آبائنا ، وتسفيه أحلامنا ، وشتم آلهتنا وإنّي أعاهد الله لأجلسنّ له غداً بحجر ما أطيق حمله، فإذا سجد في صلاته فضختُ به رأسه ، فأسلمني عند ذلك أو امنعوني ، فليصنع بعد ذلك بنو عبد مناف مابدا لهم،قالوا : والله لا نسلمك لشيء أبداً ، فامض لما تريد »[2].

وفعلاً عندما أصبح الصباح توجّه أبو جهل بنية القتل مع سبق الإصرار،وجلس ينتظر محمّداً وسلاح القتل أمامه . وعندما جاء النبي ـ صلعم ـ كعادته وبدأ يصلي استغلّ هذا المجرم سجود النبي ـ صلعم ـ ورفع سلاحه المتمثّل في حجر ضخم ، ودنا من الرسول ـ صلعم ـ قصد إلقائه على رأسه لتهشيمها ، لكنّه عندما أراد إلقاء الحجر اندهش وارتعد وتغيرت فرائسه، واسودّ لونه ، ويبست يداه ، وسقط الحجر منها ، ورجع مرعوبا ، فقامت إليه قريش الذين كانوا ينتظرون خبر مقتل محمّد و قالوا له وهو في هذه الحالة : «ما لك يا أبا الحكم؟ قال : قمت إليه لأفعل به ما قلت لكم البارحة ، فلمّا دنوت منه عرض لي دونه فحل من الإبل ، لا والله ما رأيت مثل هامته، ولا مثل قصرته ولاأنيابه لفحل قط ، فهمّ بي أن يأكلني »[3].

3 ـ **القتل جماعيا:** لما عرف المشركون أن الرسول ـ صلعم ـ سيهاجر مثلما هاجر أصحابه إلى يثرب، وأن الدار دار أمان وستقوى فيها شوكة محمّد ، وستكون له مكانة عند العرب ، وهذا ما كانوا يخشونه ، ويشنون حرباً نفسية شعواء استعملت فيها مختلف الأسلحة النفسية ـ معنويا ومادياً ـ ولكنها باءت بالخسران والفشل الذريع وانتشرت دعوة محمّد ووجد جبهة خارج مكّة ستكون له القاعدة الأساسية لانطلاق الدولة الإسلامية. وهو ماتمّ ـ بفضل الله ـ . لمّا تحسّس المشركون بهذا اجتمع برلمانهم في اجتماع طارئ حضره أهل الرأي والمشورة وقرّروا قرارا اتفقوا عليه جميعًا باسم المصلحة العليا لقريش قتل محمّد قبل خروجه من مكّة واتفقوا على أسلوب يدلُّ على حكمتهم في الدهاء والخبث حيث تضمّن قرار إعدام محمّد بواسطة قتل جماعي تشترك فيه بطون مكّة .

وفعلاً قرّر المشركون تنفيذ العملية الإجرامية بواسطة فتيان شباب أقوياء ـ جسمًا وجاهًا ـ حتّى تكون الضربة قاضية وواحدة حسب ما جاء في بنود الوثيقة على لسان زعيمهم " أبو جهل " قوله: « أن نأخذ من كلّ قبيلة فتًى شابًا جليداً

---

(1) ـ **ابن حجر العسقلاني** : فتح الباري ج7، بيروت : دار إحياء التراث العربي ـ ط3 . (1405هـ ـ1985م) ص 133 .[سورة غافر : الآية ٢٨ .]

وانظر : منار الإسلام (مجلة) الإمارات العربية ، يناير 1985، ص11.

(2) ـ **صفي الرحمن المباركفوري** : الرحيق المختوم .(مرجع سابق) ص 116.

(3) ـ **المرجع السابق** ، ص116 .

نسيبا وسيطا فينا ، ثمّ نعطي كل فتى منهم سيفا صارما ، ثمّ يعمدوا إليه فيضربوه بها ضربة رجل واحد فيقتلوه فنستريح منه ، فإنّهم إذا فعلوا ذلك تفرّق دمه في القبائل جميعها ، فلم يقدر بنو عبد مناف على حرب قومهم جميعًا فرضوا لنا بالعقل فعقلناه لهم»[1] .

وجاء الفتيان فعلاً واجتمعوا على باب النبي ـ صلعم ـ ينظرون نومه لينقضّوا عليه ، لكنّ اللّه نجّى نبيّه وأخبره عن طريق جبريل بأنّه لا يبيت اللّيلة في فراشه ممّا جعله يأمر عليًا بالمبيت مكانه، ونجّى اللّه رسوله بجعل غشاوة على أبصارهم ، فخرج النبي وهو ينثر التراب على رؤوسهم تاليًا قوله تعالى :

« يس والقرآن الحكيم * إنك لمن المرسلين * على صراط مستقيم * » إلى قوله :

« * وجعلنا من بين أيديهم سدًا ومن خلفهم سدا فأغشيناهم فهم لا يبصرون * »[2] .

قال ابن إسحاق :« فكان مما أنزل اللّه في ذلك اليوم وما كانوا أجمعوا له قوله تعالى: « * وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين * » . وقوله :« * أم يقولون شاعر نتربص به ريب المنون * قل تربصوا فإني معكم من المتربصين * » . قال ابن إسحاق : فأذن اللّه لنبيه ـ صلعم ـ عند ذلك بالهجرة .»[3].

4. شراء الخصم لقتله : وهذا الأسلوب استعمله المشركون مع عبد المطلب صراحة يطلبون فيه تسليم النبي ـ صلعم ـ ليقتلوه مقابل تسليم الوليد بن المغيرة لأبي طالب ليجعله ولدًا له .

وهكذا يتّضح لنا تخطيط المشركين في كلّ عصر ومِصر تجاه خصومهم مستعملين شتّى أنواع الأسلحة بما في ذلك أسلحة الإبادة والاغتيال ليخلو لهم الجو فيتلاعبوا بمصالح الجماهير ، ومصالح الأمّة ، وما تخطيطات مشركي عصرنا اليوم ببعيدة عن أبصارنا من عمليات اغتيال لقادة الدعوة الإسلامية إلى إيذاء معنوي وجسدي ، وبأساليب عصرية مختلفة مستوردة حتى من دول الكفر ، وهذا كله يبين لنا أنّ الكفر واحد في كل عصر وزمان ، وأنّ سُنّة اللّه لا تتبدّل ولا تتحول .

« ...فلن تجد لسنة الله تبديلا * ولن تجد لسنة الله تحويلا * »[4].

---

(1) ـ **ابن هشام** : السيرة النبوية ج2.(مصدر سابق) ص126 .

وانظر : ـ **ابن كثير** : السيرة النبوية ج2.(مصدر سابق) ص229 .

ـ **ليمود** : منتقى النقول... (مرجع سابق) ص 245 ، 246 .

ـ **مولانا محمد علي** : حياة محمد ورسالته ، بيروت : دار العلم للملايين ـ ط 4 . (1979م) ص114 ، 115 .

(2) ـ **سورة يس** : الآيات ١ إلى ٨ .

(3) ـ **ابن هشام** : السيرة النبوية ج2(مصدر سابق) ص127 ، 128 .

[**سورة الأنفال** : الآية ٣٠ و **سورة الطور** : الآيتان ٣٠ ، ٣١] .

وانظر : **ابن كثير**: السيرة النبوية ج2 .(مصدر سابق) ص231 .

* ـ **راجع أسلوب** : إثارة الفتنة والوقيعة داخل جبهة الخصم . ص 70

(4) ـ **سورة فاطر** : الآيتان ٤٣ ، ٤٤ .

ثالثا : أسلوب التشكيك في العقيدة

من صور أسلحة المشركين في حربهم ضد الإسلام تشكيكهم في عقيدته لأنّها أساس الاختلاف بينهم وبين محمّد ـ صلعم ـ لذا حاولوا تشويهها بواسطة الجدل المغرض ، والدعايات السوداء والشائعات الكاذبة التلفيقية مثلهم مثل باقي أهل الباطل في كل عصر من العصور ، والهدف دائما إبعاد الجماهير وأصحاب العقول النيرة عن طريق الحقّ ، طريق الهدى ، طريق النور ...!!

ولصدّ جماهير مكّة أنذاك عن العقيدة التي جاء بها محمّد ـ صلعم ـ استعملوا أساليب شتّى حسب الزمان والمكان ، والظروف المناسبة لذلك . ومن هذه الأساليب ما يلي :

1 ـ **المعارضة السلبية التضليلية** : ومن هذه الصور ما يروى أنّ النضر بن الحارث وهو من الذين آذوا النبي ـ صلعم ـ إيذاءً عدوانيًا ، ولشدة عداوته وغيرته وحسده من محمد ـ صلعم ـ وحتى تكون له مكانة ـ في نظره ـ عمد إلى الحيرة ، فتعلّم بها بعض أحاديث ملوك الفرس ، وأحاديث رستم ، واسفنديار .. ثم رجع من هذه الرحلة العلمية قاصدا مكّة و أصبح يترصّد مجالس النبي ـ صلعم ـ لمجادلته ومعارضته وطرح أفكاره التضليلية . فكان كلما جلس النبي ـ صلعم ـ مجلسا يذكّر فيه القوم بما أصاب الأمم السالفة جزاء كفرها ، مبينا ذلك من أي الذّكر الحكيم فإذا قام يخلفه النضر لِبَثّ دعايته المضادة التضليلية وذلك قصد محو أثار القرآن الذي تلاه الرسول ـ صلعم ـ من ذهنيات المستمعين . فيعهد النضر إلى الحديث عن ملوك الفرس ، ورستم، واسفنديار ، وبعد أن يشبعهم قصصا من هذه الخزعبلات يقول لهم ـ وهذا بيت القصيد ـ : واللّه ما محمّد بأحسن حديثا منّي ، وما حديثه إلاّ أساطير الأوّلين اكتتبها كما اكتتبتها .

هذا الدور الإعلامي التضليلي الذي كان يقوم به النضر كان يهدف إلى التشكيك في القرآن ، وأنّ آياته ما هي إلاّ أساطير الأوّلين وحكاياتهم تعلّمها محمّد ـ صلعم ـ ، مثلما تعلّمت أنا هذه الحكايات عن ملوك فارس ورستم .. واكتتبتُها مثلما اكتتبها محمّد . وبالتالي يوهم المستمعين والرأي العام بأن هذه العقيدة التي أتى بها محمّد هي أخبار الأولين وأساطيرهم يستطيع كلّ شخص أن يتعلّمها و يحدث بها مثل النضر بن الحارث .

لكن القرآن يردّ على النضر مفحما إياه ، ومبينا حقيقة تضليلاته وجدله بالباطل فيقول تعالى : « * وقالوا أساطير الأولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرة وأصيلا * قل انزله الذي يعلم السرّ في السموات والأرض إنه كان غفورا رحيما * »[1] .

قال ابن إسحاق :« وكان ابن عباس رضي اللّه عنهما يقول ـ فيما بلغني ـ نزل فيه ـ أي في النضر ـ ثمان آيات من القرآن : قول اللّه تعالى :

---

(1) ـ سورة الفرقان : الآيتان ٥ ، ٦ .

« * إذا تتلى عليه ءاياتنا قال أساطير الأولين * » . وكلّ ما ذكر فيه الأساطير من القرآن »[1] .

2. المجادلة التشويهية : ومن صور التشكيك في العقيدة ، ما كان يقوم به بعض المختصين في هذا المجال من المشركين قصد تشويه العقيدة عن طريق الجدل بالباطل ، وبالجهل ، وبغيرعلم ، مستعملين في ذلك الأسئلة الاستهزائية والموضوعية - في نظرهم - لتحقير تعاليم الإسلام والاستهانة بها أمام المجتمع القرشي خاصة والمجتمع العربي - آنذاك - عامة . ومن هذه الصور أنّ الرسول - صلعم - جلس مع الوليد بن المغيرة في المسجد فجاء النضر بن الحارث ، فتكلّم رسول الله - صلعم - فقام النضر معترضا فحاجه النبي - صلعم - حتى أفحمه ثمّ تلا قوله تعالى : « * إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون * لو كان هؤلاء ءالهة ما وردوها وكل فيها خالدون * لهم فيها زفير وهم فيها لا يسمعون * »[2] .

وعندما قام رسول الله - صلعم - أقدم عبد الله بن الزبعري وعندما جلس ، قال الوليد: « ما قام النضر بن الحارث لابن عبد المطلب آنفا وما قعد .. قال عبد الله أما والله لو وجدته لخصمته ، فسلوا محمّدا أكلّ ما يُعبد من دون الله في جهنّم مع من عبَده ؟ فنحن نعبد الملائكة ، واليهود تعبد عزيراً ، والنصارى تعبد عيسى بن مريم ... فعجب الوليد ومن كان معه ورأوا أنّه قد احتج وخاصم ، فذكر ذلك للنبي - صلعم - فقال : كل من أحبّ أن يعبد من دون الله فهو مع من عبده ، إنّهم إنّما يعبدون الشياطين ومن أمرتهم بعبادته . فأنزل الله :« * إنّ الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون * لا يسمعون حسيسها وهم فيما اشتهت انفسهم خالدون * » أي عيسى بن مريم وعزير .. ونزل فيما يذكرون أنّهم يعبدون الملائكة وأنها بنات الله :« * وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه بل عباد مكرمون * لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون * .. [إلى قوله] * ومن يقل منهم إني إله من دونه فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزي الظالمين * » »[3].

ومن صور هذا الأسلوب ما كان يقوم به أبو جهل من تشويه لآي الذكر الحكيم مفسّرًا إياها حسب هواه ليُضحك مستمعيه ويسخر من القرآن الكريم ومن رسول الله - صلعم - ، فلمّا ذكر الله عز وجل شجرة الزقوم تخويفا لكفار قريش سخر أبو جهل واستهزأ وقصد مغالطة جماهير المشركين بتشويهه لشجرة الزقوم حيث نادى قريشا وقال :« يا معشر قريش ، هل تدرون ما شجرة الزقوم التي يخوّفكم بها

---

(1) - ابن هشام : السيرة النبوية ج 1 .(مصدر سابق) ص321. [سورة المطففين : الآية ١٣.]
وانظر : - عبد السلام هارون : تهذيب سيرة ابن هشام ،(مصدر سابق) ص 78.
- د.عبد الصبور مرزوق : السيرة النبوية في القرآن الكريم ، الجزائر :
المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية - وحدة الرغاية - (1987م) ص81 .

(2) - سورة الأنبياء : الآيات ٩٨ ، ٩٩ ، ١٠٠ .

(3) - د.عبد الحليم حنفي : أسلوب السخرية في القرآن .(مرجع سابق) ص65 [سورة الأنبياء : الآيتان ١٠١ ، ١٠٢ و الآيات ٢٦ إلى ٢٩ .] .
وانظر : د. عبد الصبور مرزوق : السيرة النبوية في القرآن الكريم .(مرجع سابق) ص76.

محمّد ؟ قالوا :لا ؛ قال : عجوة* يثرب بالزبد ، واللّه لئن استمكنّا منها لنتزقّمنّها* تزقُّمًا » [1].

فردّ اللّه عليه واصفًا إياهم بالآثيم ومنذرا له بسوءالمنقلب والخسران مذكرا إياه ومن تبع طريقه بزبانية جهنّم الذي يذوق فيها عذابين : عذاب الجحيم وهو يُصبُّ فوق رأسه ، وعذاب معنوي (نفسي) بقول الزبانية له ساخرين : ذُق إنّك أنت العزيز الكريم . كلّ هذا جاء في هذه الصورة الرائعة من القرآن التي تزيد المؤمن إرادة وعزيمة ورفعًا للمعنويات ، وتزيد الكافر ذلاً ، واستكانة ، وخوفا وإحباطا للمعنويات . يقول تعالى :« * إنّ شجرة الزقوم * طعام الأثيم * كالمهل تغلي في البطون * كغلي الحميم * خذوه فاعتلوه إلى سواء الجحيم * ثم صبّوا فوق رأسه من عذاب الحميم * ذق إنك أنت العزيز الكريم * إنّ هذا ما كنتم به تمترون * » [2].

3 . **التلفيق والإفتراء:** ومن صور أسلوب التشكيك في العقيدة التلفيق والافتراء ، حيث كان المشركون وخاصة المتخصّصون منهم يفترون الكذب على الدين الجديد ويلفّقون الأقاويل والأباطيل وينسبونها إلى آي الذكر الحكيم وإلى أقوال النبي ـ صلعم ـ ؛ ودائما قصد تشويه العقيدة وتشكيك الرأي العام والخاص في تعاليمها . ومن هذه الصور ما يعرف بقصّة "الغرانيق العلا" التي استُغلّت استغلالاً فاحشا في تشويه العقيدة الإسلامية سواء في القديم أو في العصرالحديث ، وخاصة من طرف المستشرقين الذين وجدوا فيها العسل الذي يمزج بالسمّ فوقفوا عندها كثيرًا وأيّدوها بالحجج الباطلة والواهية ، ولقد ردّ العلماء المسلمون وكُتّاب السيرة على هذا الافتراء بالحجة والدليل والتمحيص العلمي ، ومن هؤلاء محمّد حسين هيكل في كتابه "حياة محمّد" حيث أفرد لها فصلاً كاملاً يتكوّن من ثماني صفحات فردّ ردًا علميا ـ ومن جميع الأوجه ـ مفنّدًا كلّ الآراء التي قيلت حول هذه القصّة . وملخّص هذه القصة كما يبينه صاحب كتاب " المسؤولية الإعلامية في الإسلام"

« اسم القصة قصة الغرانيق . ويقول المفترون أصحابها إنّ الرسول ـ صلعم ـ لما اشتدّ عناد الكافرين قبل الهجرة . ولمّا رأى عليه السلام ذلك جاءهم في ناديهم حول الكعبة وقرأعليهم سورة النجم حتّى بلغ قوله تعالى : « * أفرأيتم اللاّت والعزّى * ومناة الثالثة الأخرى * » . فقرأ بعد ذلك ـ وحاشى للّه أن يكون ذلك ـ تلك الغرانيق العلا وأنّ شفاعتهنّ لتُرتجى . وتقول الرواية الكاذبة إنّه ـ صلعم ـ قرأ فأكمل السورة كلها ، وسجد في آخرها ، فسجد القوم جميعًا لم يتخلّف أحد منهم . وعندما تناقلت كتب الأقدمين هذه القصةزادت عليهاوعلّلتها ، وفيما قالت إنّ جبريل اعترض على إضافة محمّد « تلك

---

* ـ **عجوة** : نوع من التمر .

* ـ **لنتزقمنها** : لنبتلعنها .

(1) ـ **ابن هشام** : السيرة النبوية ج 1 .(مصدر سابق) ص388 .

(2) ـ سورة **الدخان** : الآيات ٤٣ إلى ٥٠ .

* ـ راجع ، **محمد حسين هيكل** : حياة محمد (الفصل السادس) ص 160.

وكذلك ، **محمد عبده** : دروس من القرآن ، بيروت : دار إحياء التراث العربي ـ ط3.

(1403هـ ـ1983م) ص121.

الغرانيق العلا وإنّ شفاعتهنّ لترتجى » . ويقول المفترون إنّ آيات من القرآن مثلا « ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم شيئا قليلا » نزلت في هذا الشأن »[1] .

وهكذا يتبين لنا كيف أنّ المشركين يحاولون دائماً بثّ الدعايات السوداء والشائعات المغرضة ؛ قصد التلفيق والافتراء على اللّه وعلى كتابه وعلى رسوله ـ صلعم ـ من أجل إشباع نهمهم النفسي والغريزي ، لأنّ الحقد والحسد يجري مجرى الدم في عروقهم . لذلك فهم من أجل مكانتهم ومصالحهم ، وغرائزهم ، وأهوائهم ، يقترفون الجرائم التي تتنافى حتى مع الحيوانات المفترسة ، فهذا القرآن يحمل عليهم مبينا لنا حقيقة أمرهم ، لأنّهم أصبحوا خارجين عن محيط العقلاء ، ومحيط الآدميين ، بل أصبحوا عبارة عن أجسام يعيشون لأهوائهم ، بدليل أنّهم عطّلوا فكرهم وإدراكهم ، بل الأكثر من ذلك عطّلوا حواسّهم الخارجية وعلى رأسها حاسة السمع . ولهذا فهم والماشية من الأنعام سواء ، بل أنّ الأنعام تفضُلهم لأنها تؤدي الغرض الذي خلقت من أجله ...

يقول تعالى مبينا هذه الصورة الحية :« * أرأيت من اتخذ إلهه هواه أفأنت تكون عليه وكيلا * أم تحسب أنّ أكثرهم يسمعون أو يعقلون إن هم إلا كالأنعام بل هم أضلّ سبيلا * »[2].

4. بشرية القرآن : ومن صور أسلوب التشكيك في العقيدة قولهم إنّ القرآن قول محمّد ـ صلعم ـ تعلّمه مثلما يتعلّم أيّ إنسان علم الأمم السابقة ويأتي يتحدّث به ولذلك كانوا يقولون إنّ محمّدًا تعلّم عند نصراني اسمه "جبرا" كان له دكان قرب المروة ، فكان يذهب إليه ويأخذ منه العلم . فيقولون : « واللّه ما يعلم محمدا كثيرا مما يأتي به إلا هذا النصراني »[3] .

لذلك نجد القرآن يردّ على هؤلاء مبينا اتهاماتهم التي تقول إن القرآن من عند رسول اللّه . وليس من عند اللّه ـ كبرت كلمة تخرج من افواههم ـ فيردّ تقوّلهم مقرّرا أنّ القرآن كلام اللّه قد نزل به الروح الأمين على محمّد ـ رسول اللّه ـ ، وأن ما يقوله المشركون ليس عجبا بل هو شيء موضوعي منهم ما داموا يسيرون في ضلال مبين ، وفي ظلام دامس .لذلك فهم يفترون الكذب على اللّه وعلى نبيه ـ صلعم ـ .

يقول تعالى :« * ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر لسان الذي يلحدون إليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين * إنّ الذين لا يؤمنون بآيات الله لا يهديهم الله ولهم عذاب اليم * إنما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله وأولئك هم الكاذبون * »[4] .

ومن صور هذا الأسلوب أنّهم كانوا يقولون تارة:« ...إنْ هذا إلا أساطير الأولين* »[5] ومرّة يقولون هذا سحر :« ...إنْ هذا إلا سحر مبين * »[6]. ثمّ يقولون هذا لا يكون إلاّ من

(1) ـ د.محمد سيد محمد : المسؤولية الإعلامية في الإسلام .(مرجع سابق) ص183.
[سورة النجم : الآيتان ١٩ ، ٢٠ و سورة الإسراء : الآية ٧٤] .

(2) ـ سورة الفرقان : الآيتان ٤٣ ، ٤٤ .

(3) ـ د.عبد الصبور مرزوق : السيرة النبوية في القرآن الكريم .(مرجع سابق) ص90.

(4) ـ سورة النحل: الآيات ١٠٣ ، ١٠٤ ، ١٠٥ .

(5) ـ سورة الأنفال : الآية ٣١ .

(6) ـ سورة هود : الآية ٧ .

إنسان فقدعقله أي كلام مجانين :« *وقالوايأيها الذي نزل عليه الذكرإنك لمجنون * » [1] .

إلى قولهم إنّ هذا لشعر يأتيه به شيطانه :« * أم يقولون شاعر نتربص به ريب المنون * »[2] ويقولون هو كلام تقوّله محمّد « * أم يقولون تقوله بل لا يؤمنون * »[3] .

إلى قولهم بأنّه افتراء وكذب من عند محمّد « * أم يقولون افتراه قل إن افتريته فلا تملكون لي من الله شيئا ... »[4] .

ولا ننسى قول كبيرهم في هذا العلم وهو الوليد بن المغيرة ـ سبق الحديث عنه ـ وكيف أنه بعد دراسة علمية وموضوعية ، وبحث ـ في زعمه ـ خرج بنتيجة بأن هذا القرآن قول بشر له تأثير على النفس مثله مثل السحر . فيوضح لنا اللّه في آيات من الذكر الحكيم صورة هذا الجاهلي وكيف خرج بهذه النتيجة يقول تعالى :« * إنه فكر وقدر * فقتل كيف قدر * ثم قتل كيف قدر * ثم نظر * ثم عبس وبسر * ثم أدبر واستكبر * فقال إن هذا إلا سحر يؤثر * إن هذا إلا قول البشر * »[5] .

وهكذا يظهر جليا أنّ المشركين كانوا يلفّقون أيّ تهمة للرسول ـ صلعم ـ ليثبتوا في زعمهم للرأي العام الداخلي والخارجي بأن القرآن كلام بشر !كلام محمّد ! وليس كلام اللّه كما يدّعي .!!

لكن القرآن كان بالمرصاد لهم وتحدّاهم بأن يأتوا بمثله ـ إن كان كلام بشر كما يدّعون ـ :« فتحدّاهم مرّة ، ومرّة :« ...قل فاتوا بعشرسور مثله مفتريات ... » .

« ...قل فاتوا بسورة مثله ... » ... ولكنهم لم يأتوا بعشر سور ولا بسورة مفردة ! ولم يحاولوا هذه المحاولة أصلا ، إلاّ ما قيل من محاولة بعض المتنبّئين بعد محمّد وليس هذا من الجدّ في شيء ، ولا يجوز أن يُحسب له في هذا المجال حساب . أمّا الرأي القائل بصرفهم عن المحاولة فليس له وزن يُقام ! »[6] .

*****

---

(1) ـ سورة الحجر : الآية ٦ .

(2) ـ سورة الطور : الآية ٣٠ .

(3) ـ سورة الطور : الآية ٣٣ .

(4) ـ سورة الأحقاف : الآية ٨ .

(5) ـ سورة المدثر : الآيات ١٨ إلى ٢٥ .

(6) ـ سيد قطب: التصوير الفني في القرآن ، بيروت دار الشروق ـ ط 7(1402هـ ـ 1982م) ص 15.

[سورة هود : الاية ١٣ و سورة يونس : الآية ٣٨ .] .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

رابعا: أسلوب العنف والإضطهاد للأتباع :

لقد تدرج المشركون في أساليبهم الاضطهادية شيئا فشيئا علّها تنجح في القضاء على دعوة محمّد - في زعمهم - ولكنهم لمّا رأوا أنّ الأساليب المستعملة أصبحت بدون جدوى ، اجتمعوا كعادتهم في دار الندوة وخطّطوا للاستراتيجية الجديدة التي تقرّر العنف الجسدي بجميع أشكاله بما فيها القتل . وكوّنوا لجنة تشرف على هذا المخطّط برئاسة ألد عدوّ للرسول - صلعم - "أبو لهب " وتعاهدوا على محاربة الإسلام ، وإيذاء النبي - صلعم - وتعذيب الأتباع المستضعفين مع إيذاء من لا يقدرون على تعذيبه يقول ابن حزم :« فاشتدّ هؤلاء ورؤساء سائر قبائل قريش على من أسلم منهم ، يعذّبون من لا مَنَعَة عنده ، ويؤذون من لا يقدرون على عذابه ..»[1] .

وتذكر كتب السيرة أن ما لقيه المسلمون من إرهاب واضطهاد وتعذيب تعجز عن تسجيله تقارير حقوق الإنسان في عصرنا اليوم ، وسنتعرّض في حديثنا عن هذا الأسلوب إلى بعض الصور البشعة التي قام بها المشركون في مكّة مع أتباع الرسالة المحمّدية ، وخاصة المستضعفين منهم . وهذه الصور نعرضها حسب تقنياتها .

1 - التعذيب بواسطة الضرب والتقييد : من أساليب التعذيب الجماعي للمؤمنين ما ترويه كتب السيرة أن أبا بكر الصديق - رضي اللّه عنه - قام في أحد الأيام الأولى للدعوة الإسلامية يخطب في الناس - فكان أول خطيب في الإسلام - فثارت ثورة المشركين لتحدّي أبي بكر لأعرافهم وقوانينهم ، وأقبلوا عليه جميعهم يضربونه ضربا مبرحا وداسوه بأحذيتهم مثلما يفعل في عصرنا اليوم ؛ حتى أصبح لا يعرف أنفه من وجهه ، إلى أن حملته بنو تميم إلى بيته مغميا عليه ومتيقّنا من موته .. وبقي على هذا الحال مغميا عليه إلى آخر النهار فتكلّم ..[2] .

ومن أساليب الضرب ما لقيه أبو ذر عندما أسلم حيث قال له رسول اللّه - صلعم - :« ارجع إلى قومك فأخبرهم حتى يأتيك أمري ، قال : والذي نفسي بيده ! لأصرخنّ بها بين ظهرانيهم . فخرج حتى أتى المسجد ، فنادى بأعلى صوته : أشهد أن لا إله إلا اللّه ، وأنّ محمّدًا رسول اللّه . ثمّ قام القوم فضربوه حتى أضجعوه » .

وأتى العباس ، فأكبّ عليه ، قال : ويلكم ! ألستم تعلمون أنه من غفار ، وأنّ طريق تجارتكم إلى الشام ؟ فأنقذه منهم . ثم عاد من الغد لمثلها ، فضربوه ، وثاروا عليه ، فأكبّ العباس عليه »[3] .

ومن صور التعذيب بالضرب ما أصاب ابن مسعود - رضي اللّه عنه - من

---

(1) - **ابن حزم الأندلسي** : جوامع السير النبوية ، الجزائر: دار الشهاب - ط 4(1407هـ-1987م) ص43 .

(2) - **علي بن جابر الحربي** : منهج الدعوة النبوية في المرحلة المكية .(مرجع سابق) ص351 . بتصرف كبير .

(3) - **د. محمد عبد القادر أبو فارس** : الابتلاء والمحن في الدعوات .(مرجع سابق) ص103.

مشقّة الضرب وخاصّةً يوم أن جهر بالقرآن في مكّة .. ومن الذين عُذِّبوا بالضرب والسجن والقيد "عثمان بن عفّان" حيث كان عمُّه يسجنه ويقيِّده ويضربه طالبًا منه الرجوع إلى دين آبائه .. ولا ننسى "أبا جندل بن سهل" الذي كان يقيد في الحديد ويضرب ضربًا مبرحا من قِبَل أبيه .. كما لا ننسى عثمان بن مضعون الذي كان داخلاً في جوار الوليد بن المغيرة ، لكنه عندما رأى إخوانه المسلمين يُعذبون ، وهو ينعم بالراحة الجسدية في ظل الكافر الوليد بن المغيرة . ذهب إليه وطلب ردّ الجوار ،وعندما ردَّ عليه الوليد جواره ، تشاجر مع رجل سفهه ، فقام ذلك الرجل ولطم عين عثمان فخضرها[1] .

2 ـ التعذيب بواسطة الحرق والربط والخنق : ومن صور التعذيب بالنار الحرق الجسدي وربط السجين ، وجرُّه على الأشواك والأحجار ، والرمال الملتهبة ، إلى استعمال وسائل شتّى لخنق السجين بواسطة الغازات (الدخان) أو بوضع جسم ثقيل على صدر أو ظهر السجين حتى يختنق من جراء صعوبة عملية التنفس ..الخ .

كل هذه الأساليب اللاإنسانية جُرِّبت في المسلمين أثناء تعذيبهم من طرف المشركين ، ومن الذين تذوَّقوا هذه الألوان من العذاب "بلال الحبشي"* الذي أصبح مضرب الأمثال والقدوة في الصبر والثبات عند الشدائد لما لاقاه من سادة قريش . حيث « كان أمية بن خلف يخرجه إذا حميت الظهيرة ، فيطرحه على ظهره في بطحاء مكّة ويأمر بالصخرة العظيمة فتوضع على صدره ، ثمَّ يقول :(لا واللّه) لا تزال هكذا حتى تموت أو تكفر بمحمّد وتعبد اللات والعزى ، فيقول وهو فيْ ذلك العذاب : أحد أحد . »[2] .

ومن الذين عُذِّبوا بهذا الأسلوب "خباب بن الأرث"* الذي كان القرشيون يقومون بتعريته ، ثمّ بإلصاق ظهره بالرمضاء ، ثم يضعونه على الحجارة المحمّأة بالنار ... وهو الذي ذهب إلى الرسول ـ صلعم ـ شاكيا طالبا الدعاء بالنصرة حيث يقول :« أتيتُ النبي ـ صلعم ـ وهو متوسِّد بردة وهو في ظلِّ الكعبة وقد لقينا من المشركين شدة فقلت ألا تدعو اللّه فقعد وهو محمرٌ وجهه فقال لقد كان مَن قبلكم ليُمشَط بمشاط الحديد ما دون عظامه من لحم أو عصب ما يصرفه ذلك عن دينه ويوضع المنشار على مفرق رأسه فيشق باثنين ما يصرفه ذلك عن دينه وليُتِمَّنَّ اللّه

---

(1) ـ لمعرفة صور تعذيب هؤلاء انظر :

ـ ابن هشام : السيرة النبوية ج 1.(مصدر سابق) ص336.

ـ صفي الرحمن المباركفوري : الرحيق المختوم .(مرجع سابق) ص105.

ـ د. محمد عبد القادر أبو فارس:الابتلاء والمحن في الدعوات.(مرجع سابق) ص106

* ـ بلال الحبشي : كان عبدا لأمية بن خلف ، أعتقه أبو بكر الصديق ، وقد قال له النبي ـ صلعم ـ : « سمعت دق نعليك بين يدي في الجنة » .

(2) ـ علي بن جابر الحربي : منهج الدعوة النبوية في المرحلة المكية .(مرجع سابق) ص354.

وانظر: ابن هشام : السيرة النبوية ج 1.(مصدر سابق) ص340.

* ـ خباب بن الأرث : كنيته أبو عبد اللّه ـ أصابه سبيٌ ـ فبيع لمكة ، واشترته "أم أنمار" ، أسلم قبل أن يدخل رسول اللّه ـ صلعم ـ دار الأرقم .

هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت ما يخاف إلاّ اللّه . »[1] .

ومن صور التعذيب بهذا الأسلوب ما تعرض له "الزبير بن العوام" حيث كان يُلف في حصير ويعلّق من طرف عمّه ثم يدخن عليه بالنار، فيستنشق الدخان فيختنق [أسلوب القنابل المسيلة للدموع في عصرنا] وهو يقول له : ارجع إلى الكفر، فيقول الزبير : لا أكفر أبدا »[2] . وكان أمية بن خلف يربط أبا فكيهة ـ عبدٌ لصفوان بن أمية ـ بحبل في رجليه ويجرُّه في الرمضاء حتى يظن أنه مات ...[3]

وهكذا يتبين لنا أنّ المشركين استعملوا أساليب شتى للتعذيب لم تخطر على بال العقلاء وذلك قصد إرهاب الناس وتخويفهم حتى يبتعدوا عن دعوة محمد وهذه الأساليب نفسها تتكرر في كل عصر ومصر مع تنوُّع في ابتكار الوسائل وتقنياتها .

3 ـ أسلوب التعذيب حتى الموت: ومن الأساليب الجهنُّمية التي استعملها المشركون أسلوب التعذيب حتى الموت وبكل الوسائل ، ومن هذه الصور "قصة آل ياسر " حيث كان المشركون يخرجونهم إلى بطحاء مكّة إذا حميت الظهيرة فيعذّبونهم بحرِّ الرمال التي اشتدَّ لهيبها من حرارة الشمس . وكان الرسول ـ صلعم ـ يمرُّ بهم وهم يعذّبون فيقول :« صبراً آل ياسر فإنّ موعدكم الجنّة » .

ولكثرة العذاب وشدّته مات "ياسر" تحت التعذيب ، وشدد على زوجته "سمية" بالتعذيب والاستنطاق ، فأغلظت القول إلى أبي جهل فلم يتمالك نفسه وطعنها بحربة في موضع العِفّة فاستشهدت تحت تعذيب المشركين[4] .

4 ـ أسلوب الاستنطاق عن طريق عمليات "غسيل المخ": ومن الأساليب المستعملة "عمليات غسل الدماغ" تحت الإرهاب الفكري والجسدي ، حيث استنطق المسلمون وعُذّبوا بكل أشكال التعذيب النفسي والجسدي قصد محو أفكارهم الإسلامية وتشكيل فكر جديد لهم يتمثل في عقائد قريش وكان لهذه الطريقة أثر بليغ حيث نجح المشركون مع العديد تحت الإكراه النفسي والجسدي .

عن سعيد بن جبير قال :« قلتُ لعبد اللّه بن عباس : أكان المشركون يبلغون من أصحاب رسول اللّه ـ صلعم ـ من العذاب ما يُعذرون به في ترك دينهم؟ قال نعم واللّه

---

(1) ـ **البخاري** : صحيح البخاري مج2/ج 4 .(مصدر سابق) ص238 ، 239 .

(2) ـ **د. محمد عبد القادر أبو فارس** : الابتلاء والمحن في الدعوات .(مرجع سابق) ص109.

(3) ـ انظر: **(المرجع السابق)** ص109 .

(4) ـ **انظر** :

ـ **ابن هشام** : السيرة النبوية ج1.(مصدر سابق) ص342.

ـ **عبد السلام هارون** : تهذيب سيرة ابن هشام .(مصدر سابق) ص80.

ـ **علي بن جابر الحربي** : منهج الدعوة النبوية في المرحلة المكية .(مرجع سابق) ص352.

ـ **صفي الرحمن المباركفوري** : الرحيق المختوم .(مرجع سابق) ص105، 106.

إن كانوا ليضربون أحدهم ويُجيعونه ويعطشونه حتى ما يقدر أن يستوي جالسا من شدة الضرب الذي نزل به ، حتى يعطيهم ما سألوه من الفتنة ، حتى يقولوا له : اللاّت والعزى إلهك من دون الله؟ فيقول نعم . حتى أن الجعل ليمر بهم فيقولون له : هذا الجُعل إلهك من دون الله ؟ فيقول نعم ، افتداءً منهم ما يبلغون من جهده .»[1] .

وكنموذج للعمليات" غسل الدماغ " نقدّم صورة استنطاقية عاشها " عمار بن ياسر " حيث شدد عليه العذاب بالحر تارة ، وبوضع الصخر على ظهره تارة أخرى وكان المشركون يستنطقونه تحت هذه الأنواع التعذيبية قائلين له :لا نتركك أبدا حتى تسمع منك شتما وسبًا لمحمّد ودينه ، أو تذكر اللاّت والعزى بالخير. وما زالوا به يتفنّنون في العذاب حتى فعل تحت التعذيب فتركوه . فذهب إلى النبي ـ صلعم ـ باكيا ، فسأله النبي عن حاله ! فقال شرًا وأخبره بما كان .. قال النبي ـ صلعم ـ كيف تجد قلبك؟ قال أجده مطمئنا بالإيمان . فقال النبي ـ صلعم ـ يا عمار إن عادوا فعد .. فأنزل الله تعالى : « ...إلا من اكره وقلبه مطمئن بالإيمان ...»[2] .

5ـ أسلوب تعنيب المرأة: ولم يقتصر أسلوب التعذيب على الرجال فقط ، بل تعدّى إلى النساء فقد عُذّبن عذابا شديدا وما "سمية" امرأة ياسر التي طعنت تحت التعذيب إلاّ أنموذج للمرأة التي تموت وهي ثابتة على إيمانها كما أنّها أول شهيدة في الإسلام . ومن النساء المسلمات "زنيرة" و"النهدية" وابنتها ـ كُنّ إماءً ـ فأسلمن فكان المشركون يعذّبونهن وينكّلون بهن ، وقد أعتقهن أبو بكر الصديق رضي الله عنه لما رأى من عذابهن .

وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يعذّب جارية لبني مؤمل ـ حي من بني عدي بن كعب ـ قد أسلمت ، وهو يومئذٍ على شركه ، فكان يضربها حتى يتعب ويملّ فيعتذر لها ويقرُّ بأنه تركها لأنه تعب وملّ فتقول له : كذلك فعل الله بك . وقد اشتراها أبو بكر الصديق رضي الله عنه وأعتقها مثل ما أعتق زنيرة والنهدية وابنتها وأم عبيس ، وكما أعتق بلالاً وعامر بن فهيرة[3] .

هذه الصور مأساوية عاشها الرعيل الأول من أتباع محمد ـ صلعم ـ من أجل هذه الرسالة التي أنزلها الله على نبيّه محمد ـ صلعم ـ ذنبهم الوحيد أنهم آمنوا بالله ربًا وكفروا باللاّت والعزى .. وكانت المحنة جماعية ذاق ويلاتها الصغار والكبار العبيد والأحرار ؛ بل تعدى العذاب حتى إلى النسوة كما رأينا . يقول ابن إسحاق :

---

(1) ـ ابن هشام : السيرة النبوية ج1 (مصدر سابق) ص342، 343.

وانظر : عبد السلام هارون : تهذيب سيرة ابن هشام (مصدر سابق) ص81.

* ـ راجع الفصل الثالث من الباب الأول : غسل الدماغ . ص 44.

* ـ عمار بن ياسر : كان مولى لـ"بني مخزوم" أسلم هو وأبوه ، فكان بيتهم سباقا للإسلام بجميع أفراده ، وكانت أمه ـ سمية ـ أول شهيدة في الإسلام .

(2) ـ سورة النحل : الآية ١٠٦ .

(3) ـ انظر:

ـ ابن هشام : السيرة النبوية ج1 (مصدر سابق) ص340، 341.

ـ صفي الرحمن المباركفوري : الرحيق المختوم (مرجع سابق) ص106.

« ثمّ إنّهم عدَوا على من أسلم ، واتبع رسول اللّه ـ صلعم ـ من أصحابه فوثبت كل قبيلة على مَن فيها من المسلمين ، فجعلوا يحبسونهم ويعذبونهم بالضرب والجوع والعطش ، وبرمضاء مكّة إذا اشتدَّ الحرُّ ، من استضعفوا منهم ، يفتنونهم عن دينهم فمنهم من يفتن من شدة البلاء الذي يصيبه ، ومنهم من يَصلَب لهم ، ويعصمه اللّه منهم »[1] .

وهذه هي سُنَّة اللّه في أرضه صراع بين الحق والباطل إلى يوم أن يرث اللّه الأرض ومن عليها . ولكن الغلبة دائما للمؤمنين فما عليهم إلاَّ بالثبات والصبر.. يقول الشيخ محمد الغزالي :« حسب محمد ـ صلعم ـ أن قدَّم هذا الخير الجزيل وحسب أصحابه أن ساقته العناية لهم ، فإذا أوذوا فليحتسبوا ، وإذا حاربهم عبيد الرجس من الأوثان فليلزموا ما عرفوا ، والحرب القائمة بين الكفر والإيمان سينجلي غبارها يوما ما ، ثم تنكشف عن شهداء وعن هلكى ، وعن مؤمنين قائمين بأمر اللّه ، و مشركين مدحورين بإذن اللّه :« * وقل للذين لا يؤمنون اعملوا على مكانتكم إنا عاملون * وانتظروا إنا منتظرون * ولله غيب السموات والأرض وإليه يرجع الأمر كله فاعبده وتوكل عليه وما ربك بغافل عما تعملون » »[2] .

6 ـ أسلوب اللهو والمجون: من أساليب الحرب النفسية أسلوب اللهو والمجون الذي ما زال يُركَّز عليه في عصرنا الحاضر وخاصة فيما يسمَّى بالبلدان الإسلامية حيث أصبح هذا السلاح يحتلُّ الصدارة من حيث الأهمية لما له من تخدير للعقول وإثارة للغرائز والشهوات ، وصد الجماهير عن عقيدتها ، وعن بناء أمَّتها حيث تعمد الجهات المختصَّة الرسمية أو غير الرسمية إلى تخطيط تحطيمي باسم الفن تارة وباسم الثقافة تارة أخرى ، واغتنام المناسبات أحيانًا ... فتقام المهرجانات الماجنة وتستدعى فرق أجنبية باسم ثقافة الشعوب ، وصداقة الشعوب ، والشعوب بريئة براءة الذئب من أكل يوسف ؛ لأنّها ـ لا حول لها ولاقوة ـ .

وهذا الأسلوب ليس جديدًا ـ إنما الجديد فيه تعدد الصور والتقنيات الحديثة ـ بل قديم قِدَم البشرية ، وقد استعمل كأسلوب من أساليب الحرب النفسية في عصر النبوة من طرف المشركين لصد كل من يميل إلى دعوة محمد ـ صلعم ـ حيث روي عن ابن عباس ـ رضي اللّه عنه ـ « أن النضر كان قد اشترى "قيِّنات" فكان لا يسمع برجل مال إلى النبي ـ صلعم ـ إلاَّ سلّط عليه واحدة منها تطعمه وتسقيه ، وتغنِّي له حتَّى لا يبقى له ميل إلى الإسلام ، وفيه نزل قوله تعالى :

« * ومن الناس من يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله ... » »[3] .

7 ـ أسلوب التحكم في الأرزاق ومصادرتها: ومن صور أساليب الحرب النفسية "التحكُّم في الأرزاق ومصادرتها" بدون حق ؛ قصد ثني عزيمة الخصم وجعله يضع أنفه في الرمل كالنعامة ويستسلم للجبابرة ويتبنَّى أفكارهم وإيديولوجياتهم مُكرَهًا

---

(1) ـ **ابن هشام** : السيرة النبوية ج 1 .(مصدر سابق) ص339.

(2) ـ **محمد الغزالي** : فقه السيرة .(مرجع سابق) .ص110.[سورة هود : الآيات ١٢١إلى ١٢٣ .] .

(3) ـ **صفي الرحمن المباركفوري** : الرحيق المختوم .(مرجع سابق) ص98،99.

[سورة لقمان : الآية ٦ .] .

مقابل المحافظة على وظيفته التي تُعتبر مصدر رزقه ، والمحافظة على حرفته إن كان حرفيا حرا وإلاّ تعرّض للطرد من وظيفته ، وضُيِّق عليه في تجارته ، أو حرفته ، بل الأكثر من ذلك يتعرّض إلى مصادرة أمواله وأملاكه وحتّى بيته يصبح عرضة للاعتداء المعنوي والمادي .. والتاريخ الإنساني سِجِلٌّ شاهد لكل ما نقول وحتى في أيامنا هذه التي يدعي المستكبرون المتحكمون في رقاب جماهيرهم أنهم يحترمون الإنسان وحقوقه وأنها مقدسة في دساتيرهم كما يزعمون .

هذا الأسلوب المجحف طُبِّق في عهد الرسول ـ صلعم ـ واستعمل مع أصحابه رضوان اللّه عنهم ومن الأمثلة على ذلك ما قام به المشركون من سلب ونهب واعتداء على الأموال والديار بدون حق ، لمّا هاجر المسلمون مضطرّين من مكّة إلى المدينة تاركين وراءهم كل شيء استغلّ المشركون هذه الفرصة وأكلوا الأموال زورا وبهتانا ..

بل تفنّن هؤلاء الظلمة في طريقة مصادرة الأموال ، وهذا ما وقع لـ"صهيب الرومي" حيث اشترطوا عليه مقابل هجرته أن يأخذوا أملاكه الموجودة في مكة وقد كان لهم ذلك ، لأنّ الرجل اختار عقيدته وحريته على أمواله وأملاكه فجوزِيَ جزاء عظيما حيث نزل فيه قول اللّه تعالى :« ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله والله رؤوف بالعباد » [1] .

لذا عندما دخل صهيب المدينة لقيه أبو بكر ـ رضي اللّه عنه ـ وقال له : « ربح بيعك ، فقال صهيب : وبيعك فلا تخسر ، ما ذاك؟ فقال أنزل اللّه فيك كذا وقرأ عليه الآية » [2].

ومن الذين صودرت أملاكهم بالاعتداء والعنف "خباب بن الأرث" حيث يقول :« جئتُ العاصي بن وائل السهمي ، أتقاضاه حقا لي عنده ، فقال : لا أعطيك حتى تكفر بمحمد ، فقلت لا، حتى تموت ثم تبعث ، قال :إنّي لميت ثم مبعوث ! فقلت: نعم . فقال: إنّ لي هناك مالا وولدا فأقضيك ، فنزلت :

« أفرايت الذي كفر بآياتنا وقال لأوتين مالا وولدا » [3].

---

(1) ـ سورة البقرة : الآية ٢٠٧ .

(2) ـ د.محمد عبد القادر أبو فارس : الابتلاء والمحن في الدعوات .(مرجع سابق) ص126.
وانظر :
ـ جلال الدين السيوطي : لباب النقول في أسباب النزول ، تونس : الدار التونسية للنشر ـ ط2 ـ (1404هـ ـ1984م) ص40.
ـ ابن حجر العسقلاني : الإصابة في تمييز الصحابة ج2 ، بيروت : دار الكتاب العربي . (بدون تاريخ) ص188.
ـ المحدث القرطبي المالكي : الاستيعاب في أسماء الأصحاب ، بيروت : دار الكتاب العربي . (بدون تاريخ) ص167.

(3) ـ ابن الأثير الجزري : جامع الأصول من أحاديث الرسول ج2.بيروت : دار إحياء التراث العربي ـ ط3. (1403هـ ـ1983م) ص320، 321 . [سورة مريم : الآية ٧٧] .
وانظر: جلال الدين السيوطي : لباب النقول في أسباب النزول .(مرجع سابق) ص188.

ومن هذا الأسلوب ما قامت به قريش في التحكم في أرزاق بني هاشم وبني عبد المطّلب أثناء الحصار الذي ضربه المشركون على الرسول ـ صلعم ـ وأتباعه ومَن وقف في جبهته .

8 ـ أسلوب النفي والتشريد والطرد: ومن صور الحرب النفسية المستعملة في كل عصر وزمان ـ من طرف المستكبرين والساسة والأعداء ـ هي نفي وطرد الأشخاص الذين يعارضونهم في الرأي ؛ بعدما يعجزون عن مقارعتهم الحجة بالحجة والدليل بالدليل ، وهذا السلاح يستعمل بطريقة مباشرة وذلك بطرده أو نفيه فرديا أو أسريا وإما بطريقة غير مباشرة ، وذلك بالتضييق ، والأذى النفسي والجسدي ، والطرد من العمل ، والإقامة الجبرية في مكان معيّن ..

وهذا كله حدث مع الرسول ـ صلعم ـ وصحبه ، وما الهجرة بجميع أنواعها إلاّ دليل على هذا الأسلوب الظالم ، حيث اضطهد الرسول ـ صلعم ـ والمؤمنون في مكّة اضطهادا لا يصبر عليه إلاّ أصحاب دعوة اللّه ، مما اضطرّهم إلى الخروج من ديارهم تاركين كل ما يملكون من أجل عقيدتهم وحرية رأيهم ، حيث يبين اللّه هذا الأسلوب الظالم والاعتداء الفاحش على حرية الإنسان وكرامته فيقول عزّ من قائل :

« ... الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلاّ أن يقولوا ربّنا الله ... » [1] .

هذا الأسلوب الظالم الذي له وقع مؤثر على نفسية الإنسان ، لذلك لما خرج النبي ـ صلعم ـ مهاجرا كان ينظر إلى مكّة وعيناه تدمع ألما وهو يقول : « إنكِ لأحبُّ بلاد إلى اللّه ، ولأحبُّ البلاد إليّ ، ولو أنّ أهلك أخرجوني منك مَا خرجتُ » [2] .

وفكرة طرد النبي ـ صلعم ـ ونفيه وإخراجه من مكّة ـ أحب بلاد إليه ـ طرحها المشركون وفكروا فيها ولكن خافوا معارضته خارج مكة وما ينتج عنها . لكن اللّه فضحهم وبيّن نواياهم حيث يقول تعالى :

« ... وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ... » [3] .

والمتأمّل في هجرة المؤمنين من مكة إلى الحبشة ، ومن مكة إلى المدينة المنوّرة سببه أذى المشركين لهم ـ معنويا وحسيا ـ مما جعلهم يضطرون تحت الإرهاب الفكري والجسدي إلى ترك ديارهم وأموالهم وأعمالهم بل الأكثر من ذلك تشريد أسرهم وتشتيتها نتيجة الظلم والقهر الذي مورس على النبي وصحبه كما قال تعالى : « أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإنّ اللّه على نصرهم لقدير ، الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلاّ أن يقولوا ربّنا الله ... » [4] .

هذا الأسلوب الظالم يبين لنا نفسية الطواغيت في كل عصر لما له من ألم نفسي على المُخرَج من أرضه لتركه أهله ، وعشيرته ، وأصدقاءه ، وأحبابه

---

* ـ راجع أسلوب الحصار والمقاطعة الشاملة ص76

(1) ـ سورة الحج : الآية ٤٠ .

(2) ـ د.محمد عبد القادر أبو فارس : الابتلاء والمحن في الدعوات .(مرجع سابق) ص123 .
وانظر : أبو الحسن الندوي : السيرة النبوية .(مرجع سابق) ص١٨٩ .

(3) ـ سورة الأنفال : الآية ٣٠ .

(4) ـ سورة الحج : الآيتان ٣٩ ، ٤٠ .

زيادة عن تركه وطنه أو بلدته التي ولد وتربى في أحضانها وبين عشية وضحاها يصبح غريبا معزولا يعيش في عالم غير عالمه وفي وطن غير وطنه ..ولكنه الظلم الذي إذا حلّ بأرض حلّ معه الخراب والدمار !!

9 ـ أسلوب التصدي لمن يريد سماع النبي أو لقاءه: من صور الأسلحة التي استعملها المشركون أسلوب التصدّي بكل الأساليب لمن يريد الدخول في الإسلام من خارج مكة بل الأكثر من ذلك لمن يريد سماع محمد أو لقاءه ، حيث اتفقت قريش على استراتيجية مدروسة لتطبيق هذا الأسلوب ، وذلك بتشويه رسالة الإسلام ، وتشويه شخصية النبي ـ صلعم ـ بشتى النعوت لدى الشخصيات أو الهيئات التي تريد دخول مكة ، وهذا كله قصد محاصرة النبي ودعوته في مكة وغلق كل المنافذ التي تكون سببا في خروج دعوة محمد خارج مكة مما يكون له أثر كبير على مصالح قريش الداخلية والخارجية .

ومن أمثلة هذا الأسلوب ما يُروى أنّ الطفيل بن عمرو قدم مكة وكان رجلا شريفا شاعرا لبيبا ، فاستقبله رجال من قريش وقالوا له : يا طفيل إنّك قدمتَ بلادنا وهذا الرجل بين أظهرنا قد أعضل بنا وفرّق جماعتنا ، وشتّت أمرنا ، وإنّما قوله كالسحر يفرّق بين المرء وأبيه ، وبين الرجل وزوجته ، وإنّا نخشى عليك وعلى قومك ما دخل علينا فلا تكلّمه ولا تسمع منه .

قال واللّه ما زالوا بي حتى أجمعتُ ألاّ أسمع منه شيئاً ولاأكلّمه ، وحتى حشوت في أذني حين غدوت إلى المسجد كرسفاً* من أن يبلغنيَ شيء من قوله ، وأنا لا أريد أن أسمعه .

إلى أن يقول : فغدوت إلى المسجد : فإذا برسول اللّه ـ صلعم ـ قائم يصلّي عند الكعبة . فقمت قريبا منه ، فأبى اللّه إلاّ أن يُسمعني بعض قوله ، فسمعتُ كلاما حسنا فقلت في نفسي إنّي لرجل لبيب شاعر ما يخفى عليّ الحسن من القبيح ؛ فما يمنعني من أن أسمع من هذا الرجل ما يقول ، فإن كان الذي يأتي به حسنا قبلت وإن كان قبيحا تركت .. إلى آخر القصة [1] .

ومن الأساليب المستعملة في هذا المجال ما يروى : « أن وفدا من نصارى الحبشة أو من نجران في حدود عشرين نفرا قدم مكّة ليعلم خبر ما وصلهم بشأن محمّد ، فلمّا سمعوا القرآن فاضت أعينهم من الدمع وآمنوا . فلمّا فرغوا اعترضهم أبو جهل في نفر من قريش فقالوا لهم خيّبكم اللّه من ركب أبعَثَكم من وراءكم من أهل دينكم ترتادون لهم لتأتوهم بخبر الرجل ، فلم تطمئن مجالسكم عنده ، حتى فارقتم دينكم وصدّقتموه بما قال : ما نعلم ركبا أحمق منكم . فردُّوا عليهم : سلام عليكم ، لنا ما نحن عليه ولكم ما أنتم عليه . »[2] .

---

* ـ **الكرسف** : القطن .

(1) ـ انظر :

ـ **ابن هشام** : السيرة النبوية ج2.(مصدر سابق) ص22.

ـ **ابن كثير** : السيرة النبوية ج 2 .(مصدر سابق) ص72.

(2) ـ د.محمد سيد محمد : المسؤولية الإعلامية في الإسلام .(مرجع سابق) ص175.

وهكذا تظهر الحملة الدعائية التضليلية التي كانت تقوم بها قريش تجاه محمد ـ صلعم ـ ودعوته ، فهي لم تقتصر على الداخل فقط ، بل أرادت تشويه النبي ودعوته في الخارج وما المثالان اللذان ذكرناهما إلاّ أكبر دليل على حملة المشركين الدعائية ، والتي استعملوا فيها كل أساليب التشويه للوصول إلى أهدافهم ، وهي ضرب محمد ودعوته ـ داخليا وخارجيا ـ .

وخلاصة القول إنّه : ما من دعوة جديدة تظهر في مجتمع ما إلاّ وتجد في طريقها مصاعب وعراقيل وبوسائل شتى للقضاء عليها في المهد ؛ قبل أن تتمكّن وتقف في أرض الواقع ، فتصبح تهدد أصحاب النفوذ والمصالح ، وأصحاب القرار في ذلك الواقع سواء كانوا ساسة ، أو جماعات ضاغطة .. والدارس المتفحّص لرسالة الإسلام يقف على حقيقة الحرب النفسية ـ مدنيا وعسكريا ـ منذ الوهلة الأولى ، فما أن انتقلت الدعوة إلى مرحلة العلنية وأصبح الإسلام يسري ساطعا في واقع مكة ، وبدأ نوره يبدد ظلام الجهل والاستعباد والتمايز ، ويخرج الناس من عبادة الأوثان ـ الحجرية والخشبية والبشرية ـ إلى عبادة خالق الخَلق حتى يسيروا في طريق الهدى والرشاد الذي يحقق لهم المساواة الفعلية ، ويرفع عنهم الظلم الجائر ، ويقيم لهم العدل المطلق ... هذه التعاليم الربانية الجديدة نزلت على الملإ من قريش كالقنبلة الذرية التي لاتبقي ولا تذر .. لأنهم رأوا فيها تهديدا لمصالحهم وتسفيها لأحلامهم ، وتبديلا وتغييرا لسلوكاتهم ، وموتا حقيقيا لعقائدهم . مما جعل نفوسهم المريضة بسرطان الزعامة ، والأنانية ، والإستكبار تتحرك وتعلن الحرب على جميع الجبهات ابتداءً من شخصية النبي ـ صلعم ـ بصفته المحور الأساسي لهذه الدعوة الجديدة ـ في زعمهم ـ فإذاقضوا عليه انتهت هذه الدعوة إلى الأبد . لذلك استعملوا أساليب الحرب النفسية على مستوى الصعيد الإجتماعي بإيذائه ـ نفسيا وجسديا ـ ولكنهم خابوا وخسروا وهذه نتيجة طبيعية لكل طلاب الباطل.ونفس السيناريو استعمل مع أتباع الرسالة المحمدية ، حيث اضطهدوا وعذّبوا وشُنّت عليهم حرب نفسية استعملت كل الوسائل بما فيها "أسلوب غسيل المخ" ولكنهم ثبتوا وصبروا « ...فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا * »[1] . زيادة عن هاتين الجبهتين التين شنّ المشركون عليهما حربا بدون هوادة فقد كانت الجبهة الثالثة وهي قاعدة وأرضية الجبهتين السابقتين ؛ هذه الجبهة المتمثّلة في "العقيدة الإسلامية" محور الصراع بين محمد ـ صلعم ـ وأتباعه (المؤمنين) وبين مشركي قريش ، حيث شنّ هؤلاء حملة دعائية تضليلية للتشكيك في صلب العقيدة ، وتشويهها وجعلها بتراء ـ في زعمهم ـ ظانين بكل هذا عزل الجماهير ـ من داخل مكة وخارجها ـ عن محمد ـ صلعم ـ وعقيدته وبالتالي يحافظون على مكانتهم وعقيدتهم الوثنية مصدر عزهم بين قبائل العرب . ولكن نور الإسلام كان أقوى لأنه الحق ، والحق إذا حضر في أرض الواقع فلا وجود للباطل فيها .. !!

« * وقل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا * »[2].

« * هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيدا * »[3].

---

(1) ـ سورة الأحزاب: الآية ٢٣ .

(2) ـ سورة الإسراء : الآية ٨١ .

(3) ـ سورة الفتح : الآية ٢٨ .

الفصل الثاني

أساليب اليهود

تمهيد

أولا : الجدل والمغالطة والتضخيم

ثانيا : المساءلة التعجيزية

ثالثا : التثبيط وقلب الحقائق

رابعا : إثارة البلبلة والشكوك

خامسا : إحياء الفتن والأحقاد

سادسا : الحصار الاقتصادي

سابعا : الطعن في العقيدة

ثامنا : محاولة تفجير الإسلام من الداخل

تاسعا : الرفض الجماعي للإسلام

عاشرا : الخيانة والغدر ونقض المواثيق

أحدعشر : محاولة صرف الناس عن الإسلام

اثنتا عشرة : الاعتداء على أعراض النسوة

ثلاثة عشرة : تكوين جبهة متحالفة من أعداء الإسلام

خاتمة

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

« لتجدنّ أشد الناس عداوة للذين ءامنوا اليهود ... »

المائدة : ٨٢

« ولتجدنهم أحرص الناس على حيَوة ... »

البقرة : ٩٦

« ألم ترَ إلى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يومنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا اهدى من الذين ءامنوا سبيلا »

النساء : ٥١

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

تمهيد

لقد عرفنا في الفصل الأول أن الرسول ـ صلعم ـ و أصحابَه تعرضوا لأبشع حرب نفسية ، و على جميع جبهات الصعيد الاجتماعي ، حيث أوذوا إيذاء جسيمًا ،مما جعل الرسول ـ صلعم ـ يبحث لدعوته و أتباعه عن أرضية خارج مكّة ليؤسس نواة الدولة الإسلامية المبنية على قاعدة شعبية عريضة .

و قد كانت هذه الأرضية التي أرادها اللّه هي " يثرب " التي أصبحت تحمل اسم "المدينة المنورة" و قد تم هذا بعد عدة اتصلات إعلامية و رسمية مع عدة وفُود من "يثرب" ، و بعد تهيئة الأرضية التي أصبحت ذات قَابلية للإسلام ، جاء أمر اللّه بالهجرة ، فأمر الرسول ـ صلعم ـ أصحابهُ بالتوجه إلى المدينة المنورة لبناء المجتمع الإسلامي و ليس هروبا من مكّة كما يدعى مستشرقو الغرب و العرب ، ثم جاء دور الرسول ـ صلعم ـ فهاجر تاركًا "مكّة" مصدر الوحي !!..

قدم الرسول ـ صلعم ـ المدينة في جو جماهيري لم تعرف المدينة مثله في تاريخ العرب ، و استُقبلَ من قبل هذه الجماهير التي كانت مهيأة و مشتاقة لرؤية النبي ـ صلعم ـ ممّا جعلها ترحب به ترحابًا منقطع النظير منشدة ، فرِحة بقدوم الرسول ـ صلعم ـ مدينتهم .

لكن الرسول ـ صلعم ـ وجد في المدينة وضعًا اجتماعيًا و سياسيًا يختلف في شكله و مضمونه عن وضع مكّة ، فمن جهة وجد طائفة يدعون أنهم أهل كتاب وعلم وحضارة ، و أنهم شعب اللّه المختار مما جعلهم يتطاولون على غيرهم من سكان "يثرب" مستعملين دهاءهم و مكرهم و خبرتهم في التخطيط السياسي و الاقتصادي و الزراعي.. و حتّى في الميدان العسكري ..

و في مقابل هذا وجد جماعة تنتمي إلى أصل واحد ، و هم أبناء عمومة ولكنهم مشتتون متناحرون متقاتلون أنهكتهم الحروب الأهلية ، و فرّقتهم دسائس ومكر من سموا أنفسهم بأبناء اللّه و أحبائه !!

حل الرسول ـ صلعم ـ في هذا الواقع الذى كان يسود المجتمع اليثربي فأحدث فيه تغييرًا جذريًا و على جميع المستويات ، حيث بدأ بوضع أول حجر أساسي لبناء المسجد النبوي الشريف رمز المجتمع الإسلامي الجديد ، إلى مؤاخاته بين الأوس و الخزرج و قضائه على العداوة التقليدية بينهما و إلى الأبد ، ثم مؤاخاته بين المهاجرين و الأنصار تلك المؤاخاة النموذجية و المثالية في عالم البشر ، إلى وضع وثيقة[1] دستورية للمجتمع الجديد متماشية مع الواقع المعيش ، لأنها كانت تشمل علاقة المؤمنين مع بعضهم البعض ، و علاقة أهل الكتاب على اختلاف طوائفهم. « على أساس اعتبار المصير الأمني والحياتي مشتركًا بينهما ، من دون تعقيدات من جانب الدين الجديد .. بحيث نستطيع تقرير الفكرة التالية ، وهي : إنّ الإسلام لم يكن ليخطط لأيّة مشاريع حربية أو عدائية ضد أهل الكتاب من اليهود بل كانت القضية ـ على العكس من ذلك ـ توحي بمشاريع سلمية طويلة الأمد في

(1) ـ لمعرفة محتوى وبنود الوثيقة انظر : محمد سعيد رمضان البوطي : فقه السيرة . دار الفكر ـ ط 8 .(1400هـ ـ 1980م) ص 204.

إطار التعايش السلمي بين الأديان الذى يبدو أن الإسلام كان يعمل له »[1].

و يعلق " موير " على هذه الوثيقة .. قائلاً : « لقد أظهر محمّد عظمته الحقيقية - لم يكن رجل عصر بعينه بل رجل كلّ العصور - و لم يكن حالما بل انكبّ على ترسيخ أسس المجتمع الذى رسمه لنفسه . كان رجل دولة لا مثيل له ، فقد استطاع في عصر عمّه التفسخ الذي لا أمل في الشفاء منه ، وبالخامات التى وجدها بين يديه أن يبني دولة و مجتمعًا على أسس عالمية رائعة »[2].

و ظهر التغيير جليًا - و في وقت قياسي - حيث أصبح الإخوة الأعداء بالأمس إخوة متحابين يؤثرون بعضهم على بعض و كأنهم جسد واحد . هذا الوضع الجديد لم يعجب مَن كانوا يعتقدون أنهم أفضل البشر و أنهم شعب اللّه المختار ،لأنهم شعروا بخطورة الإسلام لتهديد مكانتهم الزائفة رغم أنهم يعرفون بأنه الحقّ المنزل من عند اللّه ، لكن الحسد والحقد أعمى بصيرتهم وبصائرهم ،وأصبحوا لا يفكرون إلا من خلال أهوائهم و غرائزهم ، و بدأوا في رسم الخطط الاستراتجية الشاملة لضرب الإسلام على جميع الجبهات و الأصعدة وهذا ما نريد أن نوضحه - إن شاء اللّه - في هذا الفصل الخاص بأساليبهم العدوانية التي تظهر جلية واضحة بالدليل النقلي و العقلي .

أولا : الجدل والمغالطة و التضخيم

من أساليب الحرب النفسية تجاه الخصم سلاح المغالطة ، و تضخيم الأمور العادية و التافهة قصد تشويش ذهنية الرأى العام ، و بلبلة أفكاره حتى تختلط عليه الأمور و يصبح عاجزًا عن التمييز بين الحق و الباطل .

و إذا كان معلوم تاريخيا أن اليهود يمتازون بمثل هذا الأسلوب المغالطاتي التضخيمي لأنهم أهل جدل و مراء بالباطل و قد أتعبوا الأنبياء و الرسل الذين جاءوا إليهم خاصة مما يدل على نفسياتاهم العدوانية الحاقدة على كل ما من شأنه إصلاح البلاد والعباد ، و خير شاهد على هذا القرآن الكريم الذي بيّن لنا في العديد من آياته نفسية هؤلاء القوم .

لذلك فما أن رأوا رسول اللّه - صلعم - يدخل المدينة وسط الجماهير المرحبة المنادية بالشعارات الإسلامية حتى تحركت هذه النفوس المريضة وبدأ التخطيط من طرف بعض أحبار اليهود الذين كانوا يعرفون أن محمّدًا نبي من عند اللّه ، و لكن الحسد والحقد جعلهم ينكرون هذا ويغالطون الرأي العام الذي كان يسمع منهم من قبل بأن نبيا قد حان زمانه ، وما قصة إسلام "عبد اللّه بن سلام" إلا دليل على هذه النفسيات الدنيئة التي تتحول عن أفكارها في رمشة عين ضاربة الجوانب العقلية والواقعية عرض الحائط لأن مصلحتها الأنانية تقتضي ذلك .

---

(1) - **محمد حسين فضل اللّه** : الحوار في القرآن ، دار الفكر - ط 8.(1400هـ-1980م) ص119.

(2) - **سيد أمير علي** : روح الإسلام ، تعريب **عمر الديراوي** ، بيروت : دار العلم للملايين - ط 3 . (1975م) ص73.

* - لمعرفة إسلام **عبد اللّه بن سلام** راجع **ابن هشام** : السيرة النبوية ج2.(مصدر سابق) ص163.

ومن هذه الصور هذه الحادثة العادية التي استغلها اليهود وضخموها وجعلوا منها أمرا عقائديا لضرب رسالة الإسلام ببث الشكوك لمغالطة الرأي العام ... هذه الحادثة تتمثل في أن ناقة الرسول ـ صلعم ـ قد ضلت فعمد أحد يهود "بني قينقاع" إلى تضخيم الحادثة وجعلها أمرا عظيما وذلك بقوله :« يزعم محمد أنه يأتيه خبر السماء وهو لا يدري أين ناقته؟ » . لكن الرد كان مفحما من رسول اللّه ـ صلعم ـ على هذا اليهودي من جهة ، ومن جهة ثانية بيِّن للرأي العام أنه بشر لا يعلم الغيب فالغيب يعلمه اللّه وحده ، وحتى يقيم الحجة على مثل هؤلاء وأنه نبي يخبره اللّه سبحانه وتعالى قال : « إني واللّه ما أعلم إلا ما علمني اللّه ، وقد دلني اللّه عليها فهي في هذا الشعب قد حبستها شجرة بزمامها فذهب رجال من المسلمين فوجدوها حيث قال »[1] .

ومن الصور المغالطة للرأي العام تعقيبهم على أقوال الرسول ـ صلعم ـ قصد تبيان الحقيقة ـ في زعمهم ـ وتصحيح الأخطاء التاريخية التي يقع فيها محمد ـ كبرت كلمة تخرج من أفواههم ـ من ذلك أنه عندما ذكر الرسول ـ صلعم ـ سليمان بن داوود في المرسلين قال بعض أحبار اليهود :« ألا تعجبون من محمد يزعم أن سليمان بن داوود كان نبيا ، واللّه ما كان إلا ساحرا ، فأنزل اللّه تعالى :

« ... وما كفر سليمانُ ولكن الشياطين كفروا يعلمونَ الناسَ السحر ... »[2] .

ومن هذا الأسلوب مجادلتهم بالباطل مع النصارى عند رسول اللّه ـ صلعم ـ ليثبتوا أمامه وأمام الحاضرين بأنهم على الحق ، وأن غيرهم على الباطل بما في ذلك دين محمد ، من ذلك أنه عند مجيء نصارى نجران إلى رسول اللّه ـ صلعم ـ أتتهم أحبار اليهود وبدأوا في جدلهم بالمغالطة قصد الظهور وإفساد الجلسة والخروج عن الموضوع الذي جاؤوا من أجله ؛ فقال "رافع بن حريملة" :« ما أنتم على شيء ، وكفر بعيسى وبالإنجيل . وقال رجل من أهل نجران من النصارى لليهود :ما أنتم على شيء وجحد نبوة موسى ، وكفر بالتوراة ، فأنزل اللّه تعالى :« ** وقالت اليهودُ ليست النصارى على شيء وقالت النصارى ليست اليهودُ على شيء وهم يتلونَ الكتاب كذلك قال الذين لا يعلمونَ مثل قولهم فاللّه يحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفونَ ** »[3] .

ومن صور هذا الأسلوب أن رسول اللّه ـ صلعم ـ دخل على جماعة من اليهود في "بيت المدارس"* « فدعاهم إلى اللّه ، فقال له النعمان بن عمرو ، والحارث بن زيد : على أي دين أنت يا محمد ؟ قال : على ملة إبراهيم ودينه ؛ قالا : فإن إبراهيم كان يهوديا ؛ فقال لهما رسول اللّه ـ صلعم ـ : فهلم إلى التوراة فهي بيننا وبينكم فأبيا عليه . فأنزل اللّه تعالى فيهما :

---

(1) ـ د.أحمد نوفل : الحرب النفسية ج2.(مرجع سابق) ص56.

وانظر د.عبد الحليم حنفي : أسلوب السخرية في القرآن .(مرجع سابق) ص241.

(2) ـ ابن هشام : السيرة النبوية ج2.(مصدر سابق) ص192.[سورة البقرة : الآية ١٠٢] .

(3) ـ عبد العزيز شرف ... السيرة النبوية والإعلام الإسلامي .(مرجع سابق) ص252.

[سورة البقرة : الآية ١١٣] .

* ـ بيت المدارس: مكان عبادة لليهود يتدارسون فيه كتابهم (التوراة) .

« * ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يدعون إلى كتاب الله ليحكم بينهم ثم يتولى فريق منهم وهم معرضون * ذلك بأنهم قالوا لن تمسنا النار إلا أياما معدودات وغرهم في دينهم ما كانوا يفترون * »[1].

وبهذه الصورة النموذجية تظهر لنا جليا طبيعة اليهود التي تغالط بالمكر والخداع ، وتركب كل باطل لتحاجّ به معتقدة أنها على الحق ، وأنها على يقين بصفتها طبيعة تختلف تماما عن طبيعة البشر ؛ لذا نجد القرآن لهم بالمرصاد يفحمهم ويرد على نفسيتهم المريضة بفكرة التمييز العنصري (شعب الله المختار) . حيث يقول تعالى :

« * وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه قل فلم يعذبكم بذنوبكم بل أنتم بشر ممن خلق يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء .. »[2].

ويظهر لنا كذلك أن اليهود : « يتحايلون أولا على أمر الله ، فإن عجزوا عن التحايل ، وألزموا بالالتزام والتنفيذ وأحرجوا على الانصياع والأداء ، فإنهم يستخدمون مع هذه الأوامر أسلوبا آخر ، ويتعاملون معها بخُلُق آخر ليس أقل سوء من التحايل ... »[3].

ثانيا : المساءلة التعجيزية *

من صور أساليب الحرب النفسية المستعملة ضد النبي ورسالته من قبل اليهود أسلوب المساءلة التعجيزية ، وذلك قصد إيهام وتضليل الجماهير و خاصة البسطاء سواء من أتباع محمد - صلعم - أو من المحايدين أو المتعاطفين أو الأعداء بحجة أن هذا النبي لا يملك العلم الإلهي لأنه لا يستطيع أن يجيب عن الأسئلة التي توجّه إليه ومن هذه الصور « أن نفرا من أحبار يهود جاءوا رسول الله - صلعم - فقالوا : يا محمد أخبرنا عن أربع نسألك عنهن ، فإن فعلت ذلك اتبعناك وصدّقناك وآمنا بك . قال لهم رسول الله - صلعم - عليكم بذلك عهد الله وميثاقه لئن أنا أخبرتكم بذلك لتُصَدِّقُنَّني ؛ قالوا نعم ؛ قال : فاسألوا عما بدا لكم ؛ قالوا: فأخبرنا كيف يشبه الولد أمّه ، وإنما النطفة من الرجل ؟ قال : فقال لهم رسول الله - صلعم - أنشدكم بالله وبأيامه عند بني إسرائيل ، هل تعلمون أن نطفة الرجل بيضاء غليظة ونطفة المرأة صفراء رقيقة ، فأيتهما علت صاحبتها كان له الشبه ؟ قالوا : اللّهم نعم؛ .. »[4]. وتوالت الأسئلة والنبي - صلعم - يجيب إلى أن قال :« أنشدكم بالله وبأيامه عند بني إسرائيل هل تعلمونه جبريل ، وهو الذي يأتيني ؟ قالوا اللّهم نعم

---

(1) - ابن هشام : السيرة النبوية ج 2 .(مصدر سابق) ص201.[سورة آل عمران : الآيتان ٢٣ ، ٢٤] .

(2) - سورة المائدة : الآية ١٨ .

(3) - د.عبد الفتاح الخالدي: الشخصية اليهودية من خلال القرآن ، الجزائر : شركة الشهاب للنشر والتوزيع - ط 1.(1407هـ-1987م) ص208.

* - الذين قادوا الحملة التعجيزية الشرسة هم : حي بن أخطب ، وسلام بن مشكم ، وكنانة بن الربيع بن أبي الحقيق ، وسلام بن أبي الحقيق ، وسلام بن الربيع ، والربيع بن الربيع بن أبي الحقيق ، وكعب بن الأشرف ، وعبد الله بن صوري الأعور الذيلم يكن بالحجاز أحد أعلم منه بالتوراة ...

(4) - ابن هشام : السيرة النبوية ج2.(مصدر سابق) ص191.

وانظر : جلال الدين السيوطي : لباب النقول في أسباب النزول .(مرجع سابق) ص17.

ولكنه يا محمد لنا عدوٌ ، وهو ملك إنّما يأتي بالشدة وبسفك الدماء ، ولولا ذلك لاتبعناك ؛ قال: فأنزل الله عز وجل فيهم :« * قل من كان عدوا لجبريل فإنه نزله على قلبك بإذن الله مصدقا لما بين يديه وهدى وبشرى للمومنين * » [1] .وهكذا تظهر نية اليهود وهدفهم فهم لا يسألون قصد الوصول إلى معرفة الحقيقة والإيمان بالنبي ، وإنما يقصدون التضليل والإيهام ولذا فعهودهم يجدون لها التبريرات الكاذبة ليتملّصوا منها ، مثلما وجدوا في هذه الحادثة ، وقد بين الله هذه الحقيقة فقال :« * أوكلما عاهدوا عهدا نبذه فريق منهم بل اكثرهم لا يومنون * » [2] . وفي هذا يقول سيد قطب :« لقد سمعوا أن جبريل ينزل بالوحي من عند الله على محمد - صلعم - ولما كان عداؤهم لمحمد قد بلغ مرتبة الحقد والخنق فقد لجّ بهم الضغن أن يخترعوا قصة واهية وحجة فارغة فيزعموا أن جبريل عدوُّهم ،لأنه ينزل بالهلاك والدمار والعذاب ، وأن هذا هو الذي يمنعهم من الإيمان بمحمد من جراء صاحبه جبريل !..إنها الحماقة المضحكة ، ولكن الغيظ والحقد يسوقان إلى كل حماقة ، وإلا فما بالهم يعادون جبريل ؟ وجبريل لم يكن بشرا يعمل معهم أو ضدهم ولم يكن يعمل بتصميم من عنده وتدبيره ؟ إنما هو عبد الله يفعل ما يأمره ولا يعصي الله ما أمره !» [3] .

ومن صور أسلوب التعجيز مساءلتهم النبي - صلعم - بأن يُنزل عليهم كتابا من السماء ليقرأوه ، ويفجر لهم الينابيع والأنهار مقابل التصديق به ، وهي نفس المطالب التي طلبتها قريش .. إنه منطق أهل الباطل في كل عصر ومصر !!

قال ابن إسحاق:«وقال رافع بن حريملة،ووهب بن زيدلرسول الله - صلعم - يا محمد ،إئتنا بكتاب تنزله علينا من السماء نقرؤه ، وفجّر لنا أنهارا نتبعك ونصدقك . فأنزل الله تعالى في ذلك من قولهما:« * أم تريدون أن تسالوا رسولكم كما سئل موسى من قبل ومن يتبدل الكفر بالإيمان فقد ضل سواء السبيل * » [4] .

ومن صور أسلوب التعجيز مطالبتهم الرسول - صلعم - بأن يطلب من ربه أن يكلمهم حتى يسمعوا بأنفسهم كلام الله يا لها من عجرفة ! أوصلتهم إلى درجة أصبحوايشعرون وكأن مكانتهم تجعلهم يتطاولون حتى على الله سبحانه وتعالى - تعالى الله عن ذلك - .يقول ابن إسحاق :«وقال رافع بن حريملةلرسول الله - صلعم - يا محمد ؛ إن كنت رسولا من الله كما تقول ، فقل لله فليكلمنا حتى نسمع كلامه فأنزل الله تعالى في ذلك من قوله :

« * وقال الذين لا يعلمون لولا يكلمنا الله أو تاتينا اية كذلك قال الذين من قبلهم مثل قولهم تشابهت

---

(1) - **ابن هشام** : (المصدر السابق) ص192.[سورة **البقرة** : الآية ٩٧.] .

(2) - سورة **البقرة** : الآية ١٠٠ .

(3) - **سيد قطب** : في ظلال القرآن ج 1(مصدر سابق) ص93 .

(4) - **ابن هشام** : السيرة النبوية ج2.(مصدر سابق) ص197.[سورة **البقرة** : الآية ١٠٨] .

وانظر :

- **السيوطي** : لباب النقول في أسباب النزول .(مرجع سابق) ص20، 21.

- د. **عبد الصبور مرزوق** : السيرة النبوية في القرآن الكريم .(مرجع سابق) ص142.

قلوبهم قد بينا الآيات لقوم يوقنون * ».»[1].

وليس هذا فقط بل ذهبوا أبعد من هذا بكثير حيث طلبوا من رسول الله - صلعم - أن يصف لهم الله وإذا كان هو الذي خَلَق الخَلق فمن خلقه هو - تعالى الله عما يصفون - فلقد أتى نفر من اليهود المعاندين المتعجرفين مجادلين بالباطل فقالوا :« هذا الله خلق الخلق ، فمن خلق الله ؟ فغضب رسول الله - صلعم - حتى انتقع لونه ، ثم ساورهم غضبا لربه ، فنزل عليه جبريل فسكنه ، وقال خفف عليك يا محمد ، وأتاه من الله بجواب ما سألوا عنه :

« قل هو الله أحد * الله الصمد * لم يلد ولم يولد * ولم يكن له كفؤا احد * »[2].

ومن صور المساءلة التعجيزية أنهم ذهبوا إلى الرسول - صلعم - وقالوا :

« يا محمد أخبرنا ، متى تقوم الساعة إن كنت نبيا كما تقول ؟ فأنزل الله تعالى فيهما :« * يسألونك عن الساعة أيان مرسيها قل انما علمها عند ربي لا يجليها لوقتها إلا هو ثقلت في السموات والارض لا تاتيكم إلا بغتة يسالونك كانك حفي عنها قل انما علمها عند الله ولكن أكثر الناس لا يعلمون * »[3].

وهكذا يتبين لنا من خلال هذه الصور أن اليهود « وقفوا يلاحقون النبي - صلعم - بالطلبات التعجيزية - غير المعقولة - ليثيروا النبي من جهة ، وليظهروا عجزه أمام البسطاء من الناس ، من جهة أخرى ، ولكن النبي - صلعم - كان هادئا هدوء الحق ، ثابتا ثبات الجبل ، فلم يرد أن يجعل من هذه الإثارة منطلقا لبداية معركة حارة معهم ، بل حاول أن ينطلق معهم من الخط العام للأسلوب الإسلامي ، فكان يجيب عن كل سؤال بما يناسبه للتدليل على أن النبوة أرحب صدرا وأوسع أفقا ، من أن تُجَر إلى معركة لا تريدها ، أو إلى جدال لا ينتهي إلى نتيجة .. ولذا كانت الأجوبة للأسئلة المطروحة حاسمة من حيث الفكرة ، وهادفة من حيث إثارتها لتاريخ النبوات القديم التي ينتمي إليها هؤلاء ليجعل من هذه التساؤلات ، شاهدا حيا على أن قضية هؤلاء في الحاضر تمثل امتدادا لمواقفهم المتعنتة المتحدية للنبوات في الماضي ... ليكشف - من خلال ذلك كله - أسلوبهم العملي في مواجهة رسالات السماء بالحقد والعداوة والبغضاء »[4].

---

(1) - **ابن هشام** : (المصدر السابق) ص182. [سورة **البقرة** : الآية ١١٨]

وانظر - **ابن كثير**: مختصر ابن كثير ، اختصار وتحقيق : **محمد علي الصابوني** بيروت : دار القلم - ط 7 . (1402هـ - 1981م) ص12.

(2) - **ابو بكر جابر الجزائري** : هذا الحبيب محمد - صلعم - (مرجع سابق) ص198. [سورة **الإخلاص**].

(3) - **ابن هشام** : السيرة النبوية ج2 (مصدر سابق) ص218. [سورة **الأعراف**: الآية ١٨٧.] .

(4) - **محمد حسين فضل الله** : الحوار في القرآن .(مرجع سابق) ص137.

ثالثا: التثبيط وقلب الحقائق

من أساليب الحرب النفسية التي استعملت مع النبي ـ صلعم ـ من قِبل اليهود أسلوب التثبيط وقلب الحقائق ، وهم يمتازون بهذا بدون منازع لنفسياتهم وأغراضهم الخسيسة ، حيث يبحثون عن الأخبار المفرضة لقلب الحقائق ، وتفسيرها حسب أهوائهم وتصوُّراتهم ، ثم يُشيعونها في الجماهير قصد التثبيط وخلط الأوراق وإفشال كل محاولة للإصلاح أو الوحدة أو الأُخُوَّة ...

ومن صور هذاالأسلوب ما يرويه ابن إسحاق عن ابن عباس :« أن اليهود كانوا يستفتحون على الأوس والخزرج برسول الله ـ صلعم ـ قبل مبعثه ، فلمّا بعثه الله من العرب كفروا به ، وجحدوا ما كانوا يقولون فيه . فقال لهم معاذ بن جبل وبشر بن البراء بن معزور أخو بني سلمة : يا معشر يهود ، اتّقوا الله وأسلموا ، فقد كنتم تستفتحون علينا بمحمّد ونحن أهل شرك ، وتخبروننا أنّه مبعوث ، وتصفونه لنا بصفته ؛ فقال سلام بن مشكم ، أحد بني النظير : ما جاءنا بشيء نعرفه ، وما هو بالذي كنّا نذكره لكم . فأنزل الله في ذلك من قولهم :« * ولمّا جاءهم كتاب من عند الله مُصَدِّقٌ لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلمّا جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين * ». »[1].

ومن صور التثبيط وقلب الحقائق ما يُروى أنه :« لما أسلم عبد الله بن سلام ، وثعلبة بن سعية ، وأسَيد بن سعية ، وأسد بن عبيد ، ومَن أسلم من يهود معهم فآمنوا وصدقوا ورغبوا في الإسلام ، ورسخوا فيه ، قالت أحبار يهود ، أهل الكفر منهم : ما آمن بمحمد ولا اتبعه إلا شرارنا ، ولو كانوا من أخيارنا ما تركوا دين آبائهم وذهبوا إلى غيره ، فأنزل الله تعالى في ذلك من قولهم :

« * ليسوا سواء من اهل الكتاب أمة قائمة يتلوا ءايات الله ءاناء الليل وهم يسجدون * »[2] .

هذه الدعايات المضللة القصد منها التثبيط والتشويه للحقائق حتى يعتقد الناس أنّ مَن اتبع محمدا هم أراذل القوم لم يجدوا مكانتهم داخل المجتمع الذي يعيشون فيه ، فهربوا من هذا الواقع ليدخلوا في واقع يناسبهم من جميع النواحي .. ولذا يريدون القول للرأي العام أن احذروا أن تقعوا مثل ما وقع هؤلاء الأشرار ـ في زعمهم ـ ونسي هؤلاء أن الذين دخلوا في دين الإسلام سواء من اليهود أو من غيرهم ، هم من أفضل الناس طهارة وعلما ونسبا .. لكن المنطق الجاهلي هو،هو في كل عصر لا يعرف إلا قلب الحقائق !!

وهكذا يتضح لنا أن اليهود يبحثون عن أي شائعة أو دعاية تفي أغراضهم لقلب الحقائق وتثبيط العزائم والمعنويات ، من ذلك استغلالهم لحادثة زواج النبي ـ صلعم ـ من زينب ، وكذلك حادثة الإفك ـ سيأتي التحدُّث عنهما ـ حيث اشتركوا مع المنافقين في بث الشائعات وترويجها وقلب الحقائق ، قصد التثبيط ، والتشويه والفتنة داخل الصف المسلم ، وداخل بيت الرسول ـ صلعم ـ نفسه . ولا ننسى تثبيطهم وقلبهم للحقائق في غزوة بدر ، حيث كانوا يشيعون داخل الأهالي في

(1) ـ **ابن هشام** : السيرة النبوية ج2.(مصدر سابق) ص196.[سورة **البقرة** : الآية ٨٨] .

(2) ـ المصدر **السابق** : ص206.[سورة **آل عمران** : الآية ١١٣] .

المدينة أخبارا مفادها أن المسلمين انهزموا وأن محمداً قُتِل ، مما جعل الأهالي يعيشون أوقاتا عصيبة ، وحتى عندما أقبل البشير راكبا ناقة رسول الله - صلعم - أشاعوا في الحين أن رسول الله - صلعم - قد قتل وهذه ناقته وأن زيدا يُخفي الحقيقة.. وعندما ظهرت حقيقة النصر اتجهوا كعادتهم للتثبيط وقلب الحقائق ،وذلك بقولهم أن محمدا وجد أناسا لا علم لهم بالحرب ولهذا انتصر،وتوجّهوا للنبي - صلعم - بقولهم :« لا يغُرّنّك ما لقيت من نصر فلئن حاربتنا لتعلمنّ أنّا نحن الناس »!!*

رابعا: إثارة البلبلة والشكوك

البلبلة والشكوك هدف مقصود ومدروس من طرف مُختصّي الحروب النفسية ، وذلك بواسطة الدعايات ، والشائعات ، والتضليلات الإعلامية ، بقصد التأثير على الرأي العام وتسميم أفكاره وتعطيل قدراته العقلية لكثرة التناقضات في الآراء والأخبار والمعلومات ..

واليهود لهم باع كبير في هذا الأسلوب قديما وحديثا فهم أساتذة في هذا الفن لضربهم الأخلاق الإنسانية بكل قِيَمها إلا قيمهم ...

ولذلك كان اليهود سباقين لاستعمال هذه الوسيلة مع المسلمين الأوائل حيث استعملوا عدة صور لبلبلة أفكار الجماهير المسلمة وتشكيكها في عقيدتها ومن هذه الصور:

«قال عبد الله بن صيف ،وعدي بن زيد ،والحارث بن عوف ،بعضهم لبعض: تعالوا نؤمن بما أنزل على محمد و أصحابه غدوة و نكفر به عشية ،حتى نلبس عليهم دينهم لعلهم يصنعون كما نصنع ، ويرجعون عن دينه ، فأنزل الله تعالى فيهم: « * يا أهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل و تكتمون الحق وأنتم تعلمون * وقالت طائفة من اهل الكتاب ءامنوا بالذي أنزل على الذين ءامنوا وجه النهار واكفروا ءاخره لعلهم يرجعون * » .»[1] .

جاء في تفسير هذه الآيات أن هذا الفعل هو مكيدة أرادها اليهود ليلبسوا على الضعفاء أمر دينهم ، وذلك بإظهار الإيمان أوّل النهار بصلاتهم مع المسلمين "صلاة الصبح" فإذا جاء آخر النهار ، ارتدوا عن دينهم ، مما يجعل الجهلة من الناس وأصحاب الإيمان الضعيف ، إنما تركوا هذا الدين لاطّلاعهم ومعرفتهم - وهم أعلمنا بالنقص والعيب في هذا الدين - ولهذا قالوا :« ... لعلهم يرجعون * » . قال مجاهد : « يعني يهودا صلّت مع النبي - صلعم - صلاة الصبح ، وكفروا آخر النهار مكرا منهم ليروا الناس أن قد بدت لهم الضلالة منه بعد أن كانوا اتبعوه ، وقال ابن عباس : قالت طائفة من أهل الكتاب إذا لقيتم أصحاب محمد أول النهار فآمنوا ، وإذا كان آخره فصلوا صلاتكم ، لعلهم يقولون هؤلاء أهل الكتاب وهم أعلم منا »[2] .

ومن صور أساليب البلبلة والتشكيك إقرارهم لمشركي قريش بأن دينهم أحق وأفضل من دين محمد ، وهذا أمر مستغرب من هؤلاء الذين أعمى الحقد بصائرهم وبصيرتهم ،وإلا كيف يفضلون دين الشرك والوثنية على دين التوحيد ،فلو

---

(1) - ابن هشام : السيرة النبوية ج2.(مصدر سابق) ص202.[سورة آل عمران: الآيتان ٧١ ، ٧٢] .
وانظر : السيوطي : لباب النقول في أسباب النزول.(مرجع سابق) ص56 ،57.

(2) - مختصر تفسيرابن كثير: (مصدر سابق) ص291

* - أحمد نوفل ،الحرب النفسية.. الجهاز التأهيلي - (مرجع سابق) ص 67 .

فضّلوا توراتهم كما يزعمون وتوقّفوا عند هذا الحد لهان الخطب ، أما أن يفضّلوا دين الشرك على دين التوحيد ، وهم يعلمون ، فهذه عين الحقد والحسد والعجب ، لذلكم تعجّب القرآن من هذه النفوس فقال تعالى :« ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلاء اهدى من الذين ءامنوا سبيلا »[1] .

وهذه الحادثة العجيبة من حيث المنطق والموضوعية جعلت العالم اليهودي الدكتور "إسرائيل ولفنسون" يعلق عليها مستغربا معاتبا بقوله :« ... الذي يؤلم كل مؤمن بإله واحد من اليهود والمسلمين على السواء ،إنما هو تلك المحادثة التي جرت بين نفر من اليهود ، وبين بني قريش الوثنيين ، حيث فضّل هؤلاء النفر من اليهود أديان قريش على دين صاحب الرسالة المحمّدية ...[إلى أن قال]... ثم إن ضرورات الحروب أباحت للأمم استعمال الحيَل والأكاذيب ، والتوسل بالخداع والأضاليل للتغلب على العدو ، ولكن مع هذا كان من واجب هؤلاء اليهود ألاّ يتورّطوا في مثل هذا الخطأ الفاحش ، وألا يصرّحوا أمام زعماء قريش ، بأن عبادة الأصنام أفضل من التوحيد الإسلامي ، ولو أدّى بهم الأمر إلى عدم إجابة مطلبهم ، لأن بني إسرائيل الذين كانوا مدة قرون حاملي راية التوحيد في العالم بين الأمم الوثنية باسم الآباء الأقدمين ، والذين نكبوا بنكبات لا تحصى من تقتيل واضطهاد بسبب إيمانهم بإله واحد في عصور شتى من الأدوار التاريخية ، كان من واجبهم أن يضحّوا بحياتهم ، وكل عزيز لديهم في سبيل أن يخذلوا المشركين »[2] .

ومن صور هذا الأسلوب حملاتهم التشكيكية بالأخبار الكاذبة ، والإشاعات الدنيئة ، قصد إضعاف الهمم ، وتحطيم الإرادات والقضاء على الآمال ، من خلال بلبلة الأفكار والخواطر ، وإحداث ما من شأنه إعاقة سير الأعمال الصالحة ، من ذلك أراجيفهم حول تحويل القبلة ، حيث أرادوا فتنة الرسول ـ صلعم ـ كما عرفنا ـ ومن خلال ذلك يريدون تشكيك المسلمين في عقيدتهم ، لكن الله كان بالمرصاد لهم مبينا أغراضهم وأهدافهم ولذا أراد الله سبحانه وتعالى للمسلمين أن يكونوا متميّزين في سلوكاتهم وعقائدهم وحتى التوجُّه أثناء العبادات مما لم يستطع هضمه اليهود والشيء نفسه في قضية النسخ حيث شنّوا حربا كلامية تشويهية قصدها التشكيك دائما وبلبلة الأفكار والآراء وخاصّة لدى أصحاب العقول الضعيفة .

يقول سيد قطب :« يبدو أن اليهود كانوا يتخذون من نسخ بعض الأوامر والتكاليف ، وتغييرها وفق مقتضيات النشأة الإسلامية الجديدة ، والظروف والملابسات التي تحيط بالجماعة المسلمة .. يبدو أنهم كانوا يتخذون من هذا ذريعة للتشكيك في مصدر هذه الأوامر والتكاليف ، ويقولون للمسلمين : لو كانت من عند الله ما نُسخت ولا صدر أمر جديد يلغي أو يعدّل أمرا سابقا .. »[3] .

وهكذا يتبين لنا أن اليهود أقاموا حربا نفسية من الجدل ، والشبهات والكيد والدس ، والتآمر ، والتحريض ، واستعملوا جميع التقنيات المتاحة لهم آنذاك قصد النيل من الإسلام والمسلمين ...

---

(1) ـ سورة النساء : الآية ٥١.

(2) ـ أبو الحسن الندوي : السيرة النبوية .(مرجع سابق) ص232 ، 233. نقلا عن كتاب : اليهود في بلاد العرب ، إسرائيل ولفنسون .ص142.

(3) ـ سيد قطب : في ظلال القرآن ج 1.(مصدر سابق) ص99.

خامسا: إحياء الفتن والأحقاد

من أساليب اليهود في حربهم النفسية للإسلام إحياء الفتن والأحقاد وبثُّها من جديد داخل صفوف المسلمين قصد التنازع والتباغض ، والفرقة والتشتُّت والوصول إلى التقاتل وسفك الدماء بين الإخوة في العقيدة والنسب والمصير . وهذه طبيعة اعتادها اليهود مع غيرهم من الشعوب ، وحتى مع أنبيائهم الذين ذاقوا الويلات منهم . ومن صور هذا الأسلوب المستعمل في حربهم النفسية للنبي ـ صلعم ـ وأصحابه ما تروبه كتب السيرة أنهم استعملوا هذا الأسلوب على جبهتين وهما :

أ ـ محاولة فتنة الرسول ـ صلعم ـ :

لقد حاول اليهود ومنذ الوهلة الأولى أن يفتنوا النبي ـ صلعم ـ وأن يجعلوه مطية لخدمة مصالحهم كما هي عادتهم مع القادة والزعماء والساسة ، ولكنهم فشلوا في كل المحاولات رغم تعدد الأساليب ، ومن هذه الأساليب هذه الصور :

1. فتنته عن طريق المساومة: قال ابن إسحاق :« وقال كعب بن أسد ، وابن صلوبا ، وعبد الله بن صوريا ، وشاس بن قيس ، بعضهم لبعض : اذهبوا بنا إلى محمد ، لعلنا نفتنه عن دينه ، فإنما هو بشر ، فأتوه فقالوا له: يا محمد إنك قد عرفتَ أنّا أحبار يهود وأشرفهم وسادتهم ، وأنّا إن اتّبعناك اتبعتك يهود ، ولم يخالفونا ، وأن بيننا وبين بعض قومنا خصومة ، أفنحاكمهم إليك فتقضي لنا عليهم ، ونؤمن بك ونصدّقك؟ فأبى ذلك رسول الله ـ صلعم ـ عليهم . فأنزل الله فيهم:« * وأن احكم بينهم بما أنزل الله ولاتتبع اهواءهم واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك فإن تولّوا فاعلم انما يريد الله أن يصيبهم ببعض ذنوبهم وإن كثيرا من الناس لفاسقون *أفحكم الجاهلية يبغون ومن احسن من الله حكما لقوم يوقنون * * . »[1] .

2. محاولة إبعاده عن المدينة: ومن صور هذا الأسلوب استعمالهم الدعايات السوداء قصد فتنة الرسول ـ صلعم ـ بحجة أنهم أهل معرفة وعلم بالديانات وبالرسل والأنبياء ولذا أرادوا تقديم النصيحة للرسول ـ صلعم ـ والهدف الحقيقي من وراء هذا هو إبعاد الرسول ـ صلعم ـ من المدينة ليخلو لهم الجو فيعيثوا فيها فسادا كما كانوا من قبل ولذلك ادّعوا بقولهم:« إن مَن سبقه من الرسل ذهبوا جميعا إلى بيت المقدس وكان بها مقامه وإنّه إن كان رسولا حقا فعليه أن يذهب إلى القدس ويقيم فيها »[2] .

---

(1) ـ ابن هشام : السيرة النبوية ج2.(مرجع سابق) ص216.[سورة المائدة : الآيتان ٤٩ ، ٥٠].
وانظر : د. عبد الصبور مرزوق : السيرة النبوية في القرآن الكريم .(مرجع سابق) ص154.

(2) ـ د.محمد سيد محمد : المسؤولية الإعلامية في الإسلام .(مرجع سابق) ص177.

3. محاولة إرجاعه إلى قبلته الأولى : ومن صور الأراجيف و الدعايات قصد فتنة الرسول ـ صلعم ـ في دينه، وجعل الرأي العام يشكُّ في هذه العقيدة الجديدة ـ في زعمهم ـ أقاموا الدنيا وأقعدوها يوم أن أمر اللّه سبحانه وتعالى نبيَّه بتحويل قبلته من الشام إلى الكعبة حيث المسجد الحرام بيت إبراهيم وإسماعيل ، وذلك في قوله تعالى :

« * قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره ... » [1] .

هذا التوجه الجديد للرسول ـ صلعم ـ ولأصحابه في قبلتهم جعل اليهود يمتلئون حقدا وغيظا لاعتقادهم أن بيت المقدس هي قبلة الأنبياء الذين هم على ملّة إبراهيم ودينه ، والذين هم من اليهود ـ في تصوُّراتهم ـ لذا كانوا يعتقدون أن محمّدا تابع وليس متبوعا ، ولا يحقُّ له بأن يبتدع في الدين بتغييره قبلة الأنبياء ، ومن ذلك أرادوا فتنته ومساومته فذهب إليه وفد يتكوّن من :« رفاعة بن قيس وكعب بن الأشرف ورافع بن أبي رافع والربيع بن الربيع وغيرهم .فقالوا : يا محمد ، ما ولاك عن قبلتك التي كنت عليها ، وأنت تزعم أنك على ملة إبراهيم ودينه؟ ارجع إلى قبلتك التي كنت عليها نتّبعك ونُصدّقك . فأنزل اللّه تعالى :

« * سيقول السفهاء من الناس ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها قل لله المشرق والمغرب يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم * * . »[2].

4. محاولة سحره بواسطة النساء : ومن صور هذا الأسلوب محاولة سحره ـ صلعم ـ ، وهذا راجع إلى الحقد الكبير الذي تُكنُّه يهود للرسول ـ صلعم ـ حيث أرادوا بهذا العمل اللاإنساني غسل دماغ النبي ـ صلعم ـ بواسطة السحر واستعملوا نساءهم بصفتهم متخصصين في هذا العلم ، لكن اللّه سبحانه وتعالى نجّى نبيَّه وعصمه منه ، والذي أمر نساءه للقيام بهذا الفعل هو "لبيب بن أعصم" من يهود بني زُريق ، ومن الذين رفعوا لواء العداوة والبغضاء والفتنة للرسول ـ صلعم ـ ورسالته[3] .

ب ـ محاولة فتنة المسلمين:

الجبهة الثانية التي كان اليهود يريدون فتنتها بواسطة بث الأحقاد ونبش القبور ، وإحياء الأيام الجاهلية و خاصة في نفوس الشباب : هي جبهة المسلمين المتكونة من المهاجرين والأنصار ، وذلك إما بواسطة الأنصار وتحريضهم على

---

(1) ـ سورة البقرة: الآية ١٤٤.

(2) ـ د.عبد العزيزشرف ، د.عبد المنعم خفاجي ، وأمينة الصاوي:
السيرة النبوية والإعلام الإسلامي ، مصر : دار مصر للطباعة (بدون تاريخ) ص 253.
[سورة البقرة : الآية ١٤٢.] .
وانظر : محمد حسين هيكل: حياة محمد.(مرجع سابق) ص273.

(3) ـ انظر:
ـ ابن هشام : السيرة النبوية ج2.(مصدر سابق) ص162.
ـ أبو بكر جابر الجزائري: هذا الحبيب محمد ـ صلعم ـ (مرجع سابق) ص195.

المهاجرين ، أو بواسطة بث الأحقاد بين الأنصار أنفسهم الذين يتكوّنون من فصيلتين: "الأوس والخزرج" ، وفي بعض الأحيان استغلال الظروف لفتنة بعض الأفراد . ورغم أن الجبهة الإسلامية كانت موحدة إلى درجة أنها أصبحت كالجسد الواحد بفضل اللّه سبحانه وتعالى ، وبتربية الرسول - صلعم - إلا أن اليهود ومن حالفهم كانوا في ظروف معينة يكادون أن يصلوا إلى زعزعة هذه الجبهة ، وخلخلتها من الداخل . ومن صور هذا الأسلوب هذه الحادثة التي كان لها وقع كبير على المسلمين آنذاك لأنها كادت أن تنجح ولووقتيا وملخصها أنه :« مرّ "شاس" بن قيس" وكان يهوديا شديد الطعن على المسلمين على نفر من الأوس والخزرج بعد أن نزع الإسلام ما بينهم من أحقاد وضغائن فغاظه ما رأى من ألفتهم وصلاح ذات بينهم فجلس إليهم ، وأخذ يجرّهم شيئا فشيئا إلى أحداث الماضي المشحون بالعداوة والخصومة وأخذ ينشدهم بعض ما قيل في حروبهم من الشعر فحرّك وجدانهم وهاج من عصبيتهم ، وما زال بهم حتى تنادوا فيما بينهم : السلاح ، السلاح ، وكاد يقع الصدام فبلغ ذلك رسول اللّه - صلعم - فخرج إليهم مخاطبا إياهم :« أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم بعد أن هداكم اللّه للإسلام وأكرمكم به .. واستنقذكم من الكفر وألّف بين قلوبكم ، فعرف القوم عندئذ أنها نزغة من الشيطان وكيد من عدوهم وعانق الرجال من الأوس والخزرج بعضهم بعضا ، ثم انصرفوا مع رسول اللّه - صلعم - سامعين مطيعين قد أطفأ اللّه عنهم كيد عدوهم . وفي هذه الحادثة نزل الوحي :« قل يا أهل الكتاب لم تصدّون عن سبيل الله من امن تبغونها عوجا وأنتم شهداء وما الله بغافل عما تعملون * يا أيها الذين ءامنوا إن تطيعوا فريقا من الذين أوتوا الكتاب يردّوكم بعد إيمانكم كافرين * وكيف تكفرون وأنتم تتلى عليكم ءايات الله وفيكم رسوله ومن يعتصم بالله فقد هدي إلى صراط مستقيم * * * »[1] .

ومن هذه الصور محاولة إغراء المسلمين عن طريق الرشوة بفتنتهم عن مبادئهم وجعلهم يعرضون عن الحق ، من ذلك أن عبد اللّه بن رواحة بعثه الرسول - صلعم - إلى يهود خيبر لتقييم ثمارها وتقسيمه حسب الاتفاقية بينهم وبين الرسول - صلعم - وعندما وصل حاولوا إرشاءه فقدّموا له صرّة من الذهب ظانين أنه مثلهم

---

* - فتنة "شاس" للمسلمين جعلت اليهود اليوم يؤسسون حزبا باسمه ، وأصبح لهذا الحزب دور فعال داخل الحكومة الإسرائيلية ، وداخل "الكنيست" . والمسلمون ما زالوا - للأسف الشديد - إلى اليوم يحملون شعار لادين في السياسة ، ولا حزب على أساس ديني .!!

(1) - د.أحمد نوفل: الحرب النفسية - الكتاب الثاني - (مرجع سابق) ص66.[سورة آل عمران: الآيات : ٩٩ إلى ١٠١.

وانظر: - د.محمد فريد عزت : بحوث في الإعلام الإسلامي .(مرجع سابق) ص33.

- د.علي محمد جمعة: دراسات في السيرة النبوية .(مرجع سابق) ص63.

- د.عبد العزيز شرف ...: السيرة النبوية والإعلام الإسلامي . (مرجع سابق) ص63.

- محمد بن سعيد بن سالم القحطاني: الولاء والبراء في الإسلام . الرياض : دار طيبة - ط 1 - (بدون تاريخ) ص201.

- منير محمد غضبان : المنهج الحركي للسيرة النبوية ج2 ، الجزائر: شركة الشهاب .(بدون تاريخ) ص25.

يموت من أجل المال والذهب ، لكن الذهب عند الإنسان المؤمن لا يساوي شيئا مما عند اللّه لذلك ردَّ عليهم ابن رواحة ردا عنيفا ، وبعبارات وألفاظ تتماشى ونفسياتهم حيث قال :« أترشونني يا أعداء اللّه ، واللّه إنكم لأبغض إليَّ من القردة والخنازير ولَمحمد أحبَّ إليَّ من نفسي التي بين جنبيّ ، ولكن بغضي لكم وحبي لمحمد ـ صلعم ـ لا يمنعني أن أعدل ، لأن اللّه يقول :

« ...ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى ...» .»[1] . وقسم الثمار دون أن يظلم أي طرف .

سادسا : الحصار الإقتصادي

سلاح الحرب الاقتصادية أسلوب استدماري استعمل منذ القديم من طرف الخصم الذي يملك مفتاح هذا السلاح.وهذاالأسلوب طُبِّق مع النبي ـ صلعم ـ من قِبل المشركين حتى وصل بهم الأمرأن يتحكموا في جميع المنافذ التي لها علاقة بالمجال الاقتصادي،مما جعل المسلمين ـ كما عرفنا ـ يأكلون أوراق الأشجاروالجلود اليابسة .

وإذا كان هذا الأسلوب استخدم من قبل المشركين بشكل مقاطعة واسعة لأنهم أصحاب القرار والتنفيذ ، والمتحكمون سياسيا في شؤون المجتمع المكي داخليا وخارجيا ؛ فإن الوضع يختلف في المدينة المنورة ، لأن اليهود لا يملكون السلطة السياسية والتنفيذية ، مما جعلهم يحاولون عرقلة عجلة الاقتصاد بصفتهم يمثّلون العمود الفقري في هذا المجال ، لذلك استغلوا وضع المسلمين الاقتصادي في بادي حالتهم الاجتماعية الإسلامية وخاصة المهاجرون الذين تركوا كل ما يملكون من أموال وعقارات داخل مكة . زيادة عن وضع الضعفاء الذين دخلوا في دين الإسلام ، هذا الوضع جعل اليهود يستعملون الاقتصاد كورقة ضغط ـ مثلما يحدث في كل عصر ومَصروخاصة في عصرناالیوم ـ لأتباع محمد لفتنتهم عن دينهم وإحباط معنوياتهم ...

ومن صور هذا الأسلوب المستعمل من قبل اليهود ما قام به بعضهم بأن امتنعوا عن دفع ما يجب دفعه من المودعات لديهم ، والمتمثلة في الديون والبيوع والأمانات ، حيث قرروا تجميدها ـ كما تفعل الدول القوية في عصرنا اليوم من تجميد لأموال الدول الضعيفة ـ مبررين فعلتهم بأن هذه الأموال كانت حقًا لأهلها قبل أن يدخلوا الإسلام . أما وقد دخلوا الإسلام فإن حقهم قد سقط وأنها مُحرَّمة عنهم إلا إذا تخلّوا عن دينهم !! يا له من مكر وخداع وأكل أموال الناس بالباطل ؛ لكن هذه النوايا السيِّئة والدعايات المضللة قصد تفقير المسلمين وأكل أموالهم ، وعرقلة نشاطاتهم الاقتصادية يكشفها القرآن بالتصدي لأهدافهم وأغراضهم الدنيئة وذلك بفضحهم وتعريتهم أمام الرأي العام حيث يقول تعالى :« * ومن اهل الكتاب من ان تامنه بقنطار يوده إليك ومنهم من ان تامنه بدينار لا يوده إليك إلا ما دمت عليه قائما ذلك بانهم قالوا ليس علينا في الامّيين سبيل ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون * »[2].

---

(1) ـ د. محمد عبد القادر أبو فارس: أسس في التصور الإسلامي، الجزائر: دار الشهاب ـ ط 4. (1407هـ-1987م) ص116.

(2) ـ سورة آل عمران : الآية ٧٥.

« ويذكر المفسرون أن رجالا من أهل الجاهلية - أي قبل الإسلام - باعوا يهودا بضاعة ثم أسلموا ولما طلبوا من هؤلاء دفع الثمن قالوا: ليس علينا أمانة ولاقضاء عندنا ، لأنكم تركتم دينكم الذي كنتم عليه ، وادّعوا أنهم وجدوا ذلك في كتابهم فقال الله في الآية :« ... ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون * » »[1].

هذه هي طبيعة يهود يفترون الكذب ، ويخونون الأمانات ، ويحاولون بكل الوسائل القضاء على أي دعوة تعارض نظرتهم وذهنيتهم مهما كان صاحبها لذلك لعنهم الله لعنة دائمة جزاء جرائمهم ومفاسدهم .. قال تعالى :« * لعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داوود وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون * »[2] .

ومن صور أسلوب الحصار الاقتصادي تحريضهم أصحابَ الأموال داخل الجبهة الداخلية للإسلام حيث كان « كردم بن قيس حليف كعب بن الأشرف ، وأسامة بن حبيب ، ونافع بن أبي نافع ، وبحرى بن عمرو ، وحيي بن أخطب ، ورفاعة بن زيد بن التابوت ، يأتون رجالا من الأنصار كانوا يخالطونهم ، ينتصحون لهم من أصحاب رسول الله - صلعم - ،فيقولون لهم:لاتنفقوا أموالكم فإنا نخشى عليكم الفقر في ذهابها ولا تسارعوا في النفقة فإنكم لا تدرون علام يكون . فأنزل الله فيهم :« * الذين يبخلون ويامرون الناس بالبخل ويكتمون ما ءاتاهم الله من فضله ... » .»[3].

هذه هي طبيعة يهود تجاه غيرهم في كل عصر ومصر يختلقون الأزمات تلو الأزمات ، وذلك قصد إحداث اضطرابات اقتصادية مفتعلة مما ينتج عن ذلك أزمات اجتماعية وسياسية خطيرة داخل المجتمع ، وبالتالي يصبحون يتحكمون في الوضع بطريقة مباشرة أو غير مباشرة ؛ لأن من أهدافهم تفقير الشعوب والتلذذ بآلامها ودموعها وجوعها ... الخ .

هذا ماكانت ترمي إليه مخططات اليهود تجاه الدعوة الإسلامية ، لكن الله كان لهم بالمرصاد حيث فضحهم وكشف نواياهم للمسلمين ، مما جعلهم يرتبكون ويأخذهم الهلع النفسي والخوف من الإسلام ، وفعلا فقد كانت نهاية سيطرتهم المادية والمعنوية على يد الإسلام .

سابعا : الطعن في العقيدة

لقد عرف اليهود منذ الوهلة الأولى أن المسلمين يأخذون تعاليمهم من القرآن الكريم المصدر الأصلي للعقيدة الإسلامية التي غيرت نفوس العرب وجعلتهم أمة في وقت يسير وبإمكانات بسيطة جدا ، لذلك خطط اليهود من خلال حربهم النفسية لضرب العقيدة الإسلامية وذلك بالطعن في التعاليم الإسلامية والطعن في القرآن نفسه ؛ قصد تشكيك الرأي العام وبلبلته وجعله ينظر إلى القرآن الكريم وتعاليمه نظرة ازدراء ومعاداة ، لكن القرآن الكريم كان سلاحا قويا في وجه كل الشبهات التي اعتمدتها يهود ؛ ففضحهم وكشف نواياهم وخططهم ، ورد لهم الكيل

---

(1) - د.أحمد نوفل: الحرب النفسية - الكتاب الثاني - (مرجع سابق) ص64.

(2) - سورة المائدة: الآية ٧٨.

(3) - ابن هشام : السيرة النبوية ج 2 (مصدر سابق) ص208 ،209 .[سورة النساء: الآية ٣٧] .

أكيالا مما جعلهم يموتون حقدا وغيظا وكمدا ، وفي الوقت نفسه جعل المسلمين يزدادون إيمانا وعزة وكرامة سواء على الصعيد المدني أو الصعيد العسكري ...

ومن صور أسلوب الطعن في العقيدة أن اليهود أرادوا مغالطة النبي والرأي العام الإسلامي معه عندما كانوا يحاورون في الأمور العقدية جاعلين أنفسهم كالعادة أهل العلم والمعرفة ، لكن رسول الله - صلعم - أفحمهم بمحاورته إياهم معتمدا على الحجة النقلية والعقلية ، وعندما عجزوا عن الحجة المماثلة التجأوا كعادة كل الجهلة والجاحدين إلى أسلوب التعجيز الذي لا يتماشى مع طبيعة الإنسان لذلك ينزل القرآن متحديا إياهم بأن يأتوا بما وعدوا به رسول الله - صلعم - حتى ولو استعانوا بالإنس والجن . وملخص هذه الصورة أن بعض أحبار يهود قالوا لرسول الله - صلعم - :« أحقٌ يا محمد بأن هذا الذي جئت به الحق من عند الله؟ فإنا لا نراه متسقا كما تتسق التوراة ؟ . فقال لهم رسول الله :« أما والله إنكم لتعرفون أنه من عند الله تجدونه مكتوبا عندكم ، ولو اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثله ما جاءوا به » . فقالوا : يا محمد ، أما يعلمك هذا إنس ولاجن ! . فقال لهم رسول الله - صلعم - :« أما والله إنكم لتعلمون أنه من عند الله ، وإني لرسول الله تجدون ذلك مكتوبا في التوراة » .فقالوا:يا محمد فإن الله يصنع لرسوله إذا بعثه ما يشاء فأنزل علينا كتابا من السماء نقرأه ونعرفه ، وإلا جئناك بمثل ما تأتي به ، فنزل :« قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن ياتوا بمثل هذا القرءان لا ياتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا » .»[1].

ومن صور الطعن في العقيدة قولهم :« يا محمد ، ما جئتنا بشيء نعرفه وما أنزل الله عليك من آية فنتبعك لها . فأنزل الله تعالى في ذلك من قوله :

« * ولقد انزلنا إليك ءايات بينات وما يكفر بها إلا الفاسقون * » .»[2].

هذه الصورة توضح غرضهم التضليلي الذي يقصدون من ورائه التقليل من شأن التعاليم الإسلامية لتبرير جحدهم وكفرهم ، وتغليط الجماهير وردها عن سماع آيات الله بواسطة الدعايات التشويهية رغم أن آيات الله بينة وواضحة المعالم سواء من الناحية العقلية أو الواقعية التاريخية كما دلّت الآيات عن ذلك في أكثر من سورة .. !!

ومن صور هذا الأسلوب ادعاؤهم أن محمدا يدعو الناس لعبادته - كبرت كلمة تخرج من أفواههم - ومثلهم نصارى نجران ، حيث يريدون بفعلهم هذا إبعاد الناس عن محمد بحجة أنه يدّعي الربوبية ، يا له من افتراء مفضوح !! فقد روي أن اجتماعا مشتركا من أحبار يهود ، و النصارى من أهل نجران قد تمّ عند رسول الله - صلعم - وعندما دعاهم عليه الصلاة والسلام بدعوة الإسلام قال أبو رافع القُرظيُّ :

« أتريد منا يا محمد أن نعبدك كما تعبد النصارى عيسى بن مريم ؟ وقال رجل من أهل نجران نصراني ، يقال له :" الرُّبَيِّس " : أوَذاك تريد منا يا محمد وإليه تدعونا ؟ أو كما قال ، فقال رسول الله - صلعم - : معاذ الله أن أعبد غيرالله أو آمر بعبادة غيره فما بذلك بعثني الله ، ولا أمرني ؛ أو كما قال . فأنزل الله تعالى في ذلك من قولهما:

---

(1) - د.عبد العزيز شرف ... السيرة النبوية والإعلام الإسلامي.(مرجع سابق) ص258.

[سورة الإسراء : الآية ٨٨.] . وانظر: ابن هشام : السيرة النبويةج2.(مصدر سابق) ص219.

(2) - ابن هشام : (المصدر السابق) ص219.[سورة البقرة: الآية ٩٩] .

« * ما كان لبشر أن يوتيه الله الكتاب والحكم والنبوءة ثم يقول للناس كونوا عبادا لي من دون الله ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون * » إلى قوله تعالى :« ... بعد إذ انتم مسلمون * » . »[1] .

ومن هذه الصور ما يروى أن :« رفاعة بن زيد بن التابوت من عظماء يهود إذا كلم رسول اللّه ـ صلعم ـ لوى لسانه ، وقال : أرعنا سَمعك يا محمد ، حتى نفهمك ثم طعن في الإسلام وعابه . فأنزل اللّه فيه :« ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يشترون الضلالة ويريدون أن تضلوا السبيل * والله أعلم بأعدائكم وكفى بالله وليا وكفى بالله نصيرا * من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه ويقولون سمعنا وعصينا واسمع غير مسمع وراعنا ليا بألسنتهم وطعنا في الدين ولو انهم قالوا سمعنا وأطعنا واسمع وانظرنا لكان خيرا لهم وأقوم ولكن لعنهم الله بكفرهم فلا يومنون إلا قليلا * »[2] .

ومن صور هذا الأسلوب محاولة نفيهم نبوة ورسالة محمد ـ صلعم ـ كما نفوا رسالة عيسى من قبل حيث قال سُكَين وعدي بن زيد :« يا محمد ، ما نعلم أن اللّه أنزل على بشر من شيء بعد موسى ، فأنزل اللّه تعالى في ذلك من قولهما :

« * إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيئين من بعده وأوحينا إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب والإسباط وعيسى ... [إلى:] * رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزا حكيما * » . »[3] .

من هذه الصور يظهر لنا جليا أن اليهود أرادوا أن يطعنوا في العقيدة الإسلامية بشتى الأساليب التقنية التي كانت في حوزة أفكارهم ، ورغم هذا فإن هذه الخزعبلات لم تنطلِ على الرأي العام المسلم بل زادته معرفة وخبرة بفنون التصدي والتحدي للخصوم وعلى رأسهم اليهود الذين كما رأينا شنوا حربا نفسية على العقيدة الإسلامية والقرآن الكريم ولم يتركوا أبسط الأشياء المتعلقة بآيات اللّه بحيث وصل بهم المكر الدعائي حتى الطعن في :« ضرب القرآن الأمثال بالأشياء المستصغرة في أعين الناس ، كضربه المثل بالنحل ، وبالذباب ، وبالعنكبوت ، ومع أن هذه الأمثال في موقعها الذي سيقت فيه تبلغ قمة البلاغة ، وقمة الهدف الذي ترمي إلى إصابته .. إلا أن اليهود يريدون أن يخلقوا أي شيء ولو كان كاذبا ليثيروا غبارا حول الإسلام يحجب رؤيته عن بسطاء الناس والسُذَج منهم »[4] .

بهذا ينكشف عداء اليهود للعقيدة الإسلامية مثل معاداتهم لكل الأديان لأنهم في حقيقة بواطنهم هم أعداء لكل خير ، أو حق ، أو سلام .. لأنها مبادئ تتناقض مع طبائعهم .. لذلك أخذوا يحاربون العقيدة الإسلامية والرسول ـ صلعم ـ بكل أنواع التقنيات المتمثلة في المكر والخداع ، والكيد ، والإيذاء بجميع أنواعه لأنهم :« منذ وجدوا أعداء المبادئ والمُثُل ، وقد كان عداؤهم ولا يزال يمتد ويتسع حتى يشمل البشرية كلها ، بل إن غدرهم قد أصاب الأنبياء والرسل بما فيهم رسولهم موسى

(1) ـ **ابن هشام**: (المصدر السابق) ص202.203.[سورة آل عمران :الآيتان٧٨ ، ٧٩] .

(2) ـ **ابن هشام** : (المصدر نفسه) ص209.[سورة النساء: الآيات ٤٤ إلى ٤٦].

(3) ـ المصدر السابق . ص211[سورة النساء الآيات:١٦٣ إلى ١٦٥].

(4) ـ د. **عبد الحليم حنفي** : أسلوب السخرية في القرآن الكريم.(مرجع سابق) ص242 ، 243 .

وانظر : **الفخر الرازي** : التفسير الكبيرج25 ، بيروت : دار إحياء التراث العربي ـ ط3 ـ ص69

وأخوه هارون ، وتعدوا على خالقهم وتمردوا عليه وعصوه ، فحاق بهم سخط الله وباءوا بغضب منه سبحانه ، وكان منهم القردة والخنازير في سوء طويتهم ، وفي خبث طبائعهم .»[1].

ثامنا: محاولة تفجير الإسلام من الداخل

من أساليب الحرب النفسية محاولة تفجير جبهة الخصم من الداخل وبصور وأشكال تختلف باختلاف الشعوب والعصور والتقنيات المتاحة لذلك . وهذا الأسلوب ليس حديثا كما يعرف اليوم من خلال الشبكات التجسسية المتعددة المظاهر ؛ بل عرف منذ القديم رغم أساليبه البدائية .

هذا الأسلوب تفطّن له اليهود لأنه يتماشى مع نفسياتهم وسارعوا إلى استخدامه مع الرسول ـ صلعم ـ منذ أن وطئ أرض "يثرب" وذلك بدخول بعض اليهود الإسلام نفاقا قصد التجسس ، ومحاولة تفجير الإسلام من الداخل بإثارة الشكوك ، والتشويه واللّف والدوران ، زيادة عن نقل الأخبار والمعلومات السرية والعلنية وكل ما له علاقة بالتخطيط والتنظيم ، للمجتمع الإسلامي داخل المدينة المنورة وخارجها إلى الجبهة المعادية من اليهود وكل من يكون على شاكلتهم كالمنافقين من الأوس والخزرج ، وكمشركي قريش لتكوين جبهة متحالفة موحدة هدفها تقويض الإسلام وضربه من الداخل لتسهل بعد ذلك عملية استئصاله من الخارج بواسطة الجبهة المتحالفة .

وأسلوب النفاق الجماعي أو حتى الفردي كان اليهود هم أول من سنّوه في الدين ، ولم يعرف قط في الجزيرة العربية لأن هذا الخلق تأباه طبيعة العربي ، لكن هؤلاء استعملوا هذا الأسلوب ، واستطاعوا أن يكونوا منه طابورا خامسا داخل الجبهة الداخلية للإسلام مستغلين أصحاب الأهواء والمصالح من عرب "يثرب" والذين أصبحوا يسمون فيما بعد بالمنافقين .

ومن صور هذا الأسلوب ما يرويه بعض المفسرين لقوله تعالى :« * يا أهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل وتكتمون الحق وأنتم تعلمون * وقالت طائفة من اهل الكتاب ءامنوا بالذي أنزل على الذين ءامنوا وجه النهار واكفروا ءاخره لعلهم يرجعون * ولاتومنوا إلا لمن تبع دينكم ... »[2].

جاء في تفسير هذه الآيات أن اثني عشر من أحبار يهود خيبر قال بعضهم لبعض :« ادخلوا في دين محمد أول النهار من غير اعتقاد واكفروا به آخر النهار وقولوا إنا نظرنا في كتبنا وشاورنا علماءنا فوجدنا محمدا ليس بذلك المنعوت وظهر لنا كذبه وبطلان دينه ، فإذا فعلتم ذلك شك أصحابه في دينهم . وقيل هذا في شأن القبلة لما صرفت إلى الكعبة قال كعب بن الأشرف لأصحابه : آمنوا بما أنزل عليهم من الصلاة إلى الكعبة وصلوا إليها في أول النهار ثم اكفروا به في آخره وصلوا إلى الصخرة لعلهم يقولون هم أعلم منا وقد رجعوا فيرجعون »[3].

من هذه الصورة يتضح لنا كيف أن اليهود يريدون تفجير الإسلام من

---

(1) ـ د.ليلى حسن سعد الدين :أديان مقارنة، الأردن:دار الفكر للنشر والتوزيع .(1985م) ص153

(2) ـ سورة ال عمران : الآيات ٧١ إلى ٧٣ .

(3) ـ الزمخشري : تفسير الكشاف ج 1. بيروت : دار المعرفة . ص436 ، 437.

الداخل بإثارة الشبهات والشكوك وخاصة في نفوس المستضعفين فكريا واجتماعيا وحتى تكون الوقاية ناجحة وناجعة من مخططهم النفاقي التجسسي نهى القرآن ـ بعد مكاشفتهم ـ المؤمنين عن الإتصال بهم ، وقطع الصلة معهم حيث يقول تعالى :

« *يا أيها الذين ءامنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يالونكم خبالا ودّوا ما عنتم قد بدت البغضاء من افواههم وما تخفي صدورهم أكبر قد بينا لكم الآيات إن كنتم تعقلون *[إلى قوله تعالى] ... وإذا لقوكم قالوا ءامنا وإذا خلوا عضوا عليكم الأنامل من الغيظ قل موتوا بغيظكم إن الله عليم بذات الصدور * إن تمسسكم حسنة تسؤهم وإن تصبكم سيئة يفرحوا بها وإن تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئا إن الله بما يعملون محيط * »[1] .

هكذا يبين لنا القرآن ما تحمله هذه النفوس البشرية من مكر وخداع وتضليل للرأي العام المسلم قصد ضربه في العمق لكن الله يعرف عباده من خلال أمارات معينة قصد تجنبهم وسد الطريق أمام أفكارهم وأغراضهم ، ثم يمضي السياق القرآني ليصف للمسلمين السلاح الذي لا يقهره سلاح وخاصة في مجال الحرب النفسية ـ مدنيا وعسكريا ـ ألا وهو سلاح التقوى والصبر « ... وإن تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئا... ».يقول سيد قطب :« .. فجاء هذا التنوير ، وهذا التحذير يبصر الجماعة المسلمة بحقيقة الأمر ، ويوعيها لكيد أعدائها الطبيعيين ، الذين لا يخلصون لها أبدا ،ولاتغسل أحقادهم مودة من المسلمين وصحبة.ولم يجئ هذا التنوير،وهذا التحذيرليكون مقصوراعلى فترةتاريخيةمعينة،فهوحقيقة دائمة تواجه واقعا دائما..كما نرى مصداق هذا فيما بين أيدينامن حاضرمكشوف مشهود .. »[2] .

تاسعا : الرفض الجماعي للإسلام

من الأساليب المستعملة في الحرب النفسية على الصعيد المدني من قبل اليهود رفضهم الدين الجديد رفضا جماعيا، و بصورة علنية ، و الأكثر من ذلك أنهم شنوا حربا كلامية دعائية تضليلية على الأفراد الذين دخلوا الإسلام من اليهود ووصفوهم بأنعت الأوصاف ؛ حتى يسدوا الطريق أمام كل يهودي يريد التفكير في الإسلام ؛ وذلك بتخويفه بالإرهاب الفكري المتمثل في إعدامه سيكولوجيا ،واجتماعيا و حتى اقتصاديا .و رغم أن الرسول ـ صلعم ـ تعامل مع اليهود معاملة لينة مبنية على الحوار الهادئ بالحجة الدينية و الموضوعية مناقشا إياهم حتى من خلال توراتهم التي يدعون أنها الحق ؛ و هذا كلّه قصد إرشادهم و تهذيب أخلاقهم مستعملا أساليب شتى في دعوته لهم . لكن رغم المحاولات العديدة و المستمرة فإن اليهود قابلوا هذه الدعوة بالرفض الجماعي ، و بدعوة مضادة للدين الجديد مستعملين فيها كل الأساليب المملوءة بالحقد و التآمر والفساد ؛ لذلك كونوا جبهة مضادة للإسلام تتحالف مع أي جبهة تكون ضد دعوة محمّد ـ صلعم ـ .

---

(1) ـ سورة آل عمران : الآيات ١١٨ إلى ١٢٠ .

(2) ـ سيد قطب : في ظلال القرآن ج 4 (مصدر سابق) ص452.

* ـ يبلغ عدد من أسلم من اليهود وكان له شرف صحبة رسول الله ـ صلعم ـ 29 رجلا .

انظر : أبو الحسن الندوي : السيرة النبوية .(مرجع سابق) ص231 .

و من صور هذا الأسلوب أن رسول اللّه ـ صلعم ـ دعا أهل الكتاب إلى الإسلام ، و استعمل معهم أسلوب الترغيب والترهيب . فقال له رافع بن خارجة: بل نتبع يا محمّد ما وجدنا عليه آباءنا فهم كانوا أعلم و خيرا منّا . و لما انتصر المسلمون على قريش في غزوة بدر، جمع رسول اللّه ـ صلعم ـ اليهود في سوق " بني قينقاع" فقال : « يامعشر يهود أسلموا قبل أن يصيبكم اللّه بمثل ما أصاب قريشا . فقالوا : يا محمّد لا يغرنك من نفسك أنك قتلت نفرا من قريش كانوا أغمارا لا يعرفون القتال . إنك واللّه لو قاتلتنا لعرفت أنا نحن الناس وأنك لم تلق مثلنا . »[1].

نرى في هذه الصورة أن اليهود قابلوا محمّدًا ـ صلعم ـ بأسلوب متعجرف يدل على نفسية تشعر بالتفوق العلمي الموروث من قبل الأجداد و الآباء ، زيادة عن زعمهم بالتفوق العسكري و امتلاكهم للتقنيات القتالية التي لا يملكها غيرهم ـ في زعمهم ـ وهذا كلّه قصد تثبيط معنويات الرسول ـ صلعم ـ ومغالطة الرأي العام بأن اليهود هم أهل العلم ، والتفوّق في جميع المجالات ..لكن القرآن ينزل على محمّد ـ صلعم ـ مبينا مصيرهم في الدنيا والآخرة ، ورادًا على قولتهم بالموضوعية الواقعية التي لا تقبل الجدل أو المغالطة حيث يقول تعالى :« ** قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون إلى جهنم وبيس المهاد * قد كان لكم ءاية في فئتين التقتا فئة تقاتل في سبيل الله وأخرى كافرة ترونهم مثليهم رأي العين والله يؤيد بنصره من يشاء إن في ذلك لعبرة لأولي الإبصار ** »[2].

ومن صور هذا الأسلوب أن رسول اللّه ـ صلعم ـ كلّم رؤساء يهود منهم : عبد اللّه بن صوريا الأعور ، وكعب بن أسد محاورا إياهم عن طريق العقل ومعرفتهم بالتوراة حيث قال : يا معشر يهود ، اتّقوا اللّه وأسلموا ، فواللّه إنكم لتعلمون أن الذي جئتكم به لحق :قالوا:مانعرف ذلك يا محمّد :فجحدوا ماعرفوا،وأصرّوا على الكفر. فأنزل اللّه تعالى فيهم:« ** يا أيها الذين أوتوا الكتاب ءامنوا بما نزلنا مصدقا لما معكم من قبل أن نطمس وجوها فنردها على أدبارها أو نلعنهم كما لعنا أصحاب السبت وكان أمر الله مفعولا ** »[3].

وهذا أبو بكر ـ رضي اللّه عنه ـ يدخل على اليهود "بيت المدارس" حيث وجد جمعا من الناس اجتمعوا إلى حبر من أحبارهم وهو "فنحاص" فغاظه هذا المنظر الذي يدعو صاحبه إلى الباطل فأراد أن ينبّهه إلى أن عمله هذا عمل تضليلي لهؤلاءالناس وأنه يعلم ذلك فقال :«ويحك يا فنحاص ! اتق اللّه وأسلم فواللّه إنّك لتعلم أن محمّدا لرسول اللّه قد جاءكم بالحق من عنده ، تجدونه مكتوبا عندكم في التوراة والإنجيل . فردّ عليه فنحاص : واللّه يا أبا بكر ما بنا إلى اللّه من فقر وإنه إلينا الفقير ، وما نتضرّع إليه كما يتضرع إلينا ، وإنا عنه لأغنياء وما هو عنّا بغنيّ ولو كان عنّا غنيا ما استقرضنا أموالنا كما يزعم صاحبكم ... ينهاكم عن الربا ويعطيناه ، ولو كان عنّا غنيا ما أعطانا الربا »[4].

فلنتصوّر هذه العقلية التي جعلت نفسها في مرتبة ربوبية أعلى من

---

(1) ـ د.عبد العزيز شرف ...: السيرة النبوية والإعلام الإسلامي .(مرجع سابق) ص253.

(2) ـ سورة ال عمران :الآيتان : ١٢ ، ١٣ .

(3) ـ ابن هشام : السيرة النبوية ج2 .(مصدر سابق) ص209 .[سورة النساء : الآية ٤٧ .] .

(4) ـ د. عبد العزيز شرف ...: السيرة النبوية والإعلام الإسلامي .(مرجع سابق) ص255.
وانظر : ابن هشام : السيرة النبوية ج2 .(مصدر سابق) ص207 ، 208.

ربوبية الله ـ تعالى الله عمّا يصفون ـ هذه العقلية لا تستحق أدنى احترام إنساني لأن عدوانها تعدّى إلى صفات الله سبحانه وتعالى ؛ ولذلك غضب أبو بكر غضبا شديدا لسماعه هذا اللّغو وضرب صاحبه ضربا موجعا وهو يقول :« والذي نفسي بيده لولا العهد الذي بيننا وبينك لضربت رأسك أي عدو الله »[1].

لكن هذا المتألّه لم يستح وذهب يشكو أبا بكر لرسول الله ـ صلعم ـ ناكرا كل ما قال ؛ وهذه من طبيعة يهود قديما وحديثا . وينزل القرآن مصدقا أبا بكر وكاشفا "فنحاص" وذلك في قوله تعالى :« ** لقد سمع الله قول الذين قالوا إن الله فقير ونحن أغنياء سنكتب ما قالوا وقتلهم الأنبياء بغير حق ونقول ذوقوا عذاب الحريق ** »[2].

هذه بعض الصور من أساليب اليهود التبريرية والتضليلية لبقائهم على الكفر وإصرارهم على عدم الدخول في الإسلام ومحاولاتهم المتكررة الدائمة للقضاء على دين الله الذي أتمّه الله على عباده المؤمنين الصادقين القائلين دوما « ... سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير **»[3].

عاشرا: الخيانة والغدر ونقض المواثيق

من أساليب الحرب النفسية المستعملة من قبل اليهود في عصر النبوة على "مستوى الصعيد الاجتماعي" أسلوب الخيانة والغدر ونقض المواثيق ، لأن هذا الأسلوب يتماشى مع نفسيات اليهود التي تتلذّذ على رقاب الجماهير بتعليمها الخيانة والغدر ونقض العهود ما دامت هذه الصفات مرتبطة بهم . ولقد أخبرنا القرآن في العديد من آياته عن هذا السلوك الذي يعتبر ظاهرة عامة عند يهود في كل زمان ومكان ؛ بل أصبح في عصرنا الحاضر علما يدرس بتقنيات فنية ، وبوسائل تكنلوجيا متطورة جدًا .

ومن صور هذا الأسلوب خيانة اليهود للعهد الذي كان بينهم وبين الرسول ـ صلعم ـ مستغلين الفرصة لأنهم رأوا المسلمين منهمكين في التحضير على "مستوى الصعيد العسكري" لمواجهة جبهة العدو المتحالفة ، في هذا الظرف الشاق والصعب يستغل هؤلاء الجبناء الفرصة وينقضون العهد ويخونون رسول الله ـ صلعم ـ بل الأكثر من هذا ينضمون إلى الجبهة المتحالفة المعادية للرسول ـ صلعم ـ وذلك بتحريض من زعماء بني النضير ، وعلى رأسهم "حيّ بن أخطب" ، وقد أسرّوا خبر نقض العهد وهذا في حد ذاته خيانة وغدر لأنهم كانوا يريدون إفساد خطة واستراتيجية الرسول ـ صلعم ـ ، وفعلا عندمابدأ الخبر يشيع داخل الصفوف ويستغل من طرف منافقي اليهودوالعرب إلى أن وصل الخبرإلى رسول الله ـ صلعم ـ : «بعث سعد بن معاذ سيد الأوس ، وسعد بن عبادة سيد الخزرج ، ومعهم عبد الله بن رواحة وخوات بن جبير ـ رضي الله عنهم ـ فقال : انطلقوا حتى تنظروا أحق ما بلغنا عن هؤلاء القوم أم لا ؟ فإن كان حقا فالحنوا لي لحنا أعرفه ولا تفتوا في أعضاد الناس .

---

(1) ـ د. عبد العزيز شرف ... : (المرجع السابق) ص255.

(2) ـ سورة ال عمران : الآية ١١٨ .

(3) ـ سورة البقرة : الآية ٢٨٥ .

وإن كانوا على الوفاء فيما بيننا فأجهروا به للناس »[1].

والمتفحص لهذا الموقف يدرك مدى عبقرية الرسول ـ صلعم ـ في معالجة الأمور المفاجئة فما أن سمع بالخبر حتّى بعث وفدا يستطلع الخبر اليقين ؛ وذلك قصد القضاء علي الشائعات والدعايات التضليلية في مهدها ، ومحاصرتها في حيِّز ضيق قبل انتشارها مما يصعب معالجتها في وقت يسير ، ثم أن معرفة الأخبار الصحيحة من الكاذبة تجعل الرسول ـ صلعم ـ يبني استراتيجيته على أسس متينة ومحكمة مما يساعد على رفع المعنويات وتماسك الجبهة الإسلامية في وجه الجبهة الكافرة المتحالفة و يجعلها متذبذبة و غير متماسكة و بالتالي القضاء عليها على صعيد الحرب النفسية مدنيا قبل القضاء عليها عسكريا و هذا ما تم فعلا.. لذلك لما رجع الوفد و عرف غدر اليهود ، و أخبروا رسول اللّه ـ صلعم ـ بالتلميح كما أوصاهم قال : « اللّه أكبر . أبشروا يا معشر المسلمين » . و هذا رفعا للمعنويات ، و صدًا لكل التضليلات الإعلامية التي تستغل في مثل هذا الموقف . و لكن لا ننسى إنها الحكمة النبوية..!!

و من صور هذا الأسلوب محاولة قتل الرسول ـ صلعم ـ عن طريق الغدر وهذه العملية تدل على قمة الغدر التي يتصف بها هؤلاء و إلاّ فكيف يفكرون في قتل الرسول ـ صلعم ـ و بأي طريقة؟؟ لكنه عمى الحقد و الغدر الذي يجعل صاحبه لا يرى إلا من خلال الظلام الفكري الذي يحرق صاحبه و هو يعتقد أنه يحرق غيره .

و إذا كنا قد عرفنا في صورة سابقة كيف خانت بنوقريضة و نقضت العهد مستغلة الفرصة ، فإن في هذه الصورة يتكرر نفس السيناريو لنقض العهد مع الرسول ـ صلعم ـ من طرف بني النضير و لكن عن طريق محاولة قتل الرسول بالغدر حيث روي أن الرسول ـ صلعم ـ : « ذهب إلى منازل يهود بني النضير في وفد من كبار أصحابه ، فيهم أبوبكر و عمر و علي ليطلب من اليهود المشاركة في دفع دية قتيلين من بني عامر قتلهما أحد أصحابه دون أن يعلم أن النبي ـ صلعم ـ قد أعطى لهم عهدا ، و ذلك الطلب كان بناء على العهد الذي بين النبي ـ صلعم ـ و اليهود ، و الذي يقضي بالمشاركة في ذلك و أظهر اليهود الترحيب بالنبي ـ صلعم ـ و الاستعداد لدفع ما يطلب ، و بينما النبي ـ صلعم ـ و أصحابه في انتظار ما وعد به اليهود ، و كان جالسا في ظل حائط ، إذا بهم قد اجتمعوا على عجل و قرروا اغتيال النبي ـ صلعم ـ . وقام النبي ـ صلعم ـ من مكانه راجعاإلى المدينةدون أن يخبرأحدابذلك،وتبعه أصحابه دون أن يعلمواسببالمفارقة منازل بني النضيرعلى تلك الصورةالمفاجئة »[2].

و بهذا يظهر لنا جليا محاولة الغدر من طرف بني النضير و التي كانت سببا مباشرا في نقضهم العهد مع الرسول ـ صلعم ـ ، و كانت سببا في إجلائهم عن المدينة بعد ذلك .

و من أسلوب الغدر و محاولة قتل الرسول ـ صلعم ـ أنه : « أهدت له امرأة "سلام بن مشكم" شاة مشوية مسمومة و أكثرت من السم في ذراع الشاة لما عرفته أن

---

(1) ـ جمال ماضي: الغزوات في ظلال القرآن (غزوات مع اليهود) ، الجزائر : مكتبة رحاب ـ ط 3 ـ (1408هـ ـ 1988م) ص86.

وانظر : د.عبد الحميد محمد الهاشمي : المرشد في علم النفس الاجتماعي .(مرجع سابق) ص209

(2) ـ د.علي محمد جماز : دراسات في السيرة النبوية .(مرجع سابق) ص58.

الرسول يؤثرها . و قد تناول النبي مضغة منها ، فلا كها ثم لفظها ، و هو يقول : إن هذا العظم ليخبرني أنّه مسموم ، و كان معه "بشر بن البراء" فأساغ اللحم و ازدرده . و جئ بالمرأة الجانية فاعترفت بما صنعت ، و قالت للنبي : بلغت من قومي مالم يخف عليك . فقلت إن كان ملكا استرحت منه ، و إن كان نبيا فسيخبر ، فتجاوز عنها النبي ، ثم مات "بشر" بعدما سرى السم في جسمه قيل : اقتص له منها ، وقيل: بل اسلمت و عفى عنها »[1].

هذه بعض الصور من أسلوب الخيانة و الغدر و نقض العهود و المواثيق والتي عرفنا من خلالها كيف وصل الحقد والحسدإلى درجة الاستخفاف بالمواثيق وإلى محاولة تنفيذ عمليات الاغتيال للنبي ـ صلعم ـ ، و إن كان في الحقيقة أن هذه الأخلاق ليست جديدة أو غريبة بالنسبة لليهود ، فقد تعودوا عليها من خلال ماضيهم وتاريخهم مع الأنبياء حيث كذبوا من كذبوا و قتلوا من قتلوا ، كل ذلك من أجل أهوائهم و شهواتهم ، و سيبقى هذا خلقهم إلى أن يرث اللّه الأرض و من عليها ...

أحد عشر : محاولة صرف الناس عن الإسلام

من الأساليب التي استعملها اليهود مع النبي ـ صلعم ـ في حربهم النفسية محاولتهم الرامية إلى صرف الناس عن الدين الحق ، و هذا الأسلوب ليس غريبا عند اليهود بل هم يملكون فنيات مذهلة في كيفية استعماله ؛ لما لهم من خبرة و تجربة استعملوها مع الرسالات السماوية السابقة ، فهم و الحق خطان متوازيان لا يلتقيان أبدا ؛ و ما نشاهده اليوم من مخططات استراتجية للصد للصحوة الإسلامية في العالم بصورة عامة ، و العالم الإسلامي بصورة خاصة إلا دليل على حقدهم و حربهم التي لا تتوقف مع الإسلام و معتنقيه .

لكل هذا كان اليهود سباقين في رد الناس عن الإسلام و بصور شتى ، فقد عرفنا فيما سبق كيف أنهم غالطوا قريشا بأن دينهم أفضل من دين محمّد ؟!.

و قد برز من بين يهود مَن تخصص في هذا الأسلوب و تفرغ له معتمدا كل الوسائل التي لا تليق بأي موقف من مواقف رد الناس عن الدين الإسلامي و من هؤلاء : « حيي بن خطب و أخوه أبو ياسر ، و حين قدم وفد نصارى نجران إلى المدينة وافدين على النبي ـ صلعم ـ يعلمون علمه ، و يستمعون منه إلى الدين الجديد أسرع أحبار اليهود إلى لقائهم ، و حاولوا صرفهم عن وجهتهم ، فلما يئسوا منهم تحاملوا عليهم و على دينهم ، يسبون عيسى عليه السلام ، و يتهمون دينهم بالضلال وقد نزل في ذلك بعض القرآن الكريم* ، و لم يتركوا وسيلة للتفريق بين أصحاب النبي ـ صلعم ـ فرادى أو جماعات إلاّ سلكوها ، فقد آلمتهم هذه الوحدة الباهرة التي جمعت بين قلوب كانت متنافرة متباغضة أشد التباغض ، فإذا هي اليوم يد واحدة وقلب واحد، تحت قيادةورايةواحدة ، فأخذوا يوقعون بين أصحاب النبي ـ صلعم ـ »[2].

هذه الأساليب تبين لنا مدى حرص اليهود على مقاومة الحق ، و مقاومة

(1) ـ محمد الغزالي : فقه السيرة .(مرجع سابق) ص376.

* ـ ارجع إلى سورة البقرة : الآية ١٠٩ .

(2) ـ د.عبد الحليم حنفي : أسلوب السخرية في القرآن الكريم .(مرجع سابق) ص245.

وانظر: ابن هشام : السيرة النبويةج2.(مصدر سابق) ص197.

اتباعه بكل الوسائل المشروعة و غير المشروعة حتى و لو أدى الأمر بهم - عند عجزهم مقارعة الحجة بالحجة - إلى السب و الشتم لإثارة العواطف ، و جعل الناس

يفكرون بغرائزهم بدل عقولهم و بالتالي - في زعمهم - يحطمون المعنويات ويكسرون الإرادات و العزائم ، ويصلون في الأخير بالذين يمارسون عليهم الإرهاب الفكري إلى اليأس و الاستسلام و يكون النصر حليفهم . لكن هيهات هيهات !! أن ينتصر الباطل على الحق و أصحابه حتى و إن كان للباطل جولة ستزول بعد حين ... « ** و قل جاء الحق و زهق الباطل إن الباطل كان زهوقا ** »[1].

إثنا عشر: الإعتداء على أعراض النسوة

من الأساليب النفسية المستعملة من طرف يهود اعتداءاتهم المفرطة على الأعراض و ذلك قصد نشر الفساد بإثارة الغرائز الجنسية في المجتمع عن طريق إفساد المرأة و بشتى طرق المكر لكسر حواجز الأخلاق الفاضلة كالعفة و الشرف والحياء ؛ تحت شعارات براقة من أجل الوصول إلى مجتمعات تبنى على بؤر الفساد و المنكر و الفحشاء و نشر الرذيلة ، و محاربة الفضيلة في كل مكان و زمان . لذلك لعنهم الله حيث قال : « ** لعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داوود وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا و كانوا يعتدون * كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبيس ماكانوا يفعلون ** »[2]. و قوله سبحانه و تعالى : « ** إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب اليم في الدنيا و الآخرة و الله يعلم و أنتم لا تعلمون * »[3].

هذه طبيعة يهود فقد كانوا « عبر التاريخ مصدرا للمنكر و الفحشاء . إنهم أصحاب بيوت الدعارة في العالم ، ناشرو الانحلال الجنسي في كل مكان . إنهم يسخرون المال الذي سرقوه من دماء الشعوب في إشاعة الرذيلة من أجل تحطيم القيم الخلقية عند الناس كافة . إنهم أعداء ألداء لكل ما له صلة بالشرف الإنساني . إنهم يحتقرون البشر و يستحلون سرقة مال غير اليهود و تدنيس أعراضهم و تلويث شرفهم و امتصاص دمائهم »[4].

و من صور هذا الأسلوب ما يروى : « أن امرأة من العرب قدمت بجلب لها فباعته بسوق بني قينقاع ، و جلست إلى صائغ بها ، فجعلوا يريدونها على كشف وجهها ، فأبت ، فعمد الصائغ إلى طرف ثوبها ، فعقده إلى ظهرها ، فلما قامت انكشفت سوأتها ، فضحكوا منها ، فصاحت ، فوثب رجل من المسلمين على الصائغ فقتله ، و كان يهوديا ، و شدت اليهود على المسلم فقتلوه فاستصرخ أهل المسلم

---

(1) - سورة **الإسراء** : الآية ٨١ .

(2) - سورة **المائدة** : الآيتان ٧٨ ، ٧٩ .

(3) - سورة **النور** : الاية ١٩ .

(4) - **عبد الله التل** : خطر اليهودية العالمية على الإسلام والمسيحية ، بيروت : المكتب الإسلامي - ط 3.(1399هـ - 1979م) ص64

المسلمين على يهود . فغضب المسلمون ، فوقع الشر بينهم و بين بني قينقاع »[1].

من خلال هذه الصورة الواضحة الشاملة يظهر خلق بني يهود على أرض الواقع ، و تظهر حقارتهم الدنيئة المعتدية ، و إلا كيف نفسر هذا الأذى المعنوى والمادى نحو امرأة ضعيفة وحيدة غريبة عنهم ؟ و كيف نفسر طريقة هذا الاعتداء الذى لا يقبل حتى من طرف الحيوانات ؟ . لكن الحقيقة تكمن في نفسية هذه المخلوقات التي تتلذذ و تضحك ، و تشعر بالرضى عندما تهين غيرها ، و عندما تكشف عورات نساء العرب و تعتدي عليهم !!. إن هذا الاعتداء المهين وجد رجالا تشبعوا بالعقيدة الإسلامية فردوا على المعتدين رداً عنيفا تمثل في محاصرتهم و طردهم و تطهير مدينة الرسول ـ صلعم ـ من هؤلاء الأنجاس و عاشت بعدهم المدينة المنورة في طهر و طهارة .. فمن لنساء العرب و المسلمين اليوم ؟؟!!.

و من صور هذا الأسلوب كذلك ما يقوم به "كعب بن الأشرف" الذى أخواله "بني النضير" حيث كان من أكبر الحاقدين على الإسلام مثل أخواله ، بل كان يشابههم في كل ما يقومون به ، حيث وصل به الحقد إلى الخروج إلى مكة ينشد أشعاراً تحريضية على رسول الله و رسالته . و في المدينة اتخذ أسلوبا بذيئا بتحريض وتشجيع من أخواله يهود "بني النضير" فبدأ يشبب بنساء المسلمين ، قصد إهانتهم بالاعتداء على أعراضهم لما لهذا الجانب من مكانة عند العربي فما بالك إن أصبح مسلماً و لهذا حكم عليه الرسول ـ صلعم ـ بالقتل بعدما استأذنه الصحابة في ذلك ونفذ فيه حكم القتل عن طريق كمين خطط له* ، و كان عبرة لبني يهود الذين هالهم هذا النوع العقابي ، وأصبحوا يحسبون ألف حساب لكل أمر سيء يريدون القيام به .

و في هذا يقول كعب بن مالك :

فَغُودر منهم كعبٌ صريعًا فذلت بعد مصرعه النضير
على الكفين ثم و قد علته بأيدينا مشهرة ذكور[2]

ثلاثة عشر : تكوين جبهة متحالفة من أعداء الإسلام

من أساليب الحرب النفسية التي استعملها اليهود ضد الإسلام تكوين جبهة مضادة و معادية للرسول ـ صلعم ـ و رسالته ، فقد كانوا دائمًا في جانب كل جبهة تحارب محمّدًا ، و مساعدتها بالتخطيط و بكل الوسائل التي من شأنها تقويض العقيدة الإسلامية ، ولذلك كانوا دائما يكونون طابورا متحالفا مع المنافقين للعمل سويا على زعزعة الجبهة الداخلية للإسلام .

و من صور هذا الأسلوب ما ظهر جليا أثناء غزوة أحد حيث كانوا ضمن جند "عبد الله بن أبي" الذي كان قد خطط خطة بمساعدتهم لزعزعة الجبهة العسكرية المتوجهةإلى ميدان القتال ، لكن الرسول ـ صلعم ـ اطلع على مكرهم مما جعله يرفض اشتراكهم في القتال ؛ و بالتالي فوة عليهم فرصة التدبير الماكر .

---

(1) ـ د.محمد سعيد رمضان البوطي: فقه السيرة .(مرجع سابق) ص228.

* ـ لمعرفة الكمين الذي نصب لكعب لقتله . انظر: ابن الأثير: جامع الأصول من أحاديث الرسول ج9 (مصدر سابق) ص169.

(2) ـ د. محمد سيد محمد: المسؤولية الإعلامية في الإسلام .(مرجع سابق) ص140.

و من صور هذا الأسلوب ـ كذلك ـ ما قام به زعماء يهود و على رأسهم "حيي بن أخطب" سيد بني النضير الذى تولى مهمة الديبلوماسية ـ بعد رسم استراتيجية مخطط يهدف إلى الاستيلاء على المدينة ـ في محاولة منه لإقناع مختلف الجماعات العربية في الجزيرة ؛ حيث نزل في كل قبيلة و اتصل بزعمائها وشرح لهم مخطط الاستيلاء على المدينة ، و مثيرا في الوقت نفسه نار العداوة والبغضاء و الحسد تجاه محمّد و دعوته . و استخدم وفد يهود بقيادة هذا الديبلوماسي المحنك في المكر و الدهاء « في الدرجة الأولى سلاح المال ، سلاح اليهود الرئيسي في كل عصر و زمان ؛ لإغراء زعماء الأعراب و شرائهم بالرشاوي ليستجيبوا لهم ، حتّى إن هؤلاء اليهود جعلوا لقبائل غَطَفان النجدية جميع ما أنتجته (خيبر) من ثمار لسنة واحدة مقابل قبول هذه القبائل المشروع اليهودي والموافقة عليه »[1] .

من خلال هذه الصور ينكشف لنا دور اليهود ـ في كل عصر و زمان ـ في تكوين التحالفات التي تخدم مصالحهم الاستراتجية ـ في جميع المجالات ـ و المتأمل في عصرنا الحاضر يدرك حقيقة هذا الأسلوب الذي يكون من ورائه دائما اليهود سواء بطريقة مباشرة أو غير مباشرة !! .

و خلاصة القول :

أن اليهود وراء كل الأحداث التي تؤدي إلى استعمال أساليب إشعال النيران ، و الفتن ، و تغذية الأحقاد ، و إلى التغرير بالجماهير ؛ قصد تدمير المجتمعات القائمة على رسالة السماء ، و ذلك بنشر الفساد و الفجور و الفحشاء للوصول إلى الانحلال الخلقي الشامل ـ على جميع الأصعدة ـ لأي أمة تريد الإصلاح والخير و السلام ..

و إذا كان التاريخ يخبرنا أن بني يهود وراء شرور العالم في القديم و في العصر الحديث ، فإن الأساليب الشريرة التهديمية قد طبقها اليهود في عصر النبوة و بتقنيات وصور مختلفة الأشكال و الألوان متجددة المضامين و الأهداف ؛ كل هذا من أجل القضاء على الدين الجديد ، و زعزعة جبهته الداخلية المتمثلة في الرسول ـ صلعم ـ و أصحابه . لكن اللّه خيب آمالهم ، و أرجع كيدهم إلى نحورهم و فضح نواياهم أمام الجماهير المسلمة ؛ و كانت نهايتهم عبرة لكل من تبع منهجهم هذا في الدنيا و لعذاب الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون ؛ و هذا جزاء الظالمين الخائنين الناقضين للعهود و المواثيق ؛ و العاملين على تقويض المجتمع الإسلامي .

لكن إذا أردنا أن نعرف حقيقة هؤلاء فعلينا الرجوع إلى كتاب اللّه لأنه المصدر الرئيسي لمعرفة نفسية هؤلاء العباد ـ اللّه أعلم بعباده ـ و من صور طبائع هذه النفسيات و التي ظهرت في الواقع من خلال أساليبهم الحربية في عصر النبوة ما يلي :

---

(1) ـ **محمد أحمد باشميل** : غزوة الأحزاب ، بيروت: دار الفكر .ص1 1.

* ـ سيأتي الحديث مفصلا عن هذا الحلف أثناء تعرضنا لدراسة "**غزوة الأحزاب**" .

1- يظهرون المودة و المحبة - في بعض الأحيان - و يبطنون الحقد والكراهية : قصد تغليط الرأي العام الإسلامي و جعله يثق بهم و يتقبل أفكارهم وآراهم و تخطيطاتهم بحجة أنهم أهل علم و دراية و خبرة في جميع المجالات - كما يزعمون - ؛ و لكن اللّه أعلم بهم فحذر عباده المؤمنين بقوله :

« * ها أنتم أولاء تحبونهم ولا يحبونكم ... » [1] .

2- ينافقون في العقيدة : حيث يظهرون للمؤمنين بأنهم مؤمنون متقون يحبون الخير للمسلمين و يدافعون عن الإسلام بكل ما يملكون ، ولكنهم عندما يختلون لبعضهم البعض يظهر حقدهم و غيظهم عن الإسلام و المسلمين إلى درجة الوصول إلى أكل أصابعهم فيقول تعالى :

« ... و إذا لقوكم قالوا آمنا و إذا خلوا عضوا عليكم الأنامل من الغيظ ... » [2] .

3- يكفرون باللّه و ينتهكون المحرمات و لا يدينون بدين الحق : إنها صور من بني يهود فهم دائما يحاولون بكل ما في وسعهم رد الناس عن الإيمان باللّه و ذلك بكل الوسائل التي تؤدي إلى الكفر و منها انتهاك كل المحرمات - في جميع المجالات - بقصد الفوضى ، و الانحلال و الفتن ... و هم دائما أعداء ألداء لدين الحق و هذه صفاتهم مع جميع الأنبياء و الرسل ، و لذلك أمر اللّه سبحانه و تعالى المؤمنين بمقاتلتهم لتطهير العقيدة من هذه النفسيات التي لا تريد خيرا لبني الإنسان قال تعالى : « * قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله و لا باليوم الآخر و لا يحرمون ما حرم الله و رسوله و لا يدينون دين الحق ... » [3] .

4- هدفهم الرئيسي القضاء على الإسلام - دين الحق - : من خلال أساليبهم الجهنمية يتضح جليا و بلا تفلسف أن الغرض الأساسي للحرب المعلنة على الصعيدين المدني و العسكري هي القضاء على الإسلام و إطفاء نوره إلى الأبد حتّى تعيش الشعوب والمجتمعات في الظلام ، مما يسهل عليهم عملية تخريب المجتمعات والتلذذ بمآسيها، هذه النفسيةيبينهاالقرآن :« * يريدون أن يطفئوا نور الله بافواههم ... » [4] .

5- ألد الأعداء للمؤمنين : من صفاتهم عداوة المؤمنين بالدرجة الأولى ، لذلك عرّفنا الأساليب العدوانية ماديا و معنويا التي أظهروها علانية من خلال واقعهم التاريخي في عصر النبوة ، ولذلك قال اللّه تعالى :

« * لتجدن أشد الناس عداوة للذين ءامنوا اليهود ... » [5] .

6 - البغضاء والغيظ صفتان أساسيتان لليهود : فهاتان الصفتان أصليتان في نفسية اليهود تجاه المؤمنين بصفة خاصة ، والبشرية بصفة عامة ، والمستقرئ لتاريخ اليهود ، يدرك هذه الحقيقة ، وعصرنا اليوم يشهد هذه الصفات وبكل قوة واللّه سبحانه وتعالى يقول :

---

(1) - سورة آل عمران : الآية ١١٩ .

(2) - سورة آل عمران : الآية ١١٩ .

(3) - سورة التوبة : الآية ٢٣ .

(4) - سورة التوبة : الآية ٣٢ .

(5) - سورة المائدة : الآية ٨٢ .

« * قد بدت البغضاء من افواههم وما تخفي صدورهم أكبر ... »[1]

هذه بعض الصور من صفات اليهود التي أخبرنا عنها القرآن الكريم والتي طُبِّقت بصورة فعلية مع المسلمين - في عصر النبوة - ، وما زالت تطبق مع المسلمين إلى اليوم مع تطور الأشكال والتقنيات ؛ لذا مطلوب من المسلمين وعلى وجه الوجوب أن يراجعوا تاريخهم ؛ وسيرة نبيهم ، ويستقرئوا كل هذا بأساليب علمية تتماشى مع المناهج الحديثة - نظريا وعلميا - ؛ آخذين العبر والدروس التي تزيدهم قوة ووحدة ، وعلما بأساليب أعدائهم ؛ ومعدين في الوقت نفسه أساليب علمية وفق عصرهم سواء من حيث الدفاع أو الهجوم ، وهذا لا يتحقق إلا بالرجوع الصادق الخالص لكتاب الله والالتزام به - مضمونا وشكلا - وفي جميع المجالات وبذلك يحق لهم أن يكونوا سادة مثلما كان أسلافهم ؛ أما إذا بقوا على ما هم عليه اليوم بعيدين عن إسلامهم وأصالتهم ، يعيشون على ما يخطط لهم من طرف أعدائهم التقليديين ، فالنتيجة لا تحتاج إلى تفلسف وديماغوجية ، وإنما هي زيادة في الانهيار ، والتشتت ، والفرقة ، والتخلف في جميع الميادين ، وعلى جميع الأصعدة .. وقد جربوا .. وجربوا .. والواقع أكبر وأصدق شاهد على مسيرتهم المنحرفة ..!! .

*****

(1) - سورة آل عمران : الآية ١١٨ .

الفصل الثالث

أساليب المنافقين

تمهيد

أولا : إيذاء النبي بالاتهامات

ثانيا : التخذيل والتجسس وكشف العورات

ثالثا : موالاة اليهود والنصارى (الكافرين)

رابعا : رفضهم شريعة الإسلام

خامسا : مسجد الضرار

سادسا : ترويج الشائعات

أ - إثارة الفتنة بين المهاجرين والأنصار

ب - شائعة الإفك

جـ - زواج الرسول - صلعم - من زينب

د - توزيع الغنائم

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

« وإذا رأيتهم تعجبك أجسامهم
وإن يقولوا تسمع لقولهم
كأنهم خُشُبٌ مسندة
يحسبون كل صيحة عليهم
هم العدو فاحذرهم قاتلهم الله أنى يوفكون »

المنافقون : ٤

« ويقولون ءامنا بالله وبالرسول وأطعنا
ثم يتولى فريق منهم من بعد ذلك
وما أولئك بالمومنين »

النور : ٤٧

« يقولون لئن رجعنا إلى المدينة
ليُخرِجن الأعز منها الأذل
ولله العزة ولرسوله وللمومنين
ولكن المنافقين لا يعلمون »

المنافقون : ٨

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

تمهيد

لقد واجه الرسول ـ صلعم ـ في المدينة المنوّرة جبهتين معاديتين للإسلام هما جبهتا اليهود والمنافقين ، فالجبهة الأولى عرفنا أساليبها وقدّمنا نماذج وصور حية عن ما قام به اليهود من تخطيطات ماكرة للقضاء ـ في زعمهم ـ على محمّد ـ صلعم ـ ورسالته ؛ وإذا كنا قد عرفنا كذلك أن خُلُق النفاق قد سُنَّ من قِبل يهود ؛ فإن هذا الخلق أصبح يطلق في المدينة على طائفة من المسلمين أظهرت الإيمان وأبطنت الكفر لأن من سماتهم : « إنهم لم يتخذوا موقفا محددا من عقيدة التوحيد ... و يؤدُّون العبادات رياء وعن غير اقتناع .. يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف ، يعملون على إثارة الفِتَن بين صفوف المسلمين ويستخدمون في ذلك الشائعات ، يميلون إلى خداع الناس ، يُحسنون الكلام للتأثير على السامعين ، يُكثرون من الحَلف لدفع الناس إلى تصديقهم ، يحسنون الظهور بمظهر حسن في ملبسهم لجلب انتباه الناس والتأثير عليهم .. »[1].

من خلال هذه السمات يتضح لنا أن المنافقين سرطان يفتك بالمجتمع لأنهم جزء منه لذلك كان لهم تأثير خطير على مسيرة الدعوة الإسلامية لاندساسهم داخل الصف المسلم بحيث يجالسون المسلمين ،ويحضرون اجتماعاتهم ،ويشاركونهم في تخطيطاتهم واستراتيجياتهم .. وهذا مما يجعل عملية الحذر من أساليبهم صعبة خلافا للمشركين واليهود الذين نجد حقيقتهم جلية للعيان ؛ مما يسهِّل عملية كشف مؤامراتهم وتخطيطاتهم ، وردّ كيدهم إلى نحورهم .

لكن رحمة الله كانت أقوى من تخطيطاتهم ، ونفسياتهم المريضة بالحقد والحسد ، حيث كشفهم الله سبحانه وتعالى لنبيِّه مبيِّنًا صفاتهم ، وأخلاقهم وأساليبهم ، وحتى عاقبتهم في الآخرة قد كَشَفَها الله لعباده المؤمنين .. ممّا سهل مهمّة الحذر منهم ومقاومتهم تدريجيًا ـ على جميع الأصعدة ـ إلى أن تخلّص منهم المجتمع الإسلامي الأوّل ـ كظاهرة اجتماعية ـ أمّا على مستوى الأفراد فهذا شيء طبيعي ، ولازم من لوازم الدعوات ، ولا يخلو منهم أيُّ مجتمع من المجتمعات لأن أصحاب الأهواء ، والقلوب المريضة يوجدون في كل عصر ومصر .

لكل هذا نريد أن نلقي الضوء على أساليب المنافقين ـ في عصر النبوة ـ بعدما عرفنا أساليب المشركين واليهود ، لنعرف مدى ما لاقاه النبي ـ صلعم ـ وأصحابه من حرب نفسية شرسة كانت وراءها جبهات متعدِّدة الظواهر والأساليب متفقة الأهداف والأغراض ..

ومن أساليب الحرب النفسية المستعملة من قِبَل المنافقين ما يلي :

---

(1) ـ د.محمد عثمان نجاتي : القرآن وعلم النفس ، القاهرة: دار الشروق ـ ط3 . (1408هـ ـ 1987م) ص228.

أولاً: إيذاء النبي بالإتهامات

من الأساليب التي استعملت مع النبي ـ صلعم ـ من قِبَل المنافقين الإيذاء بواسطة الاتّهامات والافتراءات الكاذبة والتي رُوِّجت من قبل المنافقين بواسطة الشائعات ؛ وذلك قصد تشويه شخصية الرسول ـ صلعم ـ ، والطعن في عِرضه والتشكيك في أقواله ، ودعوته بهدف إبعاد الناس عنه ، وعن دعوته ؛ لكن هذه الأساليب باءت بالفشل والخسران مثلما باءت أساليب حُلَفائهم من المشركين واليهود .

ومن صور هذه الأساليب قولهم أن النبي "أُذُنٌ" بحيث يصدق كل من يحدِّثه هذه التهمة تُعتبر إهانة حقيرة في حق من اختاره الله نبيا ورسولا للبشرية جمعاء فهل يُعقل أن يتّصف بهذه الصفة التي لا يوصف بها حتى الإنسان العادي ، لكن طبيعة المنافقين جعلتهم يتّهمون الرسول ـ صلعم ـ بكل أنواع التهم حتى ولو كانت لا تصمد أمام الواقع إطلاقًا ؛ وهذه سِمة من سمات المنافقين في كل زمان ومكان وحتى في عصرنا الحاضر حيث نماذج صور المنافقين أصبحت ظاهرة لكل من له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد .

وكنموذج لهذا الأسلوب ـ في عصر النبوة ـ يذكر ابن هشام أن : « "نبتل بن الحارث" أحد المنافقين كان يأتي رسول الله ـ صلعم ـ فيسمع منه ثم ينقل حديثه إلى المنافقين ، وهو الذي كان يقول أن محمدا أُذُنٌ من حدثه شيئا سمعه وصدَّقه وعنه يقول القرآن :« ومنهم الذين يؤذون النبيء ويقولون هو أذن قل أذن خيرلكم يومن بالله ويومن للمومنين ورحمة للذين ءامنوا منكم والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب اليم » »[1].

ومن صور إيذاء النبي قولهم في غزوة الأحزاب :« كان محمد يَعِدُنا كنوز كسرى وقيصر ، وأحدنا لا يأمن أن يذهب إلى الغائط ، حيث يقول تعالى :

« وإذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله إلا غرورا » »[2].

ومن إيذائهم للنبي ـ صلعم ـ اتهامه بأنّه غير عادل في تقسيم الصدقات وهذا الاتّهام له ما له من إثارة داخل الصف المسلم حيث يقول تعالى :

« ومنهم من يلمزك في الصدقات فإن اعطوا منها رضوا وإن لم يعطوا منها إذا هم يسخطون » »[3].

قال أبو سعيد الخدري: « بينما رسول الله ـ صلعم ـ يُقسِّم مالاً إذ جاءه "حرقوص بن زهير" أصل الخوارج ، ويقال له ذو الخويصرة التميمي ؛ فقال :اِعدل يا رسول الله . فقال : ويلك ومن يعدل إذا لم أعدل » فنزلت الآية »[4].

---

(1) ـ ابن هشام : السيرة النبوية ج2.(مصدر سابق) ص168.[سورة التوبة : الآية ٦١] .

وانظر : د.عبد الصبور مرزوق : السيرة النبوية في القرآن الكريم .(مرجع سابق) ص162.

(2) ـ ابن هشام : (المصدر السابق) ص169.[سورة الأحزاب: الآية ١٢ .] .

وانظر : د.عبد الصبور مرزوق : (المرجع السابق) ص163.

(3) ـ سورة التوبة : الآية ٥٨ .

(4) ـ القرطبي: الجامع لأحكام القرآن مج4/ج 8 .(مصدر سابق) ص166.

ثانيا : التخذيل والتجسس وكشف العورات

التخذيل والتجسس وكشف العورات ، صفات المنافقين في كل عصر وزمان ، لذلك كانت هذه الصفات أسلوبا من أساليب المنافقين في حربهم النفسية مع المسلمين - في عصر النبوة - وذلك قصد تفتيت عَضُد المسلمين ، وشلّ إرادتهم وعزيمتهم ؛ مما يجعلهم ينهزمون ويفشلون في تحقيق النصر سواء على الصعيد المدني أو الصعيد العسكري .

ومن صور هذا الأسلوب تخذيلهم للمسلمين في عدّة مواقف ، وخاصة على الصعيد العسكري كما حدث في غزوة أحد ، أو غزوة الأحزاب ، أو غزوة تبوك ... والتي سنتعرّض لها بالتفصيل أثناء دراستنا لوقائع الحرب النفسية - في عصر النبوة - على الصعيد العسكري ؛ لأن هذا الأسلوب :«يتمكّن من الصفوف فيفرقها ويتصل بالإخلاص فيفسده ، وبالعزائم فيزلزلها ، ويلقي بظله الكثيف أمام البواسل فتضطرب بهم السبل ... وهذه الخلال هي عناصر التكوين لخُلُق النفاق ، والنفاق جرثومة الانتكاس في كلّ نهضة والفساد في كل صلاح ، والتعويق في كل تقدُّم والهزيمة في كل حرب .»[1] .

ومن صور هذا الأسلوب التجسس وكشف عورات المسلمين ، حيث كان المنافقون يتجسسون الأخبار لوجودهم في صف المسلمين ، ثم ينقلونها لأعداء الله التقليديين - اليهود - قصد كشف العورات ، ومن أجل التخطيط لضرب الإسلام وزعزعة المسلمين حول نبيهم ، ولذلك أخبرنا القرآن الكريم وكشف لنا عوراتهم حيث قال تعالى :« * ألم تَرَ إلى الذين تولّوا قوماً غضب الله عليهم ما هم منكم ولا منهم ويحلفون على الكذب وهم يعلمون * »[2].

قال قتادة :« هم المنافقون تولّوا اليهود »، وقال السدي ومقاتل :« نزلت في عبد الله بن أُبَيّ وعبد الله بن نبتل المنافقَين ؛ كان أحدهما يجالس النبي - صلعم - ثم يرفع حديثه إلى اليهود »[3] .

من خلال هذه الصور والنماذج يتبين لنا أن المنافقين طائفة لها خطر كبير على المجتمع المسلم لأنّها قد تكون سبب كل الهزائم والمصائب والمصاعب في الوقت نفسه ، فهم كالسرطان داخل الجسم ، فيجب معالجته في وقته وبكل الوسائل الممكنة الناجحة حتى يبقى الجسم سليماً خالياً من كل إعاقة قد تعطّله عن مهامه في الحياة،ولهذانجدالله سبحانه وتعالى حذّرنبيه - صلعم - من هؤلاءالذين يبطنون الكفر ويتظاهرون بالإسلام في قوله تعالى :« ... هم العدوّ فاحذرهم قاتلهم الله أنّى يؤفكون * »[4].

---

(1) - محمود شلتوت:من توجيهات الإسلام ، القاهرة : دار الشروق - ط7.(1400هـ-1980م) ص 250

(2) - سورة المجادلة : الآية ١٤ .

(3) - القرطبي : الجامع لأحكام القرآن مج9/ج17.(مصدر سابق) ص304.

(4) - سورة المنافقون : الآية ٤ .

ثالثا: موالاة اليهود والنصارى (الكافرين)

من أساليب الحرب النفسية المستعملة من قبل المنافقين - في عصر النبوة - موالاتهم اليهود والنصارى ، وذلك لتكوين حِلف صلبٍ الغرضُ منه ضرب الإسلام والمسلمين ليس إلاّ ؛ ولأن مصالحهم وعقائدهم مهدَّدة مما جعلهم يقفون صفًا واحدًا ويتناصرون ويدافعون عن بعضهم البعض وفي جميع المجالات .

ومن صور هذا الأسلوب موقفهم المخزي من بني النضير حيث وعدوهم بأن يقفوا معهم وأن ينصروهم مهما كان الحال ، لكن يوم أن جدّ الجدُّ خذلوهم وتخلّوا عنهم رغم ولائهم لبعضهم البعض ، وهذه الموالاة بيَّنها لنا القرآن الكريم في هذه الآيات : « * ألم تر إلى الذين نافقوا يقولون لإخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب لئن أخرجتم لنخرجن معكم ولا نطيع فيكم أحدا أبدا وإن قوتلتم لننصرنكم والله يشهد إنهم لكاذبون * لئن أخرجوا لا يخرجون معهم ولئن قوتلوا لا ينصرونهم ولئن نصروهم ليولن الأدبار ثم لا ينصرون * »[1].

وهذا الأسلوب يعتبر سمة من سمات المنافقين في كل عصر من العصور لأنهم لا يستطيعون بمفردهم مقاومة الإسلام علانية لطبيعتهم الجبانة ، فيستعينون بأعداء الإسلام الظاهرين ، ويزودونهم بالأخبار التجسُّسية ، ويعلمونهم بالتخطيطات والتكتيكات الاستراتيجية ، و يأخذون هم تخطيطات الأعداء قصد تنفيذها داخل الصف المسلم سواء على مستوى الجبهة المدنية ، أو الجبهة العسكرية ، لاندساسهم داخل المسلمين مما يسهل عملهم ، فهم كالطابور الخامس للأعداء يستعملونهم في الوقت المناسب وبالأسلوب المناسب .

ومن صور هذا الأسلوب ما سنتحدث عنه - إن شاء الله - عند تعرُّضنا للأحداث والوقائع على صعيد الميدان العسكري - في عصر النبوة - .

رابعا : رفضهم شريعة الإسلام

المنافقون يُظهرون الإسلام ، ويتظاهرون قولا وشكلا بأنهم مسلمون ؛قصد خداع الجماهير المسلمة ، وبالتالي يتسنّى لهم بثّ الإشاعات والافتراءات والتضليلات الكاذبة ، وتسميم العقول للوصول إلى أغراضهم الدنيئة . لكن الله فضحهم وبين للمؤمنين حقيقتهم التي ترفض حكم الله مطلقًا ، وتريد أن تتاجر بالإسلام ، فإذا كانت أحكامه تتماشى ومصالحهم تقبَّلوها بالطاعة والإذعان ، وإذا كانت أحكام الإسلام تخالف أهواءهم ونفسياتهم المريضة رفضوها وأعرضوا عنها مبرِّرين عملهم بالحُجج الباطلة ، ومشكِّكين في أحكام الله ، مُفَضِّلين التحاكم إلى الطواغيت التي تتماشى في أحكامها مع رغباتهم وأهوائهم ...

---

(1) - سورة الحشر: الآيتان ١١ ، ١٢ . وانظر:

- **محمد بن سعيد بن سالم القحطاني**: الولاء والبراء في الإسلام.(مرجع سابق) ص207.

- **جمال ماضي** : الغزوات في ظلال القرآن (الغزوات مع اليهود) .(مرجع سابق) ص72 ، 73

وهذا الأسلوب المستعمل من قبل المنافقين ـ في عصر النبوة ـ كان له أثر كبير على الصعيد المدني لأنه يجعل ضعاف النفوس من المسلمين يتشككون في أحكام اللّه ، ويجعلهم يبحثون عن الأحكام التي تحقّق رغباتهم ، لذلك قطع اللّه سبحانه وتعالى الطريق أمام كل العابثين بشرع اللّه ونفى عنهم الإيمان إطلاقًا حتى لا ينخدع العوام بسلوكاتهم وأفكارهم .

ومن صور هذا الأسلوب ما روي عن ابن عباس قال:« كان الجلاس بن الصامت ومعتب بن قشير ورافع بن زيد وبشر يدُعون الإسلام . فدعاهم رجال من قومهم من المسلمين في خصومة كانت بينهم إلى رسول اللّه ـ صلعم ـ فدعَوهم إلى الكهّان حكام الجاهلية.فأنزل اللّه فيهم:« * ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم ءامنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالا بعيدا * وإذا قيل لهم تعالوا الى ما أنزل الله وإلى الرسول رأيت المنافقين يصدون عنك صدودا * » »[1] .

هذه هي طبيعة المنافقين يتهرّبون من كل حكم لايتماشى مع أغراضهم وأهوائهم حتى و لو كان من عند اللّه أو من عند رسوله حيث : «أخرج ابن أبي حاتم من مرسل الحسن قال : كان الرجل إذا كان بينه وبين الرجل منازعة فدُعي إلى النبي ـ صلعم ـ و هو مُحِقٌّ أذعن وعلم أن النبي ـ صلعم ـ أعرض ، فقال : انطلق إلى فلان . فأنزل اللّه:

« * ويقولون ءامنا بالله وبالرسول وأطعنا ثم يتولى فريق منهم من بعد ذلك وما أولئك بالمومنين * وإذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم إذا فريق منهم معرضون * وإن يكن لهم الحق ياتوا إليه مذعنين * أفي قلوبهم مرض ام ارتابوا أم يخافون أن يحيف الله عليهم ورسوله بل اولئك هم الظالمون * » »[2].

هذه الآيات تكشف لنا عن هوية هؤلاء المنافقين الذين لا يريدون الحق ولا يذعنون له إلاّ بقدر ما تقتضيه مصالحهم ، أما إذا تعارضت مصالحهم مع حكم اللّه ورسوله فإنهم ينفرون ويُنفِّرون ، وذلك خوف الظلم والجور ـ في زعمهم ـ وهذا أمر غريب لا يصدر إلاّ من نفس مريضة لم تتذوّق حلاوة الإيمان لذلك جاءت تصرّفاتهم غريبة وعجيبة ، وهذه هي حالة المنافقين في كل عصر وزمان . يقول سيد قطب : «هذا الفريق الذي كان يدّعي الإيمان ، ثم يسلك هذا السلوك الملتوي ، إنما هو نموذج للمنافقين في كل زمان ومكان . المنافقين الذين لا يجرؤون على الجهر بكلمة الكفر فيتظاهرون بالإسلام ، ولكنهم لا يرضون أن تقضي بينهم شريعة اللّه ، ولا أن يحكم فيهم قانونه ، فإذا دُعُوا إلى حكم اللّه ورسوله أبَوا وأعرضوا وانتحلوا المعاذير « ...ومأأولئك بالمؤمنين * » فما يستقيم الإيمان وإباء حكم اللّه ورسوله ؛ إلا أن تكون لهم مصلحة في أن يتحاكموا إلى شريعة اللّه أو يحكموا قانونه ! ...[إلى أن يقول] ... إن الرضى بحكم اللّه ورسوله هو دليل الإيمان الحق ، وهو المظهر الذي ينبئ عن استقرار حقيقة الإيمان في القلب ، وهوالأدب الواجب مع اللّه ومع رسول اللّه ، وما

---

(1) ـ **جلال الدين السيوطي** : لباب النقول في أسباب النزول.(مرجع سابق) ص82.
[سورة النساء : الآيتان ٦٠ ، ٦١] . وانظر :
أحمد مصطفى المراغي : تفسير المراغي ج5، بيروت : دار إحياء التراث العربي .ص75 ، 76

(2) ـ **جلال الدين السيوطي** : (المرجع السابق) ص202 [سورة النور : الآيات ٤٧ إلى ٥٠]
وانظر: **محمد بن سعيد القحطاني** : الولاء والبراء في الإسلام .(مرجع سابق) ص210 ، 211.

يرفض حكم اللّه وحكم رسوله إلاّ سيِّء الأدب معتم ، لم يتأدّب بأدب الإسلام ، ولم يشرق قلبه بنور الإيمان »[1] .

خامسا : مسجد الضرار

من أساليب الحرب النفسية المستعملة من قبل المنافقين استعمال مؤسسات رسمية ظاهرها يدلُّ على الرحمة والتآخي والتربية والتعليم ، وباطنها يدلُّ على التخريب بجميع أشكاله ، بما في ذلك التحضير المسلّح لضرب الإسلام زيادة عن جعل هذه المؤسسة منافسة لمؤسسة المسلمين القائمة على التقوى . هذه المؤسسة التي استعملها المنافقون كأسلوب من أساليبهم التخريبية قصد الفتنة والتفريق ، والتركيز على العصبية ، والمنافسة اللاّشرعية ..

وهذه المؤسسة تتمثّل في بناء "مسجد الضرار" من قبل المنافقين ،والذي كان وراء هذه العملية " أبو عامر الراهب " والذي أسماه الرسول ـ صلعم ـ بالفاسق وقد كان أبو عامر زعيما كبيرا في الأوس ، وقد ترهّب في الجاهلية ، وقد كان على علم ومعرفة بعلم أهل الكتاب ، ولما كان له شأن في قومه ، لكن مجيء الإسلام أطفأ بريقه ، مما جعله يعلن الحرب على محمد ـ صلعم ـ حيث اشترك في الجبهة المعادية ضد الإسلام ، لأن الحقد والحسد أكل قلبه وأقسم بأن يحارب مع كل جبهة محمداً وفعلا شارك مع الأعداء في غزوة أحد وغزوة حنين ، وقد خرج إلى مكّة بعد هجرة الرسول ـ صلعم ـ هو ومن وافقه في الرأي وبعد فتح مكة هرب إلى الطائف ، وبعد أن أسلمت الطائف هرب إلى الشام بغية جمع الجند والسلاح لمحاربة المسلمين .. ولذلك أوعز إلى بني قومه ببناء مسجد ينافس مسجد قباء قصد إيقاع الفتنة بين المسلمين ، وفي الوقت نفسه تقوية صف المنافقين و استعدادهم نفسيا واستراتيجيا وتكتيكيا لاستقبال المدد والأسلحة من الدول الأجنبية وعلى رأسها الروم ، حيث ذكر عثمان بن سعيد الدارمي :« أنّ الذين اتخذوا مسجدا ضرارا وكفرا قال لهم أبو عامر ابنوا مسجدكم واستمدوا ما استطعتم من قوة ومن سلاح فإني ذاهب إلى قيصر ملك الروم فآتي بجند من الروم فأُخرِج محمّداً وأصحابه . فلمّا فرغوا من مسجدهم أتواالنبي ـ صلعم ـ ليصلي لهم فيه،ثم كشف الوحي تدبيرهم »[2].

وكان الذين بنوا مسجد الضرار اثني عشر رجلا ، ذكرهم ابن هشام واحدا واحدا ، واستغلُّوا فرصة تجهيز النبي ـ صلعم ـ لغزوة تبوك ، وأخبروه بعملهم طالبين منه أن يصلي فيه حتى تكون له المصداقيةوالثقة متذرِّعين بأعذار مفتريات كقولهم بنيناه لذي العلّة والحاجة ، والليلة المطيرة ، والليلة الشاتية ... لكن الرسول ـ صلعم ـ اعتذر لهم لشغله بحالة السفر والتجهيز للغزوة ووعدهم بعد قدومه ـ إن شاء اللّه ـ أن يذهب لهم ويصلي في مسجدهم ، وهو غير عالم بما يخفون وما

(1) ـ **سيد قطب** : في ظلال القرآن ج18 .(مصدر سابق) ص2526.

(2) ـ **د.محمد سيد محمد** : المسؤولية الإعلامية في الإسلام .(مرجع سابق) ص198.

وانظر :

ـ **ابن هشام** : السيرة النبوية ج4 .(مصدر سابق) ص173.

ـ **ابن القيم الجوزي** : زاد المعاد مج2/ج3 بيروت: دار الكتاب العربي .ص109.

يخططون ، ولمّا علم الرسول ـ صلعم ـ من قِبَل ربه ، نهى عن الصلاة فيه وأمر بهدمه وحرقه ، لأنه مسجد بني لإيقاع الضرر بين المؤمنين ، وتفريقهم والتخطيط لهم ومحاولة جعله مبدأ انطلاق في الهجوم على المسلمين على الصعيدين المدني والعسكري[1] . قال تعالى :

« * الذين اتخذوا مسجدا ضرارا وكفرا وتفريقا بين المومنين وإرصادا لمن حارب الله ورسوله من قبل وليحلفن إن اردنا إلا الحسنى والله يشهد إنهم لكاذبون * لا تقم فيه أبدا ... »[2].

وبهذا أمر اللّه سبحانه وتعالى نبيه بأن لا يقوم إطلاقا في هذا المسجد الذي قصد من ورائه التفريق والإرصاد ومحاربة اللّه ورسوله ، ثم وجّه اللّه نبيّه إلى مسجد آخر ـ مسجد قباء وقيل مسجد الرسول ـ بُنِيَ على التقوى منذ تأسيسه لأن المقيمين فيه من أهل الإخلاص والعبادة للّه وحده وهو قائم على رضى اللّه ، وقائم على رجال متطهّرين ـ معنويا وبدنيا ـ واللّه يحب المطهّرين . قال تعالى « ... لمسجد اسس على التقوى من اول يوم أحق أن تقوم فيه فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين * »[3] .

وهكذا تفشل خطة المنافقين ويفضحهم اللّه سبحانه وتعالى ، وينجو الرسول ـ صلعم ـ وصحبه من هذا الأسلوب الماكر ، ويبقى المسجد قائما على التقوى والوحدة ، وطهارة النفس من اللّمم والمعاصي وكل العداوات بين المسلمين ، وتبقى رسالته تهدف إلى النهوض بالأمة علميا وأخلاقيا ، بل الأكثر من ذلك بقي المسجد نبراسا للمسلمين على الصعيدين الديني والدنيوي إلى أن يرث اللّه الأرض ومن عليها ، و مهما حاول المنافقون في كل عصر أن يحوّلوا المسجد عن هدفه الرسالي ، وأن يجعلوه مؤسسة تخدم أغراضهم وأهواءهم مثل باقي المؤسسات الأخرى فلن يفلحوا أبدا لأن اللّه يحفظ بيته ولأن المسجد « يجمع الناس مرارا في كل يوم على سلامة الصدر ، وبراءة القلب ، وروحانية النفس ، ولا تدخله إنسانية الإنسان إلا طاهرة منزّهة ، مسبغة على حدود جسمها من أعلاه وأسفله شعار الطهر الذي يسمى الوضوء كأنما يغسل الإنسان آثار الدنيا من أعضائه قبل دخول المسجد »[4].

سادسا : ترويج الشائعات

إذا كانت الشائعات سلاحا فتاكا في مجال الحرب النفسية ؛ لأنها تستخدم وسائل مؤثّرة ومحطّمة للخصم بما تنشره في أوساط الجماهير من فتن ، وتفكيك وتحطيم للمعنويات ، لذلك نجد الأعداء في كل عصر من العصور يستعملون تقنيات تتماشى مع عصرهم قصد بث الشائعات وترويجها ضد الخصم مما يسهل عملهم في مجال الحرب النفسية ـ مدنيا أو عسكريا ـ .

هذا الأسلوب استعمله المنافقون ـ في عصر النبوة ـ وتفننوا في صُوَرِه

---

(1) ـ انظر : **المراجع السابقة** ، وكذلك : **عفيف عبد الفتاح طبارة** : روح الصلاة في الإسلام . بيروت : دار العلم للملايين ـ ط15 .(1983م) ص220.

(2) ـ سورة **التوبة** : الآيتان ١٠٧ ، ١٠٨ .

(3) ـ سورة **التوبة** : الآية ١٠٨ .

(4) ـ **مصطفى صادق الرافعي**: وحي القلم ج1 بيروت: دار الكتاب العربي .ص318.

تجاه النبي وأصحابه ورسالته ، وقد عانى المسلمون من هذا الأسلوب عناء كبيرا على المستوى المدني ، ولولا رحمة الله بهم لكان لترويج الإشاعات صدًى عميق ومؤثر على نفسياتهم وتحطيم معنوياتهم . ولمعرفة مدى تأثير هذا الأسلوب على النبي - صلعم - بصفة خاصة لأنه الهدف المقصود من وراء بث شائعات المنافقين وترويجها ، ثم معرفة مدى تأثيرها على الدعوة الإسلامية والمسلمين بصفة عامة ومن صور هذا الأسلوب ما يلي :

هناك حَدَثان بارزان في أساليب الحرب النفسية " المستعملة" من قبل المنافقين ، واللذان استغلا أبشع استغلال من قبل المنافقين وعلى رأسهم كبير المنافقين بلا منازع "عبد الله بن أبي بن سلول" * هذان الحدثان أعقبا "غزوة بني المصطلق" التي وقعت في السنة السادسة الهجرية وتتلخص في أن رسول الله - صلعم - : « بلغه أن بني المصطلق - وهم بنو جذيمة بن كعب من خزاعة - يجمعون عدتهم للهجوم على المسلمين فخرج الرسول - صلعم - إليهم . ولم تكن أحداث القتال ذات بال يُذكر فقد انتصر المسلمون دون عناء يذكر »[1].

أمّا الحدثان فهما :

١ - إثارة الفتنة بين المهاجرين والأنصار :

من طبيعة المنافقين تضخيم الأمور التافهة واستغلالها في إثارة الفتن وإشعال النار بين الإخوة في الدين ، وهذا ما وقع بالفعل بعد "غزوة بني المصطلق" حيث استغل المنافقون وعلى رأسهم "عبد الله بن أبي" الذي كان له الدور الأول في إشعال فتيل الفتنة مما يدلُّ على نفسيته الحاقدة على الإسلام والمسلمين ، بحيث استغل حدثا بسيطا تافها وجعل من الحَبَّة قُبَّة وتقيأ سُمًّا بثه في نفوس المسلمين كاد أن يقضي عليهم ويرجعهم إلى جاهليتهم لولا رحمة الله بهم وحكمة نبيه في معالجة الأمور ، وملخّص الحادثة :

« أن غلاما لعمر بن الخطاب رضي الله عنه اسمه "جهجاه بن سعيد الغفاري" تنازع مع "سنان بن وبر الجهني" وهما مع جمع عند ماء المريسيع أثناء مقام النبي - صلعم - هناك ، وكادا أن يقتتلا ، فصرخ الجهني : يا معشر الأنصار ، وصرخ جهجاه : يا معشر المهاجرين ، فسمع بالأمر عبد الله بن أبي بن سلول فغضب وقال للرهط ممّن معه : أوَفعلوها ؟!.. قد نافرونا وكاثرونا في دارنا والله ما أعدنا وجلابيب قريش (يقصد المسلمين من قريش) إلا كما قالوا ، سمِّن كلبك يأكلك ، أما والله لئن رجعنا إلى المدينة ليُخرِجَنَّ الأعزُّ منها الأذلَّ ، وكان ممن سمع كلامه "زيد بن أرقم" ، فمشى إلى رسول الله - صلعم - يخبره بالأمر ، وكان عنده عمر رضي الله عنه ، فقال يا

* - عبد الله بن أبي بن سلول : كان سيدا في أهل المدينة قبل مجيء الرسول - صلعم - وكان قومه قد نظموا له "الخرز" ليتوجوه ثم يملكوه عليهم . وعندما جاءهم رسول الله - صلعم - بالإسلام انصرفوا عنه ؛ مما جعله يحقد على رسول الله - صلعم - وعلى الإسلام لاعتقاده أن الرسول - صلعم - هو الذي استلبه ملكه ، ولكنه دخل في الإسلام كارها مُصِرًّا على النفاق والعداوة ؛ لأنه رأى قومه دخلوا الإسلام فلم يستطع أن يبقى وحده .

(1) - د. محمد سيد محمد: المسؤولية الإعلامية في الإسلام .(مرجع سابق) ص190.

رسول اللّه مُر به "عباد بن بشر" فليقتله ، فقال له عليه الصلاة والسلام : فكيف ياعمر إذا تحدث الناس أن محمدا يقتل أصحابه ؟ لا . ولكن أذّن بالرحيل ، وذلك في ساعة لم يكن رسول اللّه - صلعم - يرتحل فيها . فارتحل الناس .»[1].

من خلال هذه الصورة الحية لهذه الواقعة يتجلّى لنا كيف أن المنافقين - في عصر النبوة - كانوا يستغلون كل حدث مهما كان شأنه مستعملين أسلوب التضخيم لبث شائعات الكراهية والحقد قصد تأجيج نار العداوة والبغضاء ومتقولين بكلمات نتنة يلقون بها من أفواههم دون حياء أو أدب إنساني ..

لكن في الوقت نفسه تظهر لنا حكمة النبي - صلعم - وحنكته القيادية في معالجة الأمور والوقائع المفاجئة ، حيث أعطى درسا لعمر الذي طلب بقتل زعيم المنافقين وذلك بقوله :« فكيف يا عمرإذا تحدث الناس أن محمدا يقتل أصحابه ؟ » . وهذا التصرف الحكيم يدل على أن القائد المسلم لا بد أن يعالج الوقائع والأحداث من جميع جوانبها الداخلية والخارجية وعلى جميع الأصعدة سواء أكانت مدنية أو عسكرية ..

وبالمقابل يعطي الرسول لعمر البديل لرأي عمر بقوله: « ولكن أذّن بالرحيل » . هذا الرحيل الذي لم يتعوّده رسول اللّه - صلعم - ولا أصحابه كان أسلوبا وقائيا للقضاء على الفتنة في مهدها ، والقضاء كذلك على هذه الشائعة حتى لا تروج بين المسلمين .

و فعلا فقد سار رسول اللّه - صلعم - بالمسلمين يومهم ذلك حتى أمسى ، وليلتهم حتى أصبح ، وصدر يومهم ذلك حتى آذتهم الشمس ، ثم نزل بهم حيث أخذ منهم العياء والتعب مأخذه فوقعوا نياما مما جعلهم ينشغلون عن حديث ابن أبي . وكالعادة في مثل هذه الوقائع والأحداث ينزل القرآن لتبيان الحقيقة وتربية المسلمين وتأسية الرسول - صلعم - حيث نزلت سورة المنافقين مصدِّقة لكلام "زيد بن أرقم" ، وفيها يقول تعالى :« * يقولون لئن رجعنا إلى المدينة ليُخرجنّ الأعزّ منها الأذلّ ولله العزة ولرسوله وللمومنين ولكن المنافقين لا يعلمون * »[2] .

من خلال هذا الأسلوب ونماذجه تتجلى لنا العبر والعظات ومنها أن :

« عبد اللّه بن أبي بن سلول الذي يعيش بين المسلمين قريبا من رسول اللّه - صلعم - تتوالى الأحداث والآيات من بين يديه ومن خلفه ، على حقيقة هذا الدين ، وصدق هذا الرسول ، ولكن اللّه لايهدي قلبه للإيمان ، وتقف دونه إحنة في صدره أن لم يكن ملكا على الأوس والخزرج ، بسبب مقدم رسول اللّه - صلعم - بالإسلام إلى المدينة ، ودخول رجال القبيلتين في دين اللّه أفواجا ، فتكفُّه هذه وحدها عن الهدى ، وتغري صدره بترويج الشائعات ، وإشعال نار الفتن بين المسلمين »[3]

---

(1) - د. محمد سعيد رمضان البوطي : فقه السيرة .(مرجع سابق) ص77.

وانظر: ابن هشام : السيرة النبوية ج3.(مصدر سابق) ص302 ، 303.

(2) - سورة المنافقون : الآية 8 .

(3) - د.محمد فريد محمود عزت : بحوث في الإعلام الإسلامي .(مرجع سابق) ص35 ،36.

وانظر: سيد قطب : في ظلال القرآن ج28.(مصدر سابق) ص3577.

ب ـ شائعة الإفك :

من أساليب الحرب النفسية المستعملة من قبل المنافقين واقعة "شائعة الإفك" ، هذه الواقعة التي كانت بمثابة سقطة عنيفة نزلت على الرسول ـ صلعم ـ وعلى الحياة النفسية والاجتماعية لكل المؤمنين في المدينة المنوّرة ، وكيف لا تكون ضربة عنيفة ؟ وقد هزّت المجتمع المسلم من أعماقه وزلزلت كيانه ، لأن هذا الأسلوب أصاب القيادة في عِرضها ، وأثار الاتهامات نحو أشخاص عُرِفوا بالتقوى والأخلاق الإسلامية العالية .

لكل هذا كان هذا الحادث الذي وقع بعد غزوة بني المصطلق درسا واقعيا لا ينساه المسلمون ما داموا أحياء يرزقون لأنه يحتوي على عبر وعظات تربوية سواء على الصعيد النفسي أو على الصعيد الاجتماعي ، أو على صعيد مؤسسات الدولة وقياداتها ..

وخلاصة الشائعة هي :« يعود الرسول ـ صلعم ـ والجيش الإسلامي ومعه من أهله عائشة رضي اللّه عنها وفي إحدى مراحل التوقف ذهبت عائشة في الخلاء لقضاء الحاجة فوقع منها عقدها فرجعت تبحث عنه فتأخرت فسار الجيش دون أن يعلم بغيابها أحد ، وحمل الركب هودجها على البعير ظانين أنها فيه لأنها كانت رشيقة .

تعود عائشة إلى المكان لتجد الجيش قد ارتحل فتبقى في المكان راجية أن يتفقدها الركب فلا يجدونها فيعودون . وبينما هي كذلك منتظرة غلبها النوم وكان أحد المؤمنين المجاهدين وهو(صفوان بن المعطل) يسير وراء الجيش يتابعه فإن وجد متاعا ترك أو سقط جمعه لأصحابه .

فلما وصل المكان وجد عائشة نائمة فعرفها فجعل يتلو :

« ... إنا لله وإنا إليه راجعون * » مرارا حتى استيقظت فأعانها على ركوب البعير ومشى على قدميه يقوده حتى وصل المدينة في رابعة النهار ولقد شاهد ذلك كبير المنافقين (عبد اللّه بن أبي) فسأل :(من هذه ؟ قيل له :(عائشة) فجعل يقول : امرأة نبيكم باتت مع رجل حتى أصبحت ثم جاء يقودها ـ وتعاون المنافقون في ترديد هذه الشائعة حول عائشة وصفوان رضي اللّه عنهما وعاش المجتمع الإسلامي في المدينة شهرا كاملا في أجواء هذا الإفك حتى أنزل اللّه وحيا ببراءة السيدة عائشة كما أنزل

تكذيبا للذين جاءوا بالإفك ـ »[1] .

هذه الحادثة إذن استغلت أبشع استغلال ، وتولّى كبير المنافقين "عبد اللّه بن أبي " ترويج هذه الإشاعة في محاولة منه لزلزلة الجبهة الداخلية للمسلمين وخاصة إذا عرفنا أن الشائعة تحوم حول أحب نساء النبي ـ صلعم ـ وهي بنت أحب أصحابه ، وتدور كذلك حول اتهام صحابي كريم لم يعرف عنه إلاالخير والصلاح ،لذلك كان لهذه الشائعة صدى عميق في المجتمع الإسلامي في المدينة المنورة ، ومما زادها تأثيرا وتعميقا داخل النفوس المدة الزمنية التي دامت شهرا كاملا ، هذه المدة سمحت للمنافقين بترويجها من بيت إلى بيت ، ونقلها من لسان إلى لسان ، لأن المنافقين وجدوا فيها شهية لذيذة ، وذوقا حُلوا مساعدا لنفوسهم المريضة ،المملوءة بالغيظ والحقد ، والدس والمناورة ، والتآمرعلى تفكيك المجتمع وتوهينه ،وزعزعة صفه ...ووصل الافتراء إلى رسول اللّه ـ صلعم ـ كما علم به أبو بكر ـ رضي اللّه عنه ـ وعرفته عائشة ـ رضي اللّه عنها ـ وبعد رواج خبر الشائعة التضليلية في المدينة يعم الريب والشك ليصبح تقريبا ظاهرة عامة ، خاصة وأن الوحي لم ينزل ، مما جعل المواقف تختلف فمن مصدق إلى مكذب الى شاك متذبذب بين الحقيقة والأباطيل المفتريات ، ويمكن لنا أن نحدد هذه المواقف في الآتي :

1- موقف الرسول ـصلى الله عليه وسلم ـ: لقد نزل الخبر كالصاعقة على نفسية الرسول ـ صلعم ـ لأن هذاالخبر الكاذب يمس عرضه ، ويتهم أحب زوجاته إليه هذه من جهة،ثم أن الخبرشاعوأصبح حديث العام والخاص، ثم من جهةثالثة آذاه تأخرالوحي عنه لأنه هوالوحيدالذي كان يواسيه ويبين له الحقيقةفي مثل هذه الإحن ولكي يقطع الرسول ـ صلعم ـ دابرهذه الشائعةصعدالمنبروحمداللّه وأثنى عليه ثم قال:

---

(1) ـ د. **عبد الحميد محمد الهاشمي**: لمحات نفسية في القرآن الكريم ، الجزائر: مكتبة رحاب . ص159 ، 160. [سورة **البقرة** : الآية ١٥٦.] .

ولأهمية هذا الحدث الذي أخذ حصة الأسد في كتب السيرة كلها ، وفي كل المراجع التي لها علاقة مباشرة أو غير مباشرة بهذه الحادثة . ولتعميم الفائدة والبحث ، انظر المصادر والمراجع التالية :

ـ **ابن هشام** : السيرة النبوية ج3.(مصدر سابق) ص309.

ـ **ابن كثير**: السيرة النبوية ج3.(مصدر سابق) ص304.

ـ **البخاري** : صحيح البخاري .مج2/ج3.(مصدر سابق) ص154.

ـ **محمد الغزالي** : فقه السيرة .(مرجع سابق) ص311.

ـ **اتيين دينيه** : محمد رسول اللّه .(مرجع سابق) ص289.

ـ **جلال الدين السيوطي**: الخصائص الكبرى ج1،بيروت: دار الكتب العلمية .ص237.

ـ **الإمام الترمذي**: جامع الترمذي مج4، بيروت: دار الكتاب العربي ـ ط3 (1404هـ-1984م) ص155.

ـ **ابن الجوزي**: صفوة الصفوة مج2،بيروت:دارالمعرفة ـ ط4.(1406هـ-1986م) ص21

ـ د.**عائشة عبد الرحمن** : تراجم سيدات بيت النبوة ، بيروت: دار الكتاب العربي . (1404هـ-1984م) ص283.

« أيها الناس ما بال رجال يؤذونني في أهلي ويقولون عليهم غير الحق ، والله ما علمت عليهم إلا خيرا ، ويقولون ذلك لرجل والله ما علمت منه إلا خيرا ، ولا يدخل بيتا من بيوتي إلا وهو معي »[1] .

وتكلم الناس في المسجد كل بما اقتنع وكادت تكون فتنة بين يدي الرسول ـ صلعم ـ وفي بيت الله لولا حفظ الله لعباده المؤمنين ، حيث اختلطت الأصوات ، وطلبت الانتقام والتأديب لأصحاب شائعة الإفك وكاد يقع الشر بين الأوس والخزرج ، ويكفي أنها فتنة المنافقين !!

« ونزل رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ودخل على عائشة ، واستدعى عليا وأسامة واستشارهما في الأمر ، فأما أسامة فأثنى عليها خيرا وقال : « يا رسول الله ، أهلُك ، ولا نعلم منها إلا خيرا ، وهذا الكذب والباطل .. » وأما علي فإنه قال : يا رسول الله إن النساء لكثير ، وإنك لقادر على أن تستخلف . وسل الجارية فإنها ستصدقك . فدعا رسول الله ـ صلعم ـ "بريرة" ليسألها .. فتقول : والله ما أعلم إلا خيرا ، وما كنت أعيب على عائشة شيئا إلا أني كنت أعجن عجيني فآمرها أن تحفظه فتنام عنه ، فتأتي الشاة فتأكله !»[2] .

ثم بعد هذا يعود رسول الله ـ صلعم ـ ويجلس لأول مرة بعد إشاعة حادثة الإفك يحدث عائشة حيث قال: « أما بعد فإنه قد بلغني عنك كذا وكذا .. فإن كنت بريئة فسيبرئك الله ـ تعالى ـ وإن كنت ألممت بذنب فاستغفري الله تعالى وتوبي إليه فإن العبد إذا اعترف بذنبه ثم تاب تاب الله عليه »[3] .

يا له من موقف لا يصدر إلا من قلب رحيم !! فرغم وقع الحدث على نفسيته ، فإنه يخاطب عائشة مخاطبة صاحب الرسالة الذي يصل الإنسان بربه ، حتى ولو اقترف ذنبا عظيما فإن الله غفور رحيم ، إنها تربية الله لرسوله الكريم وصدق الله العظيم حين قال فيه :« وإنك لعلى خلق عظيم »[4] .

2- موقف عائشة ـ رضي الله عنها ـ : عائشة ـ رضي الله عنها ـ تُتَّهم في شرفها من قبل المنافقين ومن سار وراء شائعاتهم وإفكهم ، ابنة الصديق الرجل الأول في الإسلام بعد رسول الله ـ صلعم ـ وهي السيدة الطاهرة الوفية المخلصة لزوجها تتهم بأخبث شائعة عرفها التاريخ الإسلامي لمسها أطهر بيت وأشرف بيت في الإسلام إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها !!!

ورغم أن الشائعة راجت في المدينة ووصلت إلى رسول الله ـ صلعم ـ وإلى أبويها فإنها رضي الله عنها لم تسمع ولم يذكر أي واحد من هؤلاء الأقارب لها خبر هذه الشائعة ، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على مكانتها عند رسول الله ـ صلعم ـ وعند أبويها ، وإنهم لم يخبروها في بادئ الأمر لأن نفوسهم الطاهرة لم تصدق ما تسمع من أراجيف تدور بين الناس ..

وتحكي عائشة محنتها فتقول :« .. فقدمنا المدينة فاشتكيت بها شهرا والناس يفيضون من قول أصحاب الإفك ويريبني في وجعي أني لا أرى من النبي

(1) ـ أبو بكر جابر الجزائري : هذا الحبيب محمد رسول الله ـ صلعم ـ .(مرجع سابق) ص334.

(2) ـ د.عائشة عبد الرحمن: تراجم سيدات بيت النبوة .(مرجع سابق) .ص287. مع تصرف بسيط

(3) ـ د.عبد الحميد محمد الهاشمي : لمحات نفسية في القرآن الكريم .(مرجع سابق) ص165.

(4) ـ سورة القلم : الآية ٤ .

ـ صلعم ـ اللطف الذي كنت أرى منه حين أمرض إنما يدخل فيسلم ثم يقول :«كيف تيكم» لا أشعر بشيء من ذلك حتى نقهتُ فخرجت أنا وأم مسطح قبل المناصع متبرزنا لا نخرج إلا ليلا إلى ليل وذلك قبل أن نتخذ الكُنُف قريبا من بيوتنا وأمرنا أمر العرب الأوَل في البرية أو في التنزه فأقبلت أنا وأم مسطح بنت أبي رُهم نمشي فعثرت في مِرطِها فقالت تعس مسطح فقلت لها بئس ما قلتِ أتسُبين رجلا شهد بدرا فقالت يا هنتاه ألم تسمعي ما قالوا فأخبرتني بقول الإفك فازددت مرضا إلى مرضي فلما رجعتُ إلى بيتي دخل عليَ رسول اللّه ـ صلعم ـ فسلّم فقال : كيف تيكم فقلت ائذن لي إلى أبويَ قالت وأنا حينئذٍ أريد أن أستيقن الخبر من قبلهما فأذن لي رسول اللّه ـ صلعم ـ فأتيت أبوي فقلت لأمي ما يتحدث به الناس فقالت يا بنية هوِّني على نفسك الشأن فواللّه لقلّما كانت امرأة قطُّ وضيئة عند رجل يحبها ولها ضرائر إلا أكثرن عليها فقلت سبحان اللّه ولقد يتحدث الناس بهذا قالت : فبتُّ تلك الليلة حتى أصبحتُ لا يرقأ لي دمع ولا أكتحل بنوم ثم أصبحت فدعا رسول اللّه ـ صلعم ـ علي بن أبي طالب ... (وقد عرفنا هذا أثناء تعرضنا لموقف رسول اللّه ـ صلعم ـ) وتواصل عائشة سرد قصتها واصفة لنا ما جرى بين الأوس والخزرج حتى نزل ـ صلعم ـ من على المنبر فتقول :« ...فخفّضهم حتى سكتوا وسكت وبكيتُ يومي لا يرقأ لي دمع ولا أكتحل بنوم فأصبح عندي أبواي قد بكيت ليلتين ويوما حتى أظن أن البكاء فالق كبدي قالت : فبينما هما جالسان عندي وأنا أبكي إذ استأذنت امرأة من الأنصار فأذنتُ لها فجلست تبكي معي فبينا نحن كذلك إذ دخل رسول اللّه ـ صلعم ـ فجلس ولم يجلس عندي من يوم قيل فيَ ما قيل قبلها وقد مكث شهرا لا يوحى إليه في شأني شيء قالت فتشهّد ثم قال يا عائشة فإنه بلغني عنك كذا وكذا فإن كنت بريئة فسيبرئك اللّه وإن كنت ألممتِ فاستغفري اللّه وتوبي إليه فإن العبد إذا اعترف بذنبه ثم تاب تاب اللّه عليه فلما قضى رسول اللّه ـ صلعم ـ مقالته قلص دمعي حتى ما أحس منه قطرة ، وقلت لأبي : أجب عني رسول اللّه ـ صلعم ـ قال واللّه ما أدري ما أقول لرسول اللّه ـ صلعم ـ فقلت :لأمي أجيبي عني رسول اللّه ـ صلعم ـ فيما قال . قالت : واللّه ما أدري ما أقول لرسول اللّه ـ صلعم ـ قالت : وأنا جارية حديثة السن لا أقرأ كثيرا من القرآن فقلت إني واللّه لقد علمتُ أنكم سمعتم ما يتحدّث به الناس ووقر في أنفسكم وصدّقتم به ، ولئن قلتُ لكم إني بريئة واللّه يعلم إني لبريئة لا تصدقوني بذلك ولئن اعترفت لكم بأمر واللّه يعلم أني بريئة لتُصدِّقُنّني واللّه ما أجد لي ولكم مثلا إلا أبا يوسف إذ قال فصبر جميل واللّه المستعان على ما تصفون ، ثم تحولتُ على فراشي وأنا أرجو أن يبرّأني اللّه ولكن واللّه ما ظننتُ أن ينزل في شأني وحي ولأنا أحقَرُ في نفسي من أن يُتَكَلَّم بالقرآن في أمري ، ولكني كنت أرجو أن يرى رسول اللّه ـ صلعم ـ في النوم رؤيا يبرئني اللّه فواللّه ما رام مجلسه ولا خرج أحد من أهل البيت حتى أنزل عليه فأخذه ما كان يأخذه من البُرَحاء حتى إنه ليتحدّر منه مثلُ الجُمان من العرق في يوم شات فلما سُرِّي عن رسول اللّه ـ صلعم ـ وهو يضحك فكان أول كلمة تكلّم بها أن قال لي يا عائشة احمدي اللّه فقد برأك اللّه فقالت لي أمي قومي إلى رسول اللّه ـ صلعم ـ فقلت لا واللّه لا أقوم إليه ولا أحمد إلا

اللّه فأنزل اللّه تعالى :« ﴿إن الذين جاءوا بالإفك عصبة منكم ... الآيات﴾ »[1] .

هكذا يتجلى لنا موقف السيدة الطاهرة عائشة أم المؤمنين ، حيث تصف لنا نفسها أصدق وصف لما عانته من هذه الشائعة الظالمة ، وما زادها حسرة وألما بعض المؤمنين الذين ذهبوا ضحية هذه الافتراءات حتى أن أقرب الناس إليها - الرسول - صلعم - والأبوان - وقفا حيارى أمام وقع الشائعة التي سارت بين المسلمين كسَير النار في الهشيم ، ولولا إيمانها القوي بربها التي أيقنت بأنه سيبرئها لأنه أعلم بنفسها منها لتحطمت معنويا ، لكن الإيمان القوي بخالقها جعلها تنادي من أعماق نفسها رغم هول الاتهام :« ... فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون ﴾ »[2] .

يا له من موقف !! يا له من ثبات وصبر كان جزاؤه تبرئة من اللّه ضمن آيات من كتابه الكريم ستبقى تُتلى ، وستبقى موعظة وعبرة وتربية للمؤمنين إلى أن يرث اللّه الأرض ومن عليها !!!

3- موقف الأبوين :معلوم أن الوالدين مفطوران على حب أولادهما ، هذه الفطرة متأصلة بالمشاعر والعواطف ، والرحمة والشفقة ، والاهتمام بشؤونهما ؛من هذه الصفات الأبوية يصبح الوالدان يضرهما ما يضر أبناءهما ، ويتألمان مثلما يتألمون ، لذلك عندما سمع أبو بكر بخبر الشائعة التي أصابت فلذة كبده في شرفها الذي هو شرفه ، وأصابت أحب إنسان إليه وهو رسول اللّه - صلعم - الذي كان أول الرجال إيمانا برسالته ، وكان الصديق الأول له حتى في هجرته . هذا الرجل الشهم الذي أقرأه اللّه السلام وبشره بالجنة يُرمى في شرفه ، يا له من امتحان عسير يمتحن اللّه به عباده المؤمنين الصادقين !! ..

وبعد صمت ومعاناة نفسية أليمة يتكلم الرجل ليُعبِّر عما لاقاه من ألم داخلي جعله يفكّر ويرجع بذاكرته حتى في الجاهلية لم يُرمَ بهذا فكيف وهوفي الإسلام حيث قال : « واللّه ما رمينا بهذا في جاهلية ، أفنرضى به في الإسلام وتلجأ إليه ابنته العزيزة المتهمة البريئة وهي مريضة ترجوه أن يشرح موقفها لرسول اللّه - صلعم - فيجيب وهوفي حيرة أليمة:واللّه ما أدري ما أقول لرسول اللّه - صلعم - »[3].

هذه المواقف لا تصدر إلا من الرجال الذين رضعوا لبن الإسلام من مصدره الأصلي ، وتربوا تربية إسلامية رفيعة المستوى .. تقول عائشة - رضي اللّه عنها - بعدما نزلت الآيات تبرؤها ، وبعدما حمدت اللّه عز وجل : التفتُّ إليَّ أبي ، وهو يدنو مني فيقبل رأسي وعيناه نديّتان بالدمع فرحا وانفعالا ، فقلتُ له :« يا أبتاه هلاّ كنت عذرتني ! » فأجاب : « أيّ سماء تظلني وأي أرض تقلني إن قلت بما لا أعلم ؟ »[4] .

ومن مواقفه - رضي اللّه عنه - عقب هذه الشائعة أن قريبا له هو "مسطح بن أثاثة" وكان من الذين خاضوا في شائعة الإفك ، وكان من فقراء المؤمنين المهاجرين يعوله أبو بكر وينفق عليه :« فآلى على نفسه ألا ينفعه بنافعة أبدا ، ولكن

---

(1) - **البخاري**: صحيح البخاري مج2/ج3.(مصدر سابق) ص155 ، 156 ، 157.
[سورة النور : الآية ١١] .

(2) - سورة **يوسف**: الآية ١٨ .

(3) - د.**عبد الحميد محمد الهاشمي**: لمحات نفسية في القرآن الكريم .(مرجع سابق) ص165.

(4) - د.**عائشة عبد الرحمن** : تراجم سيدات بيت النبوة .(مصدر سابق) ص289.

الله يريد لأبي بكر والمؤمنين أن يترفّعوا عن مقام الألم ، وعن مشاعر النفس ،وعن منطق الناس إلى مقام أسمى ، فلا يمنعون برهم عن مخطئ ولا معروفهم عن مسيء : « * ولا ياتل أولوا الفضل منكم والسعة أن يوتوا أولي القربى والمساكين والمهاجرين في سبيل الله وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم * » . فيقول الصديق :« بلى يا ربنا نحب أن يُغفر لنا ». ويعيد إلى مسطح ما كان ينفق عليه ، ويحلف « والله ما أنزعها منه أبدا »[1].

ما أحوج المسلمين اليوم إلى هذه الأخلاق والمواقف ليعبروا بها عن سلوكاتهم الإسلامية الحقيقية ليكوّنوا بذلك صورة صادقة لهذا الدين الذي كثرت عليه الطعنات ، وليمثلوا القدوة لشعوب العالم المضللة مثلما مثّلها أسلافهم وعلى رأسهم أبو بكر في هذه المواقف التي ستبقى نبراسا يضيء الطرق المظلمة لكل الذين يريدون الضوء الإسلامي الذي جزاؤه:« ...ألا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم * »[2].

وإذا كان هذا موقف الوالد ، فإن الوالدة "أم رومان" بلغ بها الألم والحزن والمرارة حدا لا يطاق ،كيف لا؟ وهي ترى فلذة كبدها تتوجع وتتألّم وتبكي بدموع كلها أشواك وآهات من جراء الافتراء الكاذب الذي أصابها في أعزّ ما تملك ، ولكن الأم الفاضلة ما عساها تفعل في أمر حارت قلوب الرجال منه ، إلا أنها لا تملك سوى كلمات مملوءة بالحب والعطف والشفقة على حالة ابنتها قائلة :« أي بنية ! خفضي عليك الشأن ، فوالله لقلما كانت امرأة حسناء عند رجل يحبُّها ، لها ضرائر ، إلا كثّرن الناس عليها !»[3].

ورغم ألمها وحبها لابنتها فإنها لاتنسى إيمانها الذي يجعل حبها لرسول الله ـ صلعم ـ مقدما على حبها لابنتها لذلك عندما طلبت منها عائشة شرح موقفها لرسول الله ـ صلعم ـ كان موقفها مثل موقف الوالد رادة على ابنتها بقولها :« والله ما أدري ما أقول لرسول الله ـ صلعم ـ » . وحتى عندما يأتي الفرج من الله بتبرئتها تهبُّ الأم من مكانها فَرِحة مستبشرة وتطلب من ابنتها أن تقوم لرسول الله ـ صلعم ـ زوجها نبي الرحمة المهداة .. يا لها من مواقف !! يعجز الإنسان العاقل أن يُصوِّرها .. لكنه الإسلام يرفع أتباعه بالتربية إلى درجة صفات الملائكة الذين لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ..؟؟!!

4- موقف الصحابي المتهم : إنه صفوان بن المعطل صحابي مسلم حسن الإسلام ومجاهد في سبيل الله اختاره رسول الله ـ صلعم ـ ليكون مقتفيا آثار الجيش الإسلامي ، وهذا الاختيار يدلُّ على أمانته واستقامته ، فكيف إذا كانت الأمانة أمانة العرض ، وأي عرض إنه عرض بيت النبوة .. هذا الصحابي الجليل كان هدفا لشائعة الإفك ، حيث تحمّل هذا البهتان وصبر وهو يعلم أنه مظلوم ولكنه لا يستطيع أن يرد

---

(1) ـ محمد شديد : منهج القرآن في التربية ،بيروت: مؤسسة الرسالة ، (1399هـ ـ 1977م) ص283.

(2) ـ سورة النور : الآية ٢٢ .

(3) ـ د.عائشة عبد الرحمن : تراجم سيدات بيت النبوة .(مصدر سابق) ص286.

هذا الظلم إلا بقوله :« سبحان اللّه واللّه ما كشفتُ كتف أنثى قط .. »[1].

وقد أثّر في نفسه كثيرا ما خاض فيه حسان بن ثابت حيث اعترضه وضربه بالسيف قائلا :

تلقَّ ذباب السيف منّي فإنّني غلام إذا اهتجيت لستُ بشاعر[2]

هذه بعض مواقف هذا الرجل الأمين الذي لم يفكر إطلاقا فيما ادعاه أصحاب الإفك ، فكيف إن كان مع أولى سيدات بيت النبوة ؛ لكنه الحقد والحسد الذي أكل نفوس المنافقين جعلهم يتهمون أي واحد من المسلمين ، ويفترون عليه ويكذبون ، ما دام هذا يخدم أغراضهم ومصالحهم ، ويجعلهم يتلذّذون بآلام الغير وتعذيبهم نفسيا ، وخاصة إذا كان هذا الألم النفسي يصيب رسول اللّه ـ صلعم ـ لأنه هو الغرض الذي يستعملون من أجله جميع الوسائل الماكرة اللاإنسانية :

« ... ويمكرون ويمكر اللّه واللّه خير الماكرين * »[3] .

5- موقف المجتمع : على صعيد المجتمع المدني هزت هذه الشائعة أركان هذا المجتمع وكادت أن تعصف به ، حيث فعلت التضليلات الإعلامية للمنافقين فعلتها لأنها وجدت هذه المرة مناخا مساعدا لترويجها ، ومن هذا المناخ الوقت الذي دام شهرا مما جعل الشائعة تتحوّل بالتدريج إلى شبه حقيقة لا مناص منها ، لكل هذا عاش المجتمع المدني خلال هذا الشهر أزمة حرب نفسية حقيقية لم يعهدها المسلمون من قبل ولا من بعد ، لأن أسلوب شائعة الإفك وُجِّهَ نحو عرض الرسول ـ صلعم ـ وهوالقائد والنبي لهذا المجتمع ، وهذا ما جعل هذا المجتمع يعيش على صعيده المدني اضطرابات وبلبلة فكرية أدّت إلى انقسامه إلى فئات مختلفة في آرائها وأحكامها حول واقعة الإفك . وهذه بعض الصور الحية التي تبين لنا زعزعة المسلمين بسبب هذه الشائعة الفتاكة .

ومن الصور الواقعية صورة جماعة من المسلمين امتلأت قلوبهم إيمانا فأنجاهم اللّه من الأخذ بالإفك وشره ، فقد كانوا ثقة وطمأنينة في طهارة السيدة عائشة ـ رضي اللّه عنها ـ كما أنهم لم يشكّوا إطلاقا في الصحابي الجليل "صفوان بن المعطل" وكنموذج لهذه الصورة نذكر الحوار الذي دار بين أبي أيوب الأنصاري وزوجه ، قال أبو أيوب الأنصاري لزوجته :« ألا ترين ما يقال ؟ .. قالت : لو كنتَ بدل صفوان أكنت تظن بحرمة رسول اللّه ـ صلعم ـ سوءا ؟ ... قال :لا .. قالت : لو كنتُ أنا بدل عائشة ، ما خنت رسول اللّه ـ صلعم ـ فعائشة خير مني وصفوان خير منك . »[4]

يا له من منطق إسلامي ينبع من نفوس تحمل الخير وتثق بأهل الخير كل الخير لأن الفطرة السليمة لا ينبع منها إلا القول السليم ..

وهناك صورة أخرى من واقع المجتمع المدني ما زالت نفوسهم في بوتقة الإعداد ، وما زالت التربية لم تصل بهم إلى درجة اللا رجوع ؛ مما جعلها تسمع لهذه الشائعة دون التقصي في حقيقتها ومصدرها وتشارك في ترويجها ونشرها ـ سواء

(1) ـ د.عبد الحميد محمد الهاشمي : لمحات نفسية في القرآن الكريم.(مرجع سابق) ص177.
وانظر : ابن حجر العسقلاني : الإصابة في تمييز الصحابة ج2 .(مصدر سابق) ص185.

(2) ـ ابن حجر العسقلاني : (المصدر السابق) ص184.

(3) ـ سورة الأنفال : الآية.٣٠ .

(4) ـ محمد شديد : منهج القرآن في التربية .(مرجع سابق) . ص288.

بطريقة مقصودة أو غير مقصودة ـ ، وهذا ما أعطى لشائعة الإفك وزنا وقيمة كادت أن تهلك الكثير من المسلمين ، ومن أنموذج هذه الصورة "مسطح بن أثاثة" ـ الذي عرفنا قصته مع أبي بكر ـ وأمّه ـ بنت خالة أبي بكر الصديق ـ وحسان بن ثابت .. ولذلك عاتب القرآن هؤلاء عتابا مرًا وهو بمثابة درس للمسلمين في كل عصر ومصر حيث قال تعالى :« * إذ تلقونه بالسنتكم وتقولون بافواهكم ما ليس لكم به علم وتحسبونه هينا وهو عند الله عظيم * »[1] ، ثم يبين الله موقف المؤمنين وكيف يتصرفون في مثل هذه الظروف حيث يقول :« * ولولا إذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا أن نتكلم بهذا سبحانك هذا بهتان عظيم * »[2] . ولهذا نجد الرسول ـ صلعم ـ بعدما نزل عليه قول الله يبرئ السيدة عائشة ـ رضي الله عنها ـ خرج إلى المسجد وتلا عليهم آيات سورة النور ، وبعدها أمر بمسطح ، وحسان بن ثابت ، وحمنة بنت جحش لتصريحهم علنا بحادثة الإفك وأقيم عليهم حد القذف امتثالا لقوله تعالى :« * والذين يرمون المحصنات ثم لم ياتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة ابدا وأولئك هم الفاسقون * »[3] .

6- **موقف المنافقين** : المنافقون موقفهم من المؤمنين إثارة الفتن وإشاعة الأكاذيب عن طريق الدس والمناورة والتآمر الداخلي والخارجي ، ولذلك كما عرفنا كانوا وراء عملية إشاعة الإفك عن قصد وترصُّد ، واستغلوا الحادثة أبشع استغلال وجروا من ورائهم أصحاب القلوب المريضة وضعاف الإيمان ، مما جعل هذه الحادثة تأخذ بعدا اجتماعيا خطيرا عانى منه المؤمنون عناء شديدا بما في ذلك رسول الله ـ صلعم ـ ، وإذا كان الرسول ـ صلعم ـ قد تصرف بحكمة وذكاء في إطفاء نار الفتنة التي أشعلها المنافقون بعد غزوة بني المصطلق بين المهاجرين والأنصار ، فإن حادثة الإفك لم يستطع أن يحسم فيها لا هو ولا غيره نظرا لتعقيدها وحساسيتها وسريتها ، وخاصة بعدما راجت أخبار الشائعة وعمت الكثير من المسلمين ، وكان الرسول ـ صلعم ـ ينتظر نزول قرآن يبين هذه الحقيقة ، لكن طول المدة الزمنية التي أعقبت الحادثة ولم ينزل القرآن لتبيان الحقيقة جعل هذه الشائعة تزداد ترويجا وتطرح شكوكا كثيرة لدى الرأي العام ، هذا الجو الخانق ساعد المنافقين لبثّ سمومهم ، وخاصة لدى زعيمهم "عبد الله بن أبي" الذي امتلأ قلبه غيظا وحقدا حتى فاض حيث وجد فرصته الذهبية ، خاصة بعدما فشل في إشعال نار الفتنة بين المهاجرين والأنصار ، ومما زاده حقدا أن إبنه عبد الله أصبح لا يرضى بنفاقه وأنّه مستعدٌ لقتله وهذا ما طلبه من الرسول ـ صلعم ـ لأنه يخشى من ضعفه البشري أن يتصرّف تصرُّفا لا يليق بالإسلام إذا قتل أباه شخص آخر .

وعلى العموم فإن مواقف المنافقين في هذه الواقعة هو استغلالهم الفظيع لهذه الشائعة التي تعتبر من :« أخطر الشائعات التي نشرها أعداء الإسلام عن سلوك بعض المسلمين ، لأن هذه الشائعة استهدفت شخص رسول الله ـ صلعم ـ ممثّلا في زوجته أم المؤمنين السيدة عائشة ـ رضي الله عنها ـ واجتهد خصوم الله ورسوله في نقل شرر هذه الشائعة الخبيثة في كل مكان ، قاصدين من وراء هذا الأسلوب الجديد

---

(1) ـ سورة النور : الاية ١٥ .

(2) ـ سورة النور: الاية ١٦ .

(3) ـ سورة النور : الآية ٤ .

في حرب الإسلام ، أن يدمروا على الرسول ـ صلعم ـ حياته العائلية ، وأن يُسقطوا مكانة أقرب الرجال لديه ، وأن يدعوا جمهور المسلمين بعد ذلك ، يضطرب في عماية من الأسى والغم »[1] .

وهكذا استباح المنافقون ـ على رأسهم زعيمهم ـ لأنفسهم إشاعة هذا الإفك الخسيس قصد هزّ كيان الإسلام ، وإحداث فجوة عميقة للتأثير في أعضائه الأساسيين ، وقد عبّر السيد قطب عن هذا الإفك بقوله :« وقد كلّفت هذه الشائعة أطهر النفوس في تاريخ البشرية كلها آلاما لا تُطاق ، وكلفت الأمة المسلمة كلها تجربة من أشقّ التجارب في تاريخها الطويل ، وعلق قلب رسول الله ـ صلعم ـ وقلب زوجته التي يحبُّها ، وقلب أبي بكر الصديق وزوجته ، وقلب صفوان بن المعطل شهرا كاملا ، علّقها بحبال الشك والقلق ، والألم الذي لا يُطاق »[2].

والخلاصة أن هذا الأسلوب مرّ عصيبا على المجتمع المسلم ابتداء من الرسول ـ صلعم ـ إلى أبسط إنسان داخل هذا المجتمع ؛ لكن هذه الشائعة كانت عبرة للمسلمين جعلتهم يتربّون بواسطة أكبر حادث في مجال الحرب النفسية على الصعيد المدني ، وكانت هذه الشائعة بمثابة إعطاء دفع جديد لتماسك المجتمع وجعله يقف وراء قيادته بكل ثقة مهما كانت الأعاصير التي تضرب الصف الإسلامي من حين إلى آخر مستغلّة بعض الأمور العادية التي لا يخلو منها أي مجتمع من المجتمعات . ونستخلص من هذه الحادثة عدة دروس وعِبَر بقيت وستبقى نظريات إسلامية لكل المسلمين إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، ومن هذه الدروس العملية ما يلي :

1 ـ **تحري الحقيقة** : الدرس الذي يستفاد منه ، والذي على المسلمين أن يلتزموا به هو تحرّي الحقيقة في كل خبر ومعرفة مصدره ، والابتعاد عن التسرُّع في الحكم ، إلا إذا وُجد الدليل الشرعي أو العقلي المنطقي ، وهذا ما جعل الرسول ـ صلعم ـ ينتظر الوحي ليقطع دابر المتقولين ، رغم أنه يعلم أن زوجته برينة حيث قال وفي أشدّ الأزمنة « ... فوالله ما علمتُ عن أهلي إلا خيرا ...» .

2 ـ **تفويض الأمر إلى الله** : من الدروس المستفادة تفويض الأمر إلى الله إذا لم يجد الإنسان المخرج مخرجا بالأساليب المشروعة متمثلا قول الله تعالى :

« ...ومن يتق الله يجعل له مخرجا * ويرزقه من حيث لا يحتسب ...»[3].

وهذا ما جعل السيدة عائشة ـ رضي الله عنها ـ تفعله لأنها تعلم أنها برينة ولكن من يصدّقها وقد ذكرت هذا لأبويها كما مر معنا سابقا ، ولذا كانت مقتنعة من داخل نفسها ـ رغم هول الاتهام ـ بأن الله معها وأنه سيبرّئها لذا قالت :« ... وأن الله تعالى مُبَرّئي ببراءتي » . وفعلا قد تمت البراءة كاملة تضمّنتها عشر آيات من سورة النور ، وهذا التفويض جعل السيدة عائشة بعد نزول الوحي وإخبارها من قبل رسول الله ـ صلعم ـ لا تشكر أحدا ولا تحمد إلا الله ، حيث تقول وتصف فرحتها فقالت لي

---

(1) ـ د.محمد فريد محمود عزت: بحوث في الإعلام الإسلامي .(مرجع سابق) ص37 ،38 .

وانظر : محمد الغزالي : فقه السيرة .(مرجع سابق) ص311.

(2) ـ سيد قطب : في ظلال القرآن ج18 .(مصدر سابق) ص2495.

وانظر : محمد فريد محمود عزت : (المرجع السابق) ص38.

(3) ـ سورة الطلاق : الآيتان ٢ ، ٣ .

أمّي :« قومي إلى رسول اللّه - صلعم - فقلتُ : واللّه لا أقوم إليه ولا أحمد إلا اللّه تعالى هوالذي أنزل براءتي ».

3 - **الابتعاد عن سماع الشائعات وعدم ترديدها**: من الدروس المستفادة من هذه الحادثة ما نزل من القرآن وفيه يعاتب اللّه سبحانه وتعالى الذين يسمعون أي كلام ثم يرددونه دون روية أو تقصٍّ غير مبالين بالإثم الذي يلحقهم جزاء ما يلحقون هم غيرهم من أذى معنوي أو مادي ، لذا نهى اللّه سبحانه وتعالى عن سماع مثل هذه الشائعات وعدم ترديدها وقاية لحفظ النفس والمجتمع من كل أسباب التمزُّق والفرقة بسبب عدم الثقة والاحترام ، وفي الوقت نفسه قطع الطريق أمام كل من تسول له نفسه المساس بضرب وحدة المجتمع الإسلامي أو بالاعتداء على أفراده - مهما كان هذا الاعتداء - وهذا الدرس التربوي القيم تمثله هذه الآيات البينات يقول تعالى :« * ولولا فضل الله عليكم ورحمته في الدنيا والآخرة لمسكم فيما أفضتم فيه عذاب عظيم * إذ تلقونه بألسنتكم وتقولون بأفواهكم ما ليس لكم به علم وتحسبونه هينا وهو عند الله عظيم * ولولا إذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا أن نتكلم بهذا سبحانك هذا بهتان عظيم * يعظكم الله أن تعودوا لمثله أبدا إن كنتم مومنين * »[1] .

4 - **كشف وفضح أساليب المنافقين** : ومن الدروس التي استفاد منها المسلمون - في عصر النبوة - أو بعد ذلك ، أو في عصرنا الحاضر ، أو في المستقبل ، ما بيّنه لنا القرآن الكريم من أساليب لهؤلاء المختفين المتسترين بين صفوفنا .. حيث فُضحوا للرأي العام الإسلامي ، وخاصة زعيمهم وكبيرهم الذي أصبح مضرب الأمثال في النفاق مما جعل ابنه كما عرفنا يُقرُّ بأنه يستحق القتل ولولا حكمة رسول اللّه - صلعم - ورحمته بمن معه حتى ولو كان منافقا - فاللّه يتولّى أمره - حيث قال لابنه الذي يريد قتل أبيه :« بل نترفق به ونحسن صحبته مابقي معنا .. ». ياله من نبي بعثه اللّه رحمة للعالمين !!

وهكذا كشف القرآن كيد هؤلاء ورده إلى نحورهم : « وهدأت العاصفة الهوجاءوعادت الحياةإلى مجراهاالطبيعي بين المسلمين وهم أعظم ثقةبنبيهم وأشدّ إيمانا به وتصديقا له وأكثر تيقظا للمنافقين وحذرا من مؤامراتهم ودسائسهم »[2] .

ولمعرفة التوجيه القرآني لتربية المؤمنين من خلال هذه الواقعة ، مع كشف أساليب المنافقين وتخطيطاتهم ، وتوعّد اللّه لهم ..(كل هذا يوجد في سورة **النور** : الآيات من ١١ إلى ٢٢) .

5 - **معالجة الجوانب التربوية للمجتمع المسلم** : من الدروس المستفادة من شائعة الإفك أنها جاءت أياتها ضمن سورة فيها من الإشعاعات التربوية الربانية ما يجعل المسلمين يعيشون أحكام هذه السورة التي سُمّيت بسورة النور والتي :« عالجت ناحية من أخطر النواحي الاجتماعية هي :"مسألة الأسرة" وما يحفها من مخاطر ، وما يعترض طريقها من عقبات ومشاكل ، تؤدي بها إلى الانهيار ثم الدمار ، هذا عدا عما فيها من آداب سامية ، وحكم عالية ، وتوجيهات رشيدة ، إلى أسس الحياة الفاضلة الكريمة ، ولهذا كتب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب إلى أهل

---

* - راجع موقف **عائشة** - رضي اللّه عنها - في هذا الفصل ص150

(1) - سورة **النور** : الآيات ١٤ إلى ١٧ .

(2) - د.**علي محمد جماز** :دراسات في السيرة النبوية .(مرجع سابق) ص171.

الكوفة يقول لهم : علّموا نساءكم سورة النور »[1] .

هذه بعض الدروس المستفادة من شائعة الإفك ، والتي تجعل المسلم - وخاصة في عصرنا اليوم - يقف أمامها متأمّلا المعاناة التي عاناها المجتمع المسلم - في عصر النبوة - بسبب هذه الشائعة ؛ مما يجعله يدرك ويتيقن أن أسلوب الشائعات في عصرنا الحاضر و رغم تقنياتها الحديثة فهي امتداد لأسلوب الشائعات - في عصر النبوة - فما علينا إلا أن نطبق ماجاء في التوجيه القرآني ،وأن نؤمن بأنّ كل ما أصابنا هو خير لنا امتثالا لقوله تعالى :« ... لا تحسبوه شرا لكم بل هو خير لكم ... »[2] وبهذا وحده نقي أنفسنا وأسرنا ومجتمعنا وأمّتنا من شر الشائعات التي أصبحت علما يُدرس وفنا متطورا من فنون الحرب النفسية .

جـ - زواجه من زينب :

ومن الصور التي استغلت من قبل المنافقين والذين في قلوبهم مرض زواج النبي - صلعم - من "زينب بنت جحش" ابنة عمّته ، حيث وجدوا ضالتهم في هذا الزواج ، وبدأوا كعادتهم في تزييف الحقيقة ، وصاروا يُشيعون لدى الرأي العام أن محمّدا تزوّج امرأة ابنه ، وأتى منكرا من المناكر التي ينهى عنها دينه ، لأن أعراف الجاهلية كانت تُحرّم زوجة الولد المتبنّى لأنه يعتبر كالابن بالنسب .

هذه التضليلات كان لها وقع كبير على نفسية النبي - صلعم - « وكان هذا الزواج امتحانا قاسيا لرسول الله ، أمر الله به لإبطال تقليد شائع عند العرب ،وأقدم عليه الرسول - صلعم - وهو شديد التحرج والحياء والأذى »[3] .

وزينب ابنة عمة الرسول - صلعم - زوّجها من "زيد بن حارثة" ، فكرهت هذا الزواج ، ورفض أخوها ذلك اعتزازا بما لزينب من مكانة في قريش ، بينما زيد عبد حتى ولو أن الرسول - صلعم - أكرمه وفضله وألحقه بنسبه حيث أصبح يُسمّى "زيد ابن محمد" . وكان الرسول - صلعم - يريد تحطيم التقاليد الجاهلية والاعتزاز بالنسب بالمفهوم الجاهلي ، ولذلك قبلت زينب الزواج من زيد طاعة لله ورسوله رغم أن في نفسها غضاضة و قَبِل بعد ذلك أخوها استجابة لله ورسوله بعد ما نزل قول الله تعالى :« * وما كان لمومن ولامومنة إذا قضى الله ورسوله أمرا أن تكون لهم الخيرة من امرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا * »[4] .

وتدخل زينب بيت زيد ، لكنها لا تستطيع أن تقوم بواجبها تجاه زوجها لأن نفسها تأباه ، مما جعل زيدا يشعر بأنه يعيش مع امرأة لا ينال منها إلا جسدها ، وهذا ليس هو الزواج بمفهومه الشرعي ، ويقرر زيد طلاق زينب ويتدخل الرسول - صلعم - للإصلاح ولكن بدون فائدة فالوضع لم يتغير .

ويوحي الله لنبيه أن يترك زيدا يطلق زوجته ، ليتزوّجها هو بعد انتهاء

---

(1) - محمد علي الصابوني : صفوة التفاسير مج2/ج18،بيروت : دار القرآن الكريم - ط 4 (1402هـ-1981م) ص324.

(2) - سورة النور : الآية ١١ .

(3) - محمد الغزالي : فقه السيرة .(مرجع سابق) ص473.

(4) - سورة الأحزاب : الآية ٣٦ .

عِدَّتها ؛ قصد إبطال هذا العرف الجاهلي الذي يحرم زواج الرجل من زوجةمُتَبَنَّيه ،بل يبطل بزواجه من زينب مفهوم التبني ويحرمه مطلقا وفق مفهوم الإسلام الجديد .. لكن هذا الأمر خطير إن ظهر في المجتمع لأن العادات والتقاليد والأعراف ليس بالسهولة طرحها وإعطاء البديل مكانها و خاصة في أمر مثل هذا ، مما جعل الرسول - صلعم - يُخفيه في نفسه خوفا من قالة السوء ، واستغلالهم لمثل هذه الحادثة ،ويأتي زيد مرة أخرى يشكو زوجته ويبين نيته في الطلاق ، فيرشده النبي - صلعم - ويقول أمسك عليك زوجك واتق اللّه .. ويأتي أمر اللّه مُبَيِّنا هذه القصة التي جعلت النبي - صلعم - يخفي في نفسه ما اللّه مبديه ، فتوضح الآيات حالة النبي ، ويأمره اللّه بالزواج من زينب - رضي اللّه عنها - حيث يقول تعالى :« ﴿ وإذ تقول للذي أنعم الله عليه وأنعمت عليه أمسك عليك زوجك واتق الله وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها لكيلا يكون على المومنين حرج في أزواج أدعيائهم إذا قضوا منهن وطرا وكان أمر الله مفعولا ﴾ »[1] .

وبهذا الحُكم الصريح يتزوج النبي زينب بعد تطليقها من زوجها وبعد انقضاء عدتها ، ويستغل المنافقون هذا الزواج ويبدأون في بث الشائعات المغرضة بقولهم « حرم محمد نساءالولد ، وقد تزوج امرأة ابنه ، فأنزل اللّه عز وجل : « ﴿ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ... ﴾ إلى آخر القصة . وقال اللّه تعالى :« ﴿ ادعوهم لآبائهم .. الآية ، فدُعي من يومئذ :زيد بن حارثة ، وكان يُدعى زيد بن محمد »[2] .

وهكذا يتجلّى لنا أن الرسول - صلعم - تزوج زينب بأمر من اللّه تعالى قصد إبطال عادة جاهلية وهدمها ، ولا مناص لرسول اللّه - صلعم - أن يتهرّب أو يمتنع تحرُّجا مما يقوله المتقولون داخل المجتمع ، فالتكليف الإلهي ، أمر لا بد من تطبيقه بالسمع والطاعة ودون حرج من أي كان . ولكن الحرب النفسية المستمرة على الإسلام جعلت الأعداء يغتنمون هذه الحادثة لأنهم دوما يصطادون في الماء العَكِر والغريب أن هذا الزواج ما زال إلى اليوم مثار شبهة من قبل بعض المستشرقين قصد هجومهم على الإسلام والحط من قيمة الرسول - صلعم - ووصف هذا الحادث العادي بأوصاف لا تليق حتى بالإنسان العربي الشهم في الجاهلية ، فما بالك في الإسلام ، فما بالك إذا كان رسول اللّه - صلعم - ، ولكن أعداء الإسلام التقليديين أو الجدد وأذنابهم أكلهم الحقد والحسد مما جعلهم يلغون عقولهم ومشاعرهم وإنسانيتهم إن هم تحدّثوا عن الإسلام ، لأن هدفهم هو محاربة الإسلام وأهله ، وبكل الوسائل المشروعة في قوانينهم ، أو غير المشروعة ..

---

(1) - سورة **الأحزاب** : الآية ٣٧ .

(2) - **د.عائشة عبد الرحمن** : تراجم سيدات بيت النبوة .(مصدر سابق) ص346.

[سورة **الأحزاب** : الآية ٣٨ ، والآية ٥ .] .

وللمزيدانظر : - **ابن جرير الطبري** : جامع البيان عن تأويل أي القرآن مج12/ج22. بيروت:دار الفكر.(1405هـ-1984م) ص11 إلى 15.

- **محمد المكي الناصري** : التيسير في أحاديث التفسير ج5 ،بيروت : دار الغرب الإسلامي - ط1 .(1405هـ-1985م) ص133 إلى 138.

د ـ توزيع الغنائم :

من طبيعة المنافقين اغتنام الفرص ـ إما لمصالحهم الذاتية وإما لتلطيخ سمعة الآخرين ـ ولهذا عرفنا أن المنافقين يستغلون كل حدث ليضخموه ويجعلوه سببا في إشعال النار بين المسلمين ، من ذلك أنهم استغلوا حادثة توزيع الغنائم التي أفاض الرسول ـ صلعم ـ فيها العطاء لبعض الناس من أشراف مكة ورؤساء القبائل ليسوا بذوي مكانة كبيرة في الإسلام ، وهذا بعد انتهاء غزوة حنين التي انتصر فيها المسلمون انتصارا باهرا وغنموا غنائم معتبرة ، هذه الغنائم التي حرم منها الأنصار جعلت المنافقين يبثون شائعات نتنة وكريهة في صفوف المسلمين وخاصة ضعاف الإيمان قصد إثارة الفتَن ، وتعكير الأخوة الإسلامية ، وزعزعة وحدة الصف مما يحوِّل فرحة الانتصار الباهر إلى جحيم نفسي داخل الجبهة الداخلية للإسلام ..

لكن حكمة الرسول ـ صلعم ـ لم تُعرف ولم تُفهم أول الأمر . يقول الدكتور محمد فريد عزت :« وكانت تلك حكمة عميقة لم تُفهم أول الأمر ، وقد أراد بها رسول اللّه ـ صلعم ـ أن يتألف ضعاف الإيمان بالعطاء ، ويكل أقوياء الإيمان إلى إيمانهم وثقتهم في اللّه ، ولكن بعض الأنصار لم يفهموا هذه الحكمة حق فهمها ، بل وأطلقت ألسنة شتى اعتراضها . وما من شك في أن ألسنة منافقة قد تنقلت بالشائعات بين الأنصار بتشويه هذه الحكمة ، أو تجاهلها لتثير الفتنة في صفوف المسلمين ، وقد أثمرت شائعاتهم ، حيث سرت بين الأنصار موجة من التذمر ، وزادها اشتعالا انتشار شائعة أخرى بين الأنصار أيضا ، بأن النبي ـ صلعم ـ بعد تحقيق آماله في تحطيم آخر حصن للشرك سيعود إلى مسقط رأسه مكة ليعيش فيها ، ولن يرجع مع الأنصار إلى المدينة »[1] .

وهكذا تجد هذه الشائعة طريقها إلى نفوس الأنصار مما يجعل سعد بن عبادة يدخل إلى رسول اللّه ـ صلعم ـ ويقول :

«يا رسول اللّه ، إن هذا الحي من الأنصار قد وجدوا عليك في أنفسهم ، لما صنعت في هذا الفيء الذي أصبت ، قسمت في قومك ، وأعطيت عطايا عظاما في قبائل العرب ، ولم يك في هذا الحي من الأنصار منها شيء . قال : فأين أنت من ذلك يا سعد ؟ قال : يا رسول اللّه ، ما أنا إلا من قومي ، قال فاجمع لي قومك في هذه الحضيرة »[2] .

وهنا يتفهم الرسول ـ صلعم ـ سعدا ويعرف أن الأمر أصبح خطيرا لأن طريقة توزيع الغنائم من قِبَل الرسول بشكلها غير العادي لم يفهم القوم الحكمة من ورائها ، وعرف بأن مشيِّعي الفتن قد وجدوا ضالتهم ، ولذا لا بد من الإسراع في احتواء هذه الفتنة ، والقضاء على الشائعة المغرضة في مهدها ولذلكم لم يناقش سعدا بل في الحين طلب من سعد بن عبادة :« اجمع لي قومك في هذه الحضيرة » .

ويخرج سعد فيجمع الأنصار ، ويذهب إلى رسول اللّه ـ صلعم ـ ويخبره باجتماع القوم ، ويأتي رسول اللّه ـ صلعم ـ وقد فهم ماهم عليه من حالة نفسية لعب الشيطان والمغرضون في تحويلها عن حالتها الطبيعية ، وخاصة وهم الأنصار الذين

---

(1) ـ **محمد فريد محمود عزت** : بحوث في الإعلام الإسلامي .(مرجع سابق) ص47.

(2) ـ **ابن هشام** : السيرة النبوية ج4.(مصدر سابق) ص141 ، 142 .

أووا الرسول ـ صلعم ـ ونصروه ، فكيف بهم اليوم يقفون هذا الموقف ...

قدم رسول اللّه ـ صلعم ـ إلى القوم فحمد اللّه وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال :« يا معشر الأنصار : ما قالة بلغتني عنكم ، و جِدَة وجدتموها علي في أنفسكم ؟ ألم آتكم ضلالا فهداكم اللّه ، وعالة فأغناكم اللّه ، وأعداء فألف اللّه بين قلوبكم ! قالوا: بلى ، اللّه اللّه ورسوله أمنُّ وأفضل . ثم قال : ألا تجيبونني يا معشر الأنصار؟ قالوا : بماذا نجيبك يا رسول اللّه ؟ للّه ولرسوله المَنُّ والفضل . قال صلعم : أما واللّه لو شئتم لقلتم ، فلصَدَقتُم ولصُدِّقتم : أتيتنا مُكذَّبا فصدّقناك ، ومخذولا فنصرناك ، وطريدا فآويناك ، وعائلا فآسيناك . أوَجدتم يا معشر الأنصار في أنفسكم في لُعاعة من الدنيا تألّفتُ بها قوما ليسلموا ، ووكلتكم إلى إسلامكم ، ألا ترضون يا معشر الأنصار ، أن يذهب الناس بالشاة والبعير ، وترجعوا برسول اللّه إلى رحالكم ؟ فوالذي نفس محمد بيده لولا الهجرة لكنت امرأ من الأنصار ، ولو سلك الناس شعبا ، وسلكت الأنصار شعبا لسلكت شعب الأنصار. اللهم ارحم الأنصار وأبناء الأنصار ، وأبناء أبناء الأنصار. قال : فبكى القوم حتى أخضلوا لحاهم ، وقالوا: رضينا برسول اللّه قسما وحظا . ثم انصرف رسول اللّه ـ صلعم ـ وتفرّقوا »[1] .

وبهذا الموقف الذي وقفه الرسول ـ صلعم ـ من خلال هذه الخطبة التي تعتبر بمثابة ميثاق للأنصار بينهم وبين الرسول ـ صلعم ـ سواء من حيث مضمونها أو من حيث أسبابها ، وبهذه الخطبة التي استعمل فيها النبي ـ صلعم ـ وسائل الإقناع البيانية والمنطقية الواضحة لكل السامعين حتى لا يترك أية ثغرة لمروجي الشائعات والفتن ، وبهذا العمل الحكيم والسريع يقضي رسول اللّه ـ صلعم ـ على هذه الشائعة من أساسها والتي كانت تهدف إلى « المساس بشخص النبي ـ صلعم ـ في اتهام المنافقين له بعدم العدل في قسمة الغنائم ، وقد تكرر منهم ذلك في أكثر من موقف ، ليشيعوا ذلك بين المسلمين مؤملين أن يؤثر هذا في عقيدتهم وتعلقهم بالنبي والناحية الأخرى الفجوة التي كانت تهدف إليها هذه الفتنة بين المهاجرين والأنصار. ولكن بلاغة النبي ـ صلعم ـ استطاعت بهذه الكلمات أن تطفئ جذوة الفتنة ، وأن تذكي الحب الحقيقي الذي يكنه له المسلمون ، ولذلك كانت فرحة الأنصار حينما طمأنهم النبي ـ صلعم ـ بأنه سيعود معهم إلى المدينة تمحو كل غضاضة في النفوس ، وتربو على كل أمل يراود قلوب الأنصار »[2]

وهكذا كان رسول اللّه ـ صلعم ـ دوما يفسد خطط الأعداء ومن بينهم المنافقين ، لأنه كان أقدر الناس بما يوحى إليه من ربّه ، ولأن قدراته العقلية والنفسية كانت معرقلة لجهود الأعداء وأساليبهم ، كما أن حب المسلمين له بالالتفاف حوله وسماعه وطاعته أفسدت كل الأسلحة التي كانت تستعمل للتفريق بينه وبين أصحابه ... فأين نحن اليوم من حب لرسول اللّه ـ صلعم ـ حتى نفسد خطط أعدائنا ؟؟!! .

*****

(1) ـ **ابن هشام** : (المصدر السابق) ص142 ،143.

(2) ـ **د.عبد الحليم حنفي** : أسلوب السخرية في القرآن .(مرجع سابق) ص286 .

الباب الثالث

أحداث ووقائع الحرب النفسية

ـ في عصر النبوة ـ

على

الصعيد العسكري

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفصل الأول

غزوة بدر

تمهيد

أولا : الاستراتيجية العامة في غزوة بدر على الصعيد العسكري

1 ـ المسلمون

1. نحو بدر
2. العمليات الاستطلاعية التجسسية
3. دور الاستشارة في المواقف الكبرى
4. التكتيك العسكري

أولا : تقسيم الجند

ثانيا : دور الخبرة العسكرية في تحديد المراكز الاستراتيجية للجند .

ثالثا : بناء مركز القيادة

رابعا : التعبئة العامة

أ ـ الاستفادة من دوريات الاستطلاع

ب ـ أسلوب الصف

جـ ـ التعبئة النفسية(رفع المعنويات)

د ـ التحريض

هـ ـ دور الدعاء في التعبئة

ب ـ المشركون :

1. استغلال الفرصة للقضاء على الدين الجديد بالقوة
2. نبأ الاستنفار
3. حالة الطوارئ تعلن في مكة
4. قريش تجمع على المسير
5. نجاة القافلة
6. قريش تبعث بدورية مخابراتية
7. تصادم الآراء القرشية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ثانيا :استراتيجية العمليات القتالية في ميدان بدر

ا ـ التكتيك الاسلامي

1. التنظيم الميداني
2. الثبات والصبر
3. التزام الخطة المعينة(المرابطة)
4. شعار القتال
5. القيادة
6. التكتيك القتالي الجديد
7. الهجوم
8. المطاردة
9. النتيجة

ب ـ تكتيك المشركين

1. قيادة متعددة
2. هجوم المشركين
3. مطالبة المبارزة
4. تكتيك القتال الجماعي
5. نتيجة أهل الباطل

ثالثا : النتيجة العامة

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

« وإذ يعدكم الله إحدى الطائفتين أنها لكم

وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم

ويريد الله أن يحق الحق بكلماته

ويقطع دابر الكافرين .

ليحق الحق ويبطل الباطل

ولو كره المجرمون »

الأنفال : ٧ ـ ٨

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

تمهيد

بعدما عرفنا في الباب الثاني أساليب الحرب النفسية ـ في عصر النبوة ـ على الصعيد المدني ، حيث عرفنا الأساليب الجهنمية التي استعملها الأعداء الثلاثة لمحمّد ـ صلعم ـ و دعوته ـ مشركون ـ يهود ـ منافقون ـ قصد سحق الإسلام و أتباعه ـ في زعمهم ـ .

و لكن منزل رسالة الإسلام أحبط مكرهم و أساليبهم ، و نصر دينه ، و أعز أتباع نبيّه ، و رباهم بالأحداث و المصاعب ، مما جعلهم يقاومون على جميع الأصعدة ـ عقائدية ـ اجتماعية ـ اقتصادية ـ ، و نجحوا في الامتحان الرسالي ، سواء في مكّة وصبرهم على الأذى المادي و المعنوي ، أو في المدينة و ثباتهم أمام تخطيطات اليهود و مكرهم ، و شائعات و دسائس الطابور الخامس (المنافقون) .

هذه النفوس التي تربت بالأحداث على مائدة الإسلام ، أصبحت ترنو إلى الأفق ، إلى مجتمع قوي لا يطمع فيه أعداء الإسلام . «لقد تهيأت نفوس هؤلاء القوم ليكونوا قوة ضاربة على يد الباطل لتمهد الطريق أمام دعوة الحق . و من اليسير على السياسي الحاذق أن يعرف من لهجة من يحدثونه شيئا مما يدور في نفوسهم فما بالك بسيد من ساسوا الناس؟ إنه ـ صلعم ـ قد لمس هذا التحول النفسي في شدة تحمسهم للحق وحرصهم على أن يكونوا أصحاب هذا الفضل الكبير مهما كان الثمن إنهم مستعدون الآن ليذودوا عن الرسول و عن دعوته كل ما يريد أن يناله بسوء وليقفوا جميعا وراءه كالجبل الأشم و الطود الشامخ يردون عنه سهام المعتدين وغدر الماكرين »[1].

و بما أن الإسلام دين اللّه الحق الذي لابد أن ينتشر في الأرض ، و أن يحقق مكاسب جديدة في كل يوم على الصعيدين ـ المدني و العسكري ـ ، لكل هذا بدأ رسول اللّه ـ صلع ـ استراتيجية جديدة بعد استقرار الوضع على مستوى الصعيد المدني ، فبدأ ـ عليه الصلاة والسلام ـ يوجه الصراع خارج المجتمع الإسلامي في المدينة لأن الدولة الإسلامية التي تأسست ، يجب أن تكون لها هيبة و قوة تحدث رهبة و رعبا في نفوس أعدائها مما يجعلهم ـ على الأقل ـ في بداية الأمر يخافون على مصالحهم الداخلية و يمتنعون عن التفكير في العدوان على هذه الدولة الإسلامية الفتية ، و إذا لم يمتنعوا و لم يتوقفوا عن استفزازاتهم فيجب على الدولة الإسلامية أن تقاتلهم مدفوعة بفكرة القوة التي تفقد توازن العدو ، وتلزمه حدوده سواء أكان هذا على الصعيد المدني أو الصعيد العسكري .

و قد كان العدو الأول للدولة الإسلامية الناشئة هم المشركون ، لأنهم كانوا يملكون القوة ـ عددا وعدة ـ وكانوا يتربصون بالمسلمين ويغتنمون الفرص ويحرضون الأعراب المجاورة للمدينة ، ويتحالفون سرا وعلانية مع بني يهود التي عاهدت الرسول ـ صلعم ـ ثم لما علموا وعرفوا أن الإسلام ينمو ويقوى ، وينتشر بدأوا يثيرون الأحقاد والضغائن ويستغلون كل كبيرة وصغيرة لبث الشائعات

---

(1) ـ د.أحمد حمد : الجانب السياسي في حياة الرسول ـ صلعم ـ ، الكويت : دار القلم ـ ط 1. (1402هـ ـ 1982م) ص45.

والدعايات التضليلية مستعملين المنافقين كأبواق لهم - وكطابور خامس - يحركونهم في الوقت المناسب وبالأسلوب المناسب ...

كل هذه العوامل جعلت الرسول - صلعم - ومن حوله المسلمين يفكرون وينتقلون إلى العمليات القتالية الدفاعية والتي تمثلت في البداية في دوريات استطلاعية ومناوشات خفيفة ، كانت بمثابة إنذارات متعددة لقوى الطغيان وعلى رأسهم - المشركون - كي يتركوا الدعوة الإسلامية تتحرك بحرية داخل وخارج الدولة الإسلامية الفتية .

وقد احتوت الوقائع والأحداث المختلفة في جانبها العسكري على صور وأشكال قتالية مختلفة منها الدفاعية ومنها الهجومية ، ومنها عمليات الحصار ومنها عمليات المطاردة ... وقد « بلغ مجموع أعمال القتال المختلفة التي دارت في عهد الرسول - صلعم - أكثر من ستين عملية ، تولّى الرسول - صلعم - بنفسه قيادة ثمان وعشرين عملية »[1] .

من هذه العمليات العسكرية " الدوريات القتالية" والتي شارك الرسول - صلعم - في العديد منها : "غزوة ودان - الأبواء -"، و"غزوة بواط" ، و"غزوة ذي العشيرة" ، و"غزوة بدر الأولى" ...

وهذه الدوريات العسكرية عبارة عن عمليات استطلاعية مخابراتية ،القصد منها الترهيب وتأمين المحيط الخارجي للمدينة المنورة ، والتعرف على القبائل المجاورة وموادعتها والتحالف معها وفق الاستراتيجية العامة للدولة الإسلامية وكذلك معرفة الطرق التجارية للمشركين أعداء الإسلام قصد التركيز عليها من الناحية التكتيكية لشل الحركة التجارية مما يؤثّر سلبا على المشركين ، ويحقق مصالح اقتصادية للمسلمين يعوضون بها ما تركوه من أموال لهم داخل محيط الجبهة المعادية لهم (قريش) .

هذه إذن لمحة عامة وتمهيدية لأحداث ووقائع الحرب النفسية - في عصر النبوة - على الصعيد العسكري قصدنا منها معرفة بعض العوامل الأساسية التي جعلت الرسول - صلعم - وأتباعه يخوضون هذه العمليات القتالية سواء في جانبها الدفاعي أو الهجومي ، والتي سنوضحها أكثر من خلال دراستنا لبعض الغزوات الأساسية من مجموع غزوات الرسول - صلعم - كنماذج عملية لبقية الغزوات الأخرى لأنه يستحيل التطرق لجميع هذه العمليات القتالية في مثل هذا الموضوع المحدد من الناحية العلمية .

---

(1) - د.أحمد نوفل: الحرب النفسية - الكتاب الثاني - (مرجع سابق) ص105.

أولا : الإستراتيجية العامة في غزوة بدر على الصعيد العسكري

أ ـ المسلمون :

1ـ نحو بدر : لقد انتشر الإسلام ، وزادت قوته منذ هجرة الرسول ـ صلعم ـ إلى المدينة المنورة ، فأصبح المسلمون يتمتعون بالحرية داخل المجتمع الإسلامي والدولة الإسلامية التي تكونت داخل المدينة المنورة ، لكن الوضع الاقتصادي لهذه الدولة كان صعبا بسبب الأوضاع الاجتماعية للمسلمين ، لأن المهاجرين ـ كما نعلم ـ قد فرُّوا بعقيدتهم تاركين كل ما يملكون في مكة ، مما جعل إخوانهم في العقيدة ـ الأنصار ـ يشاركونهم في أموالهم وممتلكاتهم ، مما جعل الوضع الاجتماعي للطرفين ـ المهاجرون والأنصار ـ على غير حالته الطبيعية ؛ زيادة على ما تحتاجه الدولة الفتية الجديدة من إمكانات مادية سواء على الصعيد المدني أو الصعيد العسكري .

لكل هذه الأسباب وأسباب أخرى أمنية ودعوية جعلت الرسول ـ صلعم ـ يفكر في تأمين الحدود المتاخمة للمدينة المنورة ، وفي الوقت نفسه يشدد الخناق على القرشيين الأعداء اللدودين لدين الإسلام بصفتهم القوة رقم واحد في الجزيرة العربية ، وهذا ما جعل رسول الله ـ صلعم ـ يقوم باستراتيجية شاملة وفق ما تقتضيه الظروف المرحلية حيث بدأ بالاستطلاعات والدوريات القتالية ؛ قصد الحصار التجاري على قريش من جهة ، والحصول على ما تحمله هذه القوافل التجارية لرد أموال المهاجرين التي تركوها في مكة واستفاد منها المشركون .

لهذا كان الهدف من خروج المسلمين في هذه الغزوة يريدون التعرض لقافلة قريش التي كان يقودها "أبو سفيان" ؛ هذه القافلة كانت من أكبر القوافل عدة ومالا لأن أهل مكة كلهم شاركوا فيها بأموالهم ، و قد قُدِّرت ـ كما جاء في كتب السيرة ـ بحوالي خمسين ألف دينار ، يحرسها حوالي ثلاثين إلى أربعين رجلا .

هذه القافلة خرجت قاصدة الشام واعترضها المسلمون في دورية غزوة "العُشيرة" ، وقد نجت بحنكة أبي سفيان ، لكن الرسول ـ صلعم ـ بصفته قائدا للمسلمين كان ينتظر عودة القافلة ليعترضها مرة أخرى ، مما جعله يتهيأ ويستعد ، وما أن وصله الخبر برجوع القافلة أسرع لانتداب أصحابه للتعرُّض لها حيث قال : « هذه عير قريش وفيها أموالهم وقوتهم فاخرجوا إليها لعل الله يغنمكموها »[1] . فأسرع جمع من الناس ، وتثاقل آخرون ، لأن نداء الرسول ـ صلعم ـ كان على سبيل الندب وليس على سبيل الوجوب هذا من جهة ، ومن جهة أخرى كانوا يظنون أن هذه الغزوة مثل سابقتها لا تكون فيها المواجهة بين النبي ـ صلعم ـ وقريش .

وأراد بعض الطامعين ـ من غير المسلمين ـ أن يندسُّوا داخل المعسكر الإسلامي بقيادة الرسول ـ صلعم ـ قصد الحصول على الغنيمة ، لكن رسول الله ـ صلعم ـ اعترضهم وطلب منهم مقابل الخروج الدخولَ في الإسلام فأبوا ذلك ، فمنعوا وكفى الله المؤمنين شرهم وغرضهم .

---

(1) ـ **سميح عاطف الزين** : خاتم النبيين محمد ـ صلعم ـ ج2 1، بيروت : دار الكتاب اللبناني ـ ط2. (1406هـ ـ 1986م) ص99

خرج الجيش الإسلامي بقيادة النبي ـ صلعم ـ في ليالٍ خلت من رمضان من السنة الثانية للهجرة في قوة بشرية بلغت (314) رجلا من المسلمين ـ أربعة وسبعين رجلا من المهاجرين ـ كما جاء في بعض المصادر ، أما القوة المادية فتتمثل في فَرَسَين ، وسبعين بعيرا ، وكان يتعاقب الرجلان والثلاثة والأربعة على البعير الواحد ، حيث كان عليه الصلاة والسلام يتناوب على بعير مع عليّ بن أبي طالب ومرثد بن أبي مرثد الغنوي مثل بقية المسلمين فأي قائد عسكري فعل هذا منذ أن عرف الإنسان تاريخ الحروب سواء في القديم أو الحديث !! لكنه الإسلام ! حتى عندما قال : « شريكا الرسول ـ صلعم ـ في البعير :(نحن نمشي عنك) . فقال :(ما أنتما بأقوى مني ، ولا أنا بأغنى عن الأجر منكما) . وأراد بذلك المساواة مع أي فرد من قواته »[1] .

2 ـ **العمليات الاستطلاعية التجسسية** : كما هو معلوم في الحرب النفسية على الصعيد العسكري لا بد أن تكون هناك استراتيجية علمية في ميدان الاستطلاعات والجوسسة لمعرفة جبهة العدو ، وتحركاته وأهدافه .. وهذا ما جعل الرسول ـ صلعم ـ يركز على هذا الجانب ويعطيه أهمية بالغة لما له من دور فعال في تحديد الأهداف وبناء الخطط والاستراتيجيات ، فأول عمل قام به الرسول ـ صلعم ـ أثناء استعداده لهذه الغزوة هو بعث دورية للاستخبارات والتجسيس على قافلة قريش تتكون من فردين هما : "طلحة بن عبيد الله" ، و"سعيد بن زيد" ، فذهبا حتى وصلا "الحوراء" على طريق ـ الشام مكة ـ تلبسا هناك حتى مرت القافلة تريد مكة رجعا مسرعَين إلى رسول الله ـ صلعم ـ يخبرانه الخبر ويعطيانه المعلومات الكافية عنها .

وها هو الرسول ـ صلعم ـ يقوم بهذا العمل بنفسه فما أن وصل الجند من مقربة من (بدر) ، حتى انطلق الرسول ـ صلعم ـ مصحوبا بأبي بكر يستطلع الأمر بنفسه ، إلى أن وقف على شيخ من العرب ودار بينهما الحوار التالي ، قال ابن إسحاق :« حتى وقف على شيخ من العرب ، فسأله عن قريش ، وعن محمد وأصحابه وما بلغه عنهم ، فقال الشيخ : لا أخبركما حتى تخبراني ممن أنتما ؟ فقال رسول الله ـ صلعم ـ :إذا أخبرتنا أخبرناك .قال : أذاك بذاك ؟ قال : نعم ؛ قال الشيخ : فإنه بلغني أن محمدا وأصحابه خرجوا يوم كذا وكذا ، فإن كان صدق الذي أخبرني ، فهم اليوم بمكان كذا وكذا ، للمكان الذي به رسول الله ـ صلعم ـ ؛ وبلغني أن قريشا خرجوا يوم كذا وكذا ؛ فإن كان الذي أخبرني صدقني فهم اليوم بمكان كذا وكذا ، للمكان الذي به قريش . فلما فرغ من خبره ، قال ممن أنتما ؟ فقال رسول الله ـ صلعم ـ : نحن من ماء ثم انصرف عنه . قال يقول الشيخ : ما من ماء ! من ماء العراق؟ »[2] .

وهنا نلاحظ ذكاء الرسول ـ صلعم ـ وقدرته في ميدان هذا الأسلوب العسكري بحيث استطاع أن يتحصل على معلومات قيِّمة من الشيخ العربي ـ رغم حنكة الشيخ وذكائه ـ دون أن يخبره بمعلومات قد يتعرف من خلالها هذا الشيخ على هوية الرسول ـ صلعم ـ وبالتالي ستعلم قريش لامحالة بمواقع المسلمين وتحركاتهم

---

(1) ـ اللواء الركن محمود شيت خطاب : الرسول القائد ، بيروت : دار الفكر ـ ط5. (1394هـ ـ 1974م) ص103 ، 104.

(2) ـ ابن هشام : السيرة النبوية ج2.(مصدر سابق) ص268

وبعدما عرف الرسول ـ صلعم ـ هذه المعلومات القيمة يرسل دورتي استطلاع قصد الحصول على معلومات وافية ودقيقة عن قريش وقوتها وتحركها ... فالدورية الأولى تتكون من عليٍّ بن أبي طالب ، والزبير بن العوام ، وسعد بن أبي وقاص .. واستطاعت هذه الدورية أن تتحصل على صيد ثمين من خلال وصولها إلى ماء بدر ، حيث أسرت غلامين لقريش واستنطقتهما وتعرفت من خلال الاستنطاق الذي أشرف عليه رسول الله ـ صلعم ـ بأن قريشا بالعدوة القصوى وراء الكثيب وعندما سئلا عن القوة البشرية لقريش ، قالا : لا ندري ، فقال عليه الصلاة والسلام : كم ينحرون من الإبل في اليوم ، قالا : ما بين التسعة إلى العشرة ، وهذا ما جعل رسول الله ـ صلعم ـ يستنبط أن القوم ما بين التسعمائة والألف ، كما عرف من خلال الاستنطاق أن أشراف قريش كلهم خرجوا [1].

وأما الدورية الثانية فتتألف من رجلين وصلا إلى ماء بدر ، حيث سمعا جارية تطالب صاحبتها بدين عليها والثانية تجيبها :« إنما تأتي العير غداً أو بعد غد فأعمل لهم ثم أقضيك الذي لك » [2]. وعاد الرجلان بالخبر إلى الرسول ـ صلعم ـ .

وهكذا بواسطة جهاز الاستطلاع والاستخبارات استطاع الرسول ـ صلعم ـ أن يعرف القوة البشرية والمادية لقريش وتحركاتها ، ووقت وصولها ، مما جعله يبني استراتيجيته التكتيكية على هذه المعطيات الواقعية التي عرفها الرسول ـ صلعم ـ من خلال الدوريات الاستطلاعية .

3 ـ دور الاستشارة في المواقف الكبيرة: إن مبدأ التشاور بين القادة وأتباعهم ـ على جميع الأصعدة ـ أمر يدل على نضج حضاري إنساني يؤدي إلى الوحدة والتضامن واحترام الحريات ، وقد كان الإسلام سباقا لهذه المبادئ ـ قبل أن يتشدق بها الغربيون اليوم ـ لأن الإسلام دين الله ، والله أعلم بنفسيات عباده ..

لذلك نجد الرسول ـ صلعم ـ بعدما عرف عزم قريش على مهاجمتهم ، ونظرا لهذا الأمر الجديد والخطير والذي يعتبر مفاجئا للمسلمين لأن الخروج كان القصد منه قافلة قريش ، ولم يكن القصد منه قتال قريش ، لذا فإن هذا التطور في الموقف أصبح مفروضا على المسلمين ، ولا بد من الدفاع عن عقيدتهم ووجودهم .

عقد رسول الله ـ صلعم ـ مجلسا استشاريا عسكريا مع أصحابه وأخبرهم بأمر قريش وما أقدمت عليه .« وحينئذ تزعزع قلوب فريق من الناس ، وخافوا اللقاء الدامي ، وهم الذين قال الله فيهم :« * كما أخرجك ربك من بيتك بالحق وإن فريقا من المومنين لكارهون * يجادلونك في الحق بعدما تبين كانما يساقون إلى الموت وهم ينظرون * » . وأما قادة الجيش ؛ فقام أبو بكر فقال وأحسن ، ثم قام عمر بن الخطاب فقال وأحسن ، ثم قام المقداد فقال :« يا رسول الله ، امض لما أراك الله فنحن معك ، والله لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون ، ولكن اذهب أنت

---

(1) ـ انظر :

ـ **أبو بكر جابر الجزائري** : هذا الحبيب محمد ـ صلعم ـ (مرجع سابق) ص215 ، 216

(2) ـ **محمد شيت خطاب** : الرسول القائد .(مرجع سابق) ص106.

وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون ، فوالذي بعثك بالحق لوسرت بنا إلى "برك الغماد" لجالدنا معك من دونه حتى تبلغه » .فقال له رسول اللّه ـ صلعم ـ خيراودعا له به »[1].

لكن الرسول ـ صلعم ـ لم يكتف بهذه الآراء رغم مكانتها من حيث المتكلمين ، وأراد توسيع المشورة وخاصة أن المتكلمين ـ رغم مكانتهم بين كل المسلمين ـ هم من المهاجرين والمهاجرون يمثلون قلة داخل صفوف المعسكر الإسلامي في هذه الغزوة . لذلك استمر رسول اللّه ـ صلعم ـ في ندائه :« أشيروا عليّ أيها الناس » ، وكان رسول اللّه يريد الأنصار ورأيهم في هذا الموقف الحاسم ، وهذا ما جعل قائدهم وحامل لوائهم (سعد بن معاذ) ينتبه ويتفطن لنداء الرسول ـ صلعم ـ ويقول : واللّه ، لكأنك تريدنا يا رسول اللّه ؟ فيقول عليه الصلاة والسلام : أجل ويأتي موقف الأنصار على لسان قائدهم جليا واضحا يدل على عقيدة راسخة وتربية إسلامية أتت ثمرها ،فيقول سعد بن معاذ :« فقد آمنا بك وصدقناك ، وشهدنا أن ما جئت به هو الحق ،وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة ،فامضِ يا رسول اللّه لما أردت فنحن معك ، فوالذي بعثك بالحق ، لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ،ما تخلّف منا رجل واحد . وما نكره أن تلقى بنا عدونا غدا ، إنا لصُبُرٌ في الحرب ، صُدُق عند اللقاء ، لعل اللّه يريك منا ما تقر به عينك فسِر بنا على بركة اللّه .»[2].

كان هذا الكلام بمثابة انتصار أوّليٍّ للمسلمين لأنه رفع المعنويات ووحّد الصفوف ، وأسكت كل الألسنة التي تريد الطعن والتشكيك ، وهذا ما جعل رسول اللّه ـ صلعم ـ يسر ويستبشر خيرا ويقول لهم مبشّرا :« سيروا وأبشروا فإن اللّه قد وعدني إحدى الطائفتين ، واللّه لكأني أنظر إلى مصارع القوم !»[3].

4ـ التكتيك العسكري : إن التكتيكات العسكرية لها أهمية عظمى في تحقيق النصر ، وبث الرعب والخوف في جبهتي العدو المدنية والعسكرية ، وهذا ما جعل الرسول ـ صلعم ـ يخرج بتكتيك عسكري جديد أفسد خطط الأعداء وأربكهم فزاد هذا في هزيمتهم كما سنبين فيما بعد .

عند خروج الرسول ـ صلعم ـ بجيشه نحو بدر كان معه ثلاث مائة وبضعة عشر رجلا (305، 313، أو 314 أو 317 رجلا) ـ اختلاف الروايات ـ موزعة كما يلي : 74 أو 82 أو 83 أو 86 من المهاجرين ، والبقية من الأنصار ، 61 من الأوس ، و170 من الخزرج . وكان معهم فرسان فقط ، فرس للزبير بن العوام وفرس للمقداد بن الأسودالكندي، وسبعون بعيرايتناوبها الرجلان والثلاثة والأربعة على البعير الواحد .

وحتى لا تبقى المدينة بدون مسؤول عن أمورها ،استخلف "ابن أم مكتوم" وأمره أن يصلي بالناس ، لكن عندما وصل إلى الروحاء ردّ أبا لبابة بن عبد المنذر

* ـ برك الغماد : موضع بناحية اليمن .

(1) ـ صفي الرحمن المباركفوري : الرحيق المختوم .(مرجع سابق) ص244.245.

وانظر : ابن هشام : السيرة النبوية ج2.(مصدر سابق) ص266.

(2) ـ عبد السلام هارون : تهذيب سيرة ابن هشام .(مصدر سابق) ص157، 158

وانظر : ـ د.محمد سعيد رمضان البوطي: فقه السيرة .(مرجع سابق) ص214، 215 .

ـ صفي الرحمن المباركفوري : الرحيق المختوم .(مرجع سابق) ص245 ، 246

(3) ـ عبد السلام هارون : (المصدر السابق) ص157 ، 158 .

واستخلفه لشؤون المدينة ، وترك ابن أم مكتوم يقوم بالصلاة فقط .

وكانت هذه التكتيكات العسكرية تسير وفق الاستراتيجية التالية :

أولا : تقسيم الجند:

قسم رسول الله ـ صلعم ـ جنده إلى كتيبتين أساسيتين :

1 ـ **كتيبة المهاجرين**: وأعطى لواءها لعلي بن أبي طالب .

2 ـ **كتيبة الأنصار** : وأعطى لواءها سعد بن معاذ .

وجعل الفارسين الوحيدين في الجيش ، الزبير بن العوام على الميمنة ، والمقداد بن عمرو على الميسرة ، كما جعل مؤخرة الجند بإمرة قيس بن أبي صعصعة ، ودفع عليه الصلاة والسلام لواء القيادة العامة لمصعب بن عمير ، وكان هذا اللواء (الراية) أبيض اللون ، عكس الرايتين السابقتين فهما سوداوان .

ثانيا : دور الخبرة العسكرية في تحديد المراكز الاستراتيجية للجند :

لقد تأهب المسلمون واستعدوا للقتال حيث تحرك القائد العام للقوات ـ رسول الله صلعم ـ بقواته إلى ماء بدر مسرعا ليدرك الماء قبل إدراكه من قبل قوة العدو ، لما للماء من تأثير على معنويات الجند إيجابا أو سلبا وخاصة إذا علمنا بأن المكان صحراء تخلو من الماء ، وفعلا نزل الجيش بأمر من القائد العام أدنى ماء من ماء بدر . هذا النزول جعل أحد الخبراء العسكريين وهو "الحباب بن المنذر" يسأل رسول الله ـ صلعم ـ عن سبب اختياره المكان ، هل هذا المكان هو وفق تطبيق أمر الله؟ ليس لأحد المناقشة فيه ، ولا الخبرة العسكرية ، لأن الله أعلم بأمور عباده ، أم أن المكان اختير على أساس الاستراتيجية الحربية . ومما جاء في الحوار الذي دار بين الحباب بن المنذر ، والرسول ـ صلعم ـ ما يلي : قال الحباب بن المنذر :« يا رسول الله ، أرأيت هذا المنزل ، أمنزلا أنزلكه الله ليس لنا أن نتقدم ولا أن نتأخر عنه ، أم هو الرأي والحرب والمكيدة ؟ قال : بل هو الحرب والرأي والمكيدة . فقال: فإن هذا ليس بمنزل فانهض بالناس حتى نأتي أدنى ماء من القوم فننزله ثم نغوِّر ما وراءه من الآبار ، ثم نبني عليه حوضا فنملؤه ماء ، ثم نقاتل القوم فنشرب ولا يشربون . فنهض رسول الله ـ صلعم ـ وتحول إلى المكان والرأي الذين أشار بهما الحباب ـ رضي الله عنه ـ »[1].

وهكذا يتبين لنا دور الخبرة العسكرية ـ قديما أو حديثا ـ في تحديد المواقع الاستراتيجية على الصعيد العسكري ، وما لهذه الاستراتيجية من دور فعال في رفع معنويات الجيش ، وتحطيم معنويات العدو وهذا ما سنعرفه عمليا من خلال هذه الاستراتيجية ..

كما يتبين لنا موقف القائد المسلم من تخلّيه عن بعض المواقف التي تظهر له من خلال خبرائه ومستشاريه وقادته بأنها مواقف غير لائقة ، وهذا ما فعله رسول الله ـ صلعم ـ بصفته قائدا عاما لجيش المسلمين ، ولأن رأيه كان رأيا بشريا وليس وحيا منزلا ، ولهذا قال لأصحابه :« أنه بشر مثلهم ، وأن الرأي شورى بينهم

---

(1) ـ د.محمد سعيد رمضان البوطي : فقه السيرة .(مرجع سابق) ص215.

وانظر : ـ شيت خطاب : الرسول القائد .(مرجع سابق) ص107،106.

ـ المباركفوري : الرحيق المختوم .(مرجع سابق) ص248.

ـ جابر الجزائري : هذا الحبيب محمد ـ صلعم ـ .(مرجع سابق) ص218،217.

وأنه لا يقطع برأي دونهم ، وأنه في حاجة إلى حسن مشورة صاحب المشورة الحسنة منهم »[1] .

وبهذه الاستراتيجية تحكم الجند المسلم في مصادر المياه ، وأنجزوا حوضا ملأوه ماء ، ثم بددوا كل المجاري تحطيما وردما ، وقد تم هذا في سرية تامة عن العدو وفي الليل ، ثم باتوا ليلتهم مطمئنين نفسيا بقوة اللّه وفضله عليهم ، ثم بسبب هذه التكتيكات العسكرية الجديدة التي رفعت من معنوياتهم .

ثالثا: بناء مركز للقيادة:

من التكتيكات الاستراتيجية على الصعيد العسكري تخصيص مركز استراتيجي للقيادة تشرف من خلاله على توجيه العمليات القتالية وسيرها ، وتغيير تكتيكاتها حسب الظروف والنتائج الناجمة عن عمليات المعركة ، لهذا وجدنا في هذه الغزوة - بدر - يتقدم سعد بن معاذ إلى رسول اللّه - صلعم - بقوله :« يا نبي اللّه ألا نبني لك عريشا تكون فيه ونعد عندك ركائبك ، ثم نلقى عدونا ، فإن أعزّنا اللّه وأظهرنا على عدونا كان ذلك ما أحببنا ، وإن كانت الأخرى جلست على ركائبك فلحقت بمن وراءنا فقد تخلف عنا أقوام يا نبي اللّه ما نحن بأشد لك حبا منهم ، ولو ظنوا أنك تلقى حربا ما تخلّفوا عنك ، يمنعك اللّه بهم يناصحونك ويجاهدون معك ، فأثنى عليه رسول اللّه - صلعم - وبُني العريش [مركزالقيادة] وجلس فيه رسول اللّه - صلعم - وكان هذا من سعد تدبيرا حسنا »[2] .

وبهذا الاقتراح لسعد بنى المسلمون مقرا للقيادة ؛ قصد الإشراف على العمليات ، ودراستها ، وفي الوقت نفسه تحضير واستعداد لكل طارئ قبل المعركة وأثناءها ، ثم أُمِّن بالحراسة باختيار شباب من الأنصار تحت إشراف سعد بن معاذ مباشرة ..

رابعا: التعبئة العامة :

التعبئة أسلوب من الأساليب الأساسية في الحرب النفسية سواء على الصعيد المدني أو على الصعيد العسكري ، لذلك وجدنا رسول اللّه - صلعم - يطبق تكتيكا جديدا « مسير الاقتراب » لا يختلف كثيرا عن التكتيك التعبوي الحديث وبالأخص في حرب الصحراء .

أ - **الاستفادة من دوريات الاستطلاع** : حيث عرفنا فيما سبق كيف استفاد الرسول - صلعم - من استخباراته عن طريق الدوريات الاستطلاعية قصد الحصول على المعلومات ، وهذه أساليب حربية للتشكيلات العسكرية حتى في العصر الحديث ، مع تطور الأساليب طبعا علميا وتكنولوجيا .

ب - **أسلوب الصف** : ومن التعبئة العامة طريقة أسلوب الصف الذي طبّقه الجيش المسلم كأسلوب جديد لم تعهده العرب ، لأن العرب متعوّدة على أسلوب

---

(1) - **محمود شيت خطاب** : الرسول القائد .(مرجع سابق) ص107.

(2) - **أبو بكر جابر الجزائري** : هذا الحبيب محمد رسول اللّه .(مرجع سابق) ص218.

وانظر . **صفي الرحمن المباركفوري** : الرحيق المختوم .(مرجع سابق) ص248

- **مسير الاقتراب** : الحركة من القاعدة إلى الهدف. كانت قاعدة المسلمين المدينة المنورة ، وكان هدفهم موقع (بدر) فالحركة من المدينة المنورة بالمراحل إلى (بدر) يطلق عليه : مسير الاقتراب .

انظر : **محمود شيت خطاب** : الرسول القائد .(مرجع سابق) ص116.

(الكرُّ والفرُّ) ، لذلك كان هذا الأسلوب عاملا من عوامل النصر ، واستعرض الرسول ـ صلعم ـ الجند بنفسه ، ونظم صفوفهم وعدلها وفق استراتيجية هذا الأسلوب وبينما الرسول ـ صلعم ـ يقوم بهذا وفي يده قدح يعدل به :« كان سواد بن غزية مستنصلا من الصف ، فطعن في بطنه بالقدح وقال : استوِ ياسواد ، فقال سواد : يا رسول الله أوجعتني فأقِدني ، فكشف عن بطنه وقال: استقِد ، فاعتنقه سواد ، وقبّل بطنه ،فقال: ما حملك على هذا يا سواد ؟ قال :يا رسول الله قد حضر ما ترى ، فأردت أن يكون آخر العهد بك أن يمس جلدي جلدك . فدعا له رسول الله ـ صلعم ـ بخير »[1] .

هذا الأسلوب كان له دور فعال في تعبئة الجند ، وكان عاملا من عوامل النصر ، وكان في الوقت نفسه أسلوبا مفاجئا لقوات العدو (المشركون) التي وجدت صعوبة في اقتحام هذا الأسلوب واختراقه ، وتلقت ضربات قتالية موجعة . كما أن هذا الأسلوب ـ تشكيل القتال بالصفوف ـ :« يضمن سيطرة القائد المحكمة على جيشه على نحو لا يتحقق في أسلوب الكر والفر الذي اعتاد عليه العرب . ففرق كبير في مجال السيطرة بين قوة ثابتة متلاصقة وبين قوة تتردد في الحركة السريعة بين الأمام والخلف ؛ هذا فضلا عن أن أسلوب الصفوف يؤمن للقائد احتياطا يعالج به المواقف الطارئة »[2].

جـ ـ التعبئة النفسية (رفع المعنويات): أسلوب التعبئة النفسية (رفع المعنويات) عامل أساسي لا يستغنى عنه سواء على الصعيد المدني أو على الصعيد العسكري ، لأنه أسلوب يؤدي بالفرد أو الجماعة إلى الانتصار أو الانهزام لذلك نجد الرسول ـ صلعم ـ عبأ جنده تعبئة نفسية إسلامية جعلت الروح المعنوية لدى أفراد الجيش المقاتل تبلغ درجة عالية لم تحدث في تاريخ البشرية إطلاقا بحيث أصبحوا يرون النصر حليفهم قبل وقوع المعركة .

ومن صور هذا الأسلوب أن رسول الله ـ صلعم ـ ـ وهو لا ينطق عن الهوى ـ بيّن لجنده حتى أماكن مصارع القوم ، حيث كان عليه الصلاة والسلام يشير بيده ويقول :« هذا مصرع فلان ويضع يده على الأرض هاهنا وهاهنا.. فما ماط أحدهم عن موضع يد رسول الله ـ صلعم ـ »[3]. كيف لا ترتفع المعنويات وتتعبأ النفوس ، وهم يشاهدون رسول الله ـ صلعم ـ يضع يده الشريفة على الأرض مبينا سقوط زعمائهم وسادتهم (أي المشركون) ؟ ! .

زيادة عن هذا صلاة الرسول ـ صلعم ـ ودعاؤه للمسلمين ، مما يجعل الطمأنينة تغمر القلوب ، وهذا دواء أساسي للراحة النفسية . يقول المباركفوري: «ثم بات رسول الله ـ صلعم ـ يصلي إلى جذع الشجرة هنالك ، وبات المسلمون ليلهم هادئ الأنفاس منير الآفاق ، غمرت الثقة قلوبهم ، وأخذوا من الراحة قسطهم ، يأملون أن يروا بشائر ربهم بعيونهم صباحا « * إذ يغشيكم النعاس أمنة منه وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به ويذهب عنكم رجس الشيطان وليربط على قلوبكم ويثبت به الأقدام * » »[4].

---

(1) ـ صفي الرحمن المباركفوري : الرحيق المختوم .(مرجع سابق) ص253.

(2) ـ الأمة (مجلة) ،قطر: العدد 57 ، السنة الخامسة .(ماي 1985) ص18.

(3) ـ أبو الحسين مسلم : صحيح مسلم بشرح النووي ج12 ،بيروت:دار إحياء التراث العربي ـ ط2. (1392هـ ـ 1972م) ص125،126.

(4) ـ صفي الرحمن المباركفوري:الرحيق المختوم.(مرجع سابق) ص24.[سورة الأنفال:الآية ١١]

هذه الآية توضح لنا الإمداد من الله سبحانه وتعالى قصد راحة النفس وتطهيرها حسيا ومعنويا ، وإذهاب رجس الشيطان عنها - من الأفكار الهدامة والهواجس النفسية المحطمة - والربط على القلوب لتثبيتها على الإيمان وإعطائها العزيمة القوية ، وبهذا الإمداد الرباني الشامل تتعبأ النفس وترتفع المعنويات وتشحذ الهمم ، فيكون المسلمون مستعدين الاستعداد الكامل معنويا وماديا ليوم المعركة الفاصلة بين الحق والباطل ، قال ابن القيم :« أنزل الله عز وجل في تلك الليلة مطرا واحدا فكان على المشركين وبالا شديدا منعهم من التقدم وكان على المسلمين طلا طهرهم به وأذهب عنهم رجس الشيطان ووطأ به الأرض ، وصلب به الرمل ، وثبت الأقدام ، ومهد به المنزل ، وربط به على قلوبهم »[1] .

د - التحريض : من أساليب الحرب النفسية التعبوية هذا الأسلوب (التحريض) الذي يعتبر من الأساليب الأساسية في رفع المعنويات والعزائم وبالمقابل تحطيم معنويات الخصم وتفتيت عزائمه وإرادته القتالية ، ولذلك أمر الله سبحانه وتعالى نبيه بالتحريض على القتال ، حيث قال تعالى :

« * يأيها النبيء حرض المؤمنين على القتال ... »[2] . وفعلا فقد كان - صلعم - حاضرا مع جنده ينظم الصفوف ويدعو ربه ، ويعطي الأوامر والتوجيهات بنفسه ، بل وصل به أمر التحريض عند الهجوم المضاد أن قال لهم :« والذي نفس محمد بيده ، لا يقاتلهم اليوم رجل فيقتل صابرا محتسبا ، مقبلا غير مدبر ، إلا أدخله الله الجنة »[3] . بل خاطب عليه الصلاة والسلام جيشه محرضا إياهم على القتال بالترغيب ، وأي ترغيب إنها الجنة ، وهي أمنية كل مسلم صادق في إسلامه ، ولذلك استنفرهم رسول الله - صلعم - بقوله : « قوموا إلى جنة عرضها السموات والأرض »[4].هذا التحريض من الرسول - صلعم - كان له وقعه وتأثيره على النفوس ورفع المعنويات إلى درجةأن بعض أفرادالجندأصبحواياندفعون نحوالموت اندفاعاالماسمعوا كلمات التحريض الترغيبية من رسول الله - صلعم - ومن هؤلاء "عُمير بن الحمام " الذي سمع التحريض من رسول الله - صلعم - وكان يأكل تمرات في يده فيقول :« بخ بخ ، أفما بيني وبين أن أدخل الجنة إلا أن يقتلني هؤلاء ، ثم قذف التمرات من يده وأخذ سيفه ، فقاتل القوم حتى قُتل »[5] .

ومن صورالاستجابة لأسلوب التحريض سؤال "عوف بن الحارس بن عفراء" (من بني النجار)لرسول الله - صلعم - بقوله:« يا رسول الله مايضحك الرب من عبده ! قال غمسه يده في العدو حاسرا . فنزع درعا كانت عليه ، فقذفها ثم أخذ سيفه فقاتل

(1) - ابن القيم الجوزي : زاد المعاد مج 1/ج 2.(مصدر سابق) ص86.

وانظر مصطفى المراغي : تفسير المراغي ج 9.(مصدر سابق) ص175.

(2) - سورة الأنفال : الآية ٦٥ .

(3) - د.علي سامي النشار: شهداء الإسلام في عهد النبوة ،مصر : دار المعارف - ط 2 . ص22 .

وانظر د.مصطفى السباعي : السيرة النبوية دروس وعبر، بيروت: المكتب الإسلامي . ط 9 .(1406هـ - 1986م) ص81.

(4) - ابن هشام : السيرة النبوية ج 2.(مصدر سابق) ص79.

(5) - ابن هشام : السيرة النبوية ج 2.(مصدر سابق) ص79.

وانظر: حسن كامل الملطاوي : رسول الله في القرآن الكريم ، مصر : دار المعارف - ط 2. ص218

القوم حتى قُتل »[1] . وهكذا كان أسلوب التحريض له دور فعال في سير القتال بتقوية العزائم والمعنويات غير مبالين بتفوق قريش المادي ، وإنما اعتمادهم على اللّه أولا ، ثم على عزائمهم وتخطيطاتهم الاستراتيجية الجديدة ماديا ومعنويا جعلهم يدخلون المعركة بمعنويات مرتفعة كانت نتيجتها انتصارا باهرا بقي أنموذجا حيا في التاريخ الإسلامي الجهادي إلى اليوم ، وإلى أن يرث اللّه الأرض ومن عليها .

هـ - دور **الدعاء في التعبئة** : الدعاء بالنسبة للمسلم كالسيروم بالنسبة للمريض الذي يوجدفي حالةغيبوبةولذافالمسلم لايستطيع أن يعيش بلا دعاء لأنه مصدر زاده اليومي في الأمور العادية فما بالك بالأمور الاستثنائية .« فالدعاء في ذاته يعني شعور العبد بفقره إلى اللّه وشعوره بقدرة اللّه وأن الأمور كلها بيده . وهذا عين العبودية والتسليم للّه والإيمان به سبحانه . شعور بالانكسار للّه والتضرع والتذلل له سبحانه وشعور بفضله وكرمه وإحسانه وأنه على كل شيء قدير، وحياة القلوب بهذه المعاني في ذاته زاد عظيم »[2]. لذلك وجدنا الرسول - صلعم - يتوجه إلى اللّه سبحانه وتعالى بالتضرع والابتهال قصد إتيان الفرج والنصر ، كما أن دعاء الرسول - صلعم - هو زاد نفسي تعبوي للمسلمين سواء على الصعيد المدني أو الصعيد العسكري . لهذا نجد رسول اللّه - صلعم - ما إن ينظم الصفوف يرجع لمناشدة ربه الذي وعده إحدى الطائفتين وذلك في قوله تعالى:« ** وإذ يعدكم الله إحدى الطائفتين أنها لكم ...»[3]. فناشد ربه بقوله : « اللّهم انجزلي ما وعدتني ، اللّهم إني أنشدك عهدك ووعدك ... [إلى أن يقول] ... اللّهم إن تهلك هذه العصابة اليوم لا تعبد بعدها في الأرض» ويرفع يديه إلى السماء طالبا متضرعا إلى اللّه بقوله : « اللّهم أنجز لي ما وعدتني ، اللّهم نصرك » ، ويسقط رداؤه عن منكبيه ، وأبو بكر من ورائه يسوي رداءه ، ويحاول طمأنة نفسه إشفاقا عليه من كثرة الدعاء والابتهال قائلا :« يا نبي اللّه كذاك مناشدتك ربك ، فإنه سينجز لك ما وعدك ، فأنزل اللّه تعالى :

« ** إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أني ممدكم بألف من الملائكة مردفين ** »[4].

ب - المشركون :

1 - **استغلال الفرصة للقضاء على الدين الجديد بالقوة** : كما عرفنا - سابقا - أن المشركين استعملوا كل وسائل الحرب النفسية على الصعيد المدني قصد القضاء على الدين الجديد وصاحبه محمد - صلعم - ؛ لكن اللّه خيَّب آمالهم ، وحطم أساليبهم ونصر عباده المؤمنين - رغم ما عانوه من الأذى المادي والمعنوي - ، وعندما هاجر الرسول وأصحابه ، وكونوا المجتمع الإسلامي الأول في المدينة المنورة ، هذا المجتمع الجديد الذي أقلقهم - رغم بعده عنهم - وأقلق من على شاكلتهم - اليهود والمنافقين - مما جعلهم جميعا يحضرون ويتحالفون - سرا وعلانية - للقضاء على

---

(1) - **صفي الرحمن المباركفوري** : الرحيق المختوم .(مرجع سابق) ص257.

(2) - **مصطفى مشهور** : زاد على الطريق .(بدون ناشر) ص119.

(3) - سورة **الأنفال** : الآية ٧ .

(4) - **الإمام البغوي** شرح السنة ج13 (مصدر سابق) ص380.[سورة **الأنفال** : الآية ٩].

الإسلام . لذلك كان المشركون دوما يفكرون في كيفية القضاء على الإسلام خوفا من انتشاره في المستقبل ، مما يجعل مصالحهم وعقائدهم الفاسدة - في نظر الإسلام - مهددة داخليا وخارجيا .

وفعلا فقد زادت قوة المسلمين عددا وعدة ، وأصبح لهم دوريات استطلاعية وقتالية هددت قوافلهم التجارية والتي لا يستطيع القرشيون أن يعيشوا بدونها ،هذا ما جعل قريش تفكر في الأمر جيدا ، وتنتظر استغلال فرصة لتحشد قوتها نحو المسلمين قصد سحقهم عسكريا بعدما فشلت مدنيا ، وخاصة إذا علمنا أن اليهود والمنافقين في المدينة المنورة كانوا بمثابة الطابور الخامس للمشركين يساعدونهم بطرق مباشرة وغير مباشرة ؛ وهذا عامل أساسي يساعد المشركين .

هذه العوامل الأساسية وعوامل أخرى جعلت المشركين يستغلون فرصة الدفاع عن القافلة ليتحولوا بعدها إلى عملية الهجوم على المسلمين ظانين ومعتقدين أنهم فائزون وأن النصر حليفهم لا محالة ، وهذا ما أدّى بزعيمهم المتغطرس " أبي جهل" أن يقول : « واللّه لا نرجع حتى نردَ بدرا ، فنقيم بها ثلاثا فننحر الجزور ، ونطعم الطعام ، ونسقى الخمر ، وتعزف لنا القيان ، وتسمع بنا العرب وبمسيرنا وجمعنا ، فلا يزالون يهابوننا أبدا »[1] .

إنها الغطرسة والكبرياء والافتخار صفات تعمي صاحبها وتلقي به في ما لا تحمد عقباه ؛ لأنه يبتعد عن الاستراتيجية المنطقية والتكتيك المنظم المبني على العلم والواقع وعدم الاستهزاء بقوة الغير مهما كانت ، لذلك عندما كانوا على الصفات السالفة الذكر ؛ قصد رفع لواء الحمية الجاهلية والصد عن سبيل اللّه ؛تلقوا هزيمة شنعاء رغم عددهم وعدتهم ستبقى طعنة قاتلة لكل طغمة تريد أن تطفئ نور اللّه مهما كانت قوتها - سواء على الصعيد المدني أو العسكري - إلى أن يرث اللّه الأرض ومن عليها .

2 .نبأ الاستنفار: عرفنا أن قريشا تنتظر فرصة تستغلها لتحشد القوات نحو المسلمين ، وخاصة أعداء محمد اللّدودين مثل أبي جهل وأمية بن خلف ... كما أن أبا سفيان قائد القافلة التجارية كان حذرا من طريق مكة لأنه أصبح يعلم أن الطرق التجارية بين الشام ومكة غير مأمونة ، ولذا كان يعتمد على الجواسيس واستنباط الأخبار والمعلومات من كل شخص لقيه في طريقه ، ولذلك استطاع أن يعرف بأن محمدا قد خرج يريد قافلة قريش التي يقودها هو ؛ وخوفا على القافلة لقلة الرجال الذين يحرسونها ، استأجر رجلا له خبرة كبيرة في الدعاية الإعلامية التهويلية وذلك قصد استنفار قريش وجعلها تأخذ الأمر مأخذ الجد ، وإلا فأموالهم ستنهب !!

توجه الرجل على جناح السرعة نحو مكة ليخبرها بالخبر المشؤوم مستعملا كل الأساليب التهويلية - معنويا وماديا - وذلك قصد إثارة شعب مكة بأكمله وجعل الرأي العام الجماهيري يشعر بالخطر على رزقه وعيشه مما يجعله يتأهب ويستعد للدفاع عن رزقه وعيشه وهذا ما تم بالفعل فما أن وصل هذا المستأجر إلى

---

(1) - صفي الرحمن المباركفوري : الرحيق المختوم .(مرجع سابق) ص243.

وانظر: جمال ماضي : الغزوات في ظلال القرآن (غزوة بدر) ، الجزائر: مكتبة رحاب ط2 . (1408هـ-1983م) . ص77

* - الرجل المستأجر من قبل أبي سفيان هو : ضمضم بن عمرو الغفاري .

بطن الوادي حتى قطع أذني بعيره ، وجدع أنفه ، وحول رحله ، وشق قميصه ، وجعل يصرخ ويصيح قائلا :« يا معشر قريش ! اللطيمة اللطيمة ! (وهو يقصد مالهم وتجارتهم) .. أدركوا أموالكم مع أبي سفيان فقد تعرض لها محمد وأصحابه .. يا أهل مكة ! فالغوث الغوث .. إن لم تهبوا جميعكم فقدتم الرزق والعيش ! ... يا معشر قريش ! أين أنتم والطيب والحرير والنفيس ، فقد ضاع كل ذلك منكم ، وأنتم هاهنا قاعدون ... ! »[1] .

وقد كان لهذا الخبر التهويلي صدى واسع في مكة ، لأن كلام هذا المستأجر نزل عليهم كالصاعقة التي لا تبقي ولاتذر .

3. حالة الطوارئ تعلن في مكة: بعد سماع وصياح الرجل المستأجر من طرف الجماهير المكية أعلنت حالة الطوارئ وعلى جميع الأصعدة ، حيث هبّت الجماهير الشعبية من كل صوب وناحية ، وهي في حالة نفسية مؤثرة ، مما جعلها تتراكض وتتسارع مصحوبة بأسلحتها المتنوعة ، وهم يتنادون ويتهيأون ، ويحرضون إلى أن وصل بهم الأمر في الأخير إلى التجمع وقالوا :« أيظن محمد وأصحابه أن تكون كعير ابن الحضرمي ، كلا والله ليعلمنّ غير ذلك »[2] .

وهكذا يظهر لنا أن قريشا كانت مستعدة نفسيا مما جعلها تسرع وتتسارع بكل إمكاناتها بعدما سمعت النذير الذي ملأ قلوبها خوفا وفزعا ولذا :« لم يتقدم النهار حتى كانت قريش قد نفرت وجعلت تجهّز جهازها للحرب . يتنافس أشرافها في ذلك أي تنافس ، ويستبقون إليه أي استباق ، واستيقن أبو جهل أن قد جاء الوقت الذي كان ينتظره منذ أعوام طوال ، وأن قريشا لن تخرج لتحمي العير فحسب ، وإنما تخرج لتسحق محمدا وأصحابه وتريح منهم مكة ويثرب جميعا »[3] .

4. قريش تجمع على المسير: بعد الحالة التي عاشها أهل مكة على الصعيد المدني من خلال سماعهم النذير وخبره المشؤوم ، وبعد حالة الطوارئ والاستنفار أجمعت قريش على الخروج والمسير نحو حماية القافلة وكان الناس بين رجلين إما خارج وإما باعث مكانه رجلا ، واستعدوا ، ولم يتخلف منهم أحد - الأشراف - عدا أبي لهب ، فإنه عوض برجل آخر كان له عليه دَين ؛ زيادة عن هذا حشدوا معهم - من حولهم - قبائل العرب ولم يتخلف إلا بني عدي ، فلم يخرج منهم أحد . وقد كانت قوات المشركين تتألف من (950) رجلا جلّهم من قريش ، لهم عدة كبيرة ، منها مائتا فرس ، وعدد كبير من الإبل للركوب وحمل الزاد والأمتعة وهذه القوة يقودها عدد من أشراف قريش ، وقد كانوا ينحرون ما بين التسعة والعشرة من الإبل .

وأما الغاية من خروجهم فكانت - كما عرفنا من قبل - حماية القافلة التجارية والتي كانت هي السبب المباشر ، لكن هناك من كانت الغاية من خروجه

---

(1) - سمح عاطف الزين : خاتم النبيين محمد - صلعم - ج12.(مرجع سابق) ص107.

وانظر : محمد عيناني : النضال المسلح في الإسلام ، بيروت: دار العودة .(1973م) ص183.

(2) - ابن هشام : السيرة النبوية ج2.(مصدر سابق) ص260 ، 261.

(3) - د.طه حسين : الوعد الحق ، مصر : دار المعارف - ط28 . ص128 ، 129.

* - الرّجل : هو العاص بن هشام بن المغيرة مقابل أربعة آلاف درهم كانت له دين عليه ، ولم يكن قادرا على إيفائها بسبب إفلاسه .

هو القضاء على الدين الإسلامي بالقضاء على محمد - في نظرهم - وللأخذ بثأر "عمرو بن الحضرمي" ، وللفخر والإعجاب وتبيان قوة قريش التي لا تقهر - في زعمهم - مما يجعل العرب تهابهم وتخشاهم ، ثم في الوقت نفسه تضع حدا للتضييقات التي يمارسها المسلمون على الطرق التجارية التي تعد السبيل الأوحد لاقتصاد قريش .

وقد اعترضت قريش مشكلة استراتيجية خارجية ، حيث أن قريشا تذكرت ما كان بينها وبين قبائل بني بكر من العداوة والحرب ، فخشوا من هذه القبائل أن تضربهم من الخلف ، وبالتالي يضعون أنفسهم في وضع قد يكون سببا في هلاكهم لكن مجيء "مالك بن جشعم المدلجي" ، حيث كان من أشراف بني كنانة فقال : « أنا جار لكم من أن تأتيكم كنانة من خلفكم بشيء تكرهونه »[1] .

وبعد حل هذه المشكلة تحركت قريش بسرعة نحو الشمال في اتجاه بدر حيث سلكوا في طريقهم وادي عسفان ، ثم قديد ، ثم الجحفة .. وهنا تلقّى القرشيون رسالة إعلامية جديدة من أبي سفيان يعلمهم فيها خبر نجاة القافلة ومما جاء في هذه البرقية :« إنكم إنما خرجتم لتحرروا عيركم ورجالكم وأموالكم ، وقد نجاها الله فارجعوا »[2] .

5 . نجاة القافلة : أبو سفيان قائد القافلة وصلت حيطته وحذره إلى مضاعفة تحركاته المخابراتية ، وعندما اقترب من بدر تقدم قافلته في دورية مخابراتية قصد معرفة أخبار المسلمين ، وجمع المعلومات الكافية لاتخاذ استراتيجية معينة لنجاة القافلة من جند المسلمين ، ولما ورد ماء بدر وجد شخصا يدعى "مجدي بن عمرو" فسأله : «هل رأى أحدا من المسلمين ؟ فأجاب ابن عمرو : لم أرَ إلا راكبين أناخا إلى هذا التل ، وأشار إلى حيث أناخ الرجلان من المسلمين »[3] .

أسرع أبو سفيان إلى مكان مُناخيهما وفحصه فوجده من علائف أهل المدينة ، فعرف من خلال حنكته وخبرته أن الرجلين من أصحاب محمد ، وأن جيشه قطعا سيكون قريبا منهما .

رجع أبو سفيان مسرعا نحو القافلة ، وحول وجهتها من على يسار البدر إلى جهة ساحل البحر ، وبهذا التكتيك السريع لأبي سفيان استطاع أن ينجو بالقافلة ويبتعد عن أماكن الخطر مما جعله يبرق إلى قريش داعيا إياهم للعودة إلى مكة لأن الغرض الذي خرجوا من أجله لم يعد موجودا بل زال مع نجاة القافلة ، والحقيقة الإيمانية إن الله أراد للمسلمين القتال ، والنصر ليحق الحق ويبطل الباطل . أما حنكة أبي سفيان ونجاة القافلة ، وخروج المسلمين والمشركين بسبب هذا : ما هي إلا أسباب أرادها الله سبحانه وتعالى للوصول إلى الغرض الرئيسي وهو مقاتلة الكافرين وهزمهم أمام المسلمين لتذهب غطرستهم وكبرياؤهم وتزول فكرة قريش القوية من أذهان العرب ، وحتى المسلمين تتغير أفكارهم من مرحلة الضعف والدفاع عن عقيدتهم إلى مرحلة القوة والهجوم نحو الأمام لانتشار دعوتهم بالعزة والمعنويات العالية على جميع الأصعدة - مدنية وعسكرية - ولذلك قال الله في سورة الأنفال مبينا هذه الحقيقة :

---

(1) - محمود شيت خطاب : الرسول القائد .(مرجع سابق) ص108.

(2) - صفي الرحمن المباركفوري : الرحيق المختوم .(مرجع سابق) ص242.

(3) - محمود شيت خطاب : (المرجع السابق) ص109.

« * وإذ يعدكم الله إحدى الطائفتين أنها لكم وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم ويريد الله أن يحق الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين * ليحق الحق ويبطل الباطل ولو كره المجرمون * »[1] .

6. قريش تبعث بدورية مخابراتية : الدوريات الاستطلاعية المخابراتية لها أهمية كبرى في مثل هذه المواقف وخاصة على صعيد الميدان العسكري ، لذلك أرسلت قريش دورية مخابراتية تتمثل في شخص " عمير بن وهب الجمحي " قصد إتيانها بخبر المسلمين ومعرفة عددهم وعدتهم ، زيادة عن تحركاتهم وأحوالهم المادية والمعنوية وفعلا رجع الرجل المخابراتي وأخبرهم :« أنهم ثلاثمائة رجل يزيدون قليلا أو ينقصون ، ولا كمين لهم ولا مدد ، ولكنهم قوم ليس لهم منَعة ولا ملجأ إلا سيوفهم فلا يموت منهم رجل قبل أن يقتل رجلا مثله »[2] .

وكان لهذا التقرير المخابراتي أثر نفسي عميق جعل القوم يتضاربون في آرائهم ومواقفهم وهذا ما سيظهر لنا من خلال العنصر الموالي .

7. تصادم الآراء القرشية : بعد تلقي برقية "أبي سفيان" ، والتقرير المخابراتي وقع تصادم في الآراء من خلال المفاهيم التي كانت سببا في خروجهم ، وهذا ما أدى إلى التصدع والتشتت داخل جبهة المشركين ، حيث قرر "بنو زهرة" الرجوع ورجعوا فعلا ، كما رجع "الأخنس بن شريف" الذي أشار عليهم بالرجوع فعصوه ، لأن طاغية قريش "أبوجهل" بغطرسته وتحكمه في قريش ، حيث قصده "حكيم بن حزام" بعدما ذهب لعتبة بن ربيعة حليف عمرو بن الحضرمي سيد قريش المطاع ، وذلك قصد إقناع الناس بالرجوع إلى مكة مع تحمل أمر حليفه "عمرو بن الحضرمي" لكن عتبة خشي من أبي جهل أن يثير الفتنة ولا يقبل الوفاق وهو ما تم بالفعل : فبعدما قصده حكيم بن حزام كمبعوث من عتبة وأخبره الخبر ثارت ثائرة هذا الطاغية الحقود على محمد ودينه ، حيث قال :« انتفخ والله سَحْرُه حين رأى محمدا وأصحابه ، كلا والله لا نرجع حتى يحكم الله بيننا وبين محمد ، وما بعتبة ما قال ، ولكنه قد رأى أن محمدا وأصحابه أكَلَة جزور ، وفيهم ابنه ، وقد تخوّفكم عليه »[3] .

ولم يتوقف عند هذا الحد بل ذهب يحرض عامر بن الحضرمي حتى لا يقبل كلام حليفه ويقرر الرجوع ؛ ولذلك بعث له محرضا ومحفزا فقال :« هذا حليفك يريد أن يرجع بالناس ، وقد رأيت ثأرك بعينيك ، فقم فانشد خُفرتك ، ومقتل أخيك . فقام عامر بن الحضرمي فاكتشف ثم صرخ : واعمراه ! واعمراه! فحميت الحرب وحَقِبَ أمر الناس ، واستوسقوا على ما هم عليه من الشر ، وأفسد على الناس

---

(1) ـ سورة **الأنفال** : الآيتان ٧ ، ٨ .

(2) ـ **محمود شيت خطاب** : الرسول القائد .(مرجع سابق) ص109.

وانظر : **ابن هشام** : السيرة النبوية ج2.(مصدر سابق) ص274.

* ـ **انتفخ والله سحره** : كناية عن الجبن .

(3) ـ **ابن هشام** : السيرة النبوية ج2 .(مصدر سابق) ص275.

* ـ **خُفرتك** : أي قم فاطلب من قريش الوفاء بخفرتهم لك ، أي عهدهم ، لأنه كان حليفا لهم وجارا .

* ـ **حقب** : اشتد .

* ـ **استوسقوا** : اجتمعوا .

الرأي الذي دعاهم إليه عتبة »[1] .

وبهذا يكون أبو جهل قد أغلق باب الفرح والسرور الذي أصاب القرشيين بعد سماعهم خبر نجاة القافلة حيث ظن أكثرهم أنهم سيعودون إلى مكة فرحين مستبشرين متلذذين بالغناء والطرب والجواري والخمر المعتّقة ، لكن أبا جهل أفسد عليهم هذه النشوة ، ولم يبقَ مفر أم مهرب من مواجهة المسلمين وهذا ما حصل في الواقع ... !! لأن اللّه مستدرجهم ، ولكن أنّى للظالمين أن يتّعظوا .. ؟؟ !! .

جـ ـ استراتيجية العمليات القتالية في ميدان بدر :

1 ـ التكتيك الإسلامي :

1 ـ التنظيم الميداني: جُعل لرسول اللّه ـ صلعم ـ مركز قيادي يشرف منه على عمليات القتال ، قصد التوجيه ، وتعديل التكتيك القتالي ـ إن رأى ذلك ـ ثم نزل عليه الصلاة والسلام بنفسه فنظم الصفوف وعدلها حسب تكتيك الخطة المراد تطبيقها .

2 ـ الثبات والصبر : حرّض الرسول ـ صلعم ـ المسلمين معطيا إياهم شحنة معنوية مركزا على جانب العقيدة ، مطالبا إياهم بالصبر والثبات عند اللقاء لنيل إحدى الحسنيين الشهادة أو النصر . وفعلا فقد كان الجند المسلم عند حسن ظن نبيهم ...

3 ـ التزام الخطة المعينة (المرابطة) : حيث أعطاهم القائد الأعلى ـ صلعم ـ توجيهات تكتيكية في ميدان القتال منها : عدم البدء بالقتال ـ صد هجمات المشركين وهم مرابطون في أماكنهم ـ حيث أصدر رسول اللّه ـ صلعم ـ تعليمات منها :

« إذا أكثبوكم (أي اقتربوا منكم) فارموهم واستبقوا نبلكم ـ إن اكتنفكم القوم فانضحوهم عنكم بالنبل ـ لا تقاتلوا حتى أوذنكم ، وإن اكتنفوكم فارموهم ، ولا تسلّوا السيوف حتى يغشوكم »[2] .

4 ـ شعار القتال: كان الشعار الذي قاتل الجند المسلم تحته ، هو شعار التوحيد للمسلمين في كل عصر ومصر إلى أن يرث اللّه الأرض ومن عليها ، والشعار متمثل في كلمة: أحد .. أحد ...

5 ـ القيادة : كانت القيادة الإسلامية قيادة موحدة ـ بقيادة الرسول ـ صلعم ـ مطاعة ـ قلبا وقالبا ـ مدعمة بملائكة اللّه ونصره . مما جعل القائد الأعلى لقوات المسلمين ـ محمد عليه الصلاة والسلام ـ يبشر بالنصر قبل نتيجة المعركة حيث قال لأبي بكر : « أبشر يا أبا بكر ، أتاك نصر اللّه .هذا جبريل آخذ بعنان فرس يقوده على ثناياه النقع »[3]

6 ـ التكتيك القتالي الجديد : سلك المسلمون أسلوبا جديدا سُمّي "أسلوب الصف" ، حيث

---

(1) ـ **ابن هشام** : (المصدر السابق) ص275.

(2) ـ **الأمة** : (مجلة) ، قطر : العدد 57،السنة 5، (ماي 1985) ص 16.

وانظر: **ابن الأثير** : جامع الأصول من أحاديث الرسول ج 9.(مصدر سابق) ص145.

(3) ـ **ابن هشام** : السيرة النبوية ج 2.(مصدر سابق) ص279.

وانظر لمعرفة دور الملائكة : **الهيثمي** : مجمع الزوائد ومنبع الفوائد مج3/ج 6. بيروت: دار الكتاب العربي ـ ط 3.(1402هـ ـ 1982م) ص82 . 83.

كان هذا التكتيك العسكري مانعا صلبا في وجه هجوم المشركين سواء على صعيد الرمي بالسهام ، حيث صمد الجند المسلم للقذف أثناء الرمي بالسهام من قبل المشركين ، أو على صعيد هجوم الفرسان القرشيين الذي لم يغير تكتيك الجند المسلم شيئا ؛ بل استطاع المسلمون بواسطة تكتيك الصف أن يمطروا الجند المشرك بوابل من قذائف نبالهم التي كانت مصوبة ودقيقة من خلال التنظيم المحكم ، والسيطرة الكاملة على هذا السلاح ؛ مما جعل هذه القذائف النبالية تصيب هدفها بدقة ؛ وتحدث شرخا كبيرا في صفوف المشركين الذين كانوا يكررون هجماتهم عن طريق أسلوب "الكر والفر" قصد إحداث ثغرة في صفوف الجند المسلم لكن بدون جدوى ؛ بل أصبحت قواتهم تتهاوى وتفقد قوتها الأولى - ماديا ومعنويا - بسبب تماسك جبهة المسلمين وصمودها ، ثم الضربات الدقيقة التي تلقتها من قذائف نبال المسلمين .

7. **الهجوم:** بعد صمود المسلمين لهجمات المشركين عن طريق أسلوب "الكر والفر" ورغم قوة قريش - عددا وعدة - حتى أن رسول الله - صلعم - كان يساوره بعض الخوف على المسلمين لقلة عددهم وعدتهم ، وهو يرى من عريشه قوة المشركين الجرارة تهجم على هذه القلة المؤمنة مما جعله : « يصعد بناظريه نحو السماء ، ويتوجه بخالص فؤاده إلى الله سبحانه وتعالى ، خاشعا ، متضرعا ، مبتهلا ، مستعينا بقدرة الله أن تؤيد المسلمين بالنصر ، ثم يأتيه الإطمئنان ، استجابة من ربه تعالى بكلمات صادقة كريمة :

« ﴿ يا أيها النبيء حرض المومنين على القتال إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وإن تكن منكم مائة يغلبوا ألفا من الذين كفروا بانهم قوم لا يفقهون ﴿ الن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفا فإن تكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين وإن يكن منكم ألف يغلبوا ألفين بإذن الله والله مع الصابرين ﴾ »[1] .

ويستبشر الرسول - صلعم - وينزل بنفسه يقود المعركة ، وترتفع المعنويات ، ويندفع المسلمون في هجوم كاسح على قوة الشرك يستمدون قوتهم من الله ، ومن تحريض نبيهم الذي كان يتنقل في المعركة من موقع إلى موقع قصد رفع المعنويات ، ويثبت الجند ، مما جعلهم يشعون من نفسه قوة مضاعفة جعلت الواحد منهم يشعر بأنه كفؤ لعشرة من رجال المشركين : « وأن يد الله سبحانه فوق يده تحرك سيفه فيضرب ، وتسدد رميته فتصيب ، وأنه ليس وحيدا مع إخوانه المسلمين في المعركة بل هم في حشد من جنود الله الخفية ، لا يدركون كنهها ، ولا يعرفون مقدارها ، بل يحسون بوجودها تقاتل معهم جنبا إلى جنب .. »[2] .

8. **المطاردة:** بعد الهجوم الذي قام به الجند المسلم مخلفا خسارة كبيرة في صفوف الجبهة المعادية (قريش) وعلى رأسها قتل قادتها وسادتها وعلى رأسهم فرعون هذه الأمة "أبو جهل" ؛ مما جعل قوات المشركين تتبدد وتتبعثر ، وتضطرب ، من خلال الضربات العنيفة والمسددة ، وبالتالي أخذت جموعهم تسرع نحو الفرار والانسحاب من ميدان القتال ؛ هذه الحالة التي عرفتها الجبهة المشركة جعلت الرسول - صلعم -

---

(1) - سميح عاطف الزين : خاتم النبيين محمد - صلعم - ج12 (مرجع سابق) ص138 ، 139 .
[سورة **الأنفال** : الآيات ٦٥ ، ٦٦ .] .

(2) - سميح عاطف الزين : (المرجع السابق) ص139 .

يصدر أمرا بالمطاردة وذلك بقوله :« شدوا » بعد أخذ حفنة من الحصباء واستقبل قريشا بها قائلا :« شاهت الوجوه ، ثم نفحهم بها »[1] .

وتبدأ مطاردة جند المشركين المبعثرين هنا وهناك في ميدان المعركة وكان عليه الصلاة والسلام يشد مع حرسه في متابعة المشركين ، وهو :« يثب في المعركة من موقع إلى آخر وهو في درعه ويقول :«* سيهزم الجمع ويولون الدبر * بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر *» »[2] .

9. النتيجة: كانت نتيجة القتال نتيجة باهرة حقق فيها مقاتلو المسلمين نصرا مؤزرا بفضل الله سبحانه وتعالى ،ثم باستعمال كل الأسباب الممكنة والشرعية والمتجددة. انتهت غزوة بدر بهزيمة نكراء لقريش وعلى رأسهم سادتهم المتجبرون المتكبرون وعلى رأسهم "أبو جهل" الذي قُتل شر قتلة ، وأمية بن خلف الذي قتله بلال .

وعلى العموم قُتل من المشركين سبعون رجلا ، وأُسر مثلهم ، بينما استشهد أربعة عشر مسلما ، ستة من المهاجرين ، وثمانية من الأنصار - رحمهم الله جميعا ورضي عنهم - ...

ب - تكتيك المشركين:

1. قيادة متعددة: القيادة الموحدة ، والملتحمة مع شعبها هي أقرب إلى النصر منها إلى الهزيمة ، لكن القيادة القرشية قيادة مبنية على المصالح أولا ، ثم على القبلية الضيقة ثانيا ، ولذلك ، كانت قيادة المشركين متعددة بتعدد بطون قريش ، مما جعلها تختلف في الآراء ، وفي التكتيك الميداني ، فما بالك بتحكمها في الجند ، وهذا ما جعل عتبة يختلف مع أبي جهل حول الرجوع أو القتال ووصل بهما الأمر إلى معايرة بعضهما البعض كالأولاد الصغار ، فعندما علم عتبة أن أبا جهل قال عنه :«انتفخ والله سحره » قال « سيعلم مصفِّر أسته - أي الجبان - من انتفخ سحره ، أنا أم هو ؟ »[1] .

والحقيقة أن هذا هو حال أي قيادة ليست لها مبادئ واضحة تدافع من أجلها ، وإنما كل ما في الأمر هي تتحرك وفق مصالحها الآنية لذلك تتلوّن في تكتيكاتها حسب دوران هذه المصالح ، ولهذا فكل قيادة على هذا النمط مصيرها الهزائم المتكررة والتاريخ سجِلٌ شاهد لكل هذا ...

2. هجوم المشركين: عرفنا في النقطة السالفة أن قيادة المشركين كانت قيادة شكلية وفعلا هذا ما حدث أثناء الهجوم الأول فإنه لم يكن مبنيا على تكتيك عسكري وفق خطة استراتيجية شاملة لها بداية ونهاية ، وإنما كانت هناك فوضى تكتيكية كل واحد له خطته وحسب أهوائه ، وهذا ما حدث حيث قام أحد المتعجرفين* المتهورين واندفع نحو الجند المسلم وهو يصيح :« أعاهد الله لأشربن من حوضهم أو لأهدمنه

---

(1) - أبو بكر جابر الجزائري : هذا الحبيب محمد - صلعم - (مرجع سابق) ص223.

وانظر محمد علي الصابوني : صفوة التفاسير مج 1/ج 9 (مصدر سابق) ص493.

(2) - الوعي الإسلامي (مجلة) ، الكويت : العدد 249 (ماي 1989) ص103.

[سورة القمر : الآيتان : ٤٥ ، ٤٦] .

(3) - محمود شيت خطاب : الرسول القائد (مرجع سابق) ص110.

* - الرجل المتعجرف : هو الأسود بن عبدالأسود المهخزومي، عُرف بشراسة الطبع وسوء الخُلق.

أو أموتن دونه »[1] . فتصدى له حمزة بن عبد المطلب وضربه ضربة قسمت ساقه وجعلته يتخبط ويضرب ، ويشخب دمًا ، ورغم ذلك حاول هذا المتجبر الوصول إلى الحوض قصد هدمه ، لكن حمزة - رضي اللّه عنه - يتصدى له ويلحق به موجها له ضربة قاتلة داخل الحوض نفسه .

هذه البداية كانت لها تأثيرات نفسية على جيش المشركين وفي الوقت نفسه كانت بداية تبشر بالنصر للمسلمين ...

3. مطالبة المبارزة : بداية الهجوم الفوضوي والذي راح ضحيته الأسود المخزومي استشاط المشركون غضبا وحقدا ، وزادوا طغيانا لأن إبليس نفخ فيهم روح القوة التي لا تقهر ، ولا بد أن يثأروا حينا للأسود المخزومي ، وهذا ما جعل زعماءهم يطلبون في الحين المبارزة ، حيث دعا عتبة أخاه شيبة وابنه الوليد ، مطالبا مبارزة المسلمين ، ومبينا شجاعته وعدم جبنه - رادا على اتهام أبي جهل له - ثم تقدم نحو الجند المسلم وهو ينادي:« يا محمد .. ها نحن سادة من قريش قد جئنا نقاتلك ، فهل بعثت إلينا أكفاءنا من قريش ؟ »[2] .

ويرد محمد - صلعم - على هذا التحدي ، ويخرج لهم ثلاثة من المهاجرين بعدما رفضوا فتيان الأنصار ، حيث أمر القائد الأعلى - صلعم - بأن يخرج عبيدة بن الحارث ، وحمزة ، وعليّ - رضي اللّه عنهم أجمعين - :« وسرعان ما تمكن حمزة من قتل شيبة ، وفعل علي ذلك بغريمه الوليد ، أما عبيدة فقد جرح غريمه وأصابه هو الآخر بجرح مميت فانقضّ علي وحمزة على الفتى القرشي وأجهزا عليه وحملا عبيدة إلى معسكر المسلمين حيث توفي هناك »[3] .

4. تكتيك القتال الجماعي: زاد المشركون غيظا وحقدا بعدما هلك المبارزون ، مما جعلهم يهجمون على المسلمين هجمة جماعية معتمدين أسلوب "الكر والفر" مع إمطار المسلمين بوابل من سهامهم ، وفي الوقت نفسه تهاجم فرسانهم الجند المسلم ، لكن عدم التنظيم والفوضى التي صاحبت هذا التكتيك القتالي تكسرت كلها عند خط المواجهة الذي كان عائقا صلبا لم تستطع هجمات المشركين عن طريق أسلوب "الكروالفر" أن تخترقه ... مما جعل هذا الهجوم يفشل ويتكسر ، وتتبعثر قواتهم .. وتكون النتيجة - كما عرفنا - خسارة كبرى لم تكن قريش تفكر فيها إطلاقا .

5. نتيجة أهل الباطل: وانتهت المعركة الحاسمة بين جبهة الحق وجبهة الباطل بهزيمة شنعاء على صعيدي الجبهة المدنية ، والجبهة العسكرية ، حيث كانت نتيجة جبهة أهل الباطل خسارة تمثلت في سبعين رجلا قُتلوا على رأسهم زعماؤهم الذين خاضوا حربا نفسية شرسة ضد محمد - صلعم - ودعوته في مرحلة دعوته المكية ، من أمثال عتبة بن ربيعة وأمية بن خلف ، وفرعون هذه الأمة أبي جهل ...

ووقع في يد المسلمين سبعون أسيرا فضلا عن العتاد الحربي ، والزاد المتنوع الذي تركه جيش الكفر ، وغنمه المسلمون بعد انتصارهم الذي حققوه بفضل اللّه وتأييده لهم بقوى خفية حققت لهم نصرا بقي وسيبقى أنموذجا لكل نصر حققه

---

(1) - د.عماد الدين خليل : دراسة في السيرة .(مرجع سابق) ص182.

(2) - سميح عاطف الزين : خاتم النبيين محمد - صلعم - ج1 2.(مرجع سابق) ص132.

(3) - عماد الدين خليل : دراسة في السيرة.(مرجع سابق) ص182.

المسلمون وسيحققونه في المستقبل .

د ـ النتيجة العامة:

لقد عرفنا من خلال دراستنا لغزوة بدر ، أنها غزوة حققت آمال وأمنية المستضعفين الذين احتُقِروا وأُهينوا وأوذوا في سبيل اللّه ـ ماديا ومعنويا ـ وتحقق فيهم قول اللّه سبحانه وتعالى :

« * ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أيمة ونجعلهم الوارثين * »[1] .

كما كانت غزوة بدر مرحلة جديدة في تاريخ الدعوة الإسلامية ، لأنها أعطت دفعا قويا للمسلمين وجعلتهم في مركز قوي يحسب له استراتيجيا وتكتيكيا من قبل الأعداء الثلاثة ـ مشركون ـ يهود ـ منافقون ـ وظهر لنا من خلال غزوة بدر أن الانتصار لا يكمن فقط في العدد والعدة ـ مهما بلغ العدد والعدة ـ وإن انتصار المسلمين يكمن في العقيدة المتينة التي تجعل صاحبها يندفع نحو الشهادة اندفاعا لا يفسر كنهه إلا من خلال معرفة حقيقة العقيدة الإسلامية التي بينت لنا رجالات بدر . لكن هذا لا يعني التقاعس و التواكل وعدم الإعداد المادي والمعنوي ، بل بالعكس فقد بينت لنا غزوة بدر كيف كان الإعداد شاملا وعاما وعلى جميع الأصعدة ، بما في ذلك التكتيك الجديد الذي خرج به المسلمون مما أحدث هزة وزلزلة لدى خبراء قريش العسكريين.

ومن خلال هذه الغزوة اتضح لنا مبدأ الشورى الإسلامية ودوره في تحقيق الوحدة الحقة النابعة من الأفئدة ، بحيث تعجز كل أنواع الأسلحة التضليلية والدعائية أن تجد طريقا لتفتيتها أو إحداث ثغرات داخلها ، عكس ما حدث لدى المشركين الذين انعدم عندهم هذا المبدأ مما جعل جبهتهم تتعرض للتصدع واختلاف الرأي .

كما ظهر لنا دور القيادة الإسلامية ، والتحامها الفعلي ـ نفسيا وعسكريا ـ مع الجند مما جعل هؤلاء الجند يشعرون بهذا الالتحام والاهتمام ، وبالتالي أصبحت طاعتهم لأوامر القيادة طاعة يتسابقون من أجل تنفيذها ؛ لأنهم يعتقدون بها مثل اعتقادهم بوجوب الصلاة والصيام ..

كما لا ننسى دور الخبرة ، وكيف تحترم من قبل القائد ـ إذا لم تتعارض مع الشرع ـ لأن الخبرة في أي مجال من المجالات هي سبب نجاحه ، لذلك يصبح في الإسلام واجبا احترام أهل الاختصاص وأهل الخبرة العلمية ـ ما لم يتعارض هذا مع حكم شرعي ـ .

ومجمل هذه النتيجة العامة نجده ملخصا عند سيد قطب الذي قال :« لقد أراد اللّه سبحانه أن تكون هذه الوقعة فرقانا بين الحق والباطل ؛ وفرقانا في خط سير التاريخ الإسلامي . ومن ثم فرقانا في خط سير التاريخ الإنساني .. وأراد أن يظهر فيها الآماد البعيدة بين تدبير البشر لأنفسهم فيما يحسبونهم الخير لهم . وتدبير رب البشر لهم ولو كرهوه في أول الأمر . كما أراد أن تتعلم العصبة المؤمنة عوامل النصر وعوامل الهزيمة ؛ وتتلقاها مباشرة من يد ربها ووليها ، وهي في ميدان المعركة وأمام مشاهدها .»[2] .

---

(1) ـ سورة **القصص** : الآية ٥.

(2) ـ سيد قطب : في ظلال القرآن ج9 (مصدر سابق) ص1468.

الفصل الثاني

غزوة أحد

تمهيد

الإستراتيجية العامة لغزوة أحد

أ ـ المسلمون

أولا ، قبل المعركة

1. الجو العام

2. استخبارات المسلمين

3. الطوارئ تعلن في المدينة

4. الاجتماع الطارئ للمجلس الاستشاري العسكري

5. الأمر بتنفيذ قرار الخروج

6. الخروج نحو لقاء العدو

7. تمرد المنافقين

ثانيا ، التكتيك العسكري للخطة الدفاعية

ا ـ قبل نشوب القتال

1. تحديد الموقع العام

2. تحديد موقع الرماة

3. تنظيم الجند

4. الأسلوب التحريضي التنافسي

ب ـ تكتيك العمليات القتالية

1. مناوشات

ا ـ رد هجوم ابي عامر (الفاسق) وعكرمة (ابن ابي جهل)

ب ـ كلمة السر (التعارف)

جـ ـ المبارزة

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

2. اشتداد القتال (الهجوم المضاد)

3. مخالفة أمر القائد

4. تمزيق خطة النبي التكتيكية

5. دفاع الجند المسلم عن القائد العام

6. أثر إشاعة قتل النبي في نفوس المسلمين

7. عملية الانسحاب من ميدان القتال

8. بعد توقف القتال

ا ـ معالجة الجرحى

ب ـ الحرب النفسية الكلامية

جـ ـ رصد تحرك قوات المشركين

د ـ تفقد ميدان القتال ودفن الشهداء

هـ ـ عودة الجند المسلم إلى المدينة

و ـ حالة الطوارئ تعلن من جديد

ز ـ الخروج من جديد لمطاردة المشركين

ب ـ المشركون

أولا ، قبل المعركة

1. الجو العام

2. جيش الشرك يتحرك للأخذ بالثأر

ا ـ القيادة العامة

ب ـ قيادة الفرسان

جـ ـ نيابة قائد الفرسان

د ـ قيادة الرماة

هـ ـ قيادة المشاة

و ـ اللواء

ز ـ التنظيم

ح ـ التدريخي

3. محاولة قريش بث الفرقة داخل الصف المسلم

ثانيا ، الإستراتيجية التكتيكية القتالية

1. تنظيم الجند

2. تقسيم الجند

3. بدأ الهجوم

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

4. حامل لواء المشركين

5. شن هجوم جماعي

6. وحشي يتربص لقتل حمزة

7. خالد يستغل الخطأ و يباغت

8. الهجوم المضاد للمشاة

9. أسلوب التمثيل والتشويه لقتلى المسلمين

10. المشركون يعودون

جـ ـ النتيجة العبرة والدرس

1 ـ أسباب غير مباشرة

1. مخالفة رأي الرسول

2. عودة الجند المنافق

ب ـ أسباب مباشرة

1. مخالفة أمر القائد

2. تكسير الخطة التكتيكية للقتال

ا ـ تفرق الجند المسلم

ب ـ مباغتة خالد

جـ ـ ارتباك وفوضى في الجند المسلم

د ـ شائعة مقتل النبي

هـ ـ مقتل حمزة

1 ـ ترك حمزة فراغا كبيرا في جبهة القتال

2 ـ تأثر الجند بقتله

جـ ـ هل انهزم المسلمون؟

1. رد المسلمون هجوم المشركين الأول

2. عدم الاستسلام

3. الدفاع عن القائد

4. التحكم في الوضع والاستعداد من جديد

5. مطاردة قريش

6. الروح المعنوية

7. تخلي المشركين عن ميدان القتال

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

« ولقد صدقكم الله وعده إذ تحسونهم بإذنه
حتى إذا فشلتم وتنازعتم في الأمر
وعصيتم من بعد ما أراكم ما تحبون
منكم من يريد الدنيا
ومنكم من يريد الآخرة
صرفكم عنهم ليبتليكم ولقد عفا عنكم
والله ذو فضل على العالمين .

إذ تصعدون ولا تلوون على أحد
والرسول يدعوكم في أخراكم
فأثابكم غما بغم لكيلا تحزنوا على
ما فاتكم ولا ما أصابكم
والله خبير بما تعملون »

آل عمران : ١٥٢ ، ١٥٣

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

تمهيد

عرفنا في الفصل الأول أن المسلمين انتصروا انتصارا ساحقا على الصعيدين المدني والعسكري ، هذا الانتصار كان له دور فعال في تغيير الاستراتيجية سواء من قبل المسلمين الذين أصبحوا يعتزون بانتصارهم الذي حقق لهم العزة والكرامة والخروج بمعنويات مرتفعة ، جعلتهم يسيطرون على الطرق التجارية الحيوية لقريش ، وفي الوقت نفسه تأمين المدينة المنورة من أي غزو من أعداء الإسلام .. كما أن الانتصار في هذه الغزوة جعلت المسلمين الذين لم يشاركوا فيها - لأسباب عرفناها في الفصل الأول - يتحمسون للجهاد في سبيل اللّه ، وهذا في حد ذاته انتصار عظيم على مستوى الجبهة المدنية لأنها أصبحت مهيّأة ومستعدة ومتوحدة ولها معنويات قتالية مرتفعة ، وبمعنى أدق أن جانب الحرب النفسية على الصعيد المدني أصبح مهيأ بنسبة عالية ..

أما على صعيد المشركين ، فإن انتصار المسلمين كان له وقع نفسي عظيم حتى إن الرأي العام القرشي لم يصدق ، ولم يقبل في البداية نبأ الهزيمة ، ولذا عندما عرفوا الحقيقة ذهلوا وأخذهم الغم والهم ، وأعلنوا الحداد ، وقامت منادبهم تبكين وتنحن على صرعى بدر . وأصبحت مكة يسودها السواد والحزن ، وغاب عنها اللهو ومجالسه ، وزاد الحقد والضغن على محمد ودينه وثارت روح الانتقام والثأر في نفوس أهل الشرك ، ومما زاد في الطين بلة مطاردة المسلمين لهم في غزوة السويق حيث تضاعف العار ، وفشل أبو سفيان في غزو محمد وقتل أصحابه أو أسرهم كما كان قد وعد به وأقسم بعد معركة بدر ؛ زيادة عما حققته سرية زيد بن حارثة من غنائم قريش التي تركوها وهربوا ، ومنهم أبو سفيان بن حرب ..

كل هذه الوقائع والأحداث جعلت قريشا يفكرون جديا في الثأر من محمد وصحبه ليفكوا عنهم الحصار المضروب على طرقهم التجارية ، ولأخذ الثأر لقتلاهم وفي الوقت نفسه استرجاع كرامتهم ومكانتهم بين قبائل العرب .. مما جعلهم يتفقون جميعا على القيام بحرب عسكرية وعلى جميع الأصعدة ، ليطفئوا بها - حسب زعمهم - غيظهم ، وينتقموا شر انتقام لقتلاهم ، ويرجعوا مكانتهم بين العرب ليبينوا لهم بأن ما حدث في بدر ما هو إلا عثرة عادية قد أصابتهم جزاء بعض أخطائهم التي راجعوها واستفادوا منها ووظفوها في قتالهم الجديد ضد محمد ، وهذا ما سيتضح لنا - إن شاء اللّه - من خلال دراستنا لغزوة أحد في هذا الفصل الثاني .

أ ـ المسلمون :

أولا ، قبل المعركة ،

1 ـ الجو العام : لقد كان المسلمون في المدينة مستعدين لأي طارئ قد يحدث ؛ ولذلك فهم دوما ينتظرون الجديد ، لأنهم يريدون المحافظة على دولتهم الفتية قصد تقويتها ـ مدنيا وعسكريا ـ وخاصة وهم يعلمون أن أعداء كثيرين يتربصون بهم الدوائر ، من مشركي مكة ، وبعض القبائل الأخرى ، زيادة عن اليهود والمنافقين وهم الذين يعيشون معهم داخل مجتمع واحد ممثلين الطابور الخامس لجبهات الأعداء الخارجيين وعلى رأسهم جبهة قريش العدو الأول للدولة الفتية الجديدة ، في هذا الجو على الصعيد المدني تصل الأخبار من مكة إلى الرسول ـ صلعم ـ عن طريق برقية سريعة تخبره بخروج قريش في جيش عرمرم يريد المدينة المنورة .

2 ـ استخبارات المسلمين : كان للنبي ـ صلعم ـ عيون على الصعيد الداخلي والخارجي تراقب حركات الأعداء وتأتيه بالتقريرات المفصلة عنها ؛ مما يسمح له ـ صلعم ـ بدراسة الأوضاع وتقديم خطة عمل بعد الاستشارة الخاصة أو العامة ـ حسب الموقف ـ لبناء استراتيجية عامة وشاملة لكل غزوة من غزواته ، لذلك عندما وصلته البرقية السريعة من العباس عينه في مكة ، والذي وضح له فيها بالتفصيل أخبار الجيش القرشي ، وبعد قراءتها من طرف أحد كتابه ـ أبي بن كعب ـ الذي أمره رسول الله ـ صلعم ـ بكتمان السر نظرا لخطورة الخبر . ويرجع عليه الصلاة والسلام إلى المدينة مسرعا ؛ لأن البرقية وصلته وهو ماكث في مسجد قباء ، ويستدعي رسول الله رجلين من رجال استخباراته ، ويبعث بهما لمعرفة الموقع الذي وصلته قريش وإعطائه تقريرا مفصلا عن جند قريش وتستطيع هذه الدورية الاستخبارية أن تجمع معلومات دقيقة عن العدو ، وعدد جنوده وآلياته العسكرية ، وعن الموقع الذي عسكرت فيه طالقة إبلها وخيلها على زروع أهل المدينة ترعى ، وتفسد ، وتحطم كما تشاء ...

3 ـ الطوارئ تعلن في المدينة : وصلت الأخبار من مصادر متعددة تصدق بعضها بعضا وشاعت في المدينة وأعلنت حالة الطوارئ العام ، ورفع الرجال القادرون أسلحتهم وبثت العيون في كل مكان قصد تحركات الجيش المعادي ، وخشية من مباغتة المسلمين في مدينتهم ، وهذا ما جعل الجند المسلم يظل في حالة استنفار قصوى حتى في أوقات الصلاة ؛ خاصة إذا علمنا أن المسلمين قد عرفوا من خلال معطيات كثيرة أن جند المشركين قد استعدوا استعدادا عسكريا لهذه المعركة التي لم يسبق مثيل لها ؛ ولذلك ضاعف المسلمون الحراسة وفي كل الاتجاهات والمخارج التي تحيط بالمدينة . وخوفا على رسول الله ـ صلعم ـ :« قامت مفرزة من الأنصار ـ فيهم سعد بن معاذ ، وأسيد بن حضير ، وسعد بن عباد ـ بحراسة رسول الله ـ صلعم ـ فكانوا يبيتون على بابه وعليهم السلاح »[1]

---

(1) ـ صفي الرحمن المباركفوري : الرحيق المختوم .(مرجع سابق) ص293.

4 ـ الاجتماع الطارئ للمجلس الاستشاري العسكري : بأمر من رسول اللّه ـ صلعم ـ اجتمع المجلس الاستشاري الأعلى الذي يضم الصحابة الكبار ـ رضي اللّه عنهم ـ ، وذلك صباح يوم الجمعة ١٥ من شوال ، من السنة الثانية للهجرة ؛ قصد تبادل الآراء للوصول إلى خطة استراتيجية دفاعية لرد الهجوم الذي أرادته قريش وجندت كل أليائها وقد عسكرت بالقرب من المدينة المنورة .

وبعد أن أعلمهم رسول اللّه ـ صلعم ـ عن التقريرات السرية والعلنية المفصلة عن أخبار قريش واستعدادها على الصعيدين المدني والعسكري ، أخبرهم كذلك عن رؤيا رآها حيث قال :« إني قد رأيت واللّه خيرا ، رأيت بقرا ، ورأيت في ذباب سيفي ثلما ، ورأيت أني أدخلت يدي في درع حصينة ، فأولتها المدينة .. قال : فأما البقر ، فهي ناس من أصحابي يُقتلون ، وأما الثلم الذي رأيت في ذباب سيفي فهو رجل من أهل بيتي يُقتل »[1] .

ثم أعطى رأيه في الخطة الدفاعية ، وذلك بأن يتحصن المسلمون داخل المدينة ، ولا يخرجوا خارجها ، لأن المدينة محصنة ، وأن قريشا لو دخلتها لما استطاعت أن تخرج منها لكثرة الأزقة ، ولاستعداد أهلها للدفاع عن مدينتهم وعقيدتهم ووافق رسول اللّه ـ صلعم ـ عبد اللّه بن أبي بن سلول لأنه وجدها فرصة للتهرب من القتال . وقد كان رأى كبار الصحابة ـ رضي اللّه عنهم ـ مثل رأي النبي ـ صلعم ـ ،لأنهم رأوا فيه التكتيك العسكري والخطة الدفاعية الأحسن من حيث الاستراتيجية حيث يصعب على الجبهة المعادية القتال داخل شوارع المدن ، وخاصة إذا كان أهلها مستعدين وبكل الوسائل ، هذا زيادة عن طاعتهم لرسول اللّه ـ صلعم ـ .

لكن الصحابة الذين لم يشهدوا بدرا ـ وخاصة الشباب منهم ، وهم الأكثرية ـ أخذهم الحماس نظرا للمعنويات المرتفعة ، وألحوا على الرسول ـ صلعم ـ أن يخرج بهم لملاقاة الأعداء ، وكان في مقدمة هؤلاء المتحمسين حمزة بن عبد المطلب ، وسعد بن عبادة ـ رضي اللّه عنهم أجمعين ـ وحتى يقنعوا رسول اللّه ـ صلعم ـ والذين رأوا رأيه برروا موقفهم برأي منطقي قائلين :« إنا نخشى يا رسول اللّه أن يظن عدونا أنا كرهنا الخروج جبنا عن لقائهم فيكون هذا جرأة منهم علينا . وقد كنت يوم بدر في ثلاثمائة رجل فظفرك اللّه عليهم ونحن اليوم بشر كثير ، قد كنا نتمنى هذا اليوم وندعو اللّه به ، فقد ساقه اللّه إلينا في ساحتنا ... وقال مالك بن سنان : يا رسول اللّه نحن واللّه بين إحدى الحسنيين ، إما أن يظفرنا اللّه بهم ، أو يرزقنا الشهادة . وقال حمزة : والذي أنزل عليك الكتاب لا أطعم اليوم طعاما حتى أجالدهم بسيفي هذا خارجا من المدينة . وقال النعمان بن مالك أخو بني سالم : يا رسول اللّه لم تحرمنا الجنة ؟ فوالذي لاإله إلا هو لأدخلنّها . سأل الرسول ـ صلعم ـ بم؟ قال : إني أحب اللّه

---

(1) ـ **ابن هشام** : السيرة النبوية ج3.(مصدر سابق) ص66 ، 67 .

وانظر : ـ **ابن كثير** : السيرة النبوية ج3.(مصدر سابق) ص24،23.

ـ **ابن حجر العسقلاني** : فتح الباري ج7.(مصدر سابق) ص277.

ـ **الهيثمي** : مجمع الزوائد ومنبع الفوائد مج3/ج6.(مصدر سابق) ص107.

ـ **صفي الرحمن المباركفوري** : الرحيق المختوم.(مرجع سابق) ص294.

ـ **أبو بكر جابر الجزائري** : هذا الحبيب محمد ـ صلعم ـ.(مرجع سابق) ص259

ورسوله ولا أفر يوم الزحف . فقال الرسول ـ صلعم ـ :« صدقت ...»[1] .

وهكذا يتبين لنا أن آراء أكثرية المسلمين كانت تريد الخروج وبحماس وثقة كبيرة في النفس ، مما جعل رسول اللّه ـ صلعم ـ يستجيب لرأي الأغلبية مطبقا بذلك نظام الشورى الذي يعتبر أساسا في الإسلام .

5ـ الأمر بتنفيذ قرار الخروج: اتخذ قرار الخروج بالأغلبية ، وقد عرفنا مبررات الذين طلبوا الخروج للدفاع عن مدينتهم وعقيدتهم ، واتخذ القرار في يوم جمعة لذلك اغتنم القائد الأعلى للجيش صلاة الجمعة ، فوعظ الناس وذكرهم بربهم ، وحرضهم على القتال والدفاع عن عقيدتهم مبينا أسباب النصر وهي الجد والاجتهاد والاستعداد النفسي والمادي ، وقد كان هذا الوعظ بمثابة شعلة نورانية إيمانية بثها الرسول ـ صلعم ـ في نفوس المسلمين ؛ مما جعلهم يتحمّسون أكثر وخاصة على مستوى الصعيد المدني نفسيا فارتفعت المعنويات إلى درجة الفرح والسرور وأصبحوا يشعرون بالنصر مثلما شعروا به في غزوة بدر . وفي هذا يقول المقريزي :« فلما أبوا إلا ذلك صلى رسول اللّه ـ صلعم ـ الجمعة بالناس وقد وعظهم وأمرهم بالجد والجهاد وأخبرهم بأن لهم النصر ما صبروا ، ففرح الناس بالشخوص إلى عدوهم وكره ذلك المخرج كثير »[2] . وبعدما صلى الرسول ـ صلعم ـ بالمسلمين صلاة العصر حيث احتشدوا مع عائلاتهم ينتظرون القرار الحاسم ، وبعد الصلاة يدخل عليه الصلاة والسلام بيته برفقة وزيريه أبي بكر وعمر ، ويلبس لباسه العسكري متقلدا سلاحه ، حيث كان المسلمون في انتظاره ، وهم على هذه الحالة من الاستعداد ، إذ قال لهم سعد بن معاذ وأسيد بن حضير :« استكرهتم رسول اللّه ـ صلعم ـ على الخروج ، فردوا الأمر إليه فندموا جميعا على ما صنعوا »[3] .نعم ، لقد ندم الذين طلبوا الخروج بعد ذهاب حماسهم المتأجج بالعاطفة كيف خالفوا رسولهم ـ صلعم ـ لأن رأيه لا بد أن يطاع كرسول أولا ، وكقائد عسكري ثانيا ، ولكنهم اعترفوا بالخطأ ولذا ما إن خرج الرسول لهم وهو يرتدي اللباس العسكري ويضع على رأسه لأمته ـ درعه ـ أمراً إياهم بتنفيذ قرار الخروج ؛ فقالوا :« يا رسول اللّه أقمْ فالرأي ما رأيت .. فقال لهم ـ صلعم ـ : ما ينبغي لنبي أن يضع لأمته بعدما لبسها حتى يحكم اللّه بينه وبين عدوه .وقد دعوتكم إلى هذا ـ عدم الخروج ـ فأبيتم إلا الخروج ، فعليكم بتقوى اللّه ،والصبرعند البأس إذا لقيتم العدو وانظروا ماذا أمركم اللّه فافعلوا »[4].

وبهذا يقطع رسول اللّه ـ صلعم ـ كل قول ويصبح أمر الخروج نافذا شرعا ولذلك أوصاهم ـ عليه الصلاة والسلام ـ بالتقوى والصبر عند اللقاء ، واتباع أوامر اللّه ، لأنها صفات الجند المسلم لعل اللّه يأتي بنصره .

---

(1) ـ د.عماد الدين خليل : دراسة في السيرة .(مرجع سابق) ص189 ، 190.

وانظر : د.عبد العزيز كامل : دروس من غزوة أحد ،القاهرة: دار المعارف ـ ط 3 .

(1399هـ-1979م) ص64.

(2) ـ د.عبد العزيز كامل:(المرجع السابق) ص64.

(3) ـ صفي الرحمن المباركفوري : الرحيق المختوم .(مرجع سابق) ص295.

(4) ـ أبو بكر جابر الجزائري : هذا الحبيب محمد ـ صلعم ـ (مرجع سابق) ص259.

وانظر : شوقي أبو خليل : عوامل النصر والهزيمة عبر تاريخنا الإسلامي .(مرجع سابق) ص29.

6. الخروج نحو لقاء العدو : بعد قرار الخروج ، نظم القائد الأعلى - رسول اللّه صلعم - للقوات الجيش المسلم حيث قسمه إلى ثلاث كتائب[1] :

1 - **كتيبة المهاجرين** ، وأعطى لواءها "مصعب بن عمير العبدري"

2 - **كتيبة الأوس من الأنصار** ، وأعطى لواءها "أسيد بن حضير".

3 - **كتيبة الخزرج من الأنصار** ، وأعطى لواءها "الحباب بن المنذر"

بعد هذا التنظيم من القائد العام أعطيت الأوامر بالسير للخروج إلى العدو وملاقاته خارج المدينة ، حيث كان جيش المسلمين في بداية انطلاقه يتألف من ألف مقاتل معهم مائة دارع ، واختلف في عدد الفرسان ، وتحرك الجيش المسلم يحدوه التحدي والاندفاع نحو لقاء العدو ، وما أن وصل إلى موضع يقال له "الشيخان" استعرض الرسول الجند قصد إخراج الفتيان الصغار الذين لم يقدروا على القتال - وكان هؤلاء في كل غزوة يختفون في وسط الجند لحبهم الشديد الجهاد في سبيل اللّه - وهنا رأى رسول اللّه - صلعم - كتيبة مسلحة منعزلة عن التنظيم السالف الذكر ، فيسأل عليه الصلاة والسلام عنها ، فيعلم بأنها من اليهود وهي حليفة لعبد اللّه بن أبي ، فيأمر عليه الصلاة والسلام بإرجاعها قائلا:« لا نستنصر بأهل الكفر على أهل الشرك »[2].

وأدرك الجيش المسلم الليل بين المدينة وأحد ، فنزلوا وصلّوا المغرب والعشاء ، واختار عليه الصلاة والسلام خمسين مقاتلا لحراسة المعسكر بقيادة "محمد بن مسلمة الأنصاري" ، في حين تولّى حراسة النبي - صلعم - "ذكوان بن عبد قيس".

وانطلق الجيش المسلم في ساعة متأخرة من الليل مواصلا سيره نحو العدو حيث أصبح على مقربة منه بحيث يشاهدهم ويشاهدونه أدركهم الفجر ،فتوقفوا وصلى عليه الصلاة والسلام بالجند وهم يحملون أسلحتهم .

7. تمرد المنافقين : في الوقت الذي أصبح فيه الجند المسلم على وشك اللقاء مع العدو نظرا لقربه منهم ، وهم في حالة استنفار قصوى بحيث صلوا وعليهم أسلحتهم ، في هذا الظرف العصيب يستغل رأس المنافقين عبد اللّه بن أبي بن سلول وجماعته هذه الساعة الصعبة والدقيقة من حيث التكتيك العسكري ، ويعلن تمردا داخل الجيش وذلك بانسحابه بقوة تتألف من ثلاثمائة مقاتل ، أي ثلث الجيش مبررين فعلتهم الدنيئة بقول زعيمهم :« أطاعهم وعصاني ، ما ندري علام نقتل أنفسنا هاهنا أيها الناس !»[3]

وعاد المنافقون مع زعيمهم محاولين بموقفهم هذا المتخاذل والمحطم لوحدة الجند و زعزعة الصف ، وتحطيم المعنويات وبث الشكوك ، وفي الوقت نفسه إعطاء فرصة ثمينة لأعداء الإسلام .. وحتى يبقى الصف موحدا وقويا لحق بهم عبد اللّه بن عمرو بن حرام والد جابر محاولا إقناعهم بتغيير موقفهم هذا حيث قال :

---

(1) - **صفي الرحمن المباركفوري** : الرحيق المختوم.(مرجع سابق) ص295.

وانظر : **محمود شاكر** : التاريخ الإسلامي ج2 - السيرة - (مرجع سابق) ص236.

(2) - **محمود شاكر** : (المرجع السابق) ص236.

(3) - **ابن هشام** : السيرة النبوية ج3.(مصدر سابق) ص68.

« يا قوم أذكركم الله أن لا تخذلوا قومكم ونبيكم ، فقالوا لو نعلم أنكم تقاتلون ما أسلمناكم ولكنا لا نرى أن يكون قتال . فلما استعصوا وأبوا إلا الانصراف . قال لهم ـ صلعم ـ :

« أبعدكم الله أعداء الله فسيغني الله عنكم نبيه » »[1].

ثانيا ، التكتيك العسكري للخطة الدفاعية

أ ـ قبل نشوب القتال :

1 . تحديد الموقع العام : عرفنا فيما سبق أن رأس المنافقين انسحب من الميدان تاركا ثغرة كبيرة داخل الاستراتيجية العامة المرسومة لرد العدوان ، لكن رغم هذه الثغرة فإن الجيش المسلم واصل طريقه في عدد يقدر بسبعمائة مقاتل لمواجهة ثلاثة آلاف مقاتل من الجبهة المعادية ؛ زيادة عن العدة الكبيرة والمتطورة ـ حسب الآليات العسكرية بمفهوم عصرهم ـ .

ووصل الجيش إلى أحد ، وحدد الموقع من قبل القائد العام ـ رسول الله صلعم ـ والمستشارين العسكريين المسلمين حيث اختير شعب أحد في أدنى الوادي جاعلين جبل أحد وراءهم كتكتيك قتالي واستراتيجي سواء على الصعيد الدفاعي أو الهجومي .

2 . تحديد موقع الرماة : بعدما حدد الموقع العام وعسكر فيه الجند تبين أن هناك طريقا تؤدي من الجبل إلى خلف الجند المسلم ، وحتى تسد هذه الثغرة للتحكم في الخطة الدفاعية والسيطرة الكاملة على الميدان ، وتفويت الفرصة على العدو من أن يجد ثغرة ينفذ منها لضرب الجندالمسلم من الخلف ، وفي الوقت نفسه تكوين قاعدة خلفية لتأمين الجيش في كل الحالات والظروف ...

لكل هذا اختيرت فصيلة من الرماة يبلغ عددها خمسون مجاهدا . وأعطيت قيادتها لعبد الله بن جبير الأنصاري ، ثم أصدرت لهم أوامر صارمة من قبل القائد الأعلى للقوات تتمثل في الأوامر التالية :

ـ حماية الجيش من الخلف تحسبا لكل طارئ .
ـ التزام مواقعهم في جميع الحالات .
ـ عدم الدفاع عن الجند ، حتى ولو قُتلوا جميعا .
ـ رشق خيل المشركين بالنبال إن أرادوا مهاجمة المسلمين من الخلف .

حيث احتوت هذه الأوامر قوله ـ صلعم ـ :« احموا لنا ظهورنا ، فإننا نخاف أن يجيئوا من ورائنا ، والزموا مكانكم لا تبرحوه ، وإن رأيتمونا نقتل فلا تعينونا ولا تدفعواعنا وإنما عليكم أن ترشقوا خيلهم بالنبل ، فإن الخيل لا تقدم على النبل »[2].

وبهذا التكتيك الميداني غطى رسول الله ـ صلعم ـ ثغرة استراتيجية لكلا الفريقين المتخاصمين . وأمّن الجبهة الخلفية بهؤلاء الرماة الذين وزعوا من قبل قائدهم "عبد الله بن جبير" لتغطية هذا الموقع المحدد لهم .

---

(1) ـ **أبو بكر جابر الجزائري** : هذا الحبيب محمد رسول الله ـ صلعم ـ (مرجع سابق) ص260.

(2) ـ **محمد حسين هيكل** : حياة محمد .(مرجع سابق) ص293.

وانظر : **البخاري** :صحيح البخاري مج3/ج3.(مصدر سابق) ص29.

3.تنظيم الجند: بعد تأمين القاعدة الخلفية رجع القائد العام للجند ونظمه تنظيما دقيقا مستعملا تكتيك الصف الذي استعمل في بدر ، حيث جعل في مقدمة الصفوف المجاهدين الأشداء ـ حسيا ومعنويا وبدنيا ـ ثم جعل على الميمنة "المنذر بن عمرو" وعلى الميسرة "الزبير بن العوام" بمساعدة "المقداد بن الأسود" ، لأن الزبير مهمته الصمود والتصدي لكتيبة خالد بن الوليد ... وبعد تنظيم الجند أمرهم عليه الصلاة والسلام بعدم القتال حتى تعطى الأوامرحيث قال:« لايقاتلن أحد حتى آمره بالقتال »[1]

4.الأسلوب التحريضي التنافسي: أخذ الرسول ـ صلعم ـ يعبئ الجند ، ويرفع معنوياته وذلك باستعمال أسلوب التحريض والتنافس على الشهادة في سبيل اللّه ، فبدأ يحرضهم ويحثهم على الإقدام والصبر عند اللقاء مذكرا إياهم بالجزاء الذي ينتظرهم عند ربهم ، وعندما وصلت التعبئة النفسية إلى درجة عالية استعمل عليه الصلاة والسلام أسلوبا تنافسيا ليقيس به مدى عمق الإيمان،وإظهار البطولية عند أصحابه .. وأخرج عليه الصلاة والسلام سيفا ، وخاطب الجند قائلا :« من يأخذ هذا السيف بحقه؟ »[2] وكان لهذا المطلب من رسول اللّه ـ صلعم ـ وقع نفسي كبير ، حيث قام العديد من الجنود للتنافس من أجل الفوز به ، إلا أن الرسول ـ صلعم ـ لم يعطه لأحد منهم ، حتى قام أبو دجانة سائلا رسول اللّه ـ صلعم ـ بقوله :« وما حقه يا رسول اللّه ؟ قال : أن تضرب به العدو حتى ينحني . قال أبو دجانة : أنا آخذه يا رسول اللّه بحقه . فأعطاه إياه »[3] .

وفعلا فقد فاز أبو دجانة بالسيف من عند رسول اللّه ـ صلعم ـ لأنه عرف حق هذا السيف من رسول اللّه فقبل به ، ولأن الرسول ـ صلعم ـ كان يعرف مدى شجاعة هذا الرجل عند البأس ولذلك أعطاه السيف . وكان من طبيعة أبي دجانة في القتال أن يتعصب بعصابة حمراء ، كعلامة لطلب الموت ، لذلك عندما أخذ السيف من رسول اللّه ـ صلعم ـ أخرج عصابته الحمراء وحزم بها رأسه ، ثم خرج بين الصفوف وبدأ يمشي متبخترا ومزهوا بنفسه . فقال عليه الصلاة والسلام حين نظره على هذه الحالة :« إنها لمشية يبغضها اللّه إلا في مثل هذا الموطن »[4] .

وهكذا تتبين لنا الخطة التكتيكية للاستراتيجية العامة التي وضعها الرسول ـ صلعم ـ قبل المعركة ، حيث علق على هذه الخطة صاحب كتاب الرحيق المختوم بتعليق علمي وموضوعي ـ في رأينا ـ نثبّته للاستفادة . يقول :

« ولقد كانت خطة حكيمة ودقيقة جدا ، تتجلى فيها عبقرية النبي ـ صلعم ـ العسكرية ـ وأنه لا يمكن لأي قائد مهما تقدمت كفاءته أن يضع خطة أدق وأحكم من هذا ـ فقد احتل أفضل موضع من ميدان المعركة ، مع أنه نزل فيه بعد العدو ، فقد حمى ظهره ويمينه بارتفاعات الجبل ، وحمى ميسرته وظهره ـ حين يحتدم القتال ـ بسد الثلمة

---

(1) ـ **أبو بكر جابر الجزائري** : هذا الحبيب محمد ـ صلعم ـ (مرجع سابق) ص261.

وانظر: **عبد السلام هارون**: تهذيب سيرة ابن هشام .(مصدر سابق) ص179.

(2) ـ **أحمد محمد عساف** : خلاصة الأثر في سيرة سيد البشر .(مرجع سابق) ص165.

(3) ـ **أحمد محمد عساف** : (المرجع السابق) ص165.

(4) ـ انظر: ـ **ابن هشام** : اليسرة النبوية ج3.(مصدر سابق) ص71.

ـ **د.البوطي** : فقه السيرة .(مرجع سابق) ص238

الوحيدة التي كانت توجد في جانب الجيش الإسلامي ، واختار لمعسكره موضعا مرتفعا يحتمي به - إذا نزلت الهزيمة بالمسلمين - ولا يلتجأ إلى الفرار ، حتى يتعرض للوقوع في قبضة الأعداء المطاردين وأسرهم ، ويلحق مع ذلك خسائر فادحة إلى أعدائه إن أرادوا احتلال معسكره ، وتقدموا إليه ، وألجأ أعداءه إلى قبول موضع منخفض يصعب عليهم جدا أن يحصلوا على شيء من فوائد الفتح إن كانت الغلبة لهم ويصعب عليهم الإفلات من المسلمين المطاردين إن كانت الغلبةللمسلمين،كما أنه عوض النقص العددي في رجاله باختيارنخبةممتازة من أصحابه الشجعان البارزين »[1] .

ب - تكتيك العمليات القتالية :

1. مناوشات :

أ - رد هجوم ابي عامر (الفاسق) وعكرمة(ابن ابي جهل) : كان أبو عامر الفاسق* - كما سماه رسول اللّه - صلعم - ، قد ذهب إلى قريش في كتيبة من أتباعه ، ولعب دورا فعالا في تحريض المشركين على القتال ، ثم وعدهم أنه يوم البأس سينادي على قومه من جند محمد فإنه لا يختلف أحد عنه لمكانته عندهم - في زعمه - لأنه ما زال يفكر بمفهوم الجاهلية ويظن أنهم كذلك .

لذلك لما كان يوم أحد خرج هذا الفاسق وهو ينادي بني قومه قصد تفتيت صف الجند المسلم ، وتوهين قوة المسلمين بإحباط المعنويات - على الصعيد المدني والعسكري - ، لكن بني قومه الذين شربوا من ينبوع العقيدة الإسلامية ردوا عليه ردا عنيفا حطم معنوياته نفسيا ، ومما جاء في مناداته والرد عليها قوله :« يا معشر الأوس ! أنا أبو عامر » فكان جوابهم « لا أنعم اللّه بك عينا يا فاسق » فقال حينئذ :

« لقد أصاب قومي بعدي شر »[2] .

وبعدما فشلت هذه المناورة العسكرية التي كانت تهدف إلى زعزعة صفوف الجند المسلم ، وإحداث ثغرة فيه بواسطة هذا الأسلوب الذي يعتبر من أدق وأنجع أساليب الحرب النفسية سواء على الصعيد المدني أو العسكري .

ونشبت الحرب وأشعل فتيلها أبو عامر (الفاسق) الذي حاول أن يهاجم المسلمين بمساعدة عكرمة بن أبي جهل ، لكن المسلمين تصدوا لهذا الهجوم - بعد أن أذن النبي صلعم بالقتال - حيث رشقوهم بالحجارة ، وقذفوهم بالنبال ، لذلك فشل هذا الهجوم الذي حاول تطويق جيش المسلمين نظرا لصمودهم ، ثم لموقعهم الاستراتيجي .

---

(1) - **صفي الرحمن المباركفوري** : الرحيق المختوم .(مرجع سابق) ص300،299.

* - **أبو عامر** : كان يسمى في الجاهلية بالراهب ، فسماه الرسول - صلعم - بالفاسق . كان قد خرج إلى مكة مع ثلة من أتباعه يحرض قريشا ويقول : لو لقيت قومي لم يختلف علي رجلان ، إلى أن جاءت غزوة أحد حيث سنعرف كيف يجاوبوه ؟ ؟!! .

(2) - **محمد شيت خطاب** : الرسول القائد .(مرجع سابق) ص178.

وانظر : **صفي الرحمن المباركفوري** : الرحيق المختوم .(مرجع سابق) ص302.

ب ـ **كلمة السر** : كانت كلمة السر (التعارف) بين المسلمين في هذه المعركة هي "أمِتْ أمِتْ" لذلك نادى حمزة ـ رضي اللّه عنه ـ بهذا الشعار "أمت أمت" ، مما جعل المسلمين يستعدون للهجوم المضاد .

جـ ـ **المبارزة** : كان أول وقود غزوة أحد حامل لواء المشركين " طلحة بن أبي طلحة" نظرا لشجاعته في قريش وفخره بهذا ، مما جعله يتحدى لتبيين شجاعته فنادى طالبا المبارزة قصد التحدي . وصاح : من يبارز ؟!! « فبرز له علي بن أبي طالب والتقيا بين الصفين فبدره علي بضربةفلقت هامته ، واغتبط النبي وكبر وكبر المسلمون »(1).

2 ـ اشتداد القتال أو الهجوم المضاد :

بعد المناوشات الأولى التي عادة ما تحدث في كل معركة قتالية ، التحم الفريقان واشتدت نيران ضرب السيوف ، وقام المسلمون بهجوم مضاد كاسح ، واندفع أبو دجانة ، معصبا بعصابته الحمراء ـ عصابة الموت ـ سالا سيف رسول اللّه ـ صلعم ـ مصمما على تنفيذ العهد الذي أخذه مع رسول اللّه ـ صلعم ـ وفعلا بدأ يحصد المشركين حصدا شاقا صفوفهم مناديا بأعلى صوته :

أنا الذي عاهدني خليلي ونحن بالسفح لدى النخيل
أن لا أقوم الدهر في الكيول أضرب بسيف اللّه والرسول

واصل أبو دجانة طريقه في اختراق صفوف الجند حتى رأى شخصا يحث ويحرض الجند المشركين على المقاومة والثبات ، فحمل عليه يريد قتله ، وإذا به يجدها امرأة ـ هند بنت عتبة ـ فرجع عنها مكرما ومنزها سيف رسول اللّه ـ صلعم ـ من أن يضرب به امرأة ...

اشتد القتال بين جند اللّه وجند الكفر ، وعم ميدان المعركة كلها ، وكانت السيطرة واضحة من قبل المسلمين على صعيد ميدان القتال ، حيث كان المسلمون يسددون ضرباتهم تسديدا دقيقا ومحكما ، ولذا كان التركيز على حملة اللواء من المشركين ، لأن اللواء في استراتيجية الحرب يعتبر دليل النصر والبقاء ما دام مرفوعا ، ولذا كان لا يُعطى إلا للأبطال الشجعان ، ولذلك ركز المسلمون في تكتيكهم القتالي على حمَلة اللواء لأنهم يعرفون من خلال الخبرة العسكرية إذا سقط اللواء معناه هزيمة القوم من خلال الاهتزازات التي تحدث داخل الجند ...

كان حملة لواء المشركين في هذه الغزوة من بني عبد الدار ، حيث عرفنا فيما سبق أن حامل اللواء ـ طلحة بن أبي طلحة ـ أول من قتل في الميدان من قبل علي ـ كرم اللّه وجهَه ـ فحمله أخوه أبو شيبة عثمان بن أبي طلحة ، فهلك على يد حمزة ـ رضي اللّه عنه ـ فأخذ اللواء أبو سعيد بن أبي طلحة ـ الأخ الثالث لهما ـ فهلك

---

(1) ـ **محمد حسين هيكل** : حياة محمد .(مرجع سابق) ص294.

وانظر : ـ **محمد شيت خطاب** : الرسول القائد .(مرجع سابق) ص178.

ـ **عبد السلام هارون** : تهذيب سيرة ابن هشام .(مصدر سابق) ص183.

ـ **أبوبكر جابر الجزائري** : هذا الحبيب محمد ـ صلعم ـ (مرجع سابق) ص263

ملاحظة:

بعض المراجع تذكر أن المبارز لطلحة هو الزبير وليس عليا .

كذلك بعد رمية من سعد بن أبي وقاص .. وهكذا بقي حملة اللواء - من بني عبد الدار - يسقط الواحد تلو الواحد ، حتى هلك منهم سبعةإلى عشرة - حسب الروايات - ،وعندما قضي على هؤلاء حمله مولى لهم فهلك ، وسقط لواء المشركين وديس بالأقدام ...

وفي هذه الساعة الحامية الوطيس اندفع المسلمون يطلبون الشهادة أو النصر ، وأبلوا بلاء المجاهدين المخلصين ، وخاصة حمزة وأبو دجانة .. وكان الإيمان قد لعب دورا فعالا ، وأعطى روحا معنوية عالية لم يعرفها إلا من ذاق حلاوة الإيمان فتصبح نفسه تطلب الموت - قصد الشهادة - والموت هاربة من اندفاعاته الصادقة ..

وفي غمرة السيطرة على ميدان القتال ، وظهور انهزام المشركين رغم كثرتهم ، وفي هذه الغمرة الإيمانية كان حمزة بن عبد المطلب يحصد الكفرة في جميع الاتجاهات ، وإذا بضربة غادرة تصيبه في ثَنْتِهِ* من قبل "وحشي" ، فترديه شهيدا في الحين .!!

واستشهد حمزة - سيد الشهداء - وترك فراغا كبيرا في ميدان القتال ورغم ذلك فإن زمام الأمور بقيت على حالها ، وبقي ميدان المعركة يخضع لتكتيكات الجند المسلم الذي واصل زحفه في كل الاتجاهات ، واستطاع أن يحدث ثغرات كبيرة وتصدعات أكبر في صفوف جبهة المشركين ، حيث تصدع دفاعها بعدما تلاشى هجومها إطلاقا ، وواصل المسلمون هجومهم ومطاردتهم لفلول الشرك ، حتى وصلوا إلى نساء المشركين وأحاطوا بهن . يقول الزبير :« لقد رأيتني أنظر إلى خدم هند بنت عتبة وصواحبها ، مشمرات ، هوارب ، ما دون أخذهن قليل ولا كثير »[1] .

وبهذه البسالة استطاع المسلمون أن يهزموا الجند المشرك ، حيث ركبوا ظهورهم وطاردوهم حتى أبعدوهم عن معسكرهم وساحة القتال ، لذلك ظهر جليا وكأن المعركة قد انتهت فبدأ المسلمون يجمعون الغنائم ..!!

3. مخالفة أمر القائد :

عرفنا أن الرسول - صلعم - أعطى تعليمات حازمة ونافذة للرماة بأن لا يتركوا موضعهم نظرا لأهميته الاستراتيجية ، لكن بعض هؤلاء الرماة الذين كانوا يشاهدون القتال الدائر بين إخوانهم ورجال الشرك ، ورأوا أن الكفة أصبحت في يد إخوانهم بدليل أنهم أصبحوا يطاردون العدو ، وها هم يجمعون الغنائم ولذا قالوا :« لم تقيمون هاهنا في غير شيء ، وقد هزم الله عدوكم ، وهؤلاء إخوانكم ينتهبون عسكرهم »[2] .

فتعارضت الآراء بين مؤيد لهذه الفكرة ، ورافض لها مهما كانت النتيجة وهنا تدخل القائد - عبد الله بن جبير - وأمرهم بالبقاء في مواضعهم تنفيذا لتعليمات الرسول - صلعم - ، لكن الإغراءات المادية المتمثلة في الغنيمة جعلت الأكثرية تخالف أمر القائد بتبرير أن المعركة قد انتهت ، وأن تعليمات الرسول - صلعم - تنتهي بانتهائها ما دامت أنها تعليمات تكتيكية قتالية تخص معركة أحد لأنها

---

* - **الثنته**: ما بين أسفل البطن إلى العانة .

(1) - **عبد السلام هارون** : تهذيب سيرة ابن هشام .(مصدر سابق) ص184.

(2) - **محمد شيت خطاب** : الرسول القائد .(مرجع سابق) ص181.

توقيتية وليست تأبيدية .

هذا المفهوم الخاطئ من قبل الرماة جعلهم يتركون مواضعهم تحت شعار الغنيمة !! الغنيمة!! ولم يثبت منهم إلا بضع رجال مع قائدهم ـ عبد اللّه بن جبير ـ مصممين على البقاء في مواقعهم حتى يأذن لهم رسول اللّه ـ صلعم ـ أو يبادوا عن آخرهم .

4. تمزيق خطة النبي التكتيكية :

نزل الرماة عن مواقعهم الاستراتيجية ، والتحقوا بالجند يجمعون الغنائم ، ناسين أنهم مزقوا الخطة التكتيكية العامة في ميدان القتال ، وتركوا ثغرة استراتيجية هامة يبحث عنها العدو في الحلم فلا يجدها ، فأعطوها إياه بالمجان نتيجة لخطأ بشري ... وفعلا فقد كان خالد بن الوليد في الجبهة المعادية ـ آنذاك ـ ونظرا لفطنته وذكائه ، وخبرته في الميدان العسكري كان يسيطر على رجاله من الفرسان رغم الفوضى التي حدثت في جند المشركين ، فتراجع خالد للوراء ولم يعرف ماذا يفعل والمسلمون يطاردون بني جلدته ... وهو على هذه الحالة النفسية السيئة ، وإذا به ينظر إلى القاعدة الخلفية للجند المسلم فيجد المكان الاستراتيجي الذي يحلم به أي قائد عسكري ، قد أفرغ من رجاله ، وإنها لفرصة جاءت مجانية لخالد .

لذلك استدار خالد نحو القاعدة الخلفية للمسلمين وبسرعة خاطفة معتمدا أسلوب المباغتة ، حيث باغت الرماة الباقين الذين رغم قلتهم فقد قاوموا مقاومة شديدة حتى استشهد منهم من استشهد وعلى رأسهم قائدهم ـ عبد اللّه بن جبير ـ وجرح من لم يستشهد..ثم توجه خالد بفرسانه لينقض على الجندالمسلم من الخلف ... والمسلمون منغمسون في جمع الغنائم لمّا يتفطنوا بعد ، حتى صاح في المشركين الذين رأوا خالدا منقضا على الجند المسلم ، فتشجعوا وجمعوا قوتهم حينا ، ورجعوا في هجوم مضاد لتطويق المسلمين من جميع الجبهات القتالية محدثين تمزيقا خطيرا في جبهة الجند المسلم الذي انتبه فجأة لمباغتة خالد ورجاله ، وتبعه عكرمة ابن أبي جهل بفرسانه،ثم الهجوم المضاد البري وبكل أنواع الأسلحة ـ المتاحةآنذاك ـ

أصبح أمرالجند المسلم خطيرا وصعبا لأن تكتيكاتهم القتالية قد تمزقت سواء على صعيد الميدان أو صعيد القاعدة الدفاعية الخلفية ، ولأنهم طوقوا من جميع الجهات :

5. دفاع الجند المسلم عن القائد العام للمسلمين :

واصل المشركون هجومهم واستطاعوا في وقت يسير أن يقتربوا من مركز الرسول ـ صلعم ـ وشدوا عليه ورمي بحجر أصابت وجهه وكسرت رباعيته ، ودافع المسلمون عنه دفاعا مستميتا بحيث كان أبو دجانة يحني ظهره كجدار واقٍ للرسول ـ صلعم ـ من نبال المشركين ، كما أن سعد بن أبي وقاص كان يقف دون رسول اللّه ـ صلعم ـ للرمي والنبي ـ صلعم ـ يناوله النبل ، حتى أن رسول اللّه ـ صلعم ـ كان يرمي بالقوس حتى تحطمت القوس ، كما لا ننسى دور المرأة في حماية رسول اللّه ـ صلعم ـ حيث كانت "أم عمارة" نسيبة الخزرجية التي « خرجت أول النهار ومعها

سقاء لها فيه ماء تدور على المسلمين لتسقي منهم من استسقى ؛ فلما أحاط المشركون بالمسلمين ، وأصبح الخطر الداهم محدقا بالنبي ـ صلعم ـ نفسه ، ألقت نسيبة سقاءها واستلت سيفا وأخذت تذود عن النبي ـ صلعم ـ بالسيف وترمي عن القوس ، حتى خلصت الجراح إليها »[1] .

وفعلا لقد قاتل المسلمون عن قائدهم ورسولهم ، وظهر إخلاصهم ومحبتهم له عليه الصلاة والسلام ، « روى مسلم عن أنس بن مالك أن رسول اللّه ـ صلعم ـ أفرد يوم أحد في سبعة من الأنصار ورجلين من قريش فلما رهقوه قال من يردهم عنا وله الجنة أو هو رفيقي في الجنة فتقدم رجل من الأنصار فقاتل حتى قُتل ثم رهقوه أيضا فقال من يردهم عنا وله الجنة أو هو رفيقي في الجنة فتقدم رجل من الأنصار فقاتل حتى قتل ، فلم يزل كذلك حتى قُتل السبعة فقال رسول اللّه ـ صلعم ـ لصاحبيه ما أنصفنا أصحابنا »[2] .

ومن صور الدفاع عن قائد المسلمين ـ رسول اللّه ـ ما قام به علي بن أبي طالب ، وطلحة بن عبيد اللّه حيث يذكر ابن هشام أن رسول اللّه ـ صلعم ـ وقع : « في حفرة من الحفر التي عمل أبو عامر ليقع فيها المسلمون ، وهم لا يعلمون ؛ فأخذ علي بن أبي طالب بيد رسول اللّه ـ صلعم ـ ، ورفعه طلحة بن عبيد اللّه حتى استوى قائما ومصّ مالك بن سنان أبو أبي سعيد الخدري الدم عن وجه رسول اللّه ـ صلعم ـ ، ثم ازدرده ؛ فقال رسول اللّه ـ صلعم ـ : من مس دمي دمه لم تصبه النار »[3] .

ومن هذه الصور الجريئة مقاومة مصعب بن عمير الذي دافع عن قائده وحبيبه رسول اللّه ـ صلعم ـ ثم رد هجوم ابن قمئة وجنده الذين كانوا يريدون قتل النبي ـ صلعم ـ ، فردهم مصعب رغم أنه كان يحمل اللواء بيد ويقاتل بيده الأخرى ،مما جعله يفقد يديه قبل أن يستشهد على يد الكافر ابن قمئة الذي ظن أنه قتل رسول اللّه ـ صلعم ـ لذا انصرف مسرعا صارخا : « قتلتُ محمدا »[4] .

وهكذا يتبين لنا مدى حب أصحاب محمد ـ صلعم ـ له ، حيث قدموا أنفسهم فداء لعقيدتهم وقائدهم ، واستطاعوا ببسالتهم التي لا تقاس ، أن يثبتوا ويصبروا ويمنعوا قائدهم ورسولهم من موت محقق ؛ لولا رحمة اللّه بنبيه وعباده الصادقين الصالحين لسُحقوا سحقا من جراء انقضاض المشركين وحقدهم الكبير على محمد وصحبه ، وإتاحة الفرصة لهم لتنفيذ كل أحقادهم السابقة ـ القديمة والجديدة ـ لكن اللّه نجّى نبيه بفضل الرجال الذين قدموا أنفسهم رخيصة من أجل رفع كلمة الإسلام عالية وحرة الانتشار في أرض اللّه ، وهذا ما تم بعد ذلك ـ بفضل اللّه ـ .

6ـ أثر إشاعة قتل النبي في نفوس المسلمين :

عرفنا في العنصر السابق أن ابن قمئة حين قتل مصعب بن عمير ظن أنه محمد فصاح في قومه "قتلتُ محمدا" وراجت هذه الشائعة بسرعة البرق داخل الجند المسلم

(1) ـ **محمود شيت خطاب** : الرسول القائد .(مرجع سابق) ص181.

(2) ـ **مسلم** : صحيح مسلم بشرح النووي ج12.(مصدر سابق) ص147.

(3) ـ **ابن هشام** : السيرة النبوية ج3.(مصدر سابق) ص85.

وانظر : **أحمد عساف** : خلاصة الأثر في سيرة سيد البشر .(مرجع سابق) ص168.

(4) ـ **اتيين دنيه(سليمان بن ابراهيم)** : محمد رسول اللّه .(مرجع سابق) ص222.

وقد كان لها أثر عميق على معنوياتهم ، وكيف لا؟ والخبر يقول أن محمدا قد مات !! إنها لمصيبة عظيمة حلّت بهم وهم في وضع خطير مطوقون من جميع الجهات .. !! لكل هذا انهارت إرادة الجند المسلم ، ووقعت فوضى كبيرة في صفوفهم ، وبدأوا يضعفون في الدفاع عن أنفسهم وعن عقيدتهم ، وظن البعض أن هذه الرسالة قد انتهت بانتهاء صاحبها ، ووصل الأمربالبعض أن قالوا : « ليت لنا من يأتي بعبد اللّه بن أبي بن سلول ليأخذ لنا أمانا من أبي سفيان قبل أن يقتلونا ؟ »[1] .

إنه الضعف البشري الذي يجعل صاحبه في الحالات العصيبة منهزما نفسيا إلى درجة أن يسلم نفسه للهلاك بوعي أو بلا وعي ، لكن تبقى هناك نماذج من الأشخاص يزرعون الإرادة في غيرهم بواسطة منبهات مثيرة ومؤثرة في النفوس التي لا تصاب بمرض تحطيم المعنويات ، وشلّ الإرادات ، وتغييب الوعي .

ومن هذه النماذج "أنس بن النضر" ـ عم أنس بن مالك ـ الذي وجد رجالا من الجند المسلم بعد سماعهم إشاعة قتل النبي ـ صلعم ـ قد حطمتهم هذه الشائعة تحطيما كليا بحيث ألقوا حتى أسلحتهم ، وفقدوا توازنهم ، وبقوا في حيرتهم مدهوشين حيارى ، وكأنهم أصبحوا لا معنى لهم بعد مقتل النبي ـ صلعم ـ لذلك عندما وجدهم أنس بن النضر على هذه الحالة السيئة نفخ فيهم الروح المعنوية بكلمات بقيت وستبقى نبراسا لكل مسلم يحل به ما حل بهؤلاء في غزوة أحد ، وسيبقى أنس بن النضر أنموذجا حيا لكل مسلم لا تزعزعه الشائعات ، ولا تحطمه الخطوب ، مهما كانت درجته ، بل يعطيه كل هذا دفعا قويا وجديدا حتى ينال الشهادة من أجل عقيدته ..!!

لقد قال "أنس بن النضر" للذين وقفوا حيارى :« ما يجلسكم؟ قالوا قُتل رسول اللّه ـ صلعم ـ قال : فماذا تصنعون بالحياة بعده ؟ قوموا فموتوا على ما مات عليه رسول اللّه ـ صلعم ـ ثم استقبل القوم حتى قُتل ، ووجدوا به سبعين ضربة »[2] .

هذه الشائعة من قبل المشركين وترويجها داخل معركة القتال أثرت تأثيرا نفسيا ، وضربت المسلمين في العمق مما جعل بعضهم يفقدون وعيهم ، وفقدوا التوازن ، وتحطمت معنوياتهم تحطيما كاد يهلكهم ، لولا رحمة اللّه بهم الذي جعل هذه الشائعة امتحانا ودرسا ، وفي الوقت نفسه سببا جعل المشركين يخففون من هجومهم لأنهم اعتقدوا أن مهمتهم قد انتهت بموت محمد ، وأنه لا مكان لدين جديد من اليوم في الجزيرة العربية ؛ هذا السبب كان فرصة للجند المسلم بقيادة رسول اللّه ـ صلعم ـ بتخطيط تكتيكي عاجل جعلهم ينجون مما حل بهم جزاء ارتكاب خطإ ارتكب في القاعدة الدفاعية الخلفية .

7. عملية الانسحاب من ميدان القتال :

كان لإثارة شائعة مقتل النبي ـ صلعم ـ وقع على المسلمين كبير ، لكنها في الوقت نفسه كانت فرصة ثمينة لهم للانسحاب من ميدان القتال ، والتمركز ضمن تخطيط

(1) ـ أبو بكر جابر الجزائري : هذا الحبيب محمد رسول اللّه ـ صلعم ـ (مرجع سابق) ص265.

(2) ـ د.محمد فريد محمود عزت : بحوث في الإعلام الإسلامي .(مرجع سابق) ص151.

وانظر : ـ ابن هشام : السيرة النبوية ج3.(مصدر سابق) ص88.

ـ شوقي أبو خليل : عوامل النصر والهزيمة .(مرجع سابق) ص131.

تكتيكي سريع قام به النبي ـ صلعم ـ ، فبعدما اغتيل مصعب بن عمير ، وأشيع أن النبي قُتل خفّ زحف المشركين لاعتقادهم أن المسلمين قُضي عليهم بالقضاء على نبيهم ، وبالضربات التي تلقوها في الميدان ، هذه الفرصة جعلت النبي ـ صلعم ـ ينسحب في وسط الذين أبلوا بلاء قويا في القتال نحو الجبل قصد حماية نفسه وجنده من الخلف ، وحتى يكونوا في وضع يسمح لهم بمواجهة العدو والدفاع عن أنفسهم . وفي طريق الصعود رأى كعب بن مالك الرسول ـ صلعم ـ وعرف أنه حي لم يمت ، وأن خبر مقتله ما هو إلا شائعة أزيد بها تحطيم معنويات المسلمين ؛ لذلك بدأ ينادي بأعلى صوته :« يا معشر المسلمين أبشروا هذا رسول اللّه لم يُقتل ، والرسول ـ صلعم ـ ينادي : « إلي عباد اللّه !! إلي عباد اللّه!! » »[1] .

واسترجع المسلمون الأنفاس ، وعادت الآمال ، وتحركت روح الجهاد والاستشهاد من جديد ، وبدأت الفلول المتفرقة تقاوم وتتجه نحو القائد رسول اللّه ـ صلعم ـ ، وتجمع الجمع حول رسول اللّه ، ثم أمرهم عليه الصلاة والسلام بالانسحاب نحو شعب أحد ليحتلوا ظهر الجبل ويصبحوا في موقع دفاعي استراتيجي ، وتوجهوا نحو الجبل في تنظيم تكتيكي مبني على المقاومة والاقتتال والدفاع عن رسولهم حتى لا يصيبه أي أذى من نبال المشركين وهجومهم الجديد بعدما سمعوا بأن محمدا لم يزل على قيد الحياة ، حتى أن أحد أقطاب المشركين أسرع نحو الجمع الذي يحمي الرسول صائحا :« أين محمد؟ لا نجوت إن نجا .. » واندفع يريد قتل النبي ـ صلعم ـ فتناول عليه الصلاة والسلام حربة الحارث بن الصمة وطعنه بها فسقط كالثور الهائج يخور في دمه .. وسحبه بنو قومه ليهلك في طريق العودة ...

استطاع المسلمون بفضل اللّه ، ثم ببسالتهم النادرة أن يتخلصوا من تطويق الأعداء وهيمنتهم ، ووصلوا أخيرا إلى هضبة مرتفعة من جبل أحد جعلتهم في موقع استراتيجي دفاعي هام ، حيث ردوا هجوم المشركين الذي أرادوا به متابعتهم ومطاردتهم ، وخاصة "خالد بن الوليد" الذي اقترب منهم بفرسانه . يقول ابن هشام : « فبينما رسول اللّه ـ صلعم ـ بالشعب ، معه أولئك النفر من أصحابه ، إذ علت عالية من قريش الجبل .. كان على تلك الخيل خالد بن الوليد .. فقال رسول اللّه ـ صلعم ـ اللّهم لا ينبغي لهم أن يعلونا ! فقاتل عمر بن الخطاب ورهط معه من المهاجرين حتى أهبطوهم من الجبل »[2] .

وهكذا نجّى اللّه نبيه وصان رسالته ، وأحبط محاولات الكفرة بالقضاء على جذور الإسلام ـ في زعمهم ـ فعادت الأمور إلى ما كانت عليه من قبل ، حيث تجمع الجند المسلم تحت قيادة نبيهم من جديد ـ بعدما أشيع أنه قُتل ـ وتنفسوا الصعداء بعد أن امتحنوا امتحانا عسيرا في هذه الغزوة ؛ وجاءت رحمة اللّه لهم ، حيث اطمأنوا وسكنت نفوسهم ، وأخذهم النعاس أمنة لهم ، وذهب الخوف والهلع من داخلهم حتى يستعدوا من جديد لمواصلة الجهاد الذي لا يتوقف ، وفي هذا يقول اللّه تعالى :

---

(1) ـ ابو بكر جابر الجزائري : هذا الحبيب محمد رسول اللّه ـ صلعم ـ (مرجع سابق) ص266.

* ـ هو أبي بن خلف .

(2) ـ ابن هشام : السيرة النبوية ج3.(مصدر سابق) ص91.

« ...فأثابكم غما بغم لكيلا تحزنوا على ما فاتكم ولا ما أصابكم والله خبير بما تعملون * ثم أنزل عليكم من بعد الغم أمنة نعاسا يغشى طائفة منكم ... »[1] .

8. بعد توقيف القتال:

لقد أصبح المسلمون بعد جهاد مستميت بعيدين عن منطقة الخطر لركوبهم الجبل وتجمعهم تحت لواء قائدهم ـ رسول الله ـ بعدما كانوا متفرقين بسبب مباغتتهم وتطويقهم من قبل المشركين . أصبح المسلمون في منأى من العدو ، مما جعلهم يراجعون أنفسهم ، ويقومون ببعض التكتيكات التي تفرزها المعارك القتالية ، لأنها جزء لا يتجزأ من الاستراتيجية العامة ، ومن بين هذه التكتيكات ما يلي:

أ ـ معالجة الجرحى : لقد كان جرحى المسلمين في غزوة أحد كثيرين وعلى رأسهم القائد العام للقوات ـ رسول الله صلعم ـ وقد كان للمرأة في هذه الغزوة دور عظيم بسقيها الجند ، ومداواتها جرحى المسلمين ، قال أنس :« لقد رأيت عائشة بنت أبي بكروأم سليم ، وأنهما لمشمرتان ـ أرى خدم سوقهما ـ تنقزان القرب على متونهما تفرغانه في أفواه القوم ، ثم ترجعان فتملآنهما ، ثم تجيئان فتفرغانه في أفواه القوم »[2].

وخير أنموذج لصور العلاج في غزوة أحد معالجة رسول الله ـ صلعم ـ من قبل ابنته فاطمة ، وزوجها علي ـ كرم الله وجهه ـ كما جاء في البخاري :« عن أبي حازم أنه سمع سهل بن سعد وهو يسأل عن جرح رسول الله ـ صلعم ـ فقال أما والله إني لأعرف من كان يغسل جرح رسول الله ـ صلعم ـ ، ومن كان يسكب الماء وبما دووِي قال كانت فاطمة عليها السلام بنت رسول الله ـ صلعم ـ تغسله وعلي بن أبي طالب يسكب الماء بالمِجَنِّ فلما رأت فاطمة أن الماء لا يزيد الدم إلا كثرة أخذت قطعة من حصير فأحرقتها وألصقتها فاستمسك الدم وكسرت رباعيته يومئذ وجرح وجهُه وكسرت البيضة على رأسه »[3].

ب ـ الحرب النفسية الكلامية :لما أراد المشركون الانصراف والعودة إلى مكة حاولوا أن يشفوا غليلهم بشتم المسلمين والتشفي فيهم ، حيث قصد زعيمهم أبو سفيان معسكر المسلمين ، وبدأ ينادي بأعلى صوته حتى يسمعه الجميع ويتأثر بما يسمع ـ في زعمه ـ فينتج عن ذلك تأثير يكسر خواطرهم ، ويحطم معنوياتهم ، ويجعلهم لا ينسون هذا اليوم ، ولا يفكرون إطلاقا في مواجهة القرشيين لأنهم أهل ثأر وأهل انتقام ؛ لكن الله خيب آمال أبي سفيان ، وقومه ، ورفع معنويات المسلمين وثبتهم على الحق وجعلهم مستعدين للقتال أكثر من ذي قبل ، ومما زادهم إيمانا وقوة وثباتا هذه الكلمات التي كانوا يردون بها على أبي سفيان لأنها من تلقين الرسول ـ صلعم ـ لهم ، وهذا الحوار النفسي جرى كالآتي :

أبو سفيان مناديا : أفيكم محمد ؟ فلم يجيبوه .فقال : أفيكم ابن أبي قحافة؟ فلم يجيبوه .فقال :أفيكم عمر بن الخطاب؟ فلم يجيبوه ـ لأن النبي صلعم منعهم من

---

(1) ـ سورة آل عمران : الآيتان ١٥٣ ، ١٥٤ .

(2) ـ صفي الرحمن المباركفوري : الرحيق المختوم .(مرجع سابق) ص325.

(3) ـ البخاري: صحيح البخاري مج3/ج5.(مصدر سابق) ص38.

الإجابة ؛ ويظهر أن النبي ـ صلعم ـ منعهم حتى يطمئن أبو سفيان بأن هؤلاء قد قتلوا لاعتقادهم بأنهم هم الإسلام ، فإذا ما عرفوا فيما بعد بأنهم أحياء يرزقون فيتأثرون نفسيا ويتحطمون معنويا وهذا ماتم فعلا ـ فقال : أما هؤلاء فقد كفيتموهم ، فلم يملك عمر نفسه ورد عليه ردا عنيفا بقوله : يا عدو الله إن الذين ذكرتهم أحياء ، وقد أبقى الله ما يسوءك ، وإن محمدا يسمع كلامك الآن .. ثم قال أبو سفيان معتزا بربه الأكبر : أعل هبل !! . فقال عليه الصلاة والسلام : ألا تجيبونه فقالوا : بماذا نجيبه ؟! قال عليه الصلاة والسلام : قولوا : الله أعلى وأجل .فقال أبو سفيان : لنا العزى ولا عزى لكم !! فقال رسول الله ـ صلعم ـ : ألا تجيبونه ؟! فقالوا : وبماذا نجيبه ؟! فقال : قولوا : الله مولانا ولا مولى لكم .ثم قال أبو سفيان :أنعمت فعال ، يوم بيوم بدر والحرب سجال .فأجابه عمر : لا سواء ، قتلانا في الجنة ، وقتلاكم في النار ـ هذه المقولة لها تأثير نفسي إيجابا وسلبا ، فهي تجعل المسلمين على حالة نفسية مطمئنة ومرتاحة مما يساعد على رفع المعنويات والاستعداد للقتال في كل وقت وفي أي مكان ما دام أن جزاء قتلى المسلمين هي الجنة ، وأن الجنة من أجلها يعيش المسلم ، ومن أجلها يموت ، بينما في الوقت نفسه هي سلبا على نفسية المشركين ما دام مصير قتلاهم جهنم وبئس المصير ـ لهذا قال أبو سفيان ردا على عمر : إنكم لتزعمون ذلك ، لقد خبنا إذن وخسرنا ، وأراد أبو سفيان من جهته أن يثير شعور المسلمين ، وأن يجعلهم يتألمون داخليا فقال : أما إنكم ستجدون في قتلاكم مُثْلا والله ما رضيت ولا سخطت ، ولا نهيت ولا أمرت ..

وعندما أراد أبو سفيان الانصراف بمن معه قال مزهوا ومعجبا : إن موعدكم بدر العام المقبل ..لكن الرسول ـ صلعم ـ لم يترك هذا القول يمر بدون إجابة حتى لا يُفتح باب للإشاعات والتضليلات الدعائية ، فقال ـ صلعم ـ لرجل من أصحابه : قل نعم ! هو بيننا وبينك موعد [1]..

إذن بهذا الحوار الذي دار بين أبي سفيان والمسلمين ، وعلى رأسهم عمر ـ رضي الله عنه ـ وبتلقين من الرسول ـ صلعم ـ يتبين لنا أن الحرب الدائرة في غزوة أحد لم تكن عسكرية فقط ، بل كانت حربا نفسية إعلامية استعملت فيها الكلمات التحطيمية ، والتحريضية ، زيادة عن الأشعار التي قيلت من قبل شعراء

---

* ـ أنعمت . فعال:كلمة يقولها الرجل في الجاهلية إذا أراد أن يفتخر بعمله .

* ـ قصة التمثيل بالمسلمين في غزوة أحد مشهورة ومتواترة ، وعلى رأس التمثيل بالموتى ما قامت به هند بنت عتبة لجثة حمزة بن عبد المطلب .

(1) ـ انظر المراجع التالية :

ـ ابن هشام : السيرة النبوية ج3.(مصدر سابق) ص99

ـ د.عماد الدين خليل : دراسة في السيرة .(مرجع سابق) ص197.

ـ أحمد محمد عساف : خلاصة الأثر في سيرة سيد البشر .(مرجع سابق) ص1072 ، 173.

ـ صفي الرحمن المباركفوري : الرحيق المختوم .(مرجع سابق) ص326 ، 327.

ـ أبو بكر جابر الجزائري : هذا الحبيب محمد ـصلعم ـ(مرجع سابق) ص226 ، 227 .

ـ محمود شيت خطاب : الرسول القائد .(مرجع سابق) ص183 ، 184 .

ـ شوقي أبو خليل : عوامل النصر والهزيمة عبر تاريخنا الإسلامي .(مرجع سابق) ص32.

المتخاصمين .. مما كان له الأثر البالغ في النفوس قصد تحطيمها أو تقويتها ، حيث رأينا من الناحية النفسية أن المسلمين - رغم انكسارهم بسبب خطأ وقع في الخطة التكتيكية القتالية - كانوا صابرين ثابتين راضين بما أصابهم معتقدين وجازمين أن النصر سيكون لهم ، ولذا لم يغادروا منطقة القتال إلا بعد أن غادرها المشركون الذين استغلوا فرصة خطأ الرماة وباغتوا الجند المسلم الذي كان متفرقا لجمع الغنائم ... وهذا ما جعلهم - بعد التفاف المسلمين حول قائدهم والتمركز من جديد لاستعادة ما فاتهم - ينصرفون عائدين إلى ديارهم خوفا وتحسبا لكل طارئ وكل جديد قد يباغتهم من قبل المسلمين ..

جـ - رصد تحرك قوات المشركين : بعد إنهاء المعركة القتالية غادر المشركون ميدان القتال ، فأراد النبي - صلعم - أن يعرف اتجاه القوم وتحركاتهم ونواياهم ، فبعث بعلي - كرم الله وجهه - لرصد تحرك قوات المشركين ، وقال له :« اخرج في آثار القوم فانظر ماذا يصنعون ؟ وما يريدون ؟ فإن كانوا قد جنبوا الخيل ، وامتطوا الإبل فإنهم يريدون مكة ، وإن ركبوا الخيل وساقوا الإبل ، فإنهم يريدون المدينة ، والذي نفسي بيده لئن أرادوها لأسيرن إليهم فيها ، ثم لأناجزنهم »[1] .

ذهب علي بعد إعطاء الأمر من رسول الله - صلعم - ليترصد معسكر المشركين فتابعهم وعرف تحركاتهم ونواياهم،وجاء بتقرير مفصل إلى النبي - صلعم - يقول فيه :« فخرجت في آثارهم أنظر ماذا يصنعون ؛ فجنبوا الخيل ، وامتطوا الإبل ووجُهوا إلى مكة »[2] .

د - تفقد ميدان القتال ودفن الشهداء : بعد مغادرة الجند المشرك ميدان القتال نزل المسلمون إلى ميدان القتال لتفقد شهدائهم ومعرفتهم ، وجمعهم ليدفنوا ، وفي هذا يقول زيد بن ثابت :« بعثني رسول الله - صلعم - يوم أحد أطلب سعد بن الربيع فقال لي : إن رأيته فأقرئه مني السلام ، وقل له : يقول لك رسول الله - صلعم - : كيف تجدك ؟ قال : فجعلت أطوف بين القتلى ، فأتيته وهو بآخر رمق ، وفيه سبعون ضربة : ما بين طعنة برمح ، وضربة بسيف ، ورمية بسهم ، فقلت : يا سعد إن رسول الله - صلعم - يقرأ عليك السلام ، ويقول لك أخبرني كيف تجدك؟ فقال : وعلى رسول الله - صلعم - السلام ، قل له يا رسول الله أجد ريح الجنة ، وقل لقومي الأنصار: لا عذر لكم عند الله إن خلص إلى رسول الله - صلعم - وفيكم عين تطرف وفاضت نفسه من وقته .»[3] .

ومن الذين كانوا ضمن قتلى المسلمين "حمزة بن عبد المطلب " الذي وجد ببطن الوادي وقد بقرت بطنه ، وفصل كبده ، وقد مثل به أشنع تمثيل ، لذلك لما رأى رسول الله - صلعم - عمه حمزة على هذه الحالة استاء استياء كبيرا ، وتأثر تأثرا

---

(1) - **آبن هشام** : السيرة النبوية ج3.(مصدر سابق) ص100.

وانظر : - **صفي الرحمن المباركفوري** : الرحيق المختوم .(مرجع سابق) ص328.

- **أبو بكر جابر الجزائري**: هذا الحبيب محمد - صلعم - (مرجع سابق) ص267

(2) - **ابن هشام** : (المصدر السابق) ص100.

(3) - **ابن القيم الجوزي** : زاد المعاد مج1/ج2.(مصدر سابق) ص96.

بليغا حتى بكى بكاء لم يَر مثله قط . يقول ابن مسعود :« ما رأينا رسول الله ـ صلعم ـ باكيا قط أشد من بكائه على حمزة بن عبد المطلب ، وضعه في القبلة ، ثم وقف على جنازته وانتحب حتى نشع من البكاء ، والنشع : الشهيق »[1] .

وهذا التمثيل جعل رسول الله ـ صلعم ـ يقول :« .. ولئن أظهرني الله تعالى على قريش لأمثلن بثلاثين رجلا » وقال المسلمون لنمثلن بهم . فأنزل الله تعالى :« ﴿ وإنْ عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين ﴾ »[2] .

ثم أمر رسول الله ـ صلعم ـ بأن يدفن الشهداء حيث صرعوا ، وأن يدفن الإثنان والثلاثة في القبر الواحد ، مع تقدم أكثرهم قرآنا نحو القبلة ، وقد كان هؤلاء الشهداء من خيرة المسلمين قدموا أنفسهم فداء لعقيدتهم . وعندما أنهى ـ صلعم ـ عملية دفن الشهداء ، توجه لأصحابه طالبا منهم تسوية صفوفهم ؛ قصد الثناء والحمد لله رب العالمين .!!

هـ ـ عودة الجند المسلم إلى المدينة: بعد انتهاء الرسول ـ صلعم ـ من دفن الشهداء ثم ثنائه على الله والتضرع إليه ، والصبر له وحده ، أمر الجند بالرجوع حالا إلى المدينة ، وقد كان هذا في يوم المعركة نفسها ، حيث دخلوا المدينة عشية يوم السبت السابع شوال من السنة الثالثة للهجرة ، وفي الطريق خرجت النسوة يسألن عن أهلهن وقد أظهرن حبا وتفانيا صادقا لعقيدتهن ، من خلال كلامهن وصبرهن ، ومن صور هذه العقيدة الصادقة أنموذج "حمنة بنت جحش" التي لقيت الرسول ـ صلعم ـ حيث « نُعي إليها أخوها عبد الله بن جحش ، فاسترجعت واستغفرت له ، ثم نعي لها خالها حمزة بن عبد المطلب ، فاسترجعت واستغفرت له ، ثم نعي لها زوجها مصعب بن عمير فصاحت وولولت ! فقال رسول الله ـ صلعم ـ : إن زوج المرأة منها لبمكان ! لما رأى من تثبتها عند أخيها وخالها ، وصياحها على زوجها »[3] .

وكان حال المدينة في هذا اليوم أسوأ حال لأن الكثير فقدن أهلهن وأقاربهن ، فلولا رحمة الله بالمسلمين وإفراغ صبره عليهم لكان الحزن عميقا ، ثم وجود رسول الله ـ صلعم ـ بينهم خفف الألم ، وأعطى الأمل ، وجعل كل مصيبة بعده صغيرة كما قالت المرأة الدينارية التي استشهد زوجها وأبوها وأخوها فلما علمت قالت :« فما فعل رسول الله ـ صلعم ـ ؟ قالوا خيرا يا أم فلان ، هو بحمد الله كما تحبين ؛ قالت : أرونيه حتى أنظر إليه ؟ قال : فأشير لها إليه ، حتى إذا رأته قالت : كل مصيبة بعدك جلل ! »[4] .

و ـ حالة الطوارئ تعلن من جديد : رغم الجراح النفسية والجسدية ، ورغم التعب الذي أصاب المسلمين أثناء القتال وبعده ، فإنهم باتوا تلك الليلة في حالة طوارئ قصوى تحسبا لأي هجوم ومن أي جبهة كانت وخاصة وهم في هذه الحالة فإن الأطماع

(1) ـ **صفي الرحمن المباركفوري** : الرحيق المختوم .(مرجع سابق) ص330.

(2) ـ **ابو بكر جابر الجزائري** : هذا الحبيب محمد ـ صلعم ـ مرجع سابق) ص267،268.

[سورة النحل : الآية ١٢٦].

(3) ـ **ابن هشام** : السيرة النبوية ج3.(مصدر سابق) ص104.

(4) ـ **ابن هشام** : (المصدر السابق) ص105.

قد تكثر من قبل الأعداء،لكل هذا باتوا يحرسون المدينة من جميع جهاتها ،ويحرسون نبيهم وقائدهم الذي بات هو كذلك يفكر ويخطط حتى يزيل آثار ما حل بالمسلمين ...

ز - الخروج من جديد لمطاردة المشركين : في اليوم الموالي لغزوة أحد أذن مؤذن رسول اللّه - صلعم - داعيا المسلمين إلى الجهاد ، وذلك بمطاردة جيش العدو ، واستعد الجند للقتال ، وكان من شروط هذه المطاردة أن أمر رسول اللّه - صلعم - بقوله :« لا يخرج معنا إلا من شهد القتال يوم أمس » . وحاول ابن أبي أن يركب مع الركب ،فمنع من ذلك . ولكن رسول اللّه - صلعم - أذن لجابر بن عبد اللّه بعدما تبين أن عذره عن غزوة أحد كان شرعيا ، وكان كلامه صادقا .

سار رسول اللّه - صلعم - بالجند حتى وصل إلى موضع يقال له (حمراء الأسد*) فعسكر هناك ، ووصلت الأخبار تقول بأن قريشا تريد السير إليه ،فاستعد المسلمون ، ولم تضعف معنوياتهم ، وقرروا لقاء قريش ، وانتظروا مدة ثلاثة أيام ،إلى أن وصلتهم تقارير عن جيش المشركين تؤكد بأنه رجع إلى مكة .. فعاد الجند المسلم معززا وقد استرجع هيبته بهذه المناورة العسكرية الجريئة قصد إشعار العدو بأن معركة أحد لم تؤثر في قوة المسلمين ...

ب - المشركون :

أولا : قبل المعركة :

1 - الجو العام : بعد معركة بدر أصبح الجو العام في مكة كئيبا حزينا خاليا من كل أنواع اللهو والمسرات ، جراء ما حدث لقريش ، وما أصابها من قتل لصناديدها وأشرافها ؛ مما جعل النفوس تحمل الهم والغم ، وتشتعل حقدا وغيظا طالبة بأعلى صوتها الانتقام وأخذ الثأر ، وقد كان على رأس دعاة الثأر عبد اللّه بن أبي ربيعة وعكرمة بن أبي جهل ، وصفوان بن أمية .. حيث ذهب هؤلاء إلى أبي سفيان الذي كان كله حماسا واشتعالا للتأثر والانتقام ، وهو الذي أقسم على أن لا يمس رأسه ماء حتى ينتقم من محمد - وقد عرفنا من قبل كيف بر يمينه - . وبعد مشاورة بين كبراء قريش قرروا الحرب على محمد ورسالته على جميع الأصعدة ، وبدأوا يستعدون للخروج إلى مقاتلة المسلمين على الصعيدين المدني والعسكري . فعلى الصعيد المدني كان الجو النفسي ملائما لتأليب الرأي العام ، وتحريضه وجعله يقبل الحرب ويستعد لها نفسيا وماديا - مهما كانت النتائج - . أما على الصعيد العسكري فقد تم الاتفاق على رصد أموال القافلة التجارية التي كانت سببا في معركة بدر ،واستطاعوا بدهائهم أن يقنعوا كل الذين كانت لهم أموال في القافلة قصد جعل ربحها في شراء ما يحتاجه الجند من أسلحة وعتاد وعدة ، وخاطبوهم بقولهم : « يا معشر قريش ، إن محمدا قد وتركم وقتل خياركم ، فأعينونا بهذا المال على حربه لعلنا أن ندرك منه ثأرا ، فأجابوا لذلك ، فباعوها ، وكانت ألف بعير ، والمال خمسين ألف دينار ، وفي ذلك أنزل اللّه تعالى :

---

* - حمراء الأسد : موقع يبعد عن المدينة بحوالي ثمانية أميال ، وهو يوجد في طريق مكة .

« * إن الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون ... »[1].

وبدأوا في عملية التجنيد الإجباري والتطوعي ، زيادة عن الحملة الإعلامية المسعورة من قبل زعمائهم وشعرائهم ونسائهم ، والتي كان لها وقع كبير على النفوس وملأها حقدا وثأرا ، وزادت هذه الحملة إذكاء لنار الثأر والانتقام بعد الخسارة الفادحة التي تلقتها قريش في اقتصادها من طرف سرية زيد بن حارثة ؛لهذه الأسباب مجتمعة أسرعت قريش في التحضير والاستعداد للثأر واسترجاع هيبتها وكرامتها ، واستطاعت قريش في وقت يسير أن تجمع ثلاثة آلاف من المقاتلين - مشركون وحلفاء وأحابيش* - مع آلياتهم العسكرية المختلفة ، ثلاثة آلاف بعير ومائتا فرس ، وسبعمائة درع .. بالإضافة إلى العدة التي يحتاجها الجند . وحتى تكون المعركة حامية وحارة والمعنويات مرتفعة صحب قادة قريش نساؤهم* للقيام بدور التحريض والتشجيع ، مما يجعلهم يقدمون أنفسهم مهما كان الثمن حتى لا تؤذى أعراضهم وحرماتهم ؛ خاصة إذا علمنا أن العرض في الجاهلية كان مقدسا ومصانا ؛وهو عامل أساسي في رفع المعنويات والاستماتة في القتال وهذا ما تم بالفعل أثناء القتال .

2.جيش الشرك يتحرك للأخذ بالثار: في شهر شوال من السنة الثالثة للهجرة ؛ تحرك جند المشركين في حشد عام يتكون من أعداء محمد ورسالته ، متجها نحو مدينة الرسول - صلعم - قصد الثأر والانتقام ، والقضاء على الدين الجديد ، وصاحبه ، كي تسترجع قريش هيبتها ومكانتها ، وحرية اقتصادها ، وفي الوقت نفسه تؤمن أمنها داخليا وخارجيا مما ينتج عنه الاستقرار العام على جميع الأصعدة . كانت هذه هي نظرة قريش وزعمائها الذين فقدوا هيبتهم ومكانتهم بين العرب ، وأصبحوا مهددين - داخليا وخارجيا - وخاصة بعد معركة بدر ...تحرك الجند المشرك وكله عزم وإرادة للأخذ بالثأر والانتقام مهما كلفه ذلك من ثمن وقد كان هذا التحرك وفق الاستراتيجية التكتيكية التالية :

أ - القيادة العامة : كانت القيادة العامة للجند المشرك تحت تصرف "أبي سفيان بن حرب" ، وكان مركزه وسط الجيش .

ب - قيادة الفرسان : كانت هذه القيادة يشرف عليها "خالد بن الوليد" لما له من خبرة ودراية في هذا الميدان ، وكان موقعه ميمنة الجيش .

جـ - نيابة قائد الفرسان: يشرف عليها "عكرمة بن أبي جهل" الذي كان موقعه ميسرة الجيش .

د - قيادة الرماة: وكانت هذه القيادة تحت إشراف عبد الله بن أبي ربيعة .

هـ - قيادة المشاة : كانت تحت إشراف "صفوان بن أمية" .

---

(1) - **صفي الرحمن المباركفوري** : الرحيق المختوم .(مرجع سابق) ص290.
[سورة **الأنفال** : الآية ٣٦] .

* - **الأحابيش** : هم من الأعراب ، سموا بهذا الاسم لجوارهم مكان يقال له "الأحبش"

* - كان عدد النسوة خمس عشرة امرأة على رأسهن "هند بنت عتبة " زوج أبي سفيان ؛ والتي كان لها الدور الرئيسي في التحريض .

و ـ **اللواء** : كان في كتيبة من بني عبد الدار ، لأنه منصب وراثي ؛ ورثوه جدا عن جد ، لذلك أراد القائد العام "أبو سفيان" أن يثير حميتهم ، ويذكرهم بهذه الأمانة التي بدأوا يفرطون فيها وهذا ما حدث في غزوة بدر ، ومما جاء في قوله : « يا بني عبد الدار ، قد وليتم لواءنا يوم بدر فأصابنا ما قد رأيتم ، وإنما يؤتى الناس من قبل راياتهم ، إذا زالت زالوا ، فإما أن تكفونا لواءنا ، وإما أن تخلوا بيننا وبينه فنكفيكموه »[1] . وقد نجح أبو سفيان في تأليبه بني عبد الدار حيث غضبوا غضبا شديدا وقالوا له :« نحن نسلم إليك لواءنا ؟ ستعلم غدا إذا التقينا كيف نصنع »[2] .وفعلا فقد ثبتوا عند البأس ، حتى أبيدوا جميعا ؛ وقد كان أولهم طلحة بن أبي طلحة .

ز ـ **التنظيم** : كان التنظيم هذه المرة تنظيما دقيقا عكس المرة الأولى واستعملوا فيه أسلوب الصف ، كما كان تحت قيادة واحدة لها من الحنكة والخبرة ما يجعلها أهلا لهذه القيادة .

ح ـ **التحريض** : أعطي دور التحريض والتشجيع ـ لما له من مكانة في القتال في رفع المعنويات ـ للنساء وعلى رأسهن "هند بنت عتبة" زوج أبي سفيان التي تتجول بهن داخل الصفوف ، مدغدغين عواطف الجند ، مثيرين حماسهم بالضرب على الدف ، وبأناشيد الحماسة والإغراء حيث كانت هند تنشد فتقول :

ويها بني عبد الدار ويها حماة الأدبار
ضربا بكل بتار
إلى أن تقول : إن تقبلوا نعانق ونفرش النمارق
أو تدبروا نفارق فراق غير وامق[3]

وهذا التحريض كان له فعلا أثر بالغ في رفع معنويات الجند المشرك لتأثره بأناشيد النسوة الحماسية والتأثيرية ، وإغراءاتهن النفسية والمادية . إذن وفق هذه الخطة التكتيكية سار الجند المشرك على الطريق الغربي لمكة ، وعند مروره بقبر أمنة أم الرسول ـ صلعم ـ ثار حقد "هند بنت عتبة" ، وطلبت نبش قبر آمنة حتى يسمع محمد فيؤذى بذلك نفسيا . لما لهذا العمل الشنيع من تأثير على النفس .. ! ـ إنها الحرب النفسية القذرة حتى من قبل نساء مكة !! ـ لكن الله سبحانه وتعالى حفظ قبر أمنة .. حيث رفض طلبها من قبل قادة قريش خوفا من عواقبه وتأثيره على الرأي العام الداخلي والخارجي . وواصل جيش المشركين طريقه إلى أن اقترب من المدينة :« فسلك وادي العقيق ، ثم انحرف منه إلى ذات اليمين ، حتى نزل قريبا بجبل أحد في مكان يقال له "عينين" في بطن السبخة ، من قناة على شفير الوادي ـ الذي يقع شمالي المدينة ـ فعسكرهناك يوم الجمعةالسادس من شوال سنةثلاث من الهجرة »[4] .

3 ـ محاولة قريش بث الفرقة داخل الصف المسلم : من طبيعة الكفر أنه دائما يسعى لبث الفرقة والنزاع قصد تفتيت الصف ، وتحطيم معنوياته ، وهذا ما فعلته قريش قبل

(1) ـ صفي الرحمن المباركفوري : الرحيق المختوم .(مرجع سابق) ص301.
(2) ـ صفي الرحمن المباركفوري : (المرجع السابق) ص301.
(3) ـ صفي الرحمن المباركفوري : الرحيق المختوم .(مرجع سابق) ص302،303.
(4) ـ صفي الرحمن المباركفوري : (المرجع السابق) ص293.

نشوب القتال ، حيث أرسل قائد قواتها "أبو سفيان" يطلب من الأنصار بأن يُخَلُّوا بينهم وبين بني قومهم (أي المهاجرون) حيث قال :« خلوا بيننا وبين ابن عمنا فننصرف عنكم فلا حاجة لنا إلى قتالكم »[1] .

لكن هذه المناورة اللئيمة لم تجد آذانا ، لأنها نتنة ، والمسلمون تركوا وتخلوا عن مثل هذه الترهات العنصرية والعصبية ، ولذلك كان جوابهم لأبي سفيان عنيفا ، وأسمعوه كلاما يجعله لا يفكرمستقبلا إطلاقا في هذه الأساليب مع المسلمين.

ثانيا ، الإستراتيجية التكتيكية القتالية ،

عرفنا فيما سبق أن قريشا نظمت نفسها تنظيما جيدا ، حيث جعلت قائدا عاما يشرف على الجند كله ، ثم جعلت قوادا أخرين موزعين على الجيش بحسب التخصصات العسكرية ؛ فكانت التكتيكات القتالية وفق الاستراتيجية التالية :

1. **تنظيم الجند:** وفق أسلوب الصف .

2. **تقسيم الجند:** إلى ميمنة وميسرة ووسط .

3. **بدأالهجوم:** من قبل كتيبة أبي عامر بمساعدة عكرمة التي فشلت في هجومها .

4. **حامل لواء الجيش:** يطلب المبارزة ، ويسقط صريعا .

5. **شن هجوم جماعي:** والتحام الجيشين ، واشتداد القتال ، تحت تشجيع وتحريض النسوة اللواتي جئن مع الجيش لهذا الغرض ، يضربن بالدفوف ، ويحرضن على القتال ، لكنه يفشل هو الآخر .

6. **وحشي يتربص لقتل حمزة:** قال وحشي : قال لي جبير بن مطعم (سيده) :«إن قتلت حمزة عم محمد فأنت عتيق ، قال : فخرجت مع الناس ، وكنت رجلا حبشيا أقذف بالحربة قذف الحبشة قلما أخطئ بها شيئا . فلما التقى الناس فخرجتُ انظر حمزة وأتبصره حتى رأيته كأنه الجمل الأورق ، يهد الناس بسيفه هدا ، ما يقوم له شيء !! فواللّه إني لأتهيأ له أريده وأستتر منه بشجرة أو بحجر ليدنو مني . إذ تقدمني إليه سباع بن عبد العزى ، فلما رآه حمزة قال : هلم إلي يا ابن مقطعة البظور* ؟ قال : فضربه ضربة كأنما اختُطفت رأسه ، فهززت حربتي ، حتى إذا رضيت عنها دفعتها عليه ، فوقعت في ثنته - أحشائه - حتى خرجت من بين رجليه ، وذهب لينوء نحوي فغلب ، وتركته وإياها حتى مات ، ثم أتيته فأخذت حربتي ورجعت إلى المعسكر فقعدت فيه . إذ لم تكن لي بغيره حاجة ، وإنما قتلته لأعتق »[2] .

ورغم مقتل حمزة والخسارة الكبيرة التي لحقت المسلمين من خلال استشهاده ، فإن الاستراتيجية التكتيكية للمشركين قد فشلت أمام ثبات وقوة المسلمين ، قال ابن اسحاق : « ثم أنزل الله نصره على المسلمين وصدقهم وعده فحسوهم* بالسيوف

---

(1) - **صفي الرحمن المباركفوري** : الرحيق المختوم .(مرجع سابق) ص301،302.

* - **مقطعة البظور** : أي أن أمه كانت تختن البنات ، فتقطع البظرة الزائدة في الفرْج .

(2) - **محمد الغزالي** : فقه السيرة .(مرجع سابق) ص273 .

وانظر : - **البخاري** : صحيح البخاري مج1/ج5.(مصدر سابق) ص36.

* - حسوهم : قتلوهم واستأصلوهم .

حتى كشفوهم عن العسكر وكانت الهزيمة لا شك فيها »[1] .

7. خالد يستغل الخطأ ويباغت : استغل خالد بن الوليد خطأ الرماة الذين تركوا مواقعهم وشن هجوما سريعا بالخيالة على من بقي في موقعه من الرماة ، واستطاع بمباغتته أن يستولي على هذا الموقع الاستراتيجي،ليلتحق به في الحين عكرمة بن أبي جهل ثم ينقضوا على المسلمين ويطوقوهم من جميع الجهات . وعن هذا التطور الاستراتيجي للقتال يقول محمد فرج :« كان خالد بن الوليد على خيل المشركين وهو رجل يملك أعصابه عند تفاقم الخطوب وزحف الأحداث ، يرفض الهزيمة ويبغي دائما النصر ، لم يطر عقله شعاعا بالهزيمة التي لحقت بقومه ، ولم يصبه ما أصاب أقرانه من الاضطراب والخوف ، ولكنه ظل كعادته قويا جلدايقظا،يرقب الأحداث وينظرناحية الجبل ويتابع ما يحدث فوقه .. رمى بنظره في مؤخرة الجبل فرأى المسلمين يغادرون مكانهم ولم يبق منهم إلا نفر قليل فحمل بخيله عليهم حتى أبادهم وركب أكتاف المسلمين ، وأوقع الاضطراب والخلل في صفوفهم ، وتبدل الموقف وتغيرت هزيمة المشركين إلى نصر ، وأصيب المسلمون إصابة بالغة ، وانتفخت أوداج قريش فرحا واعتزازا بنصر لم يكن في الحسبان ، ونادوا بشعارهم « يا للعزى .. يا لهبل ..» وأوجعوا من المسلمين قتلا ذريعا ، وأبو سفيان وقد هزه الانتصار الذي جاء على غير انتظار يصيح في الناس "يوم بيوم بدر " »[2] .

8. الهجوم المضاد للمشاة : عرفنا أن المسلمين قد انتصروا على فرقة المشاة وطاردوها خارج ساحة القتال ، وعندما استطاع خالد أن يستغل خطأ الرماة ويباغت الجند المسلم من الخلف ، ويصيح في بني قومه حتى يرجعوا ، في هذا الظرف الصعب للمسلمين الذين فاجأهم هجوم خالد ، وعكرمة من الخلف ، وبدأوا في منازلتهم ، مما خفف الوقع على الجند المشرك الذي استفاق فجأة لهجوم خالد المباغت ، وتلويح - عمرة بنت علقمة الحارثية - التي رفعت لواء قريش المداس تحت الأرجل ، فأسرعت قوة المشاة وتجمعت ، مما جعل القائد العام أبو سفيان يتحكم من جديد في قوة المشاة ، ويهجم بها في هجوم مضاد نحو هجوم الفرسان وبهذا العمل التكتيكي المفاجئ :« وقع المسلمون .. بين نارين ، فخيالة قريش تهاجم من المؤخرة والكتلة الرئيسية من مشاتهم تهاجم من الأمام . واندفع أبو سفيان نفسه في المعركة وقتل مسلما . وأصبح الموقف ميؤوسا منه بالنسبة للمسلمين الذين تشتتوا في مجموعات صغيرة تقاتل كل واحدة منها على هواها لصد هجمات الخيالة والمشاة ازدادت الفوضى ، حتى أن بعض المسلمين بدأوا يقاتلون بعضهم بسبب الغبار . ومع ذلك فإن الذعر لم يدب في الصفوف »[3] .

واستمر هذا الهجوم المضاد يطارد المسلمين الذين تفرقوا هنا وهناك وحدث ما حدث مما عرفناه في تكتيك العمليات القتالية للجيش المسلم .

---

(1) - **ابن هشام** : السيرة النبوية ج3.(مصدر سابق) ص82.

(2) - **محمد فرج** : شخصيات عسكرية إسلامية ، دار الفكر العربي .(بدون تاريخ) ص149.

* - لقد قُتل **أبو حذيفة بن اليمان** بيد المسلمين ولم ينتبهوا لذلك حتى صاح حذيفة: أبي! أبي! فعرفوا أن بعضهم يقتل بعضا .

(3) - **الجنرال .1.أكرم** : سيف الله خالد بن الوليد .(مرجع سابق) ص52.

9 ـ أسلوب التمثيل والتشويه لقتلى المسلمين : بعدما أشيع أن محمدا قد قتل تنفس المشركون الصعداء واعتقدوا أنهم قضوا نهائيا على هذا الدين الجديد ، ولذلك تراجعوا عن هجوماتهم الحاقدة ، وخاصة بعدما تمركز المسلمون في الجبل وجمعوا أنفسهم وردوا الهجمات الأخيرة من قبل خالد وعكرمة ..

تراجع المشركون وبدأوا يستعدون للرحيل والرجوع إلى مكة ، واستغل من كان في قلوبهم حقد وبغض أعمى على المسلمين ـ وخاصة النسوة ـ حيث استعمل أسلوب التمثيل والتشويه لقتلى المسلمين ، فقطعت آذانهم وأنوفهم ، وبقرت بطونهم ، ولم يتوقف الأمر هنا بل تعدى إلى قطع أعضائهم التناسلية .. يا لها من جرائم وحشية يقوم بها الإنسان عندما ينحرف عن طريق خالقه !!

قال ابن إسحاق :« ووقفت هند بنت عتبة ... والنسوة اللاتي معها ،يمثلن بالقتلى من أصحاب رسول الله ـ صلعم ـ يجدعن* الآذان والأنف ، حتى اتخذت هند من آذان الرجال وأنفهم خدما* وقلائد ، وأعطت خدمها وقلائدها وقرطتها وحشيا ـ غلام جبير بن مطعم ـ وبقرت عن كبد حمزة ، فلاكتها فلم تستطع أن تسيغها* ، فلفضتها ، ثم علت على صخرة مشرفة فصرخت بأعلى صوتها :

نحن جزيناكم بيوم بدر والحرب بعد الحرب ذات سُعُر
ما كان عن عتبة لي من صبر ولا أخي وعمه وبكر
شفيتُ نفسي وقضيتُ نذري شفيتَ وحشي غليل صدري
فشكرُ وحشيٌ عليَّ عمري حتى تَرِمَّ أعظمي في قبري »[1] .

وهكذا يتبين لنا من خلال هذا الأسلوب الشنيع، وأبيات هند بعد فعلتها الوحشية مع حمزة ـ سيد الشهداء ـ أن ما فعله المشركون في معركة أحد كان له وقع كبير على المسلمين وخاصة النبي ـ صلعم ـ لولا رحمة الله بهم ، وذلك من خلال أساليب الحرب النفسية البشعة التي استعملها المشركون حتى مع القتلى قصد التأثير والحط من معنويات المسلمين ، وتكسير خواطرهم إلى الأبد ـ في زعمهم ـ وهذا العمل الشنيع هو الذي حرك شعور نبيه عندما رأى عمه على هذه الحالة التشويهية ، فتوعد إن مكنه الله من قريش أن يمثل بثلاثين رجلا منهم ، لكن الله نهاه وحرم التمثيل والتشويه بالموتى مهما كان كفرهم وضلالهم .

10 ـ المشركون يعودون : انتهى القتال وعاد المشركون أدراجهم قاصدين مقر إقامتهم بمكة وفي الطريق نزلوا بمنطقة " الروحاء* " قصد أخذ شيء من الراحة ثم المسير من جديد ، وهنا بدأ الكلام والنقاش حول هذه المعركة التي انتصروا فيها ـ حسب زعمهم ـ ولكنهم تواجهوا التهم من بعضهم البعض لأنهم تركوا المسلمين يعودون ،وقد يستعدون في المستقبل وينتقمون منهم لذلك قال أحدهم :« لم تصنعوا شيئا، أصبتم

---

* ـ يجدعن : يقطعن .

* ـ خدم : جمع خدمة وهي الخلخال .

* ـ تسيغها : تبتلعها .

(1) ـ ابن هشام : السيرة النبوية ج3 .(مصدر سابق) ص96 ، 97.

* ـ الروحاء : منطقة تبعد عن المدينة بحوالي 36 ميلا ، وهي قريبة من "حمراء الأسد" .

شوكتهم وحدهم ، ثم تركتموهم ، وقد بقي منهم رؤوس يجمعون لكم ، فارجعوا حتى نستأصل شأفتهم »[1] .

لكن هذا الرأي لم يقبل من طرف البعض ، وعلى رأسهم أحد زعمائهم "صفوان بن أمية" الذي قال :« يا قوم ، لا تفعلوا فإني أخاف أن يجمع عليكم من تخلف من الخروج - أي من المسلمين في غزوة أحد - فارجعوا والدولة لكم ، فإني لا آمن إن رجعتم أن تكون الدولة عليكم »[2] .

و بعد دراسة هذه الآراء اتفق الجمع المشرك على متابعة المسلمين إلى المدينة لاستئصالهم كما يزعمون . و استعدت قريش تريد المدينة ، و إذا بمعبد بن أبي معبد الخزاعي يقبل فتسأله قريش عن محمّد لمعرفتهم به أنه مشرك ، لكن معبدا هذا قام بدعاية تضليلية بناء على اتفاق بينه و بين محمّد - صلعم - جعلت قريشا تجبن و تنهار معنوياتها و تقرر العودة و بسرعة فائقة إلى مكّة ، و مما جاء في هذا الاتفاق بين محمّد - صلعم - و معبد أن هذا الأخير مر بمحمّد - صلعم - في "حمراء الأسد" أين عسكر الجند المسلم فقال له : « يا محمّد ، أما والله لقد عز علينا ما أصابك ، و لوددنا أن الله عافاك فيهم ، ثم خرج و رسول الله - صلعم - بحمراء الأسد ، حتى لقي أبا سفيان بن حرب و من معه بالرّوحاء ، و قد أجمعوا الرجعة إلى رسول الله - صلعم - و أصحابه و قالوا : أصبنا حد أصحابه و أشرافهم و فاتهم ، ثم نرجع قبل أن نستأصلهم ! لنكرّن على بقيتهم ، فلنفرغن منهم . فلما رأى أبو سفيان معبدا قال : ما وراءك يا معبد ؟ قال : محمّد قد خرج في أصحابه يطلبكم في جمع لم أرَ مثله قطُّ يتحرقون عليكم تحرقا ، قد اجتمع معه من كان تخلف عنه في يومكم ، و ندموا على ما صنعوا ، فيهم من الحنق عليكم شيء لم أر مثله قطُّ ! قال : ويحك ! ما تقول ؟ قال : و الله ما أرى أن ترحل حتى أرى نواصي الخيل ! قال : فو الله لقد أجمعنا الكرّة عليهم لنستأصل بقيتهم ! قال : فإني أنهاك عن ذلك ...»[3] .

هذا التضليل الإعلامي جعل الجند المشرك وعلى رأسه قائده "أبو سفيان" يفزع فزعا كبيرا ، و قرر الرجوع عن الفكرة الأولى.. و لكنه رغم ذلك خاف من أن يلحق بهم جيش محمّد فيفعل بهم أكثر مما فعل في بدر . لذلك بدأ أبو سفيان يفكر في كيفية تجنب لقاء أخر مع محمّد حتى يحافظ على انتصاره ، و لذا عندما مر به ركب من عبد القيس و علم أنهم يريدون المدينة حملهم رسالة إلى محمّد قصد التخويف و التمهيل - في نظره - حتى تعطى له مهلة كافية للرجوع إلى مكّة دون لحاق جيش محمّد به .

و مما جاء في هذه الرسالة الشفوية قوله : « فإذا وافيتموه فأخبروه أنّا قدأجمعنا السير إليه وإلى أصحابه لنستأصل بقيتهم فمرّالركبُ برسول الله - صلعم -

---

(1) - صفي الرحمن المباركفوري : الرحيق المختوم .(مرجع سابق) ص335.

(2) - صفي الرحمن المباركفوري : (المرجع السابق) ص335.

* - يتحرقون : يلتهبون من الغيظ .

* - صنعوا : ضيّعوا .

* - الحنق : شدة الغيظ .

(3) - ابن هشام : السيرة النبوية ج3.(مصدر سابق) ص108،109.

وهوبحمراءالأسد،فأخبروه بالذي قال أبو سفيان؛ فقال:حسبنا اللّه ونعم الوكيل!»[1] .

و فعلا فقد رجع جيش المشركين مسرعا إلى مكّة تجنبا لأي لقاء مع محمّد بينما بقي المسلمون في "حمراء الأسد" ينتظرون مدة ثلاثة أيام ، حتى علموا أنّ الجند المشرك ولّى مدبرا إلى مكّة؛ عادوا أدراجهم إلى المدينة المنورة .

جـ ـ النتيجة العبرة و الدرس :

الدراسة الموضوعية لغزوة أحد تظهر لنا أن نتيجتها كانت لأسباب مباشرة ، و أسباب غير مباشرة ارتكبها المسلمون أنفسهم ، فأصيبوا بما كسبت أيديهم ، وهي في الوقت نفسه امتحان عسير خرجوا منه بدروس و عبر بقيت نبراسا لكل المسلمين و ستبقى كذلك ، إلى أن يرث اللّه الأرض و من عليها .

و هذه الأسباب التي أدت الى النتيجة النهائية لغزوة أحد تنقسم إلى قسمين :

1 ـ اسباب غير مباشرة ؛ هذه الأسباب و إن لم تكن هي الرئيسة في كل ما حدث فإنها لاتقل أهمية من الناحية الاستراتيجية في الميدان العسكري ، و خاصة إذا عرفنا أنها أثرت تأثيرا بليغا على الصعيدين المعنوي و المادي ـ عددا و عدة ـ ، و من بين هذه الأسباب الغير مباشرة :

1 ـ مخالفة رأي الرسول ؛ عرفنا فيما سبق أن الرسول ـ صلعم ـ رأى أن يبقي الجند المسلم داخل أسوار المدينة مع تحصينها لما لهذه الخطة من تكتيك في الاستراتيجية الدفاعية ؛ لأن أصعب حرب على العدو هي حرب المدن . لكن هذا الرأي قوبل بآراء أخرى تعكسه ـ ما دام رأيا و ليس أمرا ـ و كانت هذه الآراء نتيجة عوامل عدة منها :

ـ حماس الذين لم يشاركوا في غزوة بدر و خاصة الشباب منهم .
ـ حب الشهادة في سبيل اللّه بواسطة الجهاد .
ـ عدم الخروج للعدو معناه الجبن و الضعف .

لكن الأغلبية التي خالفت رأي رسول اللّه ـ صلعم ـ راجعت نفسها وعرفت أنها أخطأت لكن بعد فوات الأوان بعدما أصبح الأمر نافذا . لذلك كان لهذا الخطأ تأثير نفسي على معنويات المسلمين الذين قالوا :« أكرهنا رسول الله ـ صلعم ـ على الخروج » . وطلبوا من رسولهم البقاء في المدينة ؛ لكنه عليه الصلاة والسلام أعطاهم درسا بأنه إذا جاء :« و قت العزم و المضي و التوكل على اللّه ...لم يعد هناك مجالا للتردد وإعادة الشورى و التأرجح بين الآراء ... إنما تمضي الأمور لغايتها ويفعل اللّه بعد ذلك ما يشاء ... »[2] .

---

(1) ـ ابن هشام : السيرة النبوية ج3.(مصدر سابق) ص109 ، 110.

(2) ـ جمال ماضي : الغزوات فى ظلال القرآن (غزوة أحد) ، الجزائر: مكتبة رحاب ـ ط2 (1408هـ ـ1988م) ص27.

2.عودة الجند المنافق : إن هذا الموقف من رأس المنافقين في هذا الظرف الصعب يدل دلالة قطعية على أنه ـ بالمفهوم العسكري ـ خسارة عظمى لأي جيش مهما كانت قوته وعدته ، فما بالك إذا كان الجيش ثلث جيش العدو ـ في القلة ـ تم ينسحب منه الثلث في وقت الشدة ، فهذا في مفهوم الحرب على الصعيدين المدني والعسكري معناه الهزيمة المحققة ـ مدنيا و عسكريا ـ ؛ و رغم ذلك يواصل الجيش مسيرته نحو المعركة !! . و كان هذا التخذيل من قبل كتيبة المنافقين نتيجة لأنانيتهم الضيقة والتي من خلالها أنهم وحدهم على الحق حيث قالوا :« لو نعلم أنكم تقاتلون ما أسلمناكم ، و لكننا لا نرى أن يكون قتال »[1] .

هذا التخذيل و التبرير الواهي هو قولهم بأفواههم أما ما تخفي صدورهم فهو الأنانية الذاتية ، و الخوف والجبن ، و انتصارهم لأنفسهم و مصلحتهم ؛ بدل انتصارهم للإسلام ، و تغليب مصلحة الجماعة و رأي الأغلبية ، و لذلك فضحهم القرآن الكريم ، و بين أهدافهم الحقيقية لتكون درسا للمسلمين في كل عصر و مصر يقول تعالى : « * و ليعلم الذين نافقوا و قيل لهم تعالوا قاتلوا في سبيل الله أوادفعوا قالوا لو نعلم قتالا لا تبعناكم هم للكفر يومئذ أقرب منهم للإيمان يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم و الله أعلم بما يكتمون * »[2] .

هذا التخذيل من قبل المنافقين كان من الأسباب التي أدت إلى فقدان توازن الجيش المسلم سواء من حيث معنوياته أو من حيث عدده و عدته : لذلكم رأينا ـ كما سبق ـ دور "عبد الله ابن عمرو بن حرام" والد جابر في الالتحاق بهم و مناقشتهم قصد الاقتناع بأن عملهم هذا لا يقبل لا منطقا و لاشرعا . هذا العمل الذي أفشل الجند المسلم لولا تثبيت الله لهم مثلما جرى لبني سلمة و بني حارثة الذين نزل فيهم قول الله تعالى :

« * إذ همت طائفتان منكم أن تفشلا و الله وليهما و على الله فليتوكل المومنون * »[3] .

ب ـ أسباب مباشرة : الأسباب المباشرة في أحداث غزوة أحد من حيث نتائجها ، تتمثل في حدثين رئيسين ـ في رأينا ـ نتجت عنها أسباب ثانوية ، و هذا شيء طبيعي لكل حدث أو سبب من الأسباب . و هذان السببان الرئيسان هما :

1. مخالفة أمر القائد : تطبيق أوامر القائد و طاعته أمر لازم في كل المجتمعات بغض النظر عن ديانتها أو ايديولوجياتها ، لأنه بدون تطبيق الأوامر تصبح ا ستراتيجية القادة و الأمراء.. لا معنى لها و تزداد هذه الطاعة لتطبيق الأوامر حزما و شدة إذا كانت الأوامر عسكرية لأن :« تنفيذ الأوامر هو الضبط العسكري الذي يعتبر روح الجندية و السبب المباشر المؤدي لكل انتصار في كل معركة ».[4]

فعدم تنفيذ الأوامر حرفيا كان هوالسبب المباشر و الرئيسي في نتيجة

---

(1) ـ أبو بكر جابر الجزائري : هذا الحبيب محمد رسول الله ـ صلعم ـ (مرجع سابق) ص260.

(2) ـ سورة آل عمران : الآية ١٦٧ .

(3) ـ سورة آل عمران : الآية ١٢٢ .

[انظر : أبو بكر جابر الجزائري : هذا الحبيب محمد رسول الله ـ صلعم ـ (مرجع سابق) ص260.

جلال الدين السيوطي : لباب النقول في أسباب النزول .(مرجع سابق) ص161.] .

(4) ـ محمود شيت خطاب : الرسول القائد .(مرجع سابق) ص188.

المعركة لصالح قريش لأن الرماة تركوا نقطة استراتيجية أساسية قلما يحصل عليها العدو؛ هذه الغلطة الفظيعة كانت نتيجة مفاهيم مغلوطة ، و سلوكات نفسية انفرادية كان من الواجب أن لا تقع في الصف المسلم مهما كانت التبريرات ؛ لأن نتيجة هذا الخطأ كانت باهضة ، و أن مخالفة الرماة لأمر الرسول يعتبر خرقا لشرع اللّه وبصفته قائدا عسكريا يعتبر خرقا للنظام العام العسكري ، إذن هذه المخالفات كانت نتيجة الطمع في الغنيمة من بعض الرماة ؛ و هذا يدل على أن المسلمين ما زالت نفسياتهم تعيش رواسب جاهلية مما جعلها تنسى الأوامر و تخترقها و تسرع لجمع الغنائم . كما برروا مخالفتهم للأوامر بحجة :« أن المعركة قد حسمت ، و أنه لا معنى لبقائهم في مواقعهم ، و اجتهد بعضهم بمعاونة أصحابهم في مطاردة المنهزمين من قريش ».[1]

2 . تكسير الخطة التكتيكية للقتال : تخلي الرماة عن موقعهم الاستراتيجي فتح ثغرة كبيرة في الخطة المستعملة من قبل النبي و مستشاريه العسكريين ، و جعل القاعدة الخلفية للجند مكشوفة للعدو؛ مما نتج عنها فيما بعد تكسير الخطة بكاملها ، و ممّا نتج عن هذا ما يلي :

ا ـ تفرق الجند المسلم : بعد هزيمة المشركين في الجولة الأولى من القتال ، و القيام بعملية المطاردة ، التي لم تكن شاملة و ساحقة ، و لم يبعدوهم عن المعسكر الإسلامي ما يكفي لاستعدادهم الكامل للمواجهة لو أرادوا الكر من جديد . هذا من ناحية ، و من ناحية أخرى لم يؤمنوا ساحة القتال تأمينا وفق الخطة العسكرية ، ثم يشتغل البعض منهم بجمع الغنائم . لكن الذي حدث أنهم اعتقدوا أن كل شيء في المعركة قد انتهى و توزعوا ، و تفرقوا ، و تشتتوا ، وانشغلوا بجمع الغنائم و تناسوا العدو تماما ، ولم ينتبهوا إلا على هول الفاجعة ، و التطويق من الخلف ومن قبل الخيالة ، ثم رجوع الجندمن الأمام والانقضاض عليهم ، بحيث وجدوا أنفسهم مطوقين من جميع الجهات .

ب ـ مباغتة خالد : ما إن ترك الرماة موقعهم الاستراتيجي ، إلا و كان خالد بن الوليد على أتم استعداد لاحتلاله ، و تمزيق خطة المسلمين بهجومه من القاعدة الخلفية التي أصبحت دون تحصين مستعملا أسلوب المباغتة الذي يعتبر :« مبدأ من أهم مبادئ الحرب ، و معناها ضرب العدو من مكان أو في زمان أو بأسلوب لا يتوقعه بحيث يمكن تحطيم قوى العدوالمادية و المعنوية »[2] .

و استطاع خالد بن الوليد أن يستغل كذلك عنصر الزمن بواسطة هذا الأسلوب ولحقه في الوقت نفسه عكرمة بكتيبته ، فقضيا على مَن بقي من الرماة لقلة عددهم ثم توجهت الكتيبتان بسرعة فائقة وباغتت الجند المسلم من الخلف حيث :

« هجم عكرمة مع جزء من سريته المجموعة التي كانت مع النبي ، أما خالد فقد هاجم بسريته و بالجزءالباقي من سرية عكرمة المسلمين الموجودين في مخيم قريش . كرّ خالد على مؤخرة المسلمين و هو واثق بأنه سيأخذهم على حين غرة و سيدمرهم في الحال »[3] .

---

(1) ـ **شوقي أبو خليل** : عوامل النصر والهزيمة عبر تاريخنا الإسلامي .(مرجع سابق) ص36.

(2) ـ **محمود شيت خطاب** : (المرجع السابق) ص188.

(3) ـ **الجنرال .I.أكرم** : سيف اللّه خالد بن الوليد.(مرجع سابق) ص51 ، 52.

واستفادت قريش من مباغتة خالد للجيش المسلم ، و استغلاله ثغرة الرماة أحسن استغلال مما يدل دلالة قطعية على عبقرية خالد العسكرية ؛ و التي تجلت بوضوح بعد دخوله الإسلام و خوضه المعارك العديدة التي لم يهزم فيها قط . وبذلك يستحق لقب" سيف الله المسلول " .

جـ- **ارتباك و فوضى في الجند المسلم :** تفطن الجيش المشرك - الذي طورد من قبل المسلمين من ميدان المعركة - إلى هجوم خالد فاندفعوا عائدين في هجوم مضاد صائحين بشعاراتهم التي أعطتهم نفسا جديدا ، و رفعت معنوياتهم ، و انقضوا على المسلمين من الأمام . و لنتصور ما حدث ، جيش يكون في حالة فوز و هو يجمع الغنائم متفرق هنا و هناك ، فإذا به يجد نفسه محاصرا و محاطا من جميع الجهات و بقوة تفوقه ثلاث مرات عددا و عدة ..!! . فقد المسلمون توازنهم و سيطرتهم على الموقف ، و تشتتوا وحدات صغيرة و أفرادا تعمهم الفوضى و الارتباك الشديد الذي أذهلهم و أفقد وعيهم ؛ مما سهل على الجند المشرك المهمة ، و توصل حتّى إلى رسول الله - صلعم - و استطاع ابن قميئة أن يرمي الرسول - صلعم - بحجر فيصيبه في وجهه فكسر أنفه و رباعيته .. و رغم وقوف الفئة القليلة للدفاع عن النبي - صلعم - دفاعا مستميتا لكثرة الهجمات فإن بقية الجند كانوا بين هارب ، و بين مدافع عن نفسه لا يعرف المخرج ، و بين الذين أبلوا بلاء حسنا حتى استشهدوا..

د - **شائعة مقتل النبي :** و مما زاد في الارتباك ، و الاضطراب ، و تحطيم المعنويات . ما أشيع بأن النبي قد قتل ، فطارت عقول القوم ، و انهاروا انهيارا أدى ببعضهم إلى إلقاء سلاحه و التسليم للأمر الواقع ، حتى إن منهم من غادر ساحة القتال و قفل راجعا إلى المدينة و كأن الأرض أطبقت على من فيها ... إذن هذه التحولات في النفوس ، و في ميدان القتال أفسدت الخطة التكتيكية ، و جعلت الجند المسلم بلا قيادة توجهه ، أو راية يتجمعون لديها ... و هذا ناتج عن الفوضى و الارتباك . وتحطيم المعنويات ، وفساد أرضية ميدان القتال بسبب الغبار و الفوضى الكبيرة ، وكثرة القتلى والجرحى في صفوف المسلمين ؛مما أوصلهم من خلال هذا الجو القاتم في ميدان المعركة أن قَتل بعضهم بعضا خطأ ... كل هذه الأحداث التي تتابعت بعد الخطأ الكبير الذي ارتكبه الرماة يبينها الله سبحانه و تعالى في هذه الآيات :

« * ولقد صدقكم الله وعده إذ تحسونهم بإذنه حتى إذا فشلتم و تنازعتم في الأمر وعصيتم من بعد ما أراكم ما تحبون منكم من يريد الدنيا و منكم من يريد الآخرة ثم صرفكم عنهم ليبتليكم و لقد عفا عنكم و الله ذو فضل على المومنين * إذ تصعدون ولا تلوون على أحد و الرسول يدعوكم في أخراكم فأثابكم غما بغم لكيلا تحزنوا على ما فاتكم ولا ما أصابكم و الله خبير بما تعملون * »[1] .

و يعلق "سيد قطب" على هذا فيقول : « إن التعبير القرآني هنا ليرسم مشهدا كاملا لمسرح المعركة ، و لتداول النصر و الهزيمة . مشهدا لا يترك في حركة الميدان ، ولا خاطرة النفوس ، و لا سمة في الوجوه ، و لا خالجة في الضمائر ، إلا ويثبتها .. و كأن العبارات شريط مصور يمر بالبصر ، و يحمل في كل حركة صورا جديدة نابضة . و بخاصة حين يصور حركة الإصعاد في الجبل ، و الهروب في دهش وذعر ، و دعاء الرسول - صلعم - للفارين المرتدين عن المعركة ، المصعدين للهرب .

(1) - سورة آل عمران : الآيتان ١٥٢ ، ١٥٣ .

يصحب ذلك كله حركة النفوس ، و ما يدور فيها من خوالج و خواطر و انفعالات ومطامع ...[إلى أن يقول]... و توزعت القلوب فلم يعد الصف وحدة ، و لم يعد الهدف واحدا . و شابت المطامع مع جلاء الإخلاص و التجرد الذي لا بد منه في معركة العقيدة . فمعركة العقيدة ليست ككل معركة . إنها معركة في الميدان و معركة في الضمير . و لا انتصار في معركة الميدان دون الانتصار في معركة الضمير ، إنها معركة لله ، فلا ينصر الله فيها إلا من خلصت نفوسهم له ».[1]

3. مقتل حمزة : لقد كان حمزة - رضي الله عنه - أسد ساحة القتال بدون منازع جاهد جهاد المجاهدين المخلصين ، و فعل في جند الكفر قتلا ما يعجز عن وصفه اللسان حتى أن قاتله - وحشي - قال فيه عندما رآه داخل المعركة يقاتل : « رأيته في عرض الناس مثل الجمل الأورق ، يهدّ الناس هدّا ما يقوم له شيء »[2] .

لذلك فمقتل حمزة كان من أسباب فساد الخطة التكتيكية و ذلك لسببين اثنين :

1- ترك حمزة - رضي الله عنه - فراغا كبيرا في جبهة القتال لما كان له من دور داخل المعركة ؛ إذ كان يصارع مصارعة عشرة رجال ، و يتصدى للأبطال الأقوياء الذين يصعب على الجنود العاديين مواجهتهم .

2- تأثر الجند بقتله ، مما أثر معنويا على نفسيات الجند المسلم ، و في الوقت نفسه كان قتله رفعا لمعنويات الجند المشرك .

هذان السببان مجتمعان كانا بسبب مقتل حمزة ، و هو سبب من أسباب فساد الخطة التكتيكية ، والتي كانت من الأسباب المباشرة للنتيجة التي آلت إليها غزوة أحد .

جـ - هل انهزم المسلمون ؟ :

إن المتأمل لأحداث و وقائع غزوة أحد من بدايتها إلى نهايتها و بدراسة موضوعية يتوصل إلى أن نتيجتها لم تكن هزيمة - بمفهوم مصطلح الهزيمة عسكريا - رغم خسائر المسلمين في الأرواح و هذه الخسائر لها ما يبررها . و في هذا يقول اللواء الركن محمود شيت خطاب : « لا أتفق مع المؤرخين في اعتبار نتيجة (أحد) نصراً للمشركين و اندحاراً للمسلمين ؛ لأن مناقشة المعركة عسكريا ، تظهر انتصار المسلمين على الرغم من خسارتهم الفادحة في هذه المعركة »[3] .

و يؤيد هذا الرأي خالد محمد خالد بقوله : « أجل ، كانت محنة قاسية .. بيد أنها لم تكن هزيمة ، فما هزم الرسول في حياته أبدا . لقد وعد الله بنصره دوما .. ولقدصدق وعده دوما.والذى حدث في"أحد"لم يكن شيئا نقيض النصر..لم يكن هزيمة أبدابأي معيارمن معاييرالحروب منذعرفت الأرض الحروب حتّى أيامناهذه. »[4].

و لإقامة الحجة و الدليل على الصعيد الواقعي لغزوة أحد يتبين لنا جليا ما يلي :

---

(1) - **سيد قطب** : في ظلال القرآن ج 4 .(مصدر سابق) ص493.

(2) - **صفي الرحمن المباركفوري** : الرحيق المختوم .(مرجع سابق) ص306.

(3) - **محمود شيت خطاب** : الرسول القائد .(مرجع سابق) ص186.

(4) - **خالد محمد خالد** : عشرة أيام في حياة الرسول ، بيروت : دار العلم للملايين - ط 4 . (1979م) ص95.

1. لقد رد المسلمون هجوم المشركين الأول ، ثم استطاعوا أن يشنوا هجوما مضادا رد المشركين إلى الوراء ، و أحدث فيهم فوضى كبيرة ، و أسقط حملة لوائهم واحدا واحدا حتى بقي اللواء تحت الأرجل مداسا ، بل واصل المسلمون هجومهم إلى حد مطاردة الجند المشرك و إخراجه من معسكره تاركا وراءه كل عتاده و عدّته ، بما في ذلك نساؤهم و أموالهم بحيث وصل الجند المسلم إلى القاعدة الخلفية لجيش المشركين و التي كانت تقيم فيها النسوة اللواتي كنّ يحرضن و يشجعن ، و يضربن بالطبول . مما جعلهن يتركن كل زادهن ، و يهربن مشمرات ... فعن الزبير أنه قال : « و اللّه لقد رأيتُني أنظر إلى خدم هند بنت عتبة و صواحبها مشمرات هوارب ، ما دون أخذهن قليل و لا كثير »[1] .

و كما جاء في صحيح البخارى : « فلما لقينا هربوا حتّى رأيت النساء يشتددْن في الجبل رفعن عن سوقهن قد بدت خلاخلهن »[2] .

2. عدم الاستسلام : لقد عرفنا ما جرى للجند المسلم أثناء تطويقه ، فرغم المباغتة والإرتباك الذي ساد الجند ، فإنهم لم يستسلموا للأمر الواقع ؛ بل دافعوا بكل ما يملكون ، و تصدوا للهجمات المنظمة و القوية رغم تشتتهم و تفرقهم ، وعدم تنظيمهم بعدما فقدوا سيطرتهم على الميدان ، و انفصلوا عن القيادة العامة مما جعل الدفاع يكون فرديا أكثر منه جماعيا تنظيميا ، و هذا هو سر الخسارة الكبيرة في الأرواح .

لكن رغم كل هذا فإن الاستسلام و الخضوع للعدو - بالمفهوم العسكري - لم يحصل للأعداء ، و إنما كان المسلمون في هذه الوضعية الحرجة يبحثون عن استراتيجية جديدة للخروج من المأزق فعاقهم تشتتهم و تفرقهم و رغم ذلك استطاعوا فيما بعد أن يلتحقوا بقائدهم ، و يخرجوا إلى الجبل لينظموا صفوفهم من جديد و ردوا فعلا الهجوم الأخير لقريش .

3. الدفاع عن القائد : كان هدف قريش الأول قتل محمّد القائد العام للجند المسلم ، ولذا شددوا في هجوماتهم على موقعه ، و من كل جهة ، و رغم النفر القليل من الجيش المسلم الذين ثبتوا معه ، ودافعوا عنه دفاعا لم يعرف في تاريخ الحروب أن دافع جند عن قائدهم بمثل ما دافع رجال أُحُد عن نبيهم ومنعوه من موت محقق بفضل اللّه ، وقد عجزت قريش أن تقتل محمدا رغم نجاحها في إصابته . هذا الدفاع المستميت من قبل فئة قليلة كانت مع النبي لتفرق البقية في ميدان القتال - كما عرفنا - و الإحالة بينها و بين قائدها . هذه الفئة القليلة و التي كان من ضمنها حتى المرأة - أم عمارة - واشتد الهجوم واستشهد أكثر النفر الذين كانوا مع النبي ، ولم يبقى إلا سعد بن أبي وقاص ، و طلحة بن عبيد اللّه : « قامابببطولة نادرة ، و قاتلا ببسالة منقطعة النظير حتى لم يتركا - و هما اثنان فحسب - سبيلا إلى نجاح المشركين في هدفهم ، وكانا من أمهر رماة العرب ، فتناضلا حتى أجهضا مفرزة المشركين عن رسول اللّه - صلعم - ».[3]

---

(1) - ابن هشام : السيرة النبوية ج3 .(مصدر سابق) ص82.

(2) - البخاري : صحيح البخاري مج3/ج5.(مصدر سابق) ص29.

(3) - صفي الرحمن المباركفوري : الرحيق المختوم .(مرجع سابق) ص315.

في هذا الظرف العصيب و بعد نفاد كل الوسائل و الأسباب تتدخل قوة اللّه المتمثلة في جنوده من الملائكة فعن سعد بن أبي وقاص ـ رضي اللّه عنه ـ قال :
« رأيت رسول اللّه ـ صلعم ـ يوم أحد ومعه رجلان يقاتلان عنه عليهما ثياب بيض كأشد القتال ما رأيتهما قبل ولا بعد ».(1)

و بهذا الدفاع المستميت استطاع رسول اللّه ـ صلعم ـ رغم جراحه أن يوجه جنده نحو الجبل و من حوله النفر المؤمنين ، و بدأ المسلمون يجدون طريقهم نحو جبهتهم ، و ما أن رأى رسولَ اللّه ـ صلعم ـ أحدُهم حتى صاح مبشرا إياهم بعدم قتلهم ؛ فرجع الوعي من جديد ، و خاصة عندما سمعوا نداءه عليه الصلاة و السلام :
« إلي عباد اللّه !! إلي عباد اللّه !! » . فأسرعوا نحوه وهم يقاتلون ، و استطاعوا أن يتجمعوا بعد تفرقهم ، وأن يعيدوا توازنهم ، وتسلقوا شعب الجبل مع نبيهم الذي ماإن وصل الى الصخرة ووجد نفسه في وسط جنده حتى سُرَّ بذلك .

4 ـ التحكم في الوضع و الاستعداد من جديد : تحصن المسلمون من جديد في مواقعهم الاستراتيجية الأولى و تحكموا في الوضع ، و أصبحوا تحت إمْرَة قائدهم ، و رجع الوعي لهم ، فاستعدوا للمواجهة رغم جراحاتهم ، و ردوا كل الهجمات ، سواء هجمات المشاة أو هجمات الخيالة ، و قتلوا كل من أراد خرق جدارالدفاع ـ أبي بن خلف ـ وتراجع المشركون بعدما فشلوا في هجوماتهم الأخيرة .. فأرادوا أن يقوموا بحرب معنوية ، وهو ما قام به قائدهم أبو سفيان ـ كما عرفنا سابقا ـ لكن هذه الحرب المعنوية كانت لصالح المسلمين على الصعيد المدني ، و رجع أبو سفيان مغتاظا مما سمع من كلام المسلمين في الحوار الذي دار بينه و بينهم أثناءالحرب الباردة الكلامية .

5 ـ مطاردة قريش : لقد استعاد المسلمون تكتيكاتهم ، وتحكموا في الأمور و نزلوا ميدان القتال لجمع الشهداء و دفنهم ، ثم بعث رسول اللّه ـ صلعم ـ بعلي لتتبع آثار قريش وتحركاتهم وعندمارجع علي بالخبر ، توجه الجند المسلم مسرعا نحو المدينة. في ليلة العودة من معركة "أحد" بات المسلمون في حالة استنفار قصوى استعدادا لكل طارئ قد يحدث ، و في اليوم الموالي خرج الرسول ـ صلعم ـ يريد الأعداء و أخذ معه الجند الذين شاركوا في قتال أحد ، و لم يقبل أي عنصر أو جماعة لم تشارك في القتال من قبل ، و هذا دليل على أن الجيش الإسلامي قادر على مواجهة الأعداء بعَددهم و عُدتهم ، و أن ما وقع للمسلمين كان نتيجة خطأ استراتيجي ، قد صُحح في حينه و في يومه . وصل الجيش إلى حمراء الأسد و عسكر هناك ، و انتظر جيش الشرك الذي بعث برسالة كاذبة تضليلية يزعم فيها بأنه راجع في حملة لاستئصال المسلمين ، و بقي الجيش المسلم مستعدا ينتظر الأعداء مدة ثلاثة أيام ولم يغادروا مكانهم حتى سمعوا بأن قريشا قد رجعت على أعقابها تريد مكة .

6 ـ الروح المعنوية : على صعيد الروح المعنوية فإن المسلمين كانوا يتمتعون بروح معنوية عاليةرغم الارتباك الذي حدث أثناءالمباغتة وعند إشاعة مقتل النبي ـ صلعم ـ لكن الروح المعنوية كانت عالية و بالأخص عندالبعض الذين ضاعفوا من إرادتهم وقاتلوا بشجاعة نادرة لا تتحقق إلا عند أصحاب الروح المعنوية العالية و لذا فقد

---

(1) ـ البخاري : صحيح البخاري مج3/ج5.(مصدر سابق) ص32.

فشلت قريش في القضاء على معنويات المسلمين رغم ا ستعمال كل الأساليب لتحطيم المعنويات بما في ذلك التمثيل بجثث الموتى . و هذا راجع إلى العقيدة الإسلامية التي تجعل من صاحبها إنسانا يحمدالله في الضراء والسراء ، و هذا ما عرفناه حتى على الصعيد الاجتماعي كالنسوة اللواتي استقبلن الجند عند عودته من المعركة .

7 . تخلي المشركين عن ميدان المعركة : كما عرفنامن قبل فإن المشركين قد تخلوا عن ميدان المعركة مباشرة بعد انتهائها ، و بصعود المسلمين إلى الجبل و تهيئهم من جديد للمواجهة ، و هذا إن دل على شيء فإنما يدل على خوفهم من متابعة و مطاردة المسلمين خشية ترجيح الكفة من جديد لهم . و حتى إنهم عندما غادروا أرض المعركة و عسكروا " بالروحاء " تساءلوا فيما بينهم عما حدث و هل فعلا انتصروا ، و قد تركوا المسلمين بقيادتهم ، و لذلك أرادوا أن يرجعوا و يحققوا النصر الفعلي الذي يتمثل في القضاء على المسلمين - في زعمهم - من حيث العدد و العدة ، لأن ما حققوه في غزوة أحد هو كثرة الضحايا في عدد جند المسلمين - سبعون شهيدا - بينما لم يخسروا هم سوى عشرين رجلا ، بل هناك بعض المراجع المعتبرة تعد قتلى المشركين" سبعة و ثلاثون "[1] .

إذن فالخسارة كانت على صعيد الأرواح البشرية فقط ، وهذا كان له مبرراته - وقد عرفناها من قبل - أما ما عدا ذلك فإن المشركين لم يتحصلوا على أي شيء ، لا أسرى ، ولا غنيمة ، ولا سيطرة على الميدان إلى آخر مراحل القتال.

و عندما سمع المشركون و هم معسكرون " بالروحاء " خروج رسول الله - صلعم - حتى أخذهم الخوف و الرعب من أن مجيء محمد من جديد سيكون مصحوبا بقوات جديدة قد تقضي عليهم ، وتفعل بهم مثل بدر ، و لذلك ما إن مر " معن الخزاعي" الذي سألوه عن محمد ، فأخبرهم بما زاد في تحطيم نفسياتهم و معنوياتهم وهوما جعل أبا سفيان يلجأ الى الحيلة كعادته فيبعث رسالته إلى المسلمين ليكونوا في انتظاره ، و يسرع بجنده قاصدا مكة ملتفتا وراءه خوفا من لحاق المسلمين ..

و هكذا يتضح لنا من خلال هذه الأسباب السالفة الذكر أن المسلمين اختبروا بامتحان عسير استفادوا من دروسه ، فكان لهم نصرا معنويا لأنه نبههم إلى أنفسهم و طهر صفوفهم ، و جعلهم يراجعون تكتيكاتهم على الصعيدين المدني والعسكري .

و سنختم هذا الفصل بخلاصة لرأي سديد - في نظرنا وفي نظر الدكتور خالد محمد خالد[2] - وهو للأستاذ " مولانا محمد علي " حيث يقول :« و بارتداد المسلمين إلى الجبل يحتمون به أمست المدينة عرضة للهجوم بكل ما في الكلمة من معنى ، ولكن أبا سفيان وجموعه لم يؤانسوا في أنفسهم الشجاعة للعودة إليها . إن حالهم لم تكن بأحسن من حال المسلمين ، و لقد عزوا أنفسهم بانسحاب أعدائهم ، إنهم لم يجرءوا على متابعة الحرب حتى النهاية خشية أن يفضي ذلك - وكان لهم ملء الحق أن يخشوا - إلى هلاكهم . و هكذا انقلبوا عائدين على جناح السرعة ، إلى مكة مجتازين عدة أميال في يوم واحد . وفي طريق عودتهم تساءلوا ما إذا كان يجوز لهم -

---

(1) - انظر : **صفي الرحمن المباركفوري** : الرحيق المختوم .(مرجع سابق) ص333.

(2) - انظر : **خالد محمد خالد** : عشرة أيام في حياة الرسول .(مرجع سابق) ص96.

من غير افتئات على الحقيقة - أن يزعموا أنهم رجعوا ظافرين . إنهم لم يكونوا يملكون أية غنيمة من غنائم النصر يعرضونها على أنظار شعبهم ، و لم يكن في أيديهم أسير حرب واحد ...أفيُعد هذا نصرا؟وكان الجيش الإسلامي لا يزال مسيطرا على ميدان القتال ... أفيعتبر هذا نصرا ؟ و كانوا قد عجزوا عن احتلال المدينة برغم أنها تركت من غير دفاع ... أفيكون هذا نصرا ؟ ... صحيح من غير ريب أن المسلمين منوا بخسائر باهضة ولكن من الثابت - بالقدر نفسه - أن قريشا أكرهت على العودة خائبة أيضا . و هل تقع في صفحات التاريخ على حادثة انتصار واحدة أثبت فيها العدو المغلوب إقدامه في الميدان ، وانقلب الجيش المنتصر عائدا إلى وطنه من غير أن يأسر أسيرا واحدا ... ووجدفيها العدو مهزوم الجرأة على مطاردة المنتصرين في غد بعد بضع ساعات من المعركةليس غير ، على حين ولى المنتصرون الأدبار لدن سماع نبأ المطاردة ؟ ...

فإسلام خالد لا يموت ، وكل مصيبة تلم به ، مهما تكن عظيمة ، لابد أن تحمل إليه انتصاره الحقيقي متنكرا بقناع . »[1] .

*****

(1) - مولانا محمد علي : حياة محمد ورسالته .(مرجع سابق) ص152 ، 153. بتصرف.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفصل الثالث

غزوة الأحزاب (الخندق)

تمهيد

الاستراتيجية العامة لغزوة الأحزاب (الخندق)

أ ـ المسلمون

أولا ، قبل لقاء العدو

1. الجو العام
2. استخبارات النبي ـ صلعم ـ
3. الرسول ـ صلعم ـ يدعو إلى انعقاد مجلس الشورى
4. أسلوب وقائي جديد
5. الحالة النفسية للمسلمين
6. تحصين المسلمين :

ا ـ على الصعيد العسكري

ب ـ على الصعيد المدني

ثانيا ، في مواجهة العدو

1. التصدي لمقتحمي الخندق
2. المبارزة
3. الفرار
4. رد هجمات جند الأحزاب
5. مواجهة التآمر اليهودي
6. قمة الشدة والبلاء
7. أراجيف المنافقين
8. تفجير جبهة الحلف الكافر من الداخل

ا ـ محاولة فصل غطفان عن الجند الكافر

ب ـ وياتي الله بالفرج

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جـ - نعيم في معسكر الأحزاب

1 - يهود بني قريضة

2 - قريش مكة

3 - عرب غطفان

4 - وتنفجر جبهة الأعداء

9. الانهزام النفسي

10. وجاء نصر الله !

ب - الأحزاب الكافرة

أولا - قبل الخروج

1. إعلام قريش بالمخطط

2. نحو غطفان

ثانيا - الخروج

1. قريش

2. أعراب غطفان

ثالثا- حصار المدينة

1. محاولة اختيار مواقع الهجوم

2. محاولة التسلل داخل المدينة

3. العمليات الاستفزازية

1 - هجوم كتيبة من فرسان قريش

ب - محاولة خالد بن الوليد اقتحام الخندق

جـ - التراشق بقذائف النبال والسهام

4. تشتت الأحزاب

5. انسحاب الأحزاب

رابعا : الدروس والعبر

أولا : التآمر اليهودي

ثانيا : التقنيات الجديدة ودورها في المعارك

ثالثا : دور القيادة في التعبئة

رابعا : الصبر على المرابطة

خامسا : دور الحرب النفسية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

« ولما رأى المومنون الأحزاب قالوا
هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله
وما زادهم إلا إيمانا وتسليما »

الأحزاب : ٢٢

« إذ جاؤوكم من فوقكم ومن اسفل منكم
وإذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر
وتظنون بالله الظنونا
هنالك ابتلي المومنون
وزلزلوا زلزالا شديدا »

الاحزاب : ١٠ ـ ١١

« و رد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا
وكفى الله المومنين القتال
وكان الله قويا عزيزا »

الاحزاب : ٢٥

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

تمهيد

لقد عرفنا في الفصل الثاني من هذا الباب أن ما أصاب المسلمين في غزوة أحد كان عبرة ود رسا في تاريخ الأمة الإسلامية . حيث أثرت نتيجة المعركة تأثيرا نفسيا و خاصة على صعيد الجبهة الداخلية للمسلمين ، هذه النتيجة جعلت الأعداء على الصعيدين الداخلي و الخارجي يكشرون على أنيابهم ، فعلى الصعيد الداخلي تضاعف نشاط اليهود و المنافقين ، و أصبحوا يخططون و على جميع الأصعدة لزعزعة استقرار المجتمع الإسلامي في يثرب بالتنسيق المباشر أو غير المباشر مع أعداء الإسلام في الخارج . أما على الصعيد الخارجي فقد طمعت بعض القبائل في الهجوم على المسلمين داخل مدينتهم ، و استعملت أخرى حيلا و أساليب خسيسة لتنال من أفضل رجال المسلمين بالغدر والخيانة كما فعلت قبائل عضل وقارة وبني عامر ...هذه الأحداث والوقائع بعد غزوة أحد و التي يلخصها لنا صاحب الرحيق المختوم بقوله « فلم يمض على هذه المعركة شهران حتى تهيأت بنو أسد للإغاره على المدينة ، ثم قامت قبائل عضل وقارة في شهر صفر سنة 4هـ بمكيدة . سببت في قتل عشرة من الصحابة ، و في نفس الشهر قامت بنو عامر بمكيدة مثلها سببت في قتل سبعين من الصحابة ، و تعرف هذه الوقعة بوقعة بئر معونة ، و لم تزل بنو نضير خلال هذه المدة تجاهر بالعداوة حتى قامت في ربيع الأول سنة 4 هـ بمكيدة تهدف إلى قتل النبي - صلعم - و تجرأت بنو غطفان ، حتى همت بالغزو على المدينة في جمادي الأولى سنة 4هـ »[1]

هذه الأحداث و الوقائع جعلت المسلمين يقومون بعدة عمليات عسكرية قصد تأمين أمنهم الداخلي ، وإعادة مركزهم القوي في الداخل وهو ما حدث بالفعل وخاصة بعد إجلاء يهود بني النضير . أما على الصعيد الخارجي فإن دوريات القتال - دورية أبي سلمة - ، ودورية عبد الله بن أنيس - و غزوات الرسول - صلعم - غزوة ذات الرقاع ، غزوة بدر الآخرة ، غزوة دومة الجندل - ... هذه المناورات العسكرية من قبل المسلمين كان الهدف منها إثبات قوة المسلمين ، و منع أطماع القبائل العربية في التفكير في غزو المدينة ، إلى جانب التزامهم بالوعد المضروب مع قريش في لقاء آخر ببدر و هو ماتم بالفعل من قبل الجند المسلم الذي أقام ثمانية أيام ينتظر قريشا التي أخلفت الوعد خوفا و رهبة ورجعت على أعقابها من موقع الظهران بحيلة من أبي سفيان الذي قال لهم: « يامعشر قريش إنه لا يصلحكم إلا عام خصب ترعون فيه الشجر و تشربون فيه اللبن ، و إن عامكم هذا عام جدب ، و إني راجع فارجعوا »[2] .

و بهذا استطاع المسلمون أن يغزوا مركزهم من جديد ، و أن يسيطروا على كل القلاقل - داخليا و خارجيا - و تفرغوا لنشر دينهم و تبليغ رسالتهم ، لكن الأعداء لم يناموا و لم يتوقفوا عن الدس و التخطيط ، وخاصة اليهود و على رأسهم بني النظير الذين لم يهضموا إجلاءهم من المدينة ، فبدأوا يخططون للتآمر على المسلمين قصد ضربهم ضربة تزيلهم من الوجود - في زعمهم - و نظر لجبنهم وخوفهم من التصدي بأنفسهم للمسلمين ، قرروا استراتجية جديدة تتمثل في تأليب كل من

---

(1) - صفي الرحمن المباركفوري : الرحيق المختوم .(مرجع سابق) ص341.

(2) - عبد السلام هارون : تهذيب سيرة ابن هشام .(مصدر سابق) ص212.

له عداوة مع الإسلام ، و ذلك بتجميع قوة متحالفة في جبهة يصعب على القوة المسلمة الوقوف في طريقها أوردها على أعقابها . وهذا ما سنتعرض له بالدراسة لهذه الغزوة .

الإستراتجية العامة لغزوة الأحزاب

أ- المسلمون :

أولا ، قبل لقاء العدو :

1. الجو العام : استطاع المسلمون بعد ما أصابهم في غزوة أحد و ما بعدها أن يفرضوا سيطرتهم - داخليا و خارجيا - و تقوية مركزهم و خاصة في المدينة بعد إجلاء يهود بني النضير ، حيث استكان المنافقون و خفت صوتهم ، و أصبح المسلمون مهابين سواء على الصعيد المدني ، أو الصعيد العسكري و في جميع المجالات مما جعلهم يعيشون - و لو لفترة قصيرة - حالة الاستقرار والأمن في كنف رسالة الإسلام الخالدة فكان هذا هو الجو العام الذي يعيشه المسلمون في المدينة المنورة قبل معركة تحالف الأعداء (الأحزاب).

2. استخبارات النبي -صلعم-: فرغم الهدوء الذي ساد المدينة المنورة قبل غزوة الأحزاب فإن المسلمين كانوا على أتم الاستعداد - معنويا و قتاليا - و لذا فهم يتبعون دوما تحركات الأعداء - مشركون ، يهود ، قبائل - و على جميع الأصعدة ، و أن استخباراتهم يقظة و واعية و مدركة لكل خطورة قد يتعرض لها المجتمع المسلم . و لذلك ما أن بدأت جيوش الأحزاب تتحرك من أمكنتها ، حتى وصلت التقارير إلى رسول الله - صلعم - تخبره بهذا الخطر الداهم الذي يريد المدينة ، و المتمثل في تحالف الأعداء الذين كانوا يريدون مباغتة المسلمين داخل مدينتهم الآمنة .

3. الرسول -صلعم- يدعو إلى انعقاد مجلس الشورى : ما أن وصلت المعلومات إلى رسول الله - صلعم - عن بدء تحرك جيش التحالف ، حتى أسرع إلى استدعاء أعضاء مجلس الشورى من الصحابة - رضوان الله عنهم - إلى اجتماع طارئ لمناقشة ما جد من الأحداث .

انعقد مجلس الشورى بقيادة النبي - صلعم - الذي أخبرهم في بداية الأمر عن تقارير الإستخبارات التي أظهرت تحركات جيش جرّار يريد المدينة و متكون من كل الأعداء.. و لذا أمرهم رسول الله - صلعم - بوضع خطة استراتجية للدفاع عن مدينتهم و عقيدتهم . و بعد نقاش بين القادة و أهل الاختصاص اتفقوا على البقاء في المدينة ، و عدم الخروج بعيدا لملاقاة العدو ، حتى لاتتكرر مأساة أحد ، خاصة و أن سلمان الفارسي قدم أسلوبا تقنيا جديدا لم تعرفه العرب من قبل ألا و هو حفر الخندق ، مقيما الدليل العلمي و الواقعي بقوله : « يا رسول الله ، إنا كنا بأرض فارس إذا حوصرنا خندقنا علينا »[1].

---

(1) - صفي الرحمن المباركفوري :الرحيق المختوم .(مرجع سابق) ص357.

و قُبِل هذا الرأي العسكري بالإجماع لما له من فائدة دفاعية وقائية ، تكون مانعا لهجوم الأعداء الذين سيباغتون و يفاجأون بهذا الأسلوب الجديد الذي لم يتعودوا عليه قط ، و بالتالي ينهزمون نفسيا قبل انهزامهم عسكريا ، بينما يكون هذا الأسلوب درعا وقائيا للمسلمين ليضمن لهم التحرك بحرية لأنهم في موقع استراتيجي جيد ضمن خطة تكتيكية تساعد الجند المسلم نفسيا و قتاليا .

4. أسلوب وقائي جديد (الخندق) : بعد ما تم الاتفاق على الاستراجية العامة لمواجهة الأعداء ، و منها قرار حفر الخندق ، حيث أمر رسول اللّه ـ صلعم ـ بصفته القائد العام للقوة المسلمة ـ بحفر هذا الخندق الذي يكون أسلوبا وقائيا في وجه الأعداء المتحالفين ، و كان هذا الخندق : « عميقًا يحيط بشمال المدينة و يقع بين حرّة المدينة و جبل (سَلع) لأن هذه المنطقة هي المنطقة الوحيدة المكشوفة من المناطق المحيطة بالمدينة المنورة ؛ إذ أن جهات المدينة الأخرى محاطة بالبساتين الكثيفة و العوارض الطبيعية ، و ذلك يحول دون إمكان إجراء القتال بقوات كبيرة في أطراف المدينة عدا الشمالية منها حيث إنها مكشوفة »[1] .

و حتى يكون العمل منظما و سريعا قسم رسول اللّه ـ صلعم ـ العمل على أصحابه جاعلا لكل عشرة حفر أربعين ذراعًا . وقد كان عليه الصلاة والسلام يعمل ويساعد ، و ينقل الترابَ على كتفه ، حتى يكون القدوة بالفعل لا بالقول ـ كما يفعل الزعماء ـ كما كان يدعو لأصحابه حتى يرفع معنوياتهم ، و يزيد في عزمهم ، فعن سهل بن سعد قال : « كنا مع رسول اللّه ـ صلعم ـ في الخندق و هم يحفرون و نحن ننقل التراب على أكتافنا فقال رسول اللّه ـ صلعم ـ : اللهم لا عيشَ إلا عيشُ الآخرة . فاغفر للمهاجرين و الأنصار »[2] .

و فعلا فقد ظهر جدُّ و نشاط المؤمنين في عملية الحفر رغم ما كانوا يعانون من الجوع والتعب ، و إذا عرضت حاجة لأحدهم استأذن رسول اللّه ـ صلعم ـ فيذهب لقضاء حاجته ثم يرجع حينا إلى عمله حبا و رغبة في الخير ، بينما كان المنافقون يتثاقلون ـ كعادتهم حتى في الصلاة ـ في عملهم ، و يختفون متسللين إلى أهليهم بدون إذن من رسول اللّه ـ صلعم ـ و في هذا يقول اللّه تعالى : « * إنما المومنون الذين ءامنوا بالله و رسوله و إذا كانوا معه على أمر جامع لم يذهبوا حتى يستاذنوه إن الذين يستاذنونك أولئك الذين يومنون بالله و رسوله فإذا استاذنوك لبعض شانهم فاذن لمن شئت منهم و استغفر لهم الله إن الله غفور رحيم * لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لواذا فليحذر الذين يخالفون عن امره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب اليم * »[3]

5. الحالة النفسية للمسلمين عند رؤية العدو : أنهى المسلمون حفر الخندق قبل وصول الأحزاب الأعداء ، و ما أن قدم الأعداء في جيش جرار و رآه المسلمون الصادقون الذين ثبتوا ، و ازدادوا إيمانا وتسليما بقضاءاللّه وفي هذا يقول فيهم ربهم :

---

(1) ـ محمود شيت خطاب : الرسول القائد .(مرجع سابق) ص228.

(2) ـ البخاري : صحيح البخاري مج3/ج5.(مصدر سابق) ص45.

(3) ـ سورة النور : الآيتان ٦٢ ، ٦٣ .

« * و لما رأى المؤمنون الأحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله وما زادهم إلا إيمانا وتسليما * »[1].

وأما المنافقون و من سار على طريقهم من ضعاف النفوس ، و الجبناء .. فإنهم لما رأوا هذا الجيش العرمرم وهذه الأحزاب المتحالفة ضدهم ، أخذهم الوهن واقشعرت أبدانهم ، و تحطمت نفوسهم ، و ظنوا بالله الظنونا و في هذا يقول تعالى: « *وإذ يقول المنافقون و الذين في قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله إلا غرورا * »[2].

كانت هذه هي الحالة العامة للمسلمين عندما رأوا أمامهم جيشا عرمرما من عدة جبهات تهدف جميعها إلى هدف واحد و هو القضاء على المسلمين واستئصالهم من الوجود تماما حسب تصوراتهم النظرية ، فكان المؤمنون في استعداد تام لملاقاتهم مسلّمين أمرهم للذي خلقهم معتقدين في نصره ، متمثلين قوله تعالى :« ... إن تنصروا الله ينصركم و يثبت أقدامكم * و الذين كفروا فتعسا لهم و أضل أعمالهم * »[3].

6. تحصن المسلمين : خرج المسلمون للقاء أعدائهم في ثلاثة آلاف مجاهد بقيادة الرسول ـ صلعم ـ حيث كانت الاستراتجية التكتيكية كما يلي :

أ ـ على الصعيد العسكري : عسكر الجند المسلم الذي قوامه ثلاثة آلاف مقاتل في سفح جبل(سلع*) حيث جعلوا الجبل وراء ظهورهم للتحصن به ، ومن الأمام كان الخندق حاجزا اصطناعيا يفصل بين المعسكرين ، و كان خطا و قائيا من أي هجوم مباغت أو مرتقب ، مثله مثل الخطوط التي تستعمل في الحروب الحديثة ، كخط" بارليف " وخط " شال " ..الخ ، و بهذا التحصن التكتيكي أصبحت قوة المسلمين في منأى عن مواجهة العدو المواجهة التقليدية ، و أصبحت تتحرك في حرية تامه ضمن استراتيجية سواء في الجهة الأمامية المقابلة للعدو ، و الجهة الخلفية التي كانت محصنة تحصينا طبيعيا .

ب ـ على الصعيد المدني : أمر رسول الله ـ صلعم ـ النساء و الأولاد و من ليس له مقدرة على القتال ، بأن يتجمعوا في آطام المدينة ، أي في البيوت القوية البيان ، والتي تكون آمنة بعيدة عن أي هجوم محتمل ، و هذا كله تأمين و تحصين للمجتمع المدني المسلم : وفي الوقت نفسه أمّ ر ابن أم مكتوم على المدينة كعادته دوما .

ثانيا ، في مواجهة العدو ،

أخيرا أصبح المسلمون و جها لوجه مع جند الأحزاب لا يفصلهم عن الالتحام سوى الخندق الذي أعاق الجند المشرك عن الهجوم و التقدم إلى الأمام نحو المدينة ، أو الإغارة على الجند المسلم و هذا ما جعل جند الأحزاب يدورون حول الخندق في تأفف و غيظ كبيرين لوجود هذا الحاجز الذي لم يعرفوه في حروبهم و لم

---

(1) ـ سورة **الأحزاب** : الآية ٢٢ .

(2) ـ سورة **الأحزاب** : الآية ١٢ .

(3) ـ سورة **محمد** : الآيتان ٧ ، ٨ .

* ـ **جبل سلع** : جبل يقع بالقرب من المدينة المنورة .

يسمعوا بهذا الأسلوب ، أو يفكروا فيه و لذلك قالوا :«مكيدة ما عرفتها العرب »[1]

و هكذا بقي الجند المشرك على هذه الحالة النفسية التي زادتهم قلقا و اضطرابا و خوفا من أن تتحطم معنويات الجند الذي ينتمي إلى عدة قبائل بادر المتحمسون من قريش إلى عدة إجراءات منها :

1. محاولة اقتحام الخندق : تحركت كتيبة من الفرسان تبحث عن منفذ تعبر منه إلى الضفة الأخرى ، و فعلا وجدوا مكانا ضيقا استطاعوا العبور بخيلهم ، و من بين هؤلاء عمرو بن عبدود ، و عكرمة بن أبي جهل ، و ضرار بن الخطاب .. اجتازت هذه الكتيبة الخندق و أصبحت بين نارين المسلمون من الأمام ، والخندق من الوراء .

و بسرعة فائقة خرج علي في عدد من جند المسلمين لملاقاتهم و قتالهم وقطع الطريق أمام من تخول له نفسه اقتحام الخندق مرة أخرى .

2. المبارزة : عند خروج علي و من معه من جند المسلمين للتصدي لكتيبة فرسان الجند المشترك . نادى عمرو بن عبدود للمبارزة ـ كعادتهم ـ فخرج إليه علي ـ كرّم اللّه وجهه ـ و قال : « يا عمرو ، إنك قد كنت عاهدت اللّه ألاّ يدعوك رجل من قريش إلى إحدى خلّتين إلاّ أخذتها منه : قال له : أجل : فقال له علي : فإني أدعوك إلى اللّه و إلى رسوله ، و إلى الإسلام ؛ قال : لا حاجة لي بذلك ؛ قال : فإني أدعوك إلى النزال فقال له : لم يا ابن أخي ؟ فو اللّه ما أحب أن اقتلك ، قال له علي : لكني و اللّه أحب أن أقتلك »[2] .

وبعد هذه الحرب النفسية الكلامية التي انهزم فيها عمرو بن عبدود مما جعله يغضب و ينتفخ و يهجم على علي بفرسه ، لكن عليا كان يقظا و سريعا فتصدى له و قاتله حتى أرداه صريعا إلى جهنم وبئس المصير .

3. الفرار : بعدما رأى أفراد الكتيبة سقوط عمرو بن عبدود ، ولوا على أعقابهم فارين بعدما قتل منهم اثنان خلال مطاردة المسلمين لهم ؛ مما جعلهم يفرون تحت ملاحقة المسلمين في هلع و رعب مما أدى بعكرمة بن أبي جهل أن يترك رمحه ويفر هلعا من ملاحقته .

بهذا العمل التكتيكي السريع استطاع المسلمون أن يسدوا الثغرة التي فتحتها الأحزاب ، و ذلك بتلقين ضربة قوية للذين أرادوا تحدي الخط الأحمر (الخندق) . فنالوا جزاءهم بالقتل و الرعب ، وبالتالي كانت هذه البداية نكسة للجيش المتحالف على الصعيدين المعنوي و العسكري . وفي المقابل كانت نصرا للجيش المسلم معنويا وعسكريا .

4. رد هجمات جند الأحزاب : بقيت قوات الأحزاب تقوم من حين لآخر مع مرور أيام الحصار التي فرضت على المدينة ، لكن المسلمين الذين كانوا في موقع استراتيجي هام ، جعلهم يردون كل الهجمات الفردية والجماعية ويحبطون كل محاولة تريد أن تقتحم الخندق و بأي طريقة كانت .

كانت هجمات الجند المتحالف تُرَدُّ بواسطة الرشق بالنبال ، و في بعض الأحيان عن طريق الاقتناص . وكان أشد يوم على المسلمين قتالا أن :« قامت مفرزة

---

(1) ـ **صفي الرحمن المباركفوري** الرحيق المختوم .(مرجع سابق) ص361

(2) ـ **ابن هشام** : السيرة النبوية ج3.(مصدر سابق) ص236.

من المشركين بالهجوم على المسلمين باتجاه دار النبي ـ صلعم ـ فقاتلهم المسلمون النهار كله حتى الليل »[1].

فقد أبلى الجند المسلم هذا اليوم بلاء كبيرا في رد هجوم المشركين والرد المتواصل بواسطة القذائف النبالية والتي كانت بالتبادل مع الجند المتحالف لكن موقع الجند المسلم ، ووقاية الخندق لهم جعلهم يردون كل هجوم مهما كان شكله ، وهذا القتال المتواصل شغل المسلمين عن صلاة العصر فعن جابر ابن عبد الله رضي الله عنه :« أن عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ جاء يوم الخندق بعدما غربت الشمس جعل يسب كفار قريش وقال يا رسول الله ما كدت أن أصلي حتى كادت الشمس أن تغرب قال النبي ـ صلعم ـ والله ما صليتها فنزلنا مع النبي ـ صلعم ـ بُطحان فتوضأ للصلاة وتوضأنا لها فصلى العصر بعدما غربت الشمس ثم صلى بعدها المغرب »[2].

وهكذا يتبين لنا جليا أن تبادل القذف بين المعسكرين استمر لعدة أيام أثنا، حصار التحالف المشرك للمسلمين والذي دام شهرا كاملا ، ورغم هذه المدة فإن الخسائر البشرية كانت طفيفة لعدم ملاقاة المعسكرين لقاء مباشرا وهذا ما يحدث في كل الحروب التقليدية.

5 ـ مواجهة التآمر اليهودي : عرفنا مما سبق أن اليهود هم الذين خططوا لجمع الأحلاف ومن بين هذا التخطيط إبعاد بني قريضة عن عهدها مع محمد وبالتالي يستطيعون ضرب الإسلام من الداخل مما يسهل عليهم استئصال المسلمين بضربة من الداخل والخارج ، وفعلا فقد استغلوا الحالة التي كان عليها الوضع ، وذهب "حيي بن أخطب النضري" إلى صاحب العقد مع محمد "كعب بن أسد القرضي" ، لكن هذا الأخير لم يفتح له الباب لأنه عرف هدفه وقال له :« ويحك يا حيي ، إنك امرؤ مشؤوم ، وإني قد عاهدت محمدا فلست بناقض ما بيني وبينه ، ولم أر منه إلا وفاء وصدقا »[3].

لكن حيي استمر في المناورة معه حتى لان وفتح له الباب ، وهنا استغل حيي الفرصة وأراد أن يسيطر على كعب بن أسد بكلامه العسلي قصد دغدغة عواطفه وقال له :« ويحك يا كعب ! جئتك بعز الدهر وببحر طام ، جئتك بقريش على قادتها وسادتها حتى أنزلتهم بمجتمع الأسيال من رومة ، وبغطفان على قادتها وسادتها حتى أنزلتهم بذنب نقمي إلى جانب أحد ، قد عاهدوني وعاقدوني على أن لا يبرحوا حتى نستأصل محمدا ومن معه . فقال له كعب : جئتني والله بذل الدهر ، وبجهام قد هراق ماءه ، فهو يرعد ويبرق ليس فيه شيء ، ويحك يا حيي! فدعني وما أنا عليه ، فإني لم أر من محمد إلا صدقا ووفاء »[4].

ورغم هذا فإن لعين بني النضير لم يتوقف عن المناورة حتى أقنع كعبا بنقض العهد وهو ما تم فعلا .

سمع رسول الله ـ صلعم ـ بالخبر فأراد أن يتأكد من صحته قبل أن ينتشر سيؤثر على معنويات الجند المسلم فاستدعى زعيمي الأوس والخزرج وأعلمهما

---

(1) ـ **محمود شيت خطاب** : الرسول القائد .(مرجع سابق) ص231.

(2) ـ **البخاري** : صحيح البخاري مج3/ج 5.(مصدر سابق) ص48 ، 49 .

(3) ـ **عبد السلام هارون** : تهذيب سيرة ابن هشام .(مصدر سابق) ص216.

(4) ـ **عبد السلام هارون** : (المرجع السابق) ص216.

بالخبر ، وهما سعد بن معاذ ، وسعد بن عبادة ثم بعثهما في وفد إلى بني قريضة يستطلعون الأمر ويرجعون بالخبر اليقين وقال لهم :« انطلقوا حتى تأتوا هؤلاء القوم فتنظروا أحق ما بلغنا عنهم ، فإن كان حقا فالحنوا لي لحنا أعرفه ولا تفتوا في أعضاء المسلمين وإن كانوا على الوفاء فاجهروا به للناس »[1] .

خرج الوفد قاصدا بني قريضة فوجدهم على الغدر والخيانة مثلما سمعوا من رسول اللّه ـ صلعم ـ ، وعرفوا منهم الحقيقة واغتاظ سعد بن معاذ فشاتمهم وشاتموه وهددهم بقوله: « إنكم قد علمتم الذي بيننا وبينكم يا بني قريضة ، وأنا خائف عليكم مثل يوم النضير أو أمر منه . فقالوا :أكلت إير أبيك . فقال : غير هذا من القول كان أجمل بكم وأحسن »[2] .

رجع الوفد بالحقيقة اليقينية وألمحوا لرسول اللّه ـ صلعم ـ بقولهم "عضل والقارة" فعلم الرسول إذن بغدرهم وخيانتهم ، وقال :« الله أكبر ، أبشروا يا معشر المسلمين !»[3] .

إذن فرغم نقض اليهود للعهد ـ رسميا ـ فإن رسول اللّه ـ صلعم ـ بشّر المسلمين بالنصر ، لأن معرفة الخبر في حد ذاته يعتبر نصرا ، وذلك قصد تخطيط استراتيجية مبنية على اليقين وعدم الشك ، ومعرفة الأعداء معرفة حقيقية ، عكس ما لو أن المسلمين لم يعرفوا نقض العهد فإنهم سيضربون من الداخل بضربة تفتح ثغورا كبيرة للأعداء الذين أتوا من كل صوب وحدب .

6 . قمة الشدة والبلاء : عرف الجند المسلم الخبر ـ رغم عدم نشر الخبر ـ فنزل عليهم كالصاعقة ، وأصبحوا في حالة نفسية يعجز المرء عن وصفها ، وكيف لا؟ والأحزاب المعادية كلها تجمعت في حلف واحد . بما في ذلك الذين كانوا بالأمس في معاهدة معهم ، والذين باستطاعتهم أن يسددوا ضربة لهم من الخلف سواء للجيش أو المجتمع المدني ، أو تسهيل مهمة العدو لاجتياح المدينة .

يقول محمد أحمد باشميل :« فقد عظم البلاء على المسلمين وتضاعف الابتلاء ، واشتد الخوف ، وانتاب الفزع كل القلوب (تقريبا) وبلغ الجزع بأفراد الجيش الصغير (كما حدثنا القرآن) إلى درجة الزلزال بعد أن أصبح هذا الجيش الإسلامي الصغير* ـ بعد غدر اليهود ـ بين نارين .. الأحزاب من الأمام .. واليهود من الخلف »[4] .

ولقد بين لنا القرآن الكريم الحالة النفسية التي أصبحت تعيشها القوة المسلمة

---

(1) ـ ابن كثير : السيرة النبوية ج3.(مصدر سابق) ص199.

وانظر : ـ ابن هشام :السيرة النبوية ج3 .(مصدر سابق) ص238.

ـ عبد السلام هارون : تهذيب سيرة ابن هشام .(مصدر سابق) ص217.

(2) ـ ابن كثير : (المصدر السابق) ص200.

(3) ـ عبد السلام هارون : (المصدر السابق) ص218.

* ـ يقول ابن حزم في كتابه "جوامع السير" أن عدد المسلمين تسعمائة فقط ، وهو الصحيح الذي لا شك فيه . "جوامع السير" (مرجع سابق) ص148.ويؤيده أحمد باشميل مع استدلاله بعدة أمور منطقية ـ في رأيه ـ . انظرمحمد أحمد باشميل : غزوة أحد ص169.

(4) ـ محمد أحمد باشميل : غزوة الأحزاب . (مرجع سابق) ص193.

في تصوير حي دقيق لا يعرفه إلا هو سبحانه وتعالى فيقول :

« * إذ جاءوكم من فوقكم ومن اسفل منكم وإذ زاغت الإبصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا * هنالك ابتلي المومنون وزلزلوا زلزالا شديدا * »[1] .

7 ـ **أراجيف المنافقين :** في هذا الظرف العصيب والذي بلغت فيه القلوب الحناجر .. يظهر المنافقون والذين في قلوبهم مرض ـ ككل عصر من العصور ـ يظهرون على حقيقتهم بأراجيفهم ، وغدرهم ، وجبنهم ، ومحاولة تفتيتهم للصف المسلم على جميع الأصعدة ، بل وصل الأمر إلى التشكيك في وعد الله ، ووعد رسوله ، حيث قال أحدهم: « كان محمد يعدنا أن نأكل كنوز كسرى وقيصر ، وأحدنا اليوم لا يأمن على نفسه أن يذهب إلى الغائط »[2] وقال آخر :« يا رسول الله إن بيوتنا عورة من العدو ، وذلك عن ملإ من رجال قومه ، فأذن لنا أن نخرج فنرجع إلى دارنا ، فإنها خارج من المدينة »[3] .

ويبين لنا القرآن صفاتهم الدنيئة ليكشف حقيقة أمرهم فيقول تعالى :

« * وإذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله إلا غرورا * وإذ قالت طائفة منهم يا أهل يثرب لا مقام لكم فارجعوا ويستاذن فريق منهم النبيء يقولون إن بيوتنا عورة وما هي بعورة إن يريدون إلا فرارا * »[4] .

8 ـ **تفجير جبهة الحلف الكافر من الداخل :** كما عرفنا من قبل لقد أصبح المسلمون في حالة نفسية مأساوية أثرت تأثيرا بليغا في معنويات المسلمين ، وهذا ما بينه لنا الله سبحانه وتعالى في الآيات السالفة الذكر . هذه الوضعية الحرجة جعلت الرسول ـ صلعم ـ بصفته القائد العام للقوات يفكر في تكتيك جديد يخفف الأزمة ، ويسهل مهمة الجند المسلم لزعزعة قوى الشر والعدوان والمتمثلة في الحلف الكافر .فكر رسول الله ـ صلعم ـ في كيفية تفجير جبهة الحلف من الداخل ، بحيث إذا نجح في هذا التكتيك معناه الخسارة والانهزام للأعداء ، وكانت أساليب هذا التكتيك كما يلي:

1 ـ **محاولة فصل غطفان عن الحلف الكافر:** حنكة الرسول ـ صلعم ـ السياسية والعسكرية جعلته يضع يده على الهدف،فهو يعلم أن غطفان لم تخرج لتدافع عن عقيدةأو مبادئ ما وإنما خرجت مقابل شيء مادي فهم بمثابة المرتزقة في عصرنا الحاضر ، يدورون مع مصالحهم ، ولذلك فكر الرسول ـ صلعم ـ في عقد صلح معهم مقابل ما يطلبون وبالتالي يفتح فجوة كبيرة داخل قوات الأعداء ، ويفسد استراتيجيتهم مما يجعلهم يضعفون ويتحطمون معنويا وعسكريا .

اتصل الرسول ـ صلعم ـ « بقائدي غطفان (سرا) ، وهما (عيينة بن حصن الفزاري) و(الحارث بن عوف المري) . فقد أرسل إليهما (في جنح الظلام) أحد رجال استخباراته الأمناء الأذكياء ليبلغهما رغبته في الاجتماع بهما (سرا) في مقر قيادته وراء الخندق »[5] .

---

(1) ـ سورة **الأحزاب** : الآيتان ١٠ ، ١١ .

(2) ـ **زهير الأعرجي** : الرأي العام وقوى التحريك .(مرجع سابق) ص101.

(3) ـ **ابن هشام** : السيرة النبوية ج3.(مصدر سابق) ص233.

(4) ـ سورة **الأحزاب** : الآيتان ١٢ ، ١٣

(5) ـ **محمد أحمد باشميل** : غزوة الأحزاب .(مرجع سابق) ص200.

وفعلا فقد تم اتفاق بين الرسول ـ صلعم ـ وغطفان ، حيث يدفع المسلمون ثلث ثمار المدينة ، مقابل رجوعها وعدم مشاركتها في المعركة مع الحلف الكافر وتمت الاتفاقية ولم يبق إلا التوقيع عليها ، لأن النبي ـ صلعم ـ اشترط موافقة الأنصار لأن ثمار المدينة ملك لهم .

واستدعى النبي ـ صلعم ـ سادة الأوس والخزرج وأخبرهم الخبر ، إلا أنهم قد رأوا فيه إهانة واحتقارا لهم ، وخاصة مع هؤلاء ، ولكنهم كمؤمنين أرادوا أن يعرفوا حقيقة هذا الاتفاق فإن كان أمرا إلهيا فالرضى والطاعة ، وإن كان غير ذلك فلهم رأيهم ، ولذلك قالا :« يا رسول اللّه شيء تحب أن تصنعه أم شيء أمرك اللّه به أو شيئ تصنعه لنا ؟ قال : بل لكم ، رأيت العرب قد رمتكم عن قوس واحدة فأردت أن أكسر عنكم شوكتهم . فقال سعد بن معاذ : قد كنا نحن وهم على الشرك ولا يطمعون أن يأكلوا منا ثمرة إلا قِرًى أو بيعا ، فحين أكرمنا اللّه بالإسلام نعطيهم أموالنا ! ما نعطيهم إلا السيف حتى يحكم اللّه بيننا وبينهم ، فترك ذلك رسول الله ـ صلعم ـ »[1]

وبهذا الموقف للسعدين ـ سعد بن معاذ وسعد بن عبادة ـ فشلت محاولة فصل غطفان عن تحالف الأحزاب ، وثبت أن هناك رجالا في الجند المسلم مستعدون أتم الاستعداد للدفاع عن عقيدتهم مهما كلفهم ذلك ، ولا يقبلون بأي تنازل عن خيراتهم التي رزقهم اللّه بها ، ثم من جهة أخرى فإن اللّه يهيِّء الأسباب ، ويختبر عباده ، ثم يأتي بالفرج من حيث لا يدري الإنسان المسلم .

ب ـ و يأتي اللّه بالفرج ! : في الوقت الذي أصبح اليأس واقعا ، و أصبحت الفئة المؤمنة في قلق و خوف متزايد ، لأن الخطوب أصبحت تهددهم من جميع الجهات وعلى جميع الأصعدة ، و خاصة بعد فشل الاتفاق مع غطفان . لكن اللّه سبحانه و تعالى دائما مع عباده المؤمنين بعدما يبتليهم بقدر إيمانهم ، فيأتيهم بالفرج من حيث لم يتوقعوا ، و يسخر لهم في هذه الغزوة رجلا يغير مسار الاستراتيجية الشاملة لكلا المعسكرين و يحطم الأحزاب المتحالفة تحطما يجعلها ترجع تجر ذيل الهزيمة ـ نفسيا و عسكريا ـ ، ثم يلحقها مستقبلا بالهزيمة النهائية التي تذهب ريحها من الجزيرة العربية العربية .

هذا الرجل الذي سخره اللّه هو (نعيم بن مسعود) من قبيلة غطفان ، رجل معروف بشخصيته البارزة على الصعيدين العربي و اليهودي ، و في الوقت نفسه « كان من كبار المستشارين في قيادة جيش الإتحادالعربي الوثني اليهود الغازي »[2]

هدى اللّه " نعيم بن مسعود " إلى الإسلام ، و يأتي إلى النبي ـ صلعم ـ ويخبره بإسلامه بعد ما تسلل سرا إلى معسكر المسلمين ، لأنه دخل الإسلام دون علم أي فرد من بني جلدته ، فيسر عليه الصلاة و السلام بهذا ، و يستغل هذه الفرصة الثمينة بصفته قائدا حكيما و محنكا سياسيا بارعا لأنه نبي اللّه و يقول لنعيم :
« إنما أنت فينا رجل واحد ؛ فخذّل عنا إن استطعت ؛ فإن الحرب خُدعة »[3] .

---

(1) ـ **ابن الأثير**: الكامل في التاريخ ج2، بيروت : دار بيروت للطباعة والنشر .(1385هـ ـ 1965م) ص185.

(2) ـ **محمد أحمد باشميل** : غزوة الأحزاب .(مرجع سابق) ص250.

(3) ـ **ابن جرير الطبري** : تاريخ الطبري ج2، مصر : دار المعارف ـ ط2. ص578.

جـ-نعيم في معسكر الأحزاب : تحرك نعيم بن مسعود - بعد أخذ الإذن من رسول الله - لتنفيذ خطة تكتيكية ذات تقنيات عالية في أساليب الحرب النفسية - في تلك الحقبة - خاصة و أن الرجل له من الحنكة و الخبرة السياسية ما يجعله أهلا لهذه المهمة التي لا يقدر عليها إلا المختصون ؛ و قليل ما ينجحون .

بدأ نعيم مهمته وفق دراسة منطقية و موضوعية حتى ينجح في مهمته التي تهدف إلى تفجير هذا الحلف الكافر و تحطيمه من الداخل ، و شرع في تنفيذ المخطط مبتدئا بـ :

1 - **يهود بني قريضة** : اختار نعيم بني قريضة لكونهم يمثلون عاملا أساسيا في الحلف الكافر لأنهم أصبحوا بمثابة "الطابور الخامس" ولذلك إذا استطاع إقناعهم استطاع فيما بعد مواصلة تخطيطه . جاء نعيم بن مسعود بني قريضة مستغلا صداقته لهم ، حيث كان نديما لهم في الجاهلية و قال لهم : « يا بني قريضة قد عرفتم ودي إياكم ، وخاصة ما بيني و بينكم ، قالوا : صدقت ، لست عندنا بمتهم . فقال لهم : إن قريشا و غطفان ليسوا كأنتم ، البلد بلدكم ، فيه أموالكم و أبناؤكم و نساؤكم ، لا تقدرون على أن تحولوا منه إلى غيره ، و إن قريشا و غطفان قد جاءوا لحرب محمد و أصحابه ، وقد ظاهرتموهم عليه . و بلدهم و أموالهم و نساؤهم بغيره ، فليسوا كأنتم ، فإن رأوا نهزة أصابوها ، و إن كان غير ذلك لحقوا ببلادهم ، و خلوا بينكم وبين الرجل ببلدكم ، و لا طاقة لكم به إن خلا بكم ، فلا تقاتلوا مع القوم حتى تأخذوا منهم رهنا من أشرافهم ، يكونون بأيديكم ، ثقة لكم على أن تقاتلوا معهم محمدا حتى تناجزوه . فقالوا له : لقد أشرت بالرأي »[1] .

بهذا التضليل الدعائي ، استطاع نعيم بن مسعود أن يقنع بني قريضة بمعلوماته الكاذبة من حيث الواقع الصادقة من حيث المضمون والمنطق ، ولذلك قُبلت من قِبل يهود بني قريضة لأنها عين الحقيقة - في نظرهم - وخاصة أن الرجل - لحنكته السياسية - لم يقل لهم لا تقاتلوا معهم وكفى ! فهذا محل شك وريب بل نصحهم بأخذ رهن - وأي رهن ؟! - حتى يضمنوا الثقة الكاملة من مقاتلة الأحزاب لمحمد حتى النهاية . وهو ما جعلهم لا يشكون إطلاقا في معلوماته ونصائحه . وبالتالي نجحت المرحلة الأولى من مناورات نعيم بن مسعود .

2 - **قريش المشركة** : بعدما تأكد نعيم من أن المناورة الأولى قد نجحت وتأكد نجاحها توجه على الفور إلى معسكر قريش قصد تنفيذ المرحلة الثانية ، وطلب قيادة الجيش القرشي بقيادة أبي سفيان قائلا: إن هناك أمرا جللا لذا أسرعوا للاجتماع به لمكانته في الاستشارة في مثل هذه الخطوب - وهم يجهلون إسلامه - ، وحينما اجتمع القوم خاطبهم الرجل مخاطبة الناصح الأمين فكانت كلماته التضليلية مصحوبة بمنطق ذكي جعلتهم لا يشكون إطلاقا في نصحه وفي كلامه ، ومما جاء في كلامه قوله: « قد عرفتم ودي لكم معشر قريش وفراقي محمدا . وقد بلغني أمر أرى من الحق أن أبلغكموه نصحا لكم فاكتموا علي » قالوا له : - « نفعل » - قال :« تعلمون أن معشر اليهود قد ندموا على ما كان من خذلانهم محمدا . وقد أرسلوا إليه : إنا قد ندمنا على ما فعلنا . فهل يرضيك أن نأخذ من قريش وغطفان رجالا ونسلمهم إليك تضرب

---

(1) - د.أحمد نوفل : الشائعة .(مرجع سابق) ص51.

أعناقهم ثم نكون معك على من بقي منهم حتى نستأصلهم ... ؟! » »[1].

بهذه النصيحة والمعلومات السرية الخطيرة في ميدان الحرب ، استطاع نعيم أن ينجح بمناوراته في إطار الحرب النفسية ، ويقنع معسكر قريش بعدما أقنع يهود بني قريضة .

3 ـ **عرب غطفان** : انتقل نعيم إلى تنفيذ المرحلة الأخيرة من مخططه بعدما نجح في مناوراته الأولى ، وتوجه إلى بني قومه قائلا : « يا معشر غطفان : إنكم أصلي وعشيرتي وأحب الناس إلي ولا أراكم تتهمونني . قالوا : ... صدقت ما أنت عندنا بمتهم . فأبلغهم أن لديه خبرا خطيرا يتعلق بسلامتهم ... قائلا : فاكتموا عني . قالوا : نفعل . فقال لهم مثل الذي قال لقادة قريش بشأن ما عزم عليه اليهود من طلب الرهائن منهم »[2].

وبهذه الخطة الحكيمة استطاع نعيم بن مسعود أن يناور التحالف الثلاثي وأن يجعلهم يشكون في بعضهم البعض ، وأن يهتموا ببعضهم بدل اهتمامهم بعدوهم الذي جاؤوا من أجله .

4 ـ **وتنفجر جبهة الأعداء** : أرسلت قيادة الجبهة المتحالفة وفدا عسكريا بقيادة عكرمة بن أبي جهل إلى بني قريضة ليتفاوض معهم حول الهجوم على محمد والذي حدد بيوم السبت من قبل القيادة العامة للجيش والتي يترأسها أبو سفيان ، و وصل الوفد العسكري إلى بني قريضة وسلم لهم رسالة القيادة المتضمنة قولهم : « إنا لسنا بدار مقام ، قد هلك الخف والحافر ، فاغدوا للقتال حتى نناجز محمدا ، ونفرغ مما بيننا وبينه »[3].

ومن فضل اللّه سبحانه وتعالى أن صادف اليوم المحدد للهجوم يوم السبت مما جعل يهود بني قريضة يلتمسون العذر أولا ، ثم يطالبون برُهن ثانيا تطبيقا لرأي نعيم ، ولذا جاء في رسالة الرد التي سلمت للوفد العسكري للأحزاب المتحالفة ما يلي : « إن اليوم يوم السبت ، وهو يوم لا نعمل فيه شيئا ، وقد كان أحدث فيه بعضنا حدثا فأصابه ما لم يخْفَ عليكم ، ولسنا مع ذلك بالذين نقاتل معكم محمدا حتى تعطونا رهنا من رجالكم يكونون بأيدينا ثقة لنا ، حتى نناجز محمدا ، فإنا نخشى إن ضرستكم الحرب واشتد عليكم القتال أن تشمروا إلى بلادكم وتتركونا والرجل في بلدنا ، ولا طاقة لنا بذلك منه »[4].

بهذا الرد الحاسم من قبل بني قريضة والمصحوب بشرط كان الشك يدور حوله ، عرفت قيادة الأحزاب بأن بني قريضة فعلا قد خانوا ، وأن كلام نعيم لحق ولذلك ردوا عليهم ببرقية عاجلة قائلين : « إنا واللّه لا ندفع إليكم رجلا واحدا من رجالنا فإن كنتم تريدون القتال فاخرجوا فقاتلوا »[5].

تصل البرقية إلى بني قريضة فيتأكدون من قول نعيم ، ويردون ببرقية فاصلة في هذا الأمر قائلين لحلفائهم : « إنا واللّه لا نقاتل معكم محمدا حتى تعطونا

---

(1) ـ د.عبد الحميد محمد الهاشمي : المرشد في علم النفس الاجتماعي .(مرجع سابق) ص213.

(2) ـ محمد أحمد باشميل : غزوة الأحزاب .(مرجع سابق) ص256.

(3) ـ ابن هشام : السيرة النبوية ج3.(مصدر سابق) ص241.

(4) ـ عبد السلام هارون : تهذيب سيرة ابن هشام .(مصدر سابق) ص222.

(5) ـ أبو بكر جابر الجزائري : هذا الحبيب محمد رسول اللّه ـ صلعم ـ (مرجع سابق) ص309.

رهنا »[1].

وهكذا بفضل اللّه الذي سخر نعيم بن مسعود ، تحطمت الأحزاب ، وخارت قواها ، وتفرقت ، وتشتتت ، وأحبطت معنوياتها على الصعيدين النفسي والعسكري وأصبح كل حزب يفكر في تخليص نفسه من الورطة التي تورط فيها .

9 ـ الانهزام النفسي : بعدما خذل الله بين الأحزاب ، لتتشتت وتتفرق ، وتشك في بعضها البعض ، زيادة عن طول مدة الحصار ، والتي لم تتعودها العرب : هذه العوامل مجتمعة جعلت الأحزاب المتحالفة تفقد سيطرتها ، وخاصة على الصعيد المعنوي ، لفقدان الثقة فيما بينهم ، وعدم اتفاق موحد يجمعهم على خطة معينة وهذا ما سهل مهمة نعيم بن مسعود ـ بتيسير من اللّه ـ ، مما أفقدهم صوابهم بعدما عرفوا حقيقة ما أخبرهم به هذا الرجل .

هذا الانهزام النفسي جعل الحلف الوثني القبلي اليهودي يفكر في :« إنهاء الحصار المضروب على المدينة والرجوع بجيوشها كل إلى بلاده ، وترك اليهود وشأنهم ليلقوا مصيرهم الرهيب ، لا سيما وأن التذمر والاستياء أخذ يظهر في معسكر الأحزاب الذي ظل جنوده (وهم أكثر من عشرة آلاف) قرابة ثلاثين يوما معوّقين مجمدين أمام الخندق لا يستطيعون القيام بأي عمل عسكري حاسم ضد المسلمين »[2].

10 ـ وجاء نصر الله ! : وأخيرا وبعد ما ابتلي المؤمنون ، وظهر المرجفون والمنافقون ، وتفتت حلف الأعداء المعتدين ، وانهزموا معنويا .. جاء نصر اللّه لعباده المؤمنين ، إذ هبت ريح عاتية عاصفة شديدة البرودة أكلت الأخضر واليابس وفعلت فعلتها في معسكر الجند الوثني القبلي ، فقلعت الخيام ، وأقلبت القدور وأملأت العيون ترابا ، وعمت الفوضى والهرج ، وأصبح الجند المشرك لا يعرف أين يتجه ؟ .

علم رسول اللّه ـ صلعم ـ عن طريق استخباراته ما حدث لحلف الأحزاب من تفكك وخلاف ، ورأى الريح تفعل فعلتها في المعسكر المشرك ، أراد أن يعرف ما يدور في خلد الأحزاب فبعث أحد مخبريه وهو "حذيفة بن اليمان" ليتطلع الأمر ثم يعود بتقرير شامل عن أحوالهم وتفكيرهم .

وها هو حذيفة يعطينا تفصيلا دقيقا عن حالة المعسكر المشرك جندا وقيادة فيقول :« فذهبت فدخلت في القوم والريح وجنود اللّه تفعل بهم ما تفعل ، لا تقر لهم قدرا ولا نارا ولا بناء . فقام أبو سفيان ، فقال : يا معشر قريش ، لينظر امرؤ من جليسه ؟ قال حذيفة : فضربت بيدي على يد الذي عن يميني ، فأخذت بيده فقلت : من أنت ؟ قال : معاوية بن أبي سفيان ؛ ثم ضربت بيدي على يد الذي عن شمالي فقلت : من أنت ؟ قال : عمرو بن العاص . ثم قال أبو سفيان : يا معشر قريش إنكم واللّه ما أصبحتم بدار مقام ، لقد هلك الكراع والخف ، وأخلفتنا بنو قريضة وبلغنا عنهم الذي نكره ، ولقينا من شدة الريح ما ترون ، ما تطمئن لنا قدر ، ولا

---

(1) ـ **ابو بكر جابر الجزائري** : (المرجع السابق) ص309.

(2) ـ **محمد أحمد باشميل** : غزوة الأحزاب .(مرجع سابق) ص263.

تقوم لنا نار ، ولا يستمسك لنا بناء ، فارتحلوا فإني مرتحل »[1] .

بهذا الوصف الدقيق لحذيفة يتضح لنا جليا الحالة النفسية التي كان عليها العدو في آخر حصاره للمسلمين مما جعله لا يفكر إلا في كيفية الرجوع والخروج من هذا المأزق الذي وقعوا في شباكه ، وخاصة بعدما ألقى الله في قلوبهم الرعب والخوف ، مما جعلهم يعودون منهزمين نفسيا يجرون أذيال الفشل والخسران وانتصر المسلمون انتصارا معنويا على جميع الأصعدة بعدما اختبرهم الله وابتلاهم ابتلاء زاغت فيه الأبصار وبلغت القلوب الحناجر ، فنالوا جزاء صبرهم وثباتهم على الحق ، واستجاب لهم ربهم ولنبيهم الذي كان يدعوه ويقول :« اللّهم منزل الكتاب سريع الحساب ، أهزم الأحزاب ، اللّهم اهزمهم وزلزلهم » ، وكان عليه الصلاة والسلام يقول للمؤمنين قولوا :« اللّهم استر عوراتنا وآمن روعاتنا » .

وهكذا استجاب الله للمسلمين الذين كفاهم لقاء مباشرا مع الأعداء ونجاهم من هذا الحلف المتآمر عليهم ، ولذلك ذكر الله سبحانه وتعالى المؤمنين بنعمته عليهم حيث قال تعالى :

« * يا أيها الذين ءامنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ جاءتكم جنود فأرسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها وكان الله بما تعملون بصيرا * »[2] . إلى أن يقول :

« * ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قويا عزيزا * »[3]

ب ـ الأحزاب الكافرة :

اولا ـ قبل الخروج : عرفنا فيما سبق أن قريشا أصبحت عاجزة عن مواجهة المسلمين وحدها مثلها مثل بقية الأطراف الأخرى المعادية لمحمد ورسالته ، ولذلك كان على كل طرف من هذه الأطراف أن يستعد لاستغلال فرصة قد تتيح له ضرب الإسلام والقضاء على نبيه ، وبالتالي تهنأ وتهدأ وترجع لها مكانتها على جميع الأصعدة .

هذا الشعور هو الذي كان يسود أعداء محمد جميعهم رغم اختلاف أفكارهم وايديولوجياتهم ، فهذه الحالة جعلت اليهود ـ وخاصة يهود بني النضير ـ يفكرون في أسلوب حاسم يصلون من خلاله إلى استراتيجية يقضون بها على محمد ودينه ، وبعد تفكير عميق توصل دهاقنة اليهود إلى حل يتمثل في تجميع قوة عسكرية حاشدة في جبهة موحدة هدفها القضاء على الإسلام من جذوره .!!

واتفق زعماء يهود بني النضير أن يقوموا بجولة بأنفسهم لرؤساء الأطراف المعادية لمحمد ؛ قصد إقناعهم ، وتأليبهم ، وجعلهم يقبلون هذه الخطة الكفيلة ـ في زعمهم ـ بضرب الإسلام والقضاء عليه ، من قبل الجميع ؛ وفعلا استعدوا لتنفيذ هذه الخطة الجهنمية وفق الاستراتيجية التالية :

1 ـ إعلام قريش بالمخطط : تحرك وفد من يهود بني قريضة يضم زعماءهم ، وعلى رأسهم

---

(1) ـ محمود شاكر : التاريخ الإسلامي ج 2 ـ السيرة ـ (مرجع سابق) ص285.

(2) ـ سورة **الأحزاب** : الآية ٩.

(3) ـ سورة **الأحزاب** : الآية ٢٥ .

"حيي بن أخطب" متجها نحو مكة قصد إعلام المشركين بمخططهم الذي وضعوه وفق استراتيجية تضم كل الأحزاب المعادية لمحمد ، وعلى رأسهم قريش بصفتها العدو التقليدي الأول لمحمد ورسالته . ووصل الوفد واجتمع بقادة قريش وعلى رأسهم "أبو سفيان" وأعلمهم بالمخطط مستعملا الحجج والأدلة للنجاح ، وهذا كله من أجل تأليب قريش وجعلها تقبل بمخطط اليهود.

اطلعت قريش على المخطط ففرحت به ووافقت بدون شروط لأنها كانت تنتظر مثل هذه الفرص بل شكرت وفد بني النضير الذي حضر مجلس قريش في دار الندوة وقال زعيمهم أبو سفيان :« أهلا ومرحبا ، وأحب الناس إلينا من أعاننا على عداوة محمد »[1] .

وبهذا استطاع الوفد اليهودي إقناع أكبر حزب معادٍ لمحمد ، مما يجعل مهمته فيما بعد سهلة ويسيرة .

2.نحو غطفان: بعد نجاح الوفد في مهمته الأولى مع قريش ، خرج الوفد قاصدا قبائل غطفان لعرض الخطة على زعمائها ، حيث أخبرهم بالخطة وقبول قريش لها واستعدادها أحسن الاستعداد ، مما جعل زعماء غطفان يلينون ويطمعون - وهذه طبيعة الأعراب - . وبعد محادثات اتفق على أن تشارك غطفان بقوة مقدارها ستة آلاف مقاتل مقابل محصول سنة لثمر نخيل خيبر .

وبهذا التكتيك اليهودي نجح الوفد في مهمته واستطاع أن يحشد جيشا من:« التحالف الوثني اليهودي القبلي ضد المسلمين ، كانت قريش وغطفان من أهم أعضائه ، واتفقوا على شروط من أهمها :

أن تشارك غطفان بستة آلاف مقاتل ، وأن يدفع اليهود لها كل ثمار خيبر لسنة واحدة وحشدت قريش أربعة آلاف مقاتل فكانوا عشرة آلاف ... »[2] .

ثانيا - الخروج : بعد الاتفاق مع اليهود ، استعدت الأحزاب استعدادا كاملا وذلك بحشد جيش جرار منظم وممون بكل ما يحتاجه وكانت تكتيكات الخروج كما يلي :

1.قريش: استعدت قريش لهذه الغزوة استعدادا استطاعت بواسطته أن تحشد :

- أربعة آلاف جندي مقاتل بما في ذلك حلفاؤها ، يملكون تسليحا متطورا - بمفهوم عصرهم - منظمين أحسن تنظيم ، ومتوفرين على زاد كاف لهذه المهمة .
- كانت تحمل معها خمسمائة بعير (سلاح النقليات) وثلاثمائة فرس (سلاح المطاردة) .
- اللواء : "عثمان بن طلحة" .
- القيادة العامة للجيش : "أبو سفيان بن حرب" .
- قيادة الفرسان : "خالد بن الوليد" .

2.أعراب غطفان: حضرت أعراب غطفان نفسها لهذه الغزوة تحضيرا من أجل الطمع والغزو ، وأخذ مقابل غزوهم من اليهود . لهذا كله حشدت غطفان ومن حالفها ستة آلاف مقاتل .

---

(1) - **محمد أحمد باشميل** : غزوة الأحزاب .(مرجع سابق) ص137.

(2) - **عمر عبيد حسنة** : نظرات في مسيرة العمل الإسلامي ، الجزائر : دار الشهاب . ص74.

وتحركت هذه القوات تحت قيادات مختلفة بحسب القبائل وكانت كالتالي[1] :

أ ـ بنو فزارة : "عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر" .

ب ـ بنو أسد : "طليحة بن خويلد" .

جـ ـ بنو أشجع : "مسعود بن رخيلة بن نويوة" .

د ـ بنو مرة : "الحارث بن عوف" .

بهذا التكتيك خرج جيش الأحزاب المتحالفة يريد المدينة المنورة ، حيث التقت قوة قريش مع قوة غطفان بمر الظهران في طريقهم جميعا إلى المدينة ، وأصبحت هذه الترسانة كلها تحت إمرة أبي سفيان كقائد عام لقوات الأحزاب .

وصل الجيش المتحالف إلى المدينة و :« عسكر الجيش المكي في مجمل الأسيال من رومة بين الجرف وزغابة ، كما عسكرت غطفان بجيوشها بذنب نُقمى إلى الطرف الغربي من جبل أحد »[2] .

ثالثا ـ حصار المدينة : وصلت الجيوش الجرارة المتحالفة إلى المدينة وعسكرت في الناحية الشمالية ، واندهشت لأنها وجدت المدينة « محصنة بالخندق وجيشا من المسلمين معبأ بحب الموت شوقا إلى لقاء الله »[3] .

وكان أسلوب الخندق الذي استعمله المسلمون عائقا كبيرا للجيش المتحالف أفسد تكتيكاتهم وخططهم ، وأصبحوا يتحركون تحركا فوضويا قصد إحداث فجوة في هذا الخندق ، حيث كانت هذه المحاولات الفوضوية كما يلي

1 ـ محاولة اختيار مواقع الهجوم : لقد أفسد الخندق استراتيجية الأحزاب المتحالفة والتي خططوها من قبل ، لأنهم لم يتوقعوا قط مثل هذا الأسلوب الذي تجهله العرب ولذلك تجمع قادة الجند المتحالف ، وقرروا معاينة شاملة لهذا الخندق ودراسته حتى يتسنى لهم كيفية اقتحامه ، أو وجود ثغرات داخله يمكن المرور منها . وفعلا عاين القادة الخندق من جميع الجوانب ؛ ولكنهم وقفوا حائرين مدهوشين غاضبين أمام هذه المكيدة التي لم تعرفها العرب كما قالوا هم أنفسهم .

وبعد هذه المعاينة والتي لم يستطيعوا من خلالها تخطيط أي استراتيجية واضحة وجلية للخروج مما هم فيه ، لذلك قرروا الحصار والبقاء خارج المدينة والتفكير والقيام ببعض المحاولات الفوضوية الانتحارية لعلها تنجح في فتح ثغرة أو فجوة تمكن فيما بعد القادة لتكتيك ما . يهاجمون من خلاله الجيش المسلم ويقضون على خط الخندق الذي أعاقهم وجمد نشاطهم وأثر في معنوياتهم .

2 ـ محاولة التسلل داخل المدينة : عرفنا فيما سبق أن يهود بني قريضة خانوا العهد مع محمد وانضموا إلى التحالف ، وكان القصد من وراء هذا التحالف تطويق الجيش المسلم وضربه من الداخل في الوقت الذي يُهجم عليه من الخارج ، وبالتالي تسهل المهمة ويكون القضاء النهائي على المسلمين ـ في زعم اليهود المخططين . .

حاول اليهود أن يضربوا من الداخل وخاصة النساء والأطفال مما يجعل

---

(1) ـ **محمد أحمد باشميل** : غزوة الأحزاب .(مرجع سابق) ص143 ،144.

(2) ـ **محمد أحمد باشميل** : (المرجع السابق) ص174.

(3) ـ **عبد الرحمن خليل إبراهيم** : دور الشعر في معركة الدعوة الإسلامية أيام الرسول ـ صلعم ـ الجزائر : الشركة الوطنية للنشر والتوزيع .(1971م) ص358.

المسلمين يضطرون إلى الدفاع عن ذويهم وأهليهم فيتركون مواقعهم . حراستهم الخندق : فيستغل الجند المتحالف من الخارج الفرصة ويهجم بالقفز على الخندق من خلال أماكنه الضيقة ، أو بردم بعض الأماكن والمرور عليها ، وهذه العمليات كلها تمر دون مقاومة لأن المسلمين منشغلون بالدفاع عن أعراضهم وحمايتها .

وفعلا فقد بعث اليهود دورية استخبارية متمثلة في رجل منهم قصد الاستطلاع والحصول على معلومات تبين مواقع ومواضع النساء والأطفال ، ثم الرجوع بتقرير يرفع إلى القيادة التي تخطط لهجوم مباغت على النساء والأطفال لكن هذه الخطة أراد لها الله الفشل فأحبطت في بدايتها لأن رجل الدورية لم يعد إلى اليهود إطلاقا ، لأن صفية بنت عبد المطلب عمة النبي - صلعم - « رأته يحوم حول تلك الدور ليستطلع ما فيها ومن فيها ودرجة قوتها ومقدار حماتها من المسلمين فاستطاعت قتله مستفيدة من عمود خشبي »[1] .

3 . العمليات الاستفزازية : بعدما عجزت الأحزاب عن هجوم المسلمين مثلما كان مخططا له من قبل ، التجأت إلى العمليات الاستفزازية قصد التضييق وحصر الجند المسلم وجعله يفشل مع مرور الأيام ، متأثرا بالضغط العسكري من الخارج ،والضغط الاقتصادي الذي كان له أثره بحيث أصبح المسلمون يعيشون في مجاعة مصحوبة بالتعب الذي عانوه من خلال حفر الخندق ، زيادة عن الظروف المناخية التي كانوا يعيشونها أثناء مرابطتهم ، والأعمال الدورية المستمرة ليل نهار لحراسة الخندق وقد كانت هذه العمليات تتمثل في الاستفزازات التالية :

ا - هجوم كتيبة من فرسان قريش : قامت كتيبة من فرسان جيش الأحزاب باقتحام مكان ضيق من الخندق ومروا من خلاله ، حيث تصدت لها كتيبة من جيش المسلمين وقضت على زعيمها وفرّ الباقون ، وقد عرفنا هذه الحادثة فيما سبق .

ب - محاولة ثانية لإقتحام الخندق : حاولت كتيبة أخرى بقيادة "خالد بن الوليد" اقتحام مكان من الخندق ، لكن الجند المسلم تصدى لها النهار كله حتى الليل ، لأن خالدا ظل في كتيبته يناوش المسلمين طيلة اليوم مما عطل المسلمين عن صلاة العصر . ورغم مناوشة خالد وكتيبته فإنه عجز عن اقتحام الخندق لأن « ظروفا خارجة عن إرادة خالد وقفت في وجهه ومنعته من تحقيق أمله في عبور الخندق »[2] .

جـ - التراشق بالنبال : من بين الاستفزازات التي استعملها الجند المتحالف المشرك رشقهم الجيش المسلم من حين لآخر بالنبال كقذائف مزعجة ومرعبة في الوقت نفسه ، حيث يؤثر هذا الفعل على معنويات الجيش المسلم ، وجعله يبتعد عن مواقعه ومراكزه التي حددت له من خلال الاستراتيجية العامة ، ومن الذين أصيبوا بهذه القذائف النبالية والسهمية سعد بن معاذ - رضي الله عنه - حيث أصيب بسهم ، مما جعله يدعو ربه قائلا : « اللّهم إنك تعلم أنه ليس أحد أحب إلي أن أجاهدهم فيك من قوم كذّبوا رسولك - صلعم - وأخرجوه . اللّهم فإني أظن أنك قد وضعت الحرب بيننا وبينهم فإن كان بقي من حرب قريش شيء فأبقني له حتى أجاهدهم فيك ، وإن كنت

---

(1) - محمود شيت خطاب : الرسول القائد .(مرجع سابق) ص231.

وانظر بالتفصيل : **ابن هشام** : السيرة النبوية ج3.(مصدر سابق) ص239.

(2) - محمد فرج : شخصيات عسكرية إسلامية .(مرجع سابق) ص151.

وضعت الحرب فافجرها واجعل موتي فيها »[1].

وزيادة عن التراشق بقذائف النبال والسهام ، كانت قوات الجيش المتحالف تقوم من حين لآخر باستفزازات بواسطة كتائب الفرسان التي كانت تقوم بدورات حول الخندق قصد التخويف والرعب وإثارة الأعصاب ، وجعل المسلمين يعيشون دوما - أثناء فترة الحصار - في هلع وخوف ...

4. **تشتت الأحزاب :** بقيت جيوش الأحلاف تقوم باستفزازاتها ، ومحاولاتها المتعددة قصد اختراق الخط الأحمر المتمثل في الخندق ، حتى جاء " نعيم بن مسعود " الذي خذل بين الأحزاب ، ونجح نجاحا باهرا في تشتيت الحلف - وقد عرفنا هذا سابقا -.

تشتتت الأحزاب وتفرقت وأصبحت تشك في بعضها البعض ، وخاصة بعدما حددوا يوم الهجوم الشامل وخالفهم بنو قريضة ، وما دار بينهم من شروط رفضت من جميع الأطراف ، وبالتالي أصبح كل طرف يخطط للخروج من هذا الحلف ناجيا بنفسه ، وكان لهذا التشتت والتفرق أثر بالغ على معنويات جيشهم وحتى القادة أنفسهم .

ومما زاد في الطين بلة أن الله سبحانه وتعالى أرسل عليهم ريحا عاتية حطمت لهم الخيام والمؤونة ، وكل ما يحتاجونه من وسائل ضرورية كالنار والماء .. زيادة عن الظلام الدامس ، والغبار المتناثر الذي أعمى بصائرهم ، وأصبحوا لا يدرون أين يتجهون ؟!.

هذه العوامل المؤثرة جعلت معنويات الجند المتحالف تتحطم وتنهار خوفا ورعبا لأن الله قذف في قلوبهم الرعب فأصبحوا مدهوشين وحيارى من أمرهم وقد حل بهم الضرر والتشتت والتفرق .

5. **انسحاب الأحزاب :** بعد التفرق والتشتت والرعب الذي أصاب الجند من خلال الريح العاتية لم يبق لهذه الأحزاب سوى حل واحد هو الانسحاب وفك الحصار المضروب على المدينة ، وفعلا فقد أسرع أبو سفيان بإعطاء الأمر بالانسحاب حيث قال : « يا معشر قريش إنكم والله ما أصبحتم بدار مقام ، فقد هلك الكراع (الخيل) والخف وأخلفتنا بنو قريضة ، وبلغنا عنهم الذي نكره ، ولقينا من هذه الريح ما ترون ، والله ما تطمئن لنا قدر ، ولا تقوم لنا نار ، ولا يستمسك بنا بناء ، فارتحلوا فإني مرتحل »[2].

وانسحبت قوات المشركين تجر ذيل الهزيمة النفسية ، هزيمة الإخفاق والفشل ، مما جعل قائد جند الأحزاب " أبو سفيان " - كما يقول المؤرخون - يكتب إلى النبي خطابا - يبرر فيه عملية الانسحاب - « يعيب فيه عليه الاحتماء بالخندق ويذكر له إنه لولا مكيدة الخندق لما بقي للمسلمين من وجود »[3].

وعندما سمعت غطفان بما فعلت قريش انسحبت هي الأخرى تجر وراءها ذيل الهزيمة كحليفتها قريش ، وبهذا هزم الله الأحزاب وحده ، وأذل الغادرين الناقضين للعهد من يهود بني قريضة ، ومرجفي المدينة من المنافقين ومن لف

---

(1) - البخاري : صحيح البخاري مج3/ج3.(مصدر سابق) ص51.

وانظر : صفي الرحمن المباركفوري : الرحيق المختوم .(مرجع سابق) ص364.

(2) - حامد محمود ليمود : منتقى النقول في سيرة أعظم رسول .(مرجع سابق) ص286.

(3) - محمد أحمد باشميل : غزوة الأحزاب .(مرجع سابق) ص269.

لفهم . ونجى الله المؤمنين وكفى الله المؤمنين القتال . !!

يقول الله تعالى :

« ﴿ ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قويا عزيزا ﴾ »[1] .

وانتهت شوكة قريش إلى الأبد ، لأنها لم تغزُ المسلمين بعد هذه الغزوة وأصبحت في حالة دفاع بدل الهجوم وقد بشر الرسول ـ صلعم ـ المسلمين بعد أن وضعت الحرب أوزارها حيث قال عليه الصلاة والسلام :

« لن تغزوكم قريش بعد عامكم هذا ، ولكنكم تغزونهم »[2] .

جـ ـ الدروس والعبر

من خلال دراستنا لغزوة الأحزاب يظهر لنا جليا أن هذه الغزوة كانت الحرب فيها حربا نفسية بالدرجة الأولى ، نظرا للوسائل التي استعملت فيها سواء من قبل المسلمين أو الأحزاب المتحالفة ؛ هذه الوسائل والتقنيات المستعملة تجعلنا نقف أمام دروس وعظات جمة نوجزها في الآتي :

اولا : التآمر اليهودي : اليهود على مر التاريخ وحتى يومنا هذا دائما وراء المؤامرات ، وخاصة إذا رأوا أن مصالحهم مهددة ، وهذا ما حدث في هذه الغزوة ،حيث ألّبوا أعداء الإسلام ، وصبوا الزيت على النار ، وجمعوا الجموع ، واستعملوا حتى أموالهم في إقناع البعض ، واستطاعوا بالفعل أن ينجحوا في جمع حشد كبير لمهاجمة المدينة والقضاء على الإسلام ..!!

وفي الجانب الآخر ـ داخل المدينة ـ نقض يهود "بني قريضة" العهد والمواثيق التي كانت تربطهم بالمسلمين بمجرد أن أقنعهم زعيم هذا التآمر "حيي بن أخطب" بأنه جاء بجيش جرار سيقضي على محمد ودينه والحقيقة أن هذا الغدر ونقض العهد دون مبرر أمر عادي بالنسبة لليهود ، وصفة أساسية في أخلاقهم في كل عصر من العصور ، حتى مع أنبيائهم ، والآيات التي تدل على هذه الصفة كثيرة في القرآن !!

ثانيا : التقنيات الجديدة ودورها في المعارك : أسباب نجاح جيش أو انهزامه ترجع دائما إلى الأساليب التقنية المستعملة سواء على الصعيد المعنوي ،أو على الصعيد المادي ، وكلما كانت هذه الأساليب العسكرية جديدة ومجهولة لدى الخصم ، كلما كانت ذات أثر ناجح وفعال ..

وهذا ما ظهر في غزوة الأحزاب ، حيث لما وصل الجند المتحالف وجد أمامه أسلوبا تقنيا جديدا لم يعرفه من قبل ، ولم يفكر إطلاقا قادته في كيفية استعمال تقنيات مضادة لهذا الأسلوب ، وبالتالي عجزوا عن اقتحامه وفشلوا في كل محاولاتهم التي كانت وفق تكتيك قديم وفوضوي .. !!

والدرس الذي يستفاد من هذا أن الوسائل تتغير بتغير الزمان والمكان ،ولا

---

(1) ـ سورة **الأحزاب** : الآية ٢٥ .

(2) ـ **ابن كثير** : السيرة النبوية ج3.(مصدر سابق) ص221.

وانظر : **أبو الحسن الندوي** : السيرة النبوية .(مرجع سابق) ص291.

حرج في ذلك ما دامت لم تتعارض مع الشرع ، لذلك وجدنا الرسول ـ صلعم ـ قبل هذه التقنية الحربية الجديدة مباشرة بعد عرضها من قبل سلمان ـ رضي الله عنه ـ لأنها تدخل في باب الحكمة التي هي ضالة المؤمن .

والأساليب التقنية الجديدة ـ على جميع الأصعدة ـ تدخل ضمن التعبئة العامة للجيش على الصعيد العسكري والتعبئة الجماهيرية على الصعيد المدني والقائد الذكي هو الذي يستغل الفرصة ليطور جيشه بأسلحة جديدة ، وتكتيكات متطورة ..

ثالثا : دور القيادة في التعبئة : القيادة في كل مجتمع من المجتمعات هي أساس التطور والتحضر والانتصار سواء أكانت قيادة مدنية أو قيادة عسكرية ، وهذا ما يتجلى من غزوة الأحزاب ، حيث كانت قيادة المسلمين قيادة حكيمة ورشيدة ، تنظر إلى الأمور بمنظار الوحي ثم العقل ، تشعر وكأنها جزء لا يتجزأ من قواتها ، تعمل وتجد مثلهم ، بل تتحمل المصاعب والمشاق أكثر منهم ـ حفر الخندق ـ تتألم لتألمهم ، تدعو لهم بالنصر وبالرحمة وبالمغفرة ، هذه الصفات في قائد المسلمين محمد ـ صلعم ـ جعلت أتباعه يطيعونه وينفذون أوامره ، ويفدونه بأنفسهم مستشعرين قول الله تعالى :

« ... **أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم** ... »[1].

أما في الجبهة المعادية ـ جبهة الأحزاب ـ فالقيادة كانت أنانية ، متجبرة تشعر أنها من طين غير طينة أفراد الجند والأتباع ، تنظر إليهم كما تنظر إلى متاعها ؛ بل في بعض الأحيان تحافظ على متاعها أكثر من محافظتها على أفراد قوتها هذه العوامل جعلت القيادة الوثنية اليهودية تشك في بعضها البعض ، لأن عنصر الثقة مفقود بين هذه الأحزاب نظرا لمصالحهما المختلفة فكل حزب يريد أن يحقق مصلحته على حساب الاستفادة من الآخر ، وهذا ما جعل "نعيم بن مسعود" ينجح بمجرد أن أشاع بينهم تلك الشائعة المفتراة .. !!

كما أن هذه القيادة غير مطاعة من قبل أتباعها طاعة تجعلهم يدافعون عنها دفاعا مستميتا أو يطبقون أمرها تطبيقا حازما وواعيا ، بل تتكاسل وتتثاقل وتتجاهل الأوامر ، وفي بعض الأحيان تحاول تطبيق عكس ما تقرره القيادة ، حتى ولو كان أمرا فرديا ، ولكن عدم تطبيق الأوامر يؤدي دائما إلى فساد الاستراتيجية العامة ـ كما حدث للمسلمين في غزوة أحد ـ

رابعا: الصبر على المرابطة : عرفنا أن جند التحالف حاصر المدينة مدة طويلة جعلته يشمئز ويقلق ويفقد معنوياته من خلال هذا الحصار الذي لم تتعود عليه العرب من قبل ، وهذا ما جعل قادة الأحزاب ينهارون ويفشلون بمجرد عدم التفاهم بينهم ، وعدم صبرهم على الريح التي زادت في تحطيم معنوياتهم ، وأسرعوا إلى الانسحاب تاركين كل متاع وزاد غنيمة للمسلمين ؛ لكن في المقابل وجدنا المسلمين مرابطين في أمكنتهم وفق الخطة المرسومة من قبل القيادة مدة الحصار رغم المعاناة والتعب ، وحرب الأعصاب التي كانت تقوم بها الأحزاب عن طريق الاستفزازات ، زيادة عن نقض بني قريضة للعهد مما جعلهم لا يأمنون على نسائهم

(1) ـ سورة النساء : الاية ٥٢ .

وأولادهم ، وعلى أنفسهم من القاعدة الخلفية .. فرغم هذا البلاء ، والمحن ، بما فيها الجوع ، فإن المسلمين صبروا صبرا جميلا على هذه المرابطة دفاعا عن إسلامهم ونبيهم ووطنهم (المدينة) ، ولم يتزعزعوا قط عن هذه المرابطة رغم المعاناة التي وصلت أقصاها من جراء أنواع البلاء بما في ذلك شدة الخوف ، وقد وصف الله سبحانه وتعالى حالتهم هذه بقوله : « ...وإذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر... »[1] .

وقوله : « * هنالك ابتلي المومنون وزلزلوا زلزالا شديدا * »[2] .

وبقي المؤمنون الصادقون مرابطين ثابتين صابرين حتى أتى الله بنصره وانهزمت الأحزاب بتفرقهم وتشتتهم وعدم صبرهم على الحصار والبلاء الذي أصابهم من الله كعذاب لهم ، مما جعلهم ينسحبون صفر اليدين ، وكفى اللهُ رسولَه والمؤمنين قتالهم ومواجهتهم حيث قال تعالى : « * ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا وكفى الله المومنين القتال وكان الله قويا عزيزا * »[3] .

خامسا : دور الحرب النفسية : المتمعن في غزوة الأحزاب من بدايتها إلى نهايتها يجد مجمل أحداثها تدور وفق ما يسمى بمصطلح "الحرب النفسية" ، لأن أحداث هذه الغزوة تمثلت في جمع حشود عسكرية كبيرة هدفها هزم المسلمين نفسيا من خلال الخوف والرعب ، وبالتالي تسهل على هذه الحشود أن تهزمهم عسكريا ، كما أن الدور الذي لعبه زعماء يهود بني النضير في إقناع الأعداء للإسلام ، والأساليب التي استعملوها مع كل طرف تُعد من صميم الحرب النفسية .

كما تبين لنا دور الشائعات في هذه الغزوة والتي لعبت دورا فعالا سلبا وإيجابا لكلا الجبهتين المتخاصمتين ، فعن جانب جبهة الرسول - صلعم - عرفنا كيف بدأت تتسرب إشاعة نقض العهد من قبل يهود بني قريضة ، ولذلك أسرع رسول الله - صلعم - بأن بعث وفدا لتقصي الحقيقة والقضاء على هذه الشائعة في مهدها وبالفعل فقد ظهرت الحقيقة رغم مرارتها ، ولكنها قضت على الشكوك والتخمينات السلبية ، وجعلت المسلمين على بينة من أمرهم ومعرفة أعدائهم من الداخل والخارج حتى يكون إعدادهم شاملا على جميع الأصعدة ، ولذلك وجدنا رسول الله - صلعم - عندما علم بالخبر اليقين كبّر وقال : « أبشروا يا معشر المسلمين » .

ومن جهة ثانية فإن المنافقين كعادتهم حاولوا بث سموم إشاعة التخذيل والتوهين والكسل والاعتذارات الواهية ، وهذا منذ بداية الاستعدادات الأولية لمواجهة الأعداء ، وخاصة أثناء حفر الخندق ، كما حاولوا لجبنهم بث إشاعة الرعب والخوف بين الصفوف ، وخاصة عندما اشتد اليأس وتقولوا بكلمات حتى في حق الله ورسوله ، وهذا كله قصد إحباط معنويات المسلمين وفشلهم وجعلهم يستسلمون ويخضعون للأمر الواقع .

لكن بفضل الله ثم بفضل المؤمنين الصادقين وبقيادة النبي - صلعم - فإن هذه الإشاعات تحطمت كلها أمام نفوس قلوبها مملوءة إيمانا وتوكلا وعزما ، وفشل أصحاب هذه الشائعات فشلا ذريعا كعادتهم في كل غزوة من غزواته - صلعم - .

---

(1) - سورة الأحزاب : الآية ١٠ .

(2) - سورة الأحزاب : الآية ١١ .

(3) - سورة الأحزاب : الآية ٢٥ .

أما من جانب جبهة الأعداء المتحالفين ، فإن الحرب النفسية كان لها تأثير قوي على معنوياتهم وأعصابهم ، فبمجرد مشاهدتهم الأسلوب الحربي الجديد المتمثل في الخندق ، فقدوا صوابهم ، وأصبحوا في حالة نفسية سيئة لوجود هذا العائق ، ولذلك كما عرفنا فيما سبق أنهم أصبحوا يقومون بعمليات انتحارية ودورات استفزازية دون تخطيط أو استراتيجية ، وإنما هي عمليات ذات ردود أفعال نفسية بحتة ...

ومن جهة أخرى فإن دور الشائعة التي بثها " نعيم بن مسعود " قصد تفريق وتمزيق جبهة الأعداء نجحت نجاحا كبيرا لأنها وجدت مناخا لدى جبهة الأعداء مما ساعدها على إثارة بذور الشك والاختلافات فكانت النتيجة التمزق والتفرق والانفجار الداخلي لهذا الحلف ، الذي لم تقم له قائمة بعد ذلك اليوم .

كما لا ننسى الرعب والخوف الذي أصاب الجيش المتحالف ، وحتى قادته من جراء الريح التي سخرها الله سبحانه وتعالى لضرب الأعداء ، فكانت بمثابة قنبلة نووية - في عصرنا الحاضر - حطمت كل آمالهم ، وأحدثت رعبا كبيرا في نفوسهم ، ومسحت خيامهم من ميدان المعركة ، بما في ذلك أمتعتهم و زادهم ...

وهذا ما جعلهم يسرعون إلى الانسحاب تاركين كل شيء وراءهم غنيمة للمسلمين .

وهكذا يتضح لنا من خلال دراستنا لغزوة الأحزاب ، ومعرفة الدروس والعبر أن هذه الغزوة كانت غزوة حاسمة ، وفاصلة بين مرحلتين من مراحل الصراع العسكري بين قوى الإيمان ، وقوى الكفر ، فبعدما كان المسلمون قبل هذه الغزوة في حالة دفاع عن أنفسهم وعقيدتهم ، أصبحوا بعد هذه الغزوة التي كان الأعداء يعتقدون أنها آخر ضربة سيوجهونها للإسلام معنويا وماديا ، وهذا من خلال تكتلهم وتجمعهم ولذلك بعدما فشلوا وتفرقوا أصبح من المستحيل على أي طرف عدو للمسلمين أن يثور وحده ضدهم ، لهذا كانت نتيجة هذه الغزوة لصالح المسلمين ماديا ومعنويا - على جميع الأصعدة - بحيث انتقل المسلمون من مرحلة الدفاع إلى مرحلة الهجوم وبدءا من اليوم الذي انتهت فيه غزوة الأحزاب . (متابعة بني قريضة ، ومحاسبتهم جزاء غدرهم) .

وأصبح المسلمون هم الذين يملكون عنصر " المبادأة* " حيث واصلوا فيما بعد هذه الغزوة عمليات التطهير شيئا فشيئا حتى شملت شبه الجزيرة العربية كلها وبالتالي أصبح الإسلام ينتشر بحرية وفي أمن وأمان ، وأصبحت سمعة المسلمين على الصعيدين المدني والعسكري تتألق حتى وصلت إلى ذروتها ، وأصبحت أية قوة مهماكانت - بما في ذلك القوة الخارجية - لاتستطيع أن تفكر في غزو المسلمين ... !!!

*****

---

* - المبادأة : تعبير يُقصد به من الناحية العسكرية السبق بالعمل لإجبار العدو على تبديل خطته والاحتفاظ بهذا السبق .

انظر : محمود شيت خطاب : الرسول القائد .(مرجع سابق) ص239.

الباب الرابع

مواجهة الحرب النفسية في الإسلام

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفصل الأول

دور العقيدة في تقوية عوامل الوحدة والتماسك وقطع أسباب الفرقة والخلاف

تمهيد

أولا : التربية العقائدية

أ ـ على الصعيد المدني

1. المنطق السليم
2. حب العمل والجد والاجتهاد
3. التعارف والتآلف الأخوي
4. التصدي لأهل الباطل
5. شحذ الهمم

ب ـ على الصعيد العسكري

أولا : الإعداد المعنوي

1. تحصين الجندي بالعقيدة
2. الطاعة والانضباط
3. دور الثقة

أ ـ الثقة بالنصر

ب ـ الثقة في النفس

جـ ـ الثقة في القائد

ثانيا : الإعداد المادي

1. على صعيد التنظير
2. على صعيد المؤسسات
3. على صعيد العتاد القتالي
4. على الصعيد البشري
5. على الصعيد المالي
6. على صعيد الجبهة المدنية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ثانيا : العمل على تقوية الوحدة والتماسك

أ ـ البعد الوحدوي

1. على صعيد العقيدة
2. على صعيد العبادة
3. على صعيد المعاملات

ب ـ البعد الاجتماعي

1. الأخوة
2. المشاركة الوجدانية الفعالة
3. التكافل الاجتماعي

جـ ـ البعد المصيري

1. على صعيد المبادئ
2. على صعيد الأهداف
3. على صعيد الأخطار

ثالثا : قطع أسباب الفرقة والخلاف

1. إقامة العدل
2. حماية حرية الإنسان
3. محاربة الظلم والاستبداد
4. إحياء القيم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

« وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة
ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم ... »

الأنفال : ٦٠

« أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا
وإن الله على نصرهم لقدير »

الحج : ٣٩

« وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم
ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين »

البقرة : ١٩٠

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

تمهيد

عرفنا فيما سبق من الأبواب أن الحرب النفسية جرثومة فتاكة بما تسببه من أخطار للأمة سواء على صعيد مؤسساتها ـ مدنيا وعسكريا ـ أو على صعيد الجماهير والأفراد ، وهذا من خلال تقنية أسلحتها التدميرية التي تهدف إلى التحطيم والفرقة ، والتشتت ، والخلاف الممقوت ، مما يسهل للأعداء بث أفكارهم وعقائدهم ، وايديولوجياتهم بكل سهولة ، ودون مقاومة من الخصم .

وإذا كان الصراع بين أهل الحق وأهل الباطل سنة من سنن الله في أرضه ـ ولهذا خلقهم ـ فإن الحرب ـ بمفهومها الشامل ـ أمر لا مفر منه ، سواء بين أهل الحق والباطل ، أو بين أهل الباطل مع بعضهم .. وهذا ما نستقرأه من خلال تاريخ الشعوب بصفة عامة ، وتاريخ الحضارة الإسلامية بصفة خاصة .

وإذا كانت الحرب سجالا بين الأمم والشعوب ، وللباطل جولة ـ أحيانا ـ فإن أهل الحق منتصرون ـ في كل الأحوال ـ لأن دولة الباطل ساعة ، ودولة الحق إلى قيام الساعة .

وهذه هي سنة الله في خلقه يقول تعالى :

« .. فلن تجد لسنة الله تبديلا ولن تجد لسنة الله تحويلا * »[1] ، وقوله :

« * وقل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا * »[2] .

لكل هذا فإن أهل الحق يحتاجون دوما إلى إعداد القوة ـ ماديا ومعنويا ـ لحماية الحق ، وإفشال كل الأساليب اللا إنسانية التي تُستعمل من قبل أهل الباطل وهذا على جميع الأصعدة : لأن أهل الباطل يستغلون دوما كسل ونوم أهل الحق مما يجعلهم يضاعفون جهدهم باستعمال أساليب جهنمية للوصول إلى أغراضهم وأهوائهم حتى ولو كانت على جبال من الجثث ، ووديان من دماء الأبرياء .. !!

ولمقاومة هذه الحرب التي يقوم بها أهل الباطل أصبح واجبا ـ وخاصة في العصر الحاضر ـ على أهل الحق ـ الذين يمثلون أمة الإسلام والذين قال فيهم رب العزة: « * كنتم خير أمة أخرجت للناس .. »[3] ـ أن يعدوا العدة بالاعتماد على وسائل تقنية تتماشى والعصر لمواجهة الحرب النفسية التي تشن وبكل قوة على الأمة الإسلامية على الصعيدين الداخلي والخارجي ، وفي جميع المجالات . فيجب على المسلمين أن يردوا الحملات التي تشن على عقيدتهم وشخصياتهم وفكرهم ، بوسائل مقننة علميا وتكنلوجيا ، على المسلمين في العالم الإسلامي أن يوحدوا جهودهم ووسائلهم ليردوا الهجمات الشرسة وليؤدوا رسالتهم في هذا الكون بكل حرية وأمن وسلام ووئام . لكن الواقع يؤكد أنه لا يتحقق هذا إلا من خلال إعداد قوي من قبل المسلمين وفي جميع المجالات ، والأصعدة ، مما يحتم على قادة المسلمين وعلمائهم أن يستنفروا الأمة استنفارا شاملا ، كلٌ في مجال تخصصه وعمله مستلهمين العون

---

(1) ـ سورة فاطر : الآية ٤٣ .

(2) ـ سورة الإسراء : الآية ٨١ .

(3) ـ سورة ال عمران : الآية ١١٠ .

من اللّه ، ثم من تاريخنا المجيد الغني بالمآثر والأحداث ، والانتصارات ، ومركزين في الوقت نفسه على قادة وأبطال هذه الأمة وجعلهم نبراسا تهتدي به الجماهير المسلمة ، مما يدفعها أن تعيش واقعها الإسلامي بكل ما تحمل من مشاعر وإحساسات وعواطف نحو عقيدتها وأرضها ووجودها ، وترجمة هذه القوى النفسية إلى صفات سلوكية نابعة من عقول إسلامية واعية ، وحازمة بالعزم والثبات والإرادة ، متحدية في الوقت نفسه قوى الظلم والطغيان والعدوان - بجميع أشكالها - ، هذه القوى التي لا تنام قط ، ولا يهدأ لها بال في محاربة أهل الإسلام ، والتاريخ الإنساني خير شاهد لمن أراد الحجة والبرهان ..

وإذا كان الواجب يفرض على المسلمين مقاومة أهل الباطل والكفر - في كل عصر من العصور - مما يستوجب عليهم الإعداد المادي والمعنوي ، فهذا ليس معناه أنهم متعطشون للدماء ، وقهر العباد واستعبادهم ، والاعتداء على أراضيهم وخيراتهم قصد التوسع والاستدمار ، وترقية نهضتهم ، وتنمية اقتصادهم على حساب الشعوب الأخرى - كما يزعم بعض المستشرقين - لكن الحقيقة عكس ما يروج وما يشاع من تضليلات ودعايات هدفها تشويش الأفكار وتعمية العقول ، وجعلها تنظر إلى الإسلام والمسلمين بضبابية ، تجعل صاحبها لا يرى الرؤية الواضحة السليمة التي تنجيه من طرق الظلام وتؤدي به إلى الطريق المستقيم .

إن الحرب في الإسلام أمر استثنائي شرع من أجل الأمن والسلام للبشرية التي يعتدى عليها من قبل المعتدين والظالمين ، شرعت الحرب من أجل الدفاع عن العقيدة التي جاءت للناس كافة إلى أن يرث اللّه الأرض ومن عليها ، شرعت الحرب لرد مظالم الضعفاء ، وإخراج الناس من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد ، ومن ظلمات الجهل والجاهلية إلى نور العلم والإسلام ..

ولولا محاربة أهل الحق لأهل الباطل لفسدت الأرض ومن فيها ، لأن أهل الباطل - بجميع فئاتهم - يستعبدون البشرية ويذيقونها ألوانا من العذاب والآلام ويفسدون الحرث والنسل ، والناظر لعصرنا الحاضر - الذي غاب فيه أهل الحق - تظهر له هذه الحقيقة جلية ، وصدق اللّه العظيم إذ يقول :

« ... ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض ولكن الله ذو فضل على العالمين * »[1] .

من رحمة اللّه بعباده أن سخر أهل الحق للدفاع عن عقيدته بمقاتلة أهل الباطل والعدوان والظلم ، وذلك بنصره سبحانه وتعالى إياهم حيث قال تعالى :

« * أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير »[2] .

لهذا كله نقول : إن الحرب النفسية ماهي إلا أسلوب وقائي يفرضه الشرع ثم العقل ، وذلك قصد الدفاع عن العقيدة وتأمين انتشارها ، وصد كل الأعداء - في الداخل والخارج - الذين يقفون حجر عثرة في وجه الإسلام ودعوته ... ولولا هذا ما قام المسلمون - عبر تاريخهم - بأي حرب قتالية لأن رسالة الإسلام جاءت بالأمن والسلام والرحمة للإنسانية ، ولم تأت للاعتداءات بشكليها الحسي والمعنوي ، لأن كل اعتداء في الإسلام محرم بدليل قوله تعالى :« ... إن الله لا يحب المعتدين * »[3] وما

---

(1) - سورة البقرة : الآية ٢٥١ .

(2) - سورة الحج : الآية ٣٩ .

(3) - سورة البقرة : الآية ١٩٠ .

الإذن بالقتال في الإسلام إلا لرد الاعتداء والظلم كما بينا في آية سابقة .

فالحرب النفسية في الإسلام تختلف اختلافا جوهريا عن مفهومها عند أهل الكفر ومن سار سيرتهم ، لأنها ليست حربا من أجل تحطيم الإنسان - كإنسان - أو حربا من أجل التقتيل وسفك الدماء ، والاعتداء على العرض ، وبقر بطون الأمهات وإفساد عقول الشباب والأطفال ، زيادة عن غسل أدمغة الرجال .. هذه الوسائل كلها لا تستعمل في الحرب النفسية الإسلامية لأنها وسائل غير شرعية ، وغير إنسانية ولا بد من محاربتها و مقاومتها ..

إن الحرب النفسية في الإسلام هدفها الدفاع عن الإسلام والأمن العام للإنسانية جمعاء .. هدفها إخراج العباد من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد .. بل لا تتعرض حتى للأعداء الذين لا يواجهون الإسلام ، ولا يحملون السلاح ضده ، ولا يقفون في وجه الدعوة الإسلامية ، لأن هذا يعتبر اعتداء في الإسلام ، ولذلك قال الله تعالى :« * وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين * »[1] .

وقوله : « ... فإن اعتزلوكم فلم يقاتلوكم وألقوا اليكم السلم فما جعل الله لكم عليهم سبيلا * »[2] .

وهكذا يتبين لنا أن الأمن والسلم في الإسلام هو القاعدة الثابتة ، وأن الحرب هي الظاهرة الاستثنائية ، وبشروط مسبقة تتماشى مع الشرع ، ومن خالفها فهو ليس من الإسلام في شيء ، والمتتبع لغزوات الرسول - صلعم - والفتوحات الإسلامية الكبيرة يعرف هذه الحقيقة ، ويلمسها ممارسة و واقعا ، وخير دليل على هذا ما أوصى به خليفة المسلمين "أبو بكر الصديق" قائد الجيش الإسلامي "أسامة بن زيد" حيث قال له ولجيشه :« أيها الناس قفوا أوصيكم بعشر ، فاحفظوها عني ، لا تخونوا ، ولا تغلوا ، ولا تغدروا ، ولا تمثلوا ، ولا تقتلوا طفلا صغيرا ، ولا شيخا كبيرا ولا امرأة ، ولا تعقروا نخلا ، ولا تحرقوه ، ولا تقطعوا شجرة مثمرة ، ولا تذبحوا شاة ولا بقرة ولا بعيرا إلا لمأكلة ، وسوف تمرون بأقوام قد فرغوا أنفسهم في الصوامع دعوهم وما فرغوا أنفسهم له »[3] .

فالحرب النفسية الجهادية إذن يقصد من خلالها إلى تحقيق الأهداف التالية :

أ - الدفاع عن الإسلام وتأمين الدعوة على الصعيدين الداخلي والخارجي مصداقا لقوله تعالى :« * إن الله اشترى من المومنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا .. »[4]

ب - الدفاع عن دار الإسلام برد المعتدين والظالمين امتثالا لقوله تعالى : « * وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين * »[5]

---

(1) - سورة البقرة : الآية ١٩٠ .

(2) - سورة النساء : الآية ٩٠ .

(3) - الجيش (مجلة) ، الجزائر : العدد 276 ، السنة 23 (ماي 1987م) ص17.
وانظر محمد شديد : منهج القرآن في التربية ص21 ، 22.

(4) - سورة التوبة : الآية ١١١ .

(5) - سورة البقرة : الآية ١٩٠ .

جـ ـ محاربة أهل الفتن والبغي : قصد استرجاع الأمن والاستقرار والمحافظة على شرع الله ، من أصحاب الأهواء والنفاق ، والمصالح : امتثالا لقوله تعالى :« * وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله ... »[1] .

وقوله :« * وإن طائفتان من المومنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت احداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء الى أمرالله فإن فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا إن الله يحب المقسطين * »[2] .

د ـ محاربة ناقضي العهود والمواثيق ، وكل الذين يستعملون الحواجز والعراقيل قصدعرقلةجهود الإصلاح ، وانتشار السلام والإسلام ـ على جميع الأصعدة ـ .

هذه هي أهم الأسباب التي تجعل المسلمين يقومون بالحرب النفسية سواء على الصعيد المدني أو العسكري ، مستعملين وسائل تتماشى مع العصر الذي يعيشون فيه .

وإذا كان المسلمون لا يستعملون إلا الوسائل المشروعة ؛ فإن الأعداء يستعملون جميع الوسائل التي يملكونها ، مع تفننهم في الأساليب الجهنمية ، والتي ساعد في تطورها العلم والتكنلوجيا الحديثة ؛ مما يستلزم على المسلمين ـ وخاصة في عصرنا الحاضر ـ فهما جديدا لوسائل الوقاية من الحرب النفسية المدمرة التي تصب عليهم من جميع الجهات ، وعلى جميع الأصعدة .

ومن تقنيات أساليب المواجهة للأعداء في حربهم النفسية ، سواء على الصعيد الداخلي أو على الصعيد الخارجي ـ مدنيا وعسكريا ـ ما سنوضحه في النقاط التالية :

أولا : التربية العقائدية

إن أهم سلاح يستعمل في مواجهة الحرب النفسية والوقاية منها ؛ هو سلاح التربية العقائدية ، لأن العقيدة الإسلامية تجعل أتباعها يسيرون وفق منطلقات وأهداف غاية في الوضوح مصداقا لقول الرسول ـ صلعم ـ :« تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما كتاب الله وسنتي » وقوله في خطبة الوداع :« .. إني قد تركت فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تضلوا أبدا : كتاب الله وسنة نبيه »[3] .

فالتمسك بكتاب الله وسنة نبيه تجعل المؤمنين يعيشون العقيدة الصحيحة التي تقيهم من كل الهزات النفسية التي تصيب البشر من حين لآخر على الصعيدين المدني والعسكري ، خاصة في لحظات الشدة ، و مواقف الزلل والمصائب العظمى ، لأن العقيدة الإسلامية من خصائصها القضاء على الأمراض النفسية الظاهرية والباطنية ، هذه الأمراض التي تؤدي بأفراد الأمة إلى الوهن والضعف والتردد والخوف .. خوفا من الموت .

العقيدة الإسلامية تشفي أتباعها من هذه الأمراض لأنها تتنافى مع صفات المؤمنين الصادقين الذين لا يخافون الموت لأنهم يعلمون من خلال تربية العقيدة لهم

---

(1) ـ سورة **الأنفال** : الآية ٣٩ .

(2) ـ سورة **الحجرات** : الآية ٩ .

(3) ـ عز الدين بليق : منهاج الصالحين ، بيروت : دار الفتح ـ ط 3.(1404هـ ـ 1984م) ص22.

أن الموت حق ، وأنه انتقال من دار فانية إلى دار الخلد في النعيم ، ولذلك فهم يطلبون الموت في بعض المواقف - أثناء قتال الأعداء - لاعتقادهم الجازم أن من مات في معركة جهادية له درجات عليا عند الله سبحانه وتعالى ، بل أن هذا المقتول في سبيل الله هو حي يرزق عند ربه مصداقا لقوله تعالى :

« ﴿ ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل احياء عند ربهم يرزقون ﴾ »[1] .

هذه العقيدة عندما تمكنت من نفوس سلفنا الصالح جعلتهم يحققون ما عجزت عليه كل الأمم التي تدعي الحضارة والتقدم ، لأنهم آمنوا بما تحققه لهم الشهادة في الآخرة من مرتبة ، مما جعل الجهاد في الإسلام شرفا كبيرا يتسابق إليه المؤمنون ، لذلك كان خالد بن الوليد يقول لأعدائه : « جئتكم بقوم - وبجنود - يحبون الموت كما تحبون الحياة »[2] .

هذا هو دور العقيدة الإسلامية إذا تربت بها الأجيال ، ورسخت في نفوسهم تجعلهم يتمتعون بمناعة طبيعية قوية ضد كل زيغ ، أو نفاق ، أو إلحاد ، وفي الوقت نفسه تجعلهم يتمتعون بصفات إنسانية عليا ، لأنها عقيدة مبنية على احترام الإنسان وتكريمه ، وحفظ حقوقه في الحياة كاملة ، فهي تدعو إلى المساواة الفعلية بين جميع البشر ، وأن مبدأ التفاضل بينهم يكمن فيما يلتزمون به تجاه خالقهم حيث قال تعالى : « ﴿ يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير ﴾ »[3] .

وقد قال عليه الصلاة والسلام : « أيها الناس كلكم من آدم وآدم من تراب ، لا فخر للأنساب ، لا فضل للعربي على العجمي ولا للعجمي على العربي ؛ إن أكرمكم عند الله أتقاكم »[4] .

إن العقيدة الإسلامية تدعو إلى الحرية والأمن والسلام ؛ لتحل الطمأنينة والرحمة ، والتسامح ، والتوادد ، والتعاطف ...

إن العقيدة الإسلامية تدعو إلى رفض العبودية ، ورفض الاستغلال ، ورفض العنصرية ، وعلى جميع الأصعدة وبأي شكل من الأشكال ..

إن العقيدة الإسلامية تدعو إلى رفض الإنانية ، والإباحية ، والاحتكار والوصولية ، والسيطرة ، وكل ما من شأنه إهانة الإنسان وتدميره سواء كان بطريقة مباشرة أو غير مباشرة ..

إن العقيدة الإسلامية تدعو إلى التقدم الحضاري الإنساني بواسطة العلم المبني على الأسس الإيمانية ؛ قصدتحقيق الكمال الحضاري الإنساني في ظل الحرية والمساواة والإخاء ؛ للوصول إلى الأمن والسلام العالمي بالتضامن والتعاون والتكافل وعلى جميع الأصعدة في الداخل والخارج .

لكل هذا فإن التربية العقائدية هي أعظم ركيزة لتحصين الجماهير المسلمة - على الصعيدين المدني والعسكري - ضد الحرب النفسية لأنها تربي

(1) - سورة آل عمران : الآية ١٦٩ .

(2) - د.أحمد نوفل : الحرب النفسية بيننا وبين العدو الإسرائيلي . (مرجع سابق) ص353.

(3) - سورة الحجرات : الآية ١٣ .

(4) - د.محمد أمين المصري : المسؤولية ، الكويت : دار الأرقم - ط3.(1403هـ-1983م) ص166 ، 167.

الإنسان تربية إيمانية تجعله لا يخاف التهديد أو الترهيب ، أو الوعيد ، بل على العكس تجعل المؤمن الذي تستعمل ضده هذه الأساليب يزداد ثباتا واستعدادا للبذل والتضحية والاستشهاد ، مما يجعل عدوه يصاب بخيبة أمل ويأس لفشل تخطيطاته وتقنيات أساليبه ، وهو ما يضطره أن يراجع حيلاته ، ويتوقف ، ويستسلم .

إذن التربية العقائدية تجعل صاحبها إنسانا ذا قوة وإرادة وعزيمة فولاذية لأنها تثبت فؤاده وعقله ومشاعره ، مما يجعله صخرة صلبة تتحطم عليها كل الوسائل والأساليب المستعملة من قبل الحرب النفسية مهما كانت شدتها وتقنياتها ، لأن الله أقوى وأشد وهو دوما مع عباده المؤمنين الذين يعتمدون عليه في السراء والضراء منادين في كل الأحوال :« ... حسبنا الله ونعم الوكيل * »[1] .

إن نجاح أي دعوة مرهونة دوما بمدى عقيدة أهلها وإيمانهم بهذه العقيدة التي تصبح جزءا من دمهم يدافعون عنها بكل ما يملكون ، لذلك نجد الإسلام يركز على تربية الفرد تربية عقائدية سليمة في جميع المجالات ، وعلى جميع الأصعدة ؛ قصد الوصول بالأفراد والجماعات إلى مستوى إنساني رفيع في تفكيره ،ووعيه ،وسلوكاته ومن بين الجوانب التربوية التي يجب على المسلمين أن يلتزموا بها كما تأمر عقيدتهم ما سنوضحه على الصعيدين المدني والعسكري .

1 ـ على الصعيد المدني :

إن الجماهير التي تملك العقيدة الإلهية وتلتزم بها . هي جماهير قادرة على رد المكائد والمخططات العدوانية مهما كانت تقنياتها ووسائلها ، لأنها جماهير تربت تربية إيمانية ربانية ، مما يجعلها تكسب تصورا وفكرا يجعلانها تفرق بين الحق والباطل على جميع المستويات ، لأن الصراع بين أهل الحق وأهل الباطل متواصل ومستمر ، وبأشكال مختلفة :« فهو صراع على مستوى الفكر والثقافة ، والحضارة ، والسياسة ، والتربية ، والاقتصاد ، والإعلام .. الخ ، وقد يبلغ الذروة فيأخذ شكل المعارك العسكرية ، فيكون آخر الدواء الكي »[2] .

لكل هذا يجب على أهل الاختصاص في الأمة أفرادا ومؤسسات أن يربوا الرأي العام في الأمة على الصفات والخصال الحميدة التالية :

1 ـ المنطق السليم : تربية الرأي العام على المنطق الصحيح السليم الخالي من كل الشوائب والأهواء والمطامع ، والشهوات ـ بجميع أنواعها ـ وحب الذات .. لأن هذه الصفات مهلكة للأفراد والأمم ، مما يجعل الأعداء يستغلونها وذلك بإشباع أصحابها وجعلهم "طابورا خامسا" في أممهم ، ينفذون مخططات أعداء أمتهم ، فلذلك نجد العقيدة الإسلامية تربي أفرادها على الابتعاد عن هذه الصفات المهلكة ، لأنها تكسب أهلها منطقا سليما لا يضل الطريق المستقيم أبدا .. يقول رسول الله ـ صلعم ـ :
« ثلاث مهلكات : شح مطاع ، وهوى متبع ، وإعجاب المرء بنفسه » .

2 ـ حب العمل والجد والاجتهاد: تربية الجماهير المسلمةعلى هذه الصفات التي تنبع عن عقيدة الإسلام ، ولأنها صفات أساسية للتطور الفكري والعلمي والحضاري

---

(1) ـ سورة آل عمران : الآية ١٧٣ .

(2) ـ محمود شيت خطاب : العسكرية العربية الإسلامية ، بيروت : مؤسسة الرسالة ـ ط2. (1405هـ ـ 1985م) ص10.

وبالتالي تقدم الأمة ـ ماديا ومعنويا ـ مما يصعب على الأعداء أن يخترقوا صفوفها ومؤسساتها عن طريق الحرب النفسية ..

3 ـ التعارف والتآلف الأخوي : العقيدة الإسلامية لا تقوم إلا على هذه الصفات التي تعتبر أساسا لبناء المجتمع الإسلامي ، لذلك يجب التركيز في التربية على هذه الصفات بين جميع المسلمين ، وفي جميع المجالات ـ سياسيا ، اقتصاديا ، اجتماعيا ـ بل لا بد أن تتعدى هذه العلاقة إلى غير المسلمين لكسبهم وجعلهم دعما خارجيا لهم وخاصة في العصر الحاضر عصر التكتلات الإنسانية ..

4 ـ التصدي لأهل الباطل : تربية أفراد المجتمع الإسلامي على التصدي للباطل وأهله ـ من أي مصدر كان ـ سواء على الصعيد الداخلي أو الصعيد الخارجي مستعملين كل الوسائل والتقنيات المشروعة ، لأن محاربة أهل الباطل واجب تفرضه العقيدة الإسلامية ، وكلما كان أهل الحق مستيقظين قائمين بواجباتهم الكاملة زال الباطل وأهله وفشل الأعداء في حربهم النفسية الباطلة يقول تعالى :

« ﴿ وقل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا ﴾ »[1] .

5 ـ شحذ الهمم : التركيز بالتربية العقائدية على شحذ الهمم ورفع المعنويات باستمرار ،لأن شحذ همم الرأي العام المسلم بالوسائل المناسبة زمانا ومكانا ،توقظ إحساسه وشعوره ، وتجعله دائما يتحدى الأعداء ـ على جميع الأصعدة ـ مما يجعل كل الأفكار الايديولوجية التي تشن عن طريق الحرب النفسية تتحطم وتتلاشى لأنها لا تجد فراغا في عقلية الجماهير المسلمة تدخل منها ..

6 ـ تهذيب النفوس : تربية الجماهير المسلمة على تهذيب النفوس ، لأنها أساس الشخصية السوية التي لا تتزعزع ، ولا تحيد عن المبدأ ، وذلك بتطويعها بكل أنواع المجاهدة النفسية التي تقوي إيمان العبد وتجعله لا يخاف ولا يخشى أحدا إلا الله لأنه يسبح يعتقد اعتقادا جازما بأن كل شيء مكتوب هو بأمر الله سبحانه وتعالى مصداقا لقوله : « ﴿ قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا هو مولانا وعلى الله فليتوكل المومنون ﴾ »[2] .

وقوله : « ... قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتال إلى مضاجعهم ... »[3] .

وقوله : « ﴿ أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة ... ﴾ »[4] .

ومن تهذيب النفوس تعليم الجماهير حقيقة العقيدة على مستوى الكون وكل ما في الحياة من أسباب ظاهرة وخفية ، وجعل المسلمين يعتقدون بأن وراء كل هذا إلها مدبرا حكيما عليما مما يجعل الرأي العام المسلم لا يدعو ولا يخشى إلا هذا الإله ، بل تصبح حياته وفقا لمرضاة الله ، وسلوكه تطبيقا عمليا لعقيدة ربهم . ولأجل هذا يجب على الجماهير المسلمة أن تتعلم وتتربى بتلك الوصية الخالدة التي أوصى بها الرسول ـ صلعم ـ عبد الله بن عباس ـ رضي الله عنه ـ والتي تعتبر بحق دستورا للمسلمين حكاما ومحكومين قال عليه الصلاة والسلام :« يا غلام إني أعلمك كلمات

---

(1) ـ سورة الإسراء : الآية ٨١ .

(2) ـ سورة التوبة : الآية ٥١ .

(3) ـ سورة آل عمران : الآية ١٥٤ .

(4) ـ سورة النساء : الآية ٧٨ .

احفظ اللّه يحفظك ، احفظ اللّه تجده تجاهك .إذا سألت فاسأل اللّه ، وإذا استعنت فاستعن باللّه ، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء : لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه اللّه لك ، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه اللّه عليك ، واعلم أن ما أخطأك لم يكن ليصيبك ، وما أصابك لم يكن ليخطئك واعلم أن النصر مع الصبر ، وأن الفرج مع الكرب ، وأن مع العسر يسرا . رفعت الأقلام وجفت الصحف »[1] رواه الترمذي .

ومن تهذيب النفوس التركيز على جانب العبادات من صلاة وصوم وذكر ودعاء .. لأن العبادة هي الجانب العملي للعقيدة الإسلامية ، ولأن العبادة ضرورية لتغيير شخصية الإنسان وسلوكه مما يجعله في منأى من أساليب الحرب النفسية لأن :« القيام بهذه العبادات في أوقات معينة بانتظام يعلم المؤمن الطاعة للّه تعالى والامتثال لأوامره ، والتوجه الدائم إليه في عبودية تامة ، كما يعلمه الصبر ، وتحمل المشاق ، ومجاهدة النفس والتحكم في أهوائها وشهواتها ، كما يعلمه حب الناس والإحسان إليهم ، وينمي في نفسه روح التعاون والتكافل الاجتماعي . وكل هذه خصال حميدة تتميز بها الشخصية السوية الناضجة المتكاملة »[2] .

ب ـ على الصعيد العسكري :

إن التربية العقائدية التي يتربى عليها الجندي المسلم تنبع من عقيدة الإسلام ، وتؤخذ من الكتاب والسنة ، وسيرة النبي وغزواته ، وكل المعارك الإسلامية ـ قديما وحديثا ـ لأخذ الدروس والعبر من استقراء التاريخ الذي يوضح لنا مدى أهمية عنصر العقيدة في كل نصر حققه المسلمون من غزوة بدر إلى معارك المسلمين في العصر الحديث .

إن العقيدة العسكرية الإسلامية عقيدة بناءة تؤدي إلى النصر دوما بدليل قوله تعالى:

« ... إن تنصروا الله ينصركم ويثبت اقدامكم * »[3] .

« ... وكان حقا علينا نصر المومنين * »[4] .

يقول اللواء الركن محمود شيت خطاب :« المعارك العسكرية الإسلامية قسم من أقسام العسكرية الإسلامية لا تقل أهمية عن أقسامها الأخرى ، فهي التطبيق العملي للعقيدة العسكرية الإسلامية على أرض الواقع وفي ميادين القتال ، وهي التي أثبتت عمليا بأن العقيدة العسكرية الإسلامية مبادئ قابلة للتطبيق العملي بنجاح وقادرة على إحراز النصر »[5] .

نعم! إن العقيدة الإسلامية على الصعيد العسكري ، طبقت في أرض الواقع في مواقع شتى وأثبتت لكل الأمم الأخرى مهما كانت قوتها وتكنلوجياتها ـ حسب كل عصر ـ أنها سجل انتصارات في تاريخ المسلمين ، وأنها مضرب الأمثال عند الأعداء المنصفين قبل الأصدقاء والمحايدين .

لكل هذا أصبح واجبا على كل المتخصصين في المؤسسة العسكرية أن

(1) ـ محمد شديد : منهج القرآن في التربية .(مرجع سابق) ص210 ، 211.

(2) ـ د.محمد عثمان نجاتي : القرآن وعلم النفس .(مرجع سابق) ص263 ، 264.

(3) ـ سورة محمد : الآية ٧ .

(4) ـ سورة الروم : الآية ٤٧ .

(5) ـ محمود شيت خطاب : العسكرية العربية الإسلامية .(مرجع سابق) ص31.

يربوا جندهم تربية عسكرية إسلامية تمييزا لهم عن التربية العقائدية العسكرية للأعداء لأنها تقوم على ايديولوجيات أرضية مصلحية لا تراعى فيها الغاية النبيلة والشريفة للإنسان ، زيادة على استعمال وسائل لاإنسانية لتحقيق أغراضها وأهدافها.

إن العقيدة العسكرية الإسلامية - زيادة على الصفات والخصال التي يتربى عليها أفراد الجيش على الصعيد المدني - ترمي وتهدف إلى تكوين جيش إسلامي رباني يقوم بما تفرضه عليه عقيدته من واجبات تجاه أمته ، وحتى يصبح هؤلاء في مستوى المسؤولية الملقاة على عاتقهم ، يجب على الأمة أن تعد لهم العدة المعنوية والمادية مصداقا لقوله تعالى :

« ... وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة و من رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم ... »[1].

أولا ، الإعداد المعنوي : إن الإعداد المعنوي هو الأساس لأي أمة من الأمم لذلك تعطي الأمم لهذا الجانب دورا رائدا وخاصة أثناء المعارك الكبرى - مدنيا وعسكريا - وقد « ثبت بالتجربة الحربية أن وزن المعنويات في معارك الكفاح يفوق وزن الوسائل والإمكانات المادية والفنية ، وإن أي تكوين أو إعداد للجيوش لا يمكن أن يكتمل إذا لم يشمل الجانب المعنوي ، فمن المعنويات العالية يتولد الإصرار على النصر ،ومنها تنبثق الثقة بالنفس وبالسلاح ، ولا يتأتى لأي جيش من الجيوش أن يتمتع بالمعنويات العالية إلا إذا كان كل فرد فيه مؤمنا برسالته أو قضيته إيمانا يجعله يسترخص التضحية بالنفس ويستعذب الاستشهاد في سبيل ما آمن به »[2].

من هنا يتبين لنا مدى أهمية التربية العقائدية على رفع المعنويات وخاصة على الصعيد العسكري ولتحقيق هذا الغرض يجب العمل بما يلي :

1 - تحصين الجندي بالعقيدة : بما أن الإسلام يهدف إلى تكوين رجل العقيدة ، فيجب على المختصين في الميدان العسكري أن يربوا جيشهم تربية إيمانية قوية ؛ مما يجعلهم ينظرون إلى تصوراتهم ومبادئ عقيدتهم كأنهم الهم الوحيد الذي يعيشون من أجله ويحلمون به في اليقظة والمنام ، بل يصبحون يتحمسون وهم مستعدون أتم استعداد للدفاع عن العقيدة ومبادئها .. لاعتمادهم في ذلك على اللّه أولا ، ثم على أنفسهم وعدتهم ، لأن تحصين الجندي بالعقيدة تجعله معافى من كل الهزات النفسية على الصعيدين الداخلي والخارجي ، لأن من « ملأت نفسه عقيدته ، فهو يعيش من أجلها ويرضى بكل أذى ففي سبيلها ويبذل جهده وكل غال ورخيص ،ورجل العقيدة أعظم ذخر نقدمه للعقيدة وأكبر رصيد نعده في سبيل نصرتها »[3].

وبتحصين الجند المسلم بالعقيدة نتوصل إلى تكوين شخصية عسكرية لا تهاب الموت ولا تخشاه لأنها اعتقدت أن الموت حق وأنه مقدر بأجل موعود مصداقا لهذه الآيات التي يجب أن تفرض على الجند المسلم حفظا وفهما . يقول اللّه تعالى :

« ...فإذا جاء اجلهم لا يستاخرون ساعة ولا يستقدمون »[4].

---

(1) - سورة الأنفال : الآية ٦٠ .

(2) - الجيش (مجلة) ، الجزائر : العدد 278، السنة 23، (جويلية 1987م) ص22.

(3) - محمد أمين المصري : المسؤولية .(مرجع سابق) ص40.

(4) - سورة الأعراف : الآية ٣٤ ، وسورة النحل :الآية ٦١ .

« * وما كان لنفس ان تموت إلا بإذن الله كتابا موجلا ... »[1].

« ... قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل إلى مضاجعهم ... »[2].

« * أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة ... »[3].

وفي هذا يقول الشيخ القرضاوي إن: «ربط الجهاد بالعقيدة التي تؤمن بها الأمة وتعيش لها ، وتستعذب الموت في سبيلها ، فإن الجهاد من غير عقيدة يفقد معناه وروحه »[4].

2 ـ الطاعة والانضباط : الطاعة والانضباط عنصران أساسيان في التربية العقائدية العسكرية ، لأنهما من أسباب النصر ، فالانضباط أساس كل عمل فما بالنا إذا كان الانضباط في المجال العسكري ، وإذا كان الانضباط في غير العقيدة الإسلامية يفرض من خارج ذات الفرد ، لأنه في العقيدة الإسلامية ينبع من داخل الذات ،ويصبح جزءا من سلوكات الشخصية المسلمة ، في عباداتها ، ومعاملاتها ، وتصوراتها ، مما يسهل مهمة القادة في إنجاز استراتيجيتهم وتخطيطاتهم .وأما الطاعة فهي واجبة للجند اتجاه قادتهم ما لم يأمروا بمعصية لأنه :

« لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق » رواه أحمد والحاكم .

والطاعة واجب عقائدي لكل المسلمين بدليل آي الذكر الحكيم ، وأحاديث الرسول ـ صلعم ـ الكثيرة .

من الآيات قوله تعالى:« * يا أيها الذين ءامنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم .. »[5].

« * فاتقوا الله ما استطعتم واسمعوا وأطيعوا ... »[6].

ومن أحاديث الرسول ـ صلعم[7] ـ :« على المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحب وكره ، إلا أن يؤمر بمعصية ، فإذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة » متفق عليه .

« من أطاعني فقد أطاع اللّه ، ومن عصاني فقد عصى اللّه ، ومن يطع الأمير فقد أطاعني ، ومن يعص الأمير فقد عصاني » متفق عليه .

« من كره من أميره شيئا فليصبر ، فإنه من خرج من السلطان شبرا مات ميتة جاهلية » متفق عليه .

3 ـ دور الثقة : الثقة من العناصر الأساسية التي يتربى عليها المسلم ، لما لها من دور فعال في معنوياته ، لذلك فإن العقيدة العسكرية الإسلامية لا بد أن تربي الجند المسلم على :

1 ـ الثقة بالنصر : لأن هذا جزء من العقيدة ما دام المسلم يعمل بمقتضى أسباب النصر ، فإن اللّه ناصره لا محالة بدليل قوله تعالى :

---

(1) ـ سورة آل عمران : الآية ١٤٥ .

(2) ـ سورة آل عمران : الآية ١٥٤ .

(3) ـ سورة النساء : الآية ٧٨ .

(4) ـ د.يوسف القرضاوي : الحل الإسلامي فريضة وضرورة ، الجزائر : مكتبة رحاب . وحدة الرغاية ـ ط3_1.(1408هـ ـ 1988م) ص73.

(5) ـ سورة النساء : الآية ٥٩ .

(6) ـ سورة التغابن : الآية ١٦ .

(7) ـ انظر عز الدين بليق : منهاج الصالحين .(مصدر سابق) ص465 ، 466 .

« ... إن تنصروا الله ينصركم ويثبت اقدامكم * »[1].

« ... ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز * »[2].

« * إن ينصركم الله فلا غالب لكم ... »[3].

« ... كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله والله مع الصابرين * »[4].

ب ـ **الثقة في النفس** : من أسباب النصر أن يثق الجندي المسلم بنفسه ، وأن يزدري أعداءه مهما كانت قوتهم البشرية والزادية ، لأن قوته من الله ، وأنه قوي بربه وبإخوانه ، وأن هدفه وغايته رفع كلمة الله ، وأن الاستشهاد أمنيته « والموت في سبيل الله أسمى أمانينا » ، جاعلا بين تصوراته قول الله تعالى : « * الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل * »[5] .

جـ ـ **الثقة في القائد** : الثقة في القائد شرط أساسي للانتصار ، لأن الذي لا يثق في قائده ، وفي كفاءته بالضرورة لا يطبق أوامره وتخطيطاته ، ولذلك أمرت العقيدة الإسلامية بطاعة أولي الأمر وجعلت طاعتهم متصلة بطاعة الله ورسوله ، لأن القائد في الإسلام يتميز بصفات ومؤهلات وكفاءة عالية مما يجعله أهلا للمهمة التي تسند إليه ، ويصبح النموذج والقدوة لجنده كما كان عليه الصلاة والسلام في جل غزواته وما قادة المسلمين الذين أصبحوا مضرب الأمثال شجاعة وكفاءة حتى عند الأعداء إلا نماذج للتربية العقائدية العسكرية الإسلامية ـ شجاعة وسلوكا وتواضعا ـ ، مما يجعل الجند يثقون فيهم ويقدرونهم ويجلونهم ، لأنهم جزء من بعضهم البعض لا تعرف القائد من أتباعه ، ولذلك وصفهم أحد رجال المقوقس بقوله :« رأيت قوما الموت أحب إليهم من الحياة ، والتواضع أحب إليهم من الرفعة ، ليس لأحدهم في الدنيا رغبة ولا نهمة ، وإنما جلوسهم على التراب ، وأكلهم على ركبهم ، وأميرهم كواحد منهم ، ما يعرف رفيعهم من وضيعهم ، ولا السيد من العبد » . ويسمع المقوقس هذا الوصف فيقول لأصحابه :« والذي يُحلَف به ، لو أن هؤلاء استقبلوا الجبال لأزالوها وما يقدر على قتال هؤلاء أحد »[6] .

هذه بعض الصفات الأساسية في الإعداد المعنوي على الصعيد العسكري والتي يجب أن تبنى على تربية عقائدية إسلامية ؛ قصد تربية جندية قوية ومتماسكة مما يصعب على الأعداء اختراقها بواسطة الحرب النفسية بشقيها ـ المدني والعسكري ـ .

وهناك صفات أخري يجب مراعاتها من قبل القادة لأنها صفات تخضع للظروف والتخصصات ، والحالة الذاتية للمقاتل ـ نفسيا وبدنيا ـ ومن هذه الصفات مايلي :

ـ الظروف النفسية والبدنية للمقاتل .

---

(1) ـ سورة محمد : الآية ٧ .

(2) ـ سورة الحج : الآية ٤٠ .

(3) ـ سورة آل عمران : الآية ١٦٠ .

(4) ـ سورة البقرة : الآية ٢٤٩ .

(5) ـ سورة آل عمران : الآية ١٧٣ .

(6) ـ د.أحمد نوفل : الحرب النفسية ـ الكتاب الثاني ـ (مرجع سابق) ص193.

ـ امتلاك القوة البدنية ، والمهارة الفنية .
ـ اختيار المقاتل الذي يقوم بالمهمة حسب جدوى العمل الذي يقبل عليه .
ـ اختيار المقاتل المناسب حسب دور السلاح المستخدم .

وبما أن الحرب النفسية أصبحت اليوم جد متطورة ، فيجب على المؤسسات العسكرية الإسلامية أن تعمل وبجد على إيجاد بنيات حديثة تتماشى والعصر ـ دوما ـ لأن هذا يدخل في إطار العقيدة الإسلامية وفقا لقوله تعالى :

« ... وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وءاخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم ... »[1] .

ثانيا ، الإعداد المادي : إن الإعداد المادي لأي جيش من الجيوش عبر التاريخ الإنساني تعتبر هي القوة الفعلية التي يهابها الأعداء ، ويخافونها ، وتُرهبهم ، وخاصة في العصر الحديث لما أصبحت عليه الحروب من إعداد في تقنيات الأسلحة ، والوسائل الحربية التكنلوجية والتي تتطور كل ساعة وثانية .

ولذلك نجد العقيدة الإسلامية تربي الأمة على الإعداد بشكليه ـ المادي والمعنوي ـ لأنهما يدخلان تحت عموم الآية : « ... وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ... »[2] .

لذلك يجب أن يتم الإعداد المادي وفق ما تقتضيه متطلبات العصر وعلى جميع الأصعدة :

1 . **على صعيد التنظير** : يجب على المختصين في هذا الميدان أن يقوموا بالدراسات التالية :

ـ دراسة التاريخ العسكري الإسلامي ، وجعله مادة أساسية وأولى في جميع المدارس والكليات العسكرية .

ـ الإلمام الواعي بكل نظريات "فن الحرب" على الصعيدين المدني والعسكري ، وذلك قصد معرفة أهداف الأعداء وتخطيطاتهم ، وفي الوقت نفسه الاستفادة من الإيجابيات العلمية مهما كان مصدرها لأنها تدخل في إطار الحكمة التي هي ضالة المؤمن .

ـ التركيز على الخبرة الميدانية واليومية ، وعلى جميع الأصعدة لبناء استراتيجية وتكتيك واقعي وعلمي ...

ـ معرفة أنواع الحروب الكلاسيكية والحديثة ، والتفكير في الحروب المستقبلية لأنها جزء من الإعداد العام للأمة في جميع المجالات .

ـ التركيز على استراتيجية واضحة المعالم تقوم على تحديد الأهداف العامة والخاصة ، الدفاعية والهجومية ، مع الأخذ بعين الاعتبار الإقتصاد في الجهود والمحافظة على الروح المعنوية ، وذلك بالمحافظة على المقاتلين من جهة ، وعلى عتادهم العسكري من جهة أخرى ، وبالتالي : تطبيق مبدأ "لاإفراط ولا تفريط" .

2. **على صعيد المؤسسات** : حتى يكون الإعداد علميا و يتماشى مع تطورات العصر يجب

---

(1) ـ سورة **الأنفال** : الآية 60.
(2) ـ سورة **الأنفال** : الآية ٦٠ .

إنشاء مؤسسات علمية في جميع المجالات ، كالمعاهد ، و الكليات ، والمصانع المتعددة التخصصات ؛ قصد تأمين التفوق في جميع المجالات...

3. على صعيد العتاد القتالي : كل نصر مرهون بأسبابه ، و الأسباب في العقيدة الإسلامية هي أساس نصر المؤمنين ـ كما عرفنا من قبل ـ لذلك يجب أن توجه طاقات الأمة إلى المساهمة في تنمية هذا الجانب و جعله متطورا باستمرار لضمان التفوق ما استطعنا إلى ذلك سبيلا كما جاء في الآية السالفة الذكر .

حيث يقول الأستاذ "سعيد حوى" معلقا على هذه الآية : « ... طالبتنا الآية أن نعد جنس ما يربط للمعركة كالخيل فشمل هذا كل الآليات التي تستعمل كأدوات ركوب في الحرب فدخل في ذلك البوارج و الغواصات و الطائرات والدبابات والمدرعات ، وكل آلية تركب للحرب فالآية إذن أمرتنا أن نعد كل الآليات التي تلزم للقتال و كل الأسلحة التي لابد منها لإحرازالنصر و إظهارالتفوق »[1] .

4. على الصعيد البشري : العسكرية الحديثة تحتاج إلى رجال متخصصين في جميع التخصصات العلمية ، لذلك أصبح واجبا اليوم على الأمة الإسلامية أن تهتم بالجانب البشري عقيدة ، و عبادة ، وخلقا ، و أدبا ، و علما ، و عملا ، وذلك قصد بذل أقصى الجهد ـ و خاصة في العصر الحاضر ـ ليتحقق قول الله تعالى :

« ﴿ وجاهدوا في الله حق جهاده ... ﴾ »[2] .

فإذا كان التفوق على صعيد المؤسسات ، وصعيد العتاد القتالي في الأمة فإن هذا التفوق يحتاج إلى جيوش من البشر ، كل جيش مختص في مجال من المجالات البرية ، والبحرية ، والجوية ، زيادة عن الاختصاصات داخل هذه المجالات وهذا يحتاج إلى جهد كبير من قبل الأمة ، وخاصة في الميادين العلمية المتخصصة للوصول إلى كفاءات علمية متخصصة ليحصل التكامل المطلوب بين جميع الأجهزة وعلى جميع الأصعدة ، وحتى يتحقق قول الله في الأمة :« ﴿ انفروا خفافا وثقالا ... ﴾ »[3] .

5. على الصعيد المالي : إن المال هو أساس تطور المؤسسات السالفة الذكر ، ولذلك يجب على أصحاب الأموال من الأمة أن يساهموا مساهمة فعالة في تدعيم وتمويل هذه المؤسسات ، لأن عملهم هذا يعتبر جهادا ولا يقل أهمية عن المجاهدين بأنفسهم وهذا ما تدل عليه هذه الآيات . يقول الله تعالى:

« ﴿ إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة ... ﴾ »[4] .

« ﴿ يا أيها الذين ءامنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب اليم ﴿ تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون ﴾ » [5] .

---

(1) ـ سعيد حوى : الإسلام ، بيروت : دار الكتب العلمية ـ ط3.(1401هـ ـ 1981م) ص546.

(2) ـ سورة الحج : الآية ٧٨ .

(3) ـ سورة التوبة : الآية ٤١ .

(4) ـ سورة التوبة : الآية ١١١.

(5) ـ سورة الصف : الآيتان ١٠ ، ١١ .

« ﴿ مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة انبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم ﴾ »[1] .

وفي هذا المجال يقول الرسول ـ صلعم ـ :

« جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم ». رواه أبو داود بإسناد صحيح .

« من جهز غازيا في سبيل اللّه عزوجل فقد غزا،ومن خلفه في أهاه بخير فقد غزا » .

رواه البخاري وأبو داود .

6 ـ **على صعيد الجبهة المدنية** : إذا كان الإعداد الذي ذكرناه من قبل يخص الجبهة القتالية فإن الجبهة المدنية هي جزء لا يتجزأ من الجبهة السالفة الذكر ، لأن الهدف واحد وهو رفع كلمة الإسلام ، لذا يجب على صعيد الجبهة المدنية أن تتولى جميع الأعباء الداخلية للأمة ـ وخاصة أثناء نشوب قتال ما ـ وخاصة على الصعيد الاقتصادي كالانتاج ، والتنمية ، والأعمال ... ومد الجبهة القتالية بكل ما تحتاجه ، وعلى الصعيد الاجتماعي يجب رعاية أرامل الشهداء وأسرهم ، وتوفير الراحة والطمأنينة لهم حتى لا يشعروا بأنهم فقدوا أهاليهم وبقوا بدون عائل ..

وفي الجانب التعبوي يجب على الجبهة المدنية أن تكون الحصن والدرع للجبهة المقاتلة ، وذلك بالتعبئة النفسية والمادية ، والمحافظة على وحدة الصف والتماسك الإسلامي حتى يثبت فيهم قول اللّه تعالى :

« ﴿ إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص ﴾ »[2] .

ومجمل القول أن العقيدة الإسلامية هي العامل الأساسي والرئيسي في أي نجاح تحققه الأمة سواء على الصعيد العسكري أو على الصعيد المدني ، وأن أي انهزام أو فشل يصيب الأمة وفي جميع المجالات سببه الابتعاد عن هذه العقيدة .. ولذلك نجد الإسلام يركز أساسا على بناء الفرد بناء عقائديا ، وهو ما جعل الرسول ـ صلعم ـ يقوم بتربية أصحابه عقائديا مدة ثلاثة عشر سنة ، حيث جعل منهم رجالا ربانيين لم تؤثر فيهم كل الأساليب التي استعملت من قبل الأعداء عن طريق الحرب النفسية ـ معنويا وجسديا ـ لأن العقيدة جعلتهم لا يخضعون لأية ضغوطات أوإغراءات ، أو أذى . وقد كان الرسول ـ صلعم ـ هو القدوة العليا ، والنموذج الأمثل في الصبر على الأذى ، والاستمرار في السير بالدعوة إلى الأمام .. وفعلا فقد كان لهؤلاء الرجال الذين تربوا على يد محمد ـ صلعم ـ بالعقيدة الإسلامية شأن عظيم في تاريخ الإسلام بصفة خاصة والتاريخ الإنساني بصفة عامة .

هذه هي العقيدة الإسلامية التي جعلت عمر بن الخطاب يبعث بمدد لعمرو بن العاص بعد أن طلب هذا الأخير النجدة ، فيكتب عمر :« إني قد أمددتك بأربعة آلاف رجل ، منهم رجال الواحد مقام الألف : الزبير بن العوام ، والمقداد بن الأسود وعبادة بن الصامت ، ومسلمة بن مخلد ، واعلم أن معك اثني عشر ألفا ، ولا يغلب اثنا عشر ألفا من قلة »[3] .

فما أحوج المسلمين اليوم أن يرجعوا إلى عقيدتهم فهما وتطبيقا وثباتا

---

(1) ـ سورة البقرة : الآية ٢٦١ .

(2) ـ سورة الصف : الآية ٤ .

(3) ـ أحمد نصيب المحاميد : من وحي المنبر ،دمشق : دار الفكر ـ ط 1.(1981م) ص131.

ليتحقق لهم وعد الله القائل :

« ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز » [1] .

« ... إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم » [2] .

ثانيا : العمل على تقوية عوامل الوحدة والتماسك

إن تماسك الأمة ووحدتها يعد واجبا قرآنيا ، ومطلبا عقائديا وعقليا وأسلوبا أساسيا وناجعا للتصدي لوسائل الحرب النفسية التي يشنها الأعداء ، وعلى جميع الأصعدة ، وفي الوقت نفسه سبيل نصر لأي جبهة سواء على الصعيد الداخلي أو الصعيد الخارجي .

لهذا نجد الإسلام يحث على الوحدة والتماسك ، ويطلب من المسلمين العمل دوما على تقوية هذه العوامل قصد تمتينها وتعزيزها ، حتى يتشابك بناء الأمة ويصبح صلدا ، وصدا منيعا لكل الهزات الداخلية والخارجية ، مما يجعل الأعداء - بجميع أشكالهم - يفشلون ويياسون من تحطيم هذا البنيان ، أو تفكيكه ، أو اقتحامه ، بل يعجزون حتى عن مساومته والتفكير فيه .

وهذه التقوية تكون بترابط الجماهير وتلاحمها ، مما يجعلها كالجسد الواحد الذي يكون أساس قوتها ، وفي الوقت نفسه مصدر بأس للأعداء وجراثيمهم التي تنقلها وسائل الحرب النفسية ، هذه الجراثيم التي تأكل بعضها إذا وجدت الجسم معافى سليما له مناعة طبيعية قوية ، ويعيش في واقع صحي على جميع الأصعدة .. لذلك يجب على الأمة المسلمة أن تراجع استراتيجيتها ، وأن ترجع إلى الوسائل الصحية والوقائية للأمة - معنويا وماديا - وهذه الوسائل لا توجد في صيدلية الأعداء ، وإنما هي في صيدلية أمتنا التي عطلناها وأسدلنا الستار عنها مما جعل الأمة الإسلامية اليوم تعيش حالة التمزق والتشتت ، والوهن ، والضعف رغم إمكاناتها البشرية والمادية ، ولكنها عندما ابتعدت عن عقيدتها وإسلامها أصبحت تعيش الغثائية التي أخبر عنها الرسول - صلعم - حين قال :« يوشك أن تتداعى عليكم الأمم كما تتداعى الأكلة إلى قصعتها . قالوا : أمن قلة نحن يومئذ يا رسول الله؟ قال : بل أنتم يومئذ كثير ، ولكنكم غثاء كغثاء السيل » .

رواه أحمد وأبو داود بسند صحيح .

نعم ! لقد حصل ما أخبرنا به النبي - صلعم - لذا يجب على هذه الأمة التي أصبحت غثاء أن تستيقظ ، وأن تنهض ، وأن تسد كل منافذ الداء حتى لا تترك للعدو أي فرصة يتسرب منها ، لأن : « العدو الذي يمارس على أمتنا حربا نفسية شرسة متفننة لا يجد مدخلا أفضل من التخلخل الاجتماعي ، أو تفكك البنيان ووهن العرى وضعف الروابط »[3] .

إذن يجب على الأمة أن تعطي جانب الوحدة والتماسك الدرجة الأولى في

---

(1) - سورة الحج : الاية ٤٠ .

(2) - سورة محمد : الآية ٧ .

(3) - د.أحمد نوفل : الحرب النفسية بيننا وبين العدو الإسرائيلي .(مرجع سابق) ص263.

استراتيجيتها ، لما لهذا الجانب من أهمية على أصعدة الوحدة العقائدية ، والعبادية والفكرية ، والثقافية ، والعلمية ..

وحتى يتحقق جانب العمل على تقوية عوامل الوحدة والتماسك الذي لا يتم إلا من خلال الممارسة الفعلية بين المسلمين - قولا وعملا - لأن هذه الممارسة هي مطلب شرعي ، زيادة على أنها واقع اجتماعي وتربوي في الإسلام ، وفي الوقت نفسه هي العامل الرئيسي الأقوى والأكبر في وجه الأعداء .

ولتحقيق هذا العامل يجب التركيز على الأبعاد التالية :

1 - البعد الوحدوي : إن البعد الوحدوي في الإسلام رباط عقائدي لا مراء فيه بنص القرآن الكريم ، مما يجعل هذه الحقيقة تعيش في ذهن كل مسلم ، وداخل حسه وشعوره وسلوكه ، ورغم اختلاف النظرة في كيفية ممارستها - في العصر الحاضر - فإن الإيمان بها لا يحتاج إلى دراسة وتحقيق ، لأن الوحدة في الإسلام أرادها الله عزوجل ، ودلت عليها السنة النبوية الشريفة ، حيث يقول تعالى :

« ﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ... ﴾ »[1] .

ويقول الرسول - صلعم - في وثيقة الدستور الذي نظم علاقة المسلمين مع غيرهم في المدينة المنورة ، حيث جاء في بعض بنودها : « فالمسلمون ... أمة واحدة من دون الناس »[2] .

لهذا نجد الإسلام يدفع المسلمين دفعا إلى الوحدة لما لها من أثر في حياة الأمة على جميع الأصعدة ، حتى تبنى بناء قويا شامخا لا يتفتت ولا يتأثر بالعوامل الداخلية والخارجية ، ومن أجل هذا يجب أن يتحقق منهج الله على جميع الأصعدة وهي :

1 . على صعيد العقيدة : لأن الوحدة هي الأساس الذي يبنى عليه البعد الوحدوي فالمسلمون كلهم يخضعون لإله واحد ، ويفردونه بالعبادة مصداقا لقوله تعالى :

« ﴿ وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون * ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون * إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين ﴾ »[3] .

2 . على صعيد العبادة : بما أن العبادة هي البعد التطبيقي للعقيدة ، فإن المسلمين جميعهم يتوجهون في عبادتهم لقبلة واحدة ، ويلتزمون أوقاتا معينة لهذه العبادة ويلتقون في الحج على صعيد واحد

« ﴿ ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله في أيام معلومات ... ﴾ »[4] .

وبهذا يطبقون قول الله تعالى : « ﴿ إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون ﴾ »[5] .

3 . على صعيد المعاملات : فالمسلمون على صعيد التعامل ، يتعاملون مع بعضهم البعض وفي جميع المجالات ، وفق السلوكات الإسلامية وكأنهم وحدة واحدة ، يحبون بعضهم

---

(1) - سورة آل عمران : الآية ١١٠ .

(2) - د.محمد سعيد رمضان البوطي : فقه السيرة .(مرجع سابق) ص204.

(3) - سورة الذاريات : الآيات ٥٦ إلى ٥٨ .

(4) - سورة الحج : الآية ٢٨ .

(5) - سورة الأنبياء : الآية ٩٢ .

بعضا ، ويؤثرون بعضهم بعضا ، صفاتهم ، المحبة والرحمة والتسامح والتآخي والتعاون ...

ولذلك قال فيهم الله سبحانه وتعالى :« ... والمومنون والمومنات بعضهم أولياء بعض ... »[1] .

ب ـ **البعد الاجتماعي** : إن البعد الاجتماعي في الإسلام هو أساس تربية الفرد : تربية تبنى على أسس إسلامية سليمة ليس فيها خلل أو تناقض ، وإنما هي أسس تحمي المجتمع من الانحلال ، والتفكك ، والتشتت ، والانحطاط ، مما يجعل المجتمع قويا في معنوياته وماديات على الصعيدين المدني والعسكري . وحتى يتحقق البعد الاجتماعي يستلزم التركيز على الأسس التالية :

1. **الأخوة:** الأخوة في الإسلام مبدأ إلزامي على كل فرد ينتمي إلى عقيدة الإسلام لما لهذه الأخوة من :« قوة إيمانية نفسية تورث الشعور العميق بالعاطفة ، والمحبة والاحترام ، والثقة المتبادلة .. مع كل من تربطه وإياه أواصر العقيدة الإسلامية ووشائج الإيمان والتقوى .. إذ لا أخوة بدون إيمان ، ولا إيمان بدون أخوة ، كما أنه لا صداقة بلا تقوى ، ولا تقوى بلا صداقة .. »[2] .

فالأخوة إذن بين المسلمين تجعل الأمة متماسكة ومتوحدة ، وملتفة حول مبدأ واحد ، وعقيدة واحدة ، وعبادة واحدة ، وتصور واحد ، وهذه نعمة من الله لا تتحقق إلا بالإسلام ، وليست بالقومية ، أو الوطنية ، أو أي إيديولوجية أرضية ،لأن الأخوة الحقة هي تأليف بين القلوب ، والتأليف بين القلوب أمر إلهي لا يستطيع البشر ـ مهما كانت قوتهم ـ أن يألفوا بين البشر وذلك بدليل قوله تعالى :

« ... واذكروا نعمت الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها ... »[3] .

هذه الأخوة تكون صدا منيعا للحرب النفسية المعادية ، لأنها تقتضي أن يهتم الأخ بأخيه في السراء والضراء وأن يدافع عنه كما يدافع عن نفسه وأن يعمل جاهدا على تطور حاضره ومستقبله .. لأن المؤمنين جسد واحد بدليل الآيات القرآنية ، والأحاديث النبوية الشريفة ، فمن الآيات قوله تعالى :

« ... إنما المومنون إخوة ... »[4] .

« ... والمومنون والمومنات بعضهم أولياء بعض يامرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويوتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله ... »[5] .

ومن الأحاديث النبوية[6] :

« المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه ولايخذله ولا يحقره » رواه مسلم .

« لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه » متفق عليه .

---

(1) ـ سورة التوبة : الآية ٧١ .

(2) ـ عبد الله علوان : الأخوة الإسلامية ، الأردن : مكتبة المنار ـ ط 1 .(1401هـ ـ 1981م) ص5 ، 6.

(3) ـ سورة آل عمران : الآية ١٠٣ .

(4) ـ سورة الحجرات : الآية ١٠ .

(5) ـ سورة التوبة : الآية ٧١ .

(6) ـ أبو زكريا يحي بن شرف النووي: رياض الصالحين ، تحقيق : د.صبحي الصالح ، بيروت: دار العلم للملايين ـ ط 6 .(1978م) ص207 ، 208.

« المسلم أخو المسلم ، لا يخونه ولايكذبه ولا يخذله ، كل المسلم على المسلم حرام : عرضه ، وماله ودمه . التقوى ههنا ، بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم »
رواه الترمذي وقال حديث حسن .

2 ـ المشاركة الوجدانية الفعالة : من البعد الاجتماعي المشاركة الوجدانية الفعالة بين المسلمين ، فيحسون ببعضهم البعض ، ويشعرون بإخوانهم في أي جزء من أجزاء الأرض الإسلامية مصداقا لقول الرسول ـ صلعم ـ « من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم » .

وخير ما يعبر عن هذا قول الرسول ـ صلعم ـ : « مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم ، مثل الجسد ؛ إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى » رواه البخاري ومسلم .

وبهذا يصبح المسلمون كأنهم جزء واحد يشعرون بآلام بعضهم بعضا ويسعدون بسعادة بعضهم بعضا عاطفيا ووجدانيا .. مما يصعب عملية الغزو والاعتداء من قبل أي عدو مهما كانت وسائله وتقنياته .

3 ـ التكافل الاجتماعي : التكافل خاصية عقائدية في المجتمع الإسلامي تدل على مدى الحب ، والإخاء والبذل ، والعطاء .. مما يعزز قوة الأمة وتمتينها ، وتأكيد علاقة أفرادها بعضهم مع بعض وفي جميع المجالات ، وما دام المؤمنون إخوة فكيف لا يتكافل الأخ مع أخيه في العقيدة التي هي أقوى من رابطة أخوة الدم ، لذلك نجد الإسلام يحث على هذا التكافل ، ويجعله من مستلزمات الإيمان وعلى جميع الأصعدة لأن التكافل الاجتماعي يجعل الأمة الإسلامية وحدة متكاملة ـ سياسيا ، واقتصاديا واجتماعيا .. ـ لا فرق بين الحاكم والمحكوم ، ولا بين الغني والفقير ، ولا بين المتعلم والأمي .. كلهم سواسية متعاونون على الخير والعمل الصالح ـ بمفهومه الإسلامي ـ مصداقا لقوله تعالى :

« ... وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان ... »[1] .

« * واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين إحسانا وبذي القربى واليتامى والمساكين والجار ذي القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل وما ملكت ايمانكم إن الله لا يحب من كان مختالا فخورا * »[2] .

ويقول الرسول ـ صلعم ـ :

« المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا » رواه الشيخان .

« لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه » رواه الشيخان .

بهذا التكافل تصبح الأمة التي ربت جماهيرها على هذه الخصال بمنأى عن أعدائها وأساليبهم المستعملة في الحرب النفسية ، لأن التماسك الداخلي هو الصخرة التي تتحطم عليها جميع التخطيطات الاستراتيجية ، وكما يقول الشيخ "حسن أيوب" إن الأمة المسلمة ذات العقيدة السليمة : « في حاجة كبرى إلى قوة ذاتية تحميها من غدر أعدائها ، ومن عواء الذئاب حولها ، وتؤكد صلابتها و ذاتيتها وتخيف كل من يطمع في النيل منها .. وهي ما لم تكن من داخلها متماسكة قوية فلن

---

(1) ـ سورة المائدة : الآية ٢ .

(2) ـ سورة النساء : الآية ٣٦ .

تكون أمام عدوها صلبة مخيفة ، لذلك كان البناء الإسلامي للمجتمع المسلم هو البناء الوحيد الذي يجعل هذه الأمة سعيدة في داخلها ، مرهوبة من أعدائها ، ويوم نتهاون في واجباتنا الاجتماعية القائمة على العقيدة السليمة والعبادة الصحيحة فإننا لن نجد من أنفسنا غَناء ، ولن نجد من اللّه نصيرا ... !! »[1] .

جـ ـ البعد المصيري : إن المسلمين في هذا العالم المترامي الأطراف لهم أبعاد مصيرية واحدة ، هدفها ترسيخ مبادئ الإسلام التي تتميز بمنهجية فريدة جعلتها تحتل الصدارة في هذا العالم لقرون من الزمن ، واحتلت بهذه المبادئ مركز القيادة العالمية وعلى جميع الأصعدة ـ سياسيا ـ اقتصاديا ـ علميا ـ فكريا ـ حضاريا ـ ورغم الضربات المؤلمة التي وجهت لهذه الأمة في عصور الابتعاد عن طريق العقيدة السليمة ، فإنها لم تمت ولم تضعف ، إلى درجة الاندثار ، بل كابدت وجاهدت وتحررت على قدر استطاعتها ، وها هي اليوم تواصل جهادها في العديد من المجالات لتتحرر على مستوى الفكر ـ خاصة ـ لأنه هو أساس التحرر الشامل .

لذلك فإن البعد المصيري للأمة أصبح واجبا على جميع الأصعدة حتى يتحقق للأمة وعد اللّه بالاستخلاف المشروط بالإيمان والعمل الصالح حيث يقول تعالى : « ﴿ وعد الله الذين ءامنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدونني لا يشركون بي شيئا ... ﴾ »[2] .

هذا البعد المصيري الذي يظهر جليا على أكثر من صعيد :

1.على صعيد المبادئ : إن مبادئ المسلمين هي مبادئ لايختلف اثنان حولها ،فالوحدانية للّه الخالق الواحد القهار ، فلا شرك ولا إلحاد ، ولا إيديولوجية أرضية في الأمة الإسلامية يقول تعالى :« ﴿ ذلكم الله ربكم لا إله إلا هو خالق كل شيء فاعبدوه ... ﴾ »[3] .

وبهذا تحررت مفاهيم الجماهير المسلمة من الشرك والوثنية ، وعبادة ما دون اللّه ، لأن فكرها فكر واع بتصورات عقائدية قرآنية ، مما يصعب على أي فكر يتسرب عن طريق الحرب النفسية ووسائلها إلى العقل المسلم الذي يصبح يرفض كل فكر دخيل ، وهذه حصانة وقائية لا تتحقق إلا بمبادئ الإسلام التي ترفع دوما من مستوى شأن المسلمين ، لأنها مبادئ سماوية خالدة صالحة لكل زمان ومكان .. إلى أن يرث اللّه الأرض ومن عليها .

2.على صعيد الأهداف : المسلمون لهم استراتيجية واحدةلتحقيق الأهداف الواحدة ،لذلك يعملون بجدية متعاونين قصد الوصول إلى الأهداف المنشودة ـ في جميع المجالات ـ حتى يحققوا تفوقهم العالمي ـ سياسيا ـ واقتصاديا ـ واجتماعيا ـ وحضاريا ـ .

هذه الأهداف هي أهداف عامة لجماهير المسلمين و ليست أهدافا خاصة أو محصورة في فئة ، أوفي جماعة ، أو في شعب من الشعوب ، وإنما هي أهداف يسعى كل مسلم :« أن تكون أكثر كسبا ، وإثارة للاقتداء ، وقدرة على إيقاظ الوعي الإسلامي

---

(1) ـ حسن أيوب : السلوك الاجتماعي في الإسلام ، بيروت : دار الندوة الجديدة ـ ط 4. (1403هـ ـ 1983م) ص24 ، 25.

(2) ـ سورة النور : الآية ٥٥ .

(3) ـ سورة الأنعام : الآية ١٠٢ .

وتجديد ذاكرة المسلمين وشحذ فاعليتهم واستنهاض هممهم للدفاع عن القضية الإسلامية والتضحية في سبيلها ، فيشرفون بدور الريادة والدلالة على الخير ... قال تعالى :« ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ... » [1] .

3.على صعيد الأخطار: إن الأمة الإسلامية أمة واحدة .يقول تعالى :

« وأن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون » [2] .

ولذلك فإن أي خطر يحل بأي جزء من هذه الأمة يعتبر خطرا على الأمة كلها لأن هدف الأعداء ، هو تشتيت هذه الأمة ، وتمزيق وحدتها ، وبالتالي أكلها جزءا جزءا لأنه يستحيل على العدو أن يقاوم الأمة الإسلامية متوحدة ؛ لهذا أمر الله المسلمين بالاعتصام بحبله ، ونهاهم عن التفرق وبأي شكل من الأشكال حيث قال تعالى :

« واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا ... » [3] .

والمستقرئ للتاريخ يدرك هذه الحقيقة إذ لما تمزقت الأمة الإسلامية كان الضعف والتمزق والتشتت ينخر جسم هذه الأمة التي ابتعدت عن طريق ربها فنالت جزاءها ...لذا أصبح واجبا اليوم شرعا وعقلا على الأمة أن تشعر بالأخطار المحدقة بها والتي تخطط لاستعمار العقول بعدما تخلت عن استعمار الأراضي ... لأن العدو غيّر أساليبه وتقنياته وما الحرب النفسية التي تُشن - خاصة عن طريق وسائل الإعلام - ما هي إلا حرب فكرية ثقافية القصد منها القضاء على شخصية المسلمين وذلك بإثارة النعرات العرقية ، والعنصرية ، واللغوية ، والقومية ، والوطنية الضيقة،والإيديولوجيات الأرضية .. لكل هذا فالأمة الإسلامية اليوم أمام التحدي على صعيدالأخطار ، وما الأحداث والوقائع في العالم الإسلامي لخير شاهد على ما نقول .

فيجب إذن أن تعي الأمة هذه الأخطار ، وذلك بالعودة إلى إسلامها وتعاليمه وتطبيقه في الواقع اليومي لها ، وأن تستغني عن كل ما هو مستورد أو موجه بطريقة مباشرة أو غير مباشرة ، وهذا لا يكون إلا إذا شفي الجسم المسلم من أنواع الأمراض التي أصابته ، والشفاء لا يكون إلا بدواء إسلامي من القرآن والسنة ،وبذلك يشفى الجسم ويتوحدويلفظ وحده كل صيغةغريبة عن ذاته وجنسه ،وبهذه الأبعاد - إن تحققت - تتوصل الأمةإلى تماسكها ووحدتهاوقوتها - داخلياوخارجيا - وتصبح محصنة ضد الحرب النفسية ، وبأي شكل تُشن ، لأن الوحدة والتماسك أساس التفوق والنصر وكسركل مايخطط من قبل الأعداء، وأن الوحدةوالتماسك درعٌ واقٍ يحمي الأمة من كل الهجمات الشرسة ، والمصائب والابتلاءات ، والوحدة والتماسك تجعل الأمة تنطلق كالماردفي تحقيق أهدافهالايستطيع أن يصدهاأي كان لأن الله ناصرها ، والعاقبة لها.

« ...إن تنصروا الله ينصركم ويثبت اقدامكم » [4] .

« ... وكان حقا علينا نصر المومنين » [5] .

---

(1) - **الأمة** (مجلة شهرية) ، قطر : العدد 50، السنة 5 .(صفر1405هـ - نوفمبر 1984م) ص6.
[سورة آل عمران : الآية ١٠٤] .

(2) - سورة **المؤمنون** : الآية ٥٢ .

(3) - سورة **آل عمران** : الاية ١٠٣ .

(4) - سورة **محمد** : الآية ٧ .

(5) - سورة **الروم** : الآية ٤٧ .

ثالثا ، قطع أسباب الفرقة والخلاف

عرفنا فيما سبق أن الوحدة والتماسك ميزة الأمة الإسلامية بدليل الآيات والأحاديث الكثيرة ، لما لهذه الميزة من إيجابيات شرعية وعقلية ، وحتى تتحقق الوحدة والتماسك المطلوبان على صعيد الشرع الذي أمر المسلمين بالمقابل الابتعاد عن الفرقة والخلاف وقطع أسبابها نهائيا من المجتمع المسلم ، لأنهما سبب كل المآسي والمصائب التي تصيب الأفراد والجماعات أو الأمم ، وكيف يختلف المسلمون وهم أصحاب الحق ، والحق جاء ليجمع ويوحد ، وإنما الحقيقة أن الابتعاد عن الحق هو طريق الباطل ، والباطل يؤدي إلى التنافر والفرقة والخلاف بين أصحابه ، لأنه مبني على الهوى ، وكثرة المطامع ، والشهوات ، والرغبات والضلالات .. مما يجعلهم يختلفون ، ويتفرقون ، ويتصارعون ، ويقتتلون ..

لكل هذا نهى الله عباده المؤمنين عن هذه الصفات وحذرهم بقوله :

« ﴿ ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم ﴾ »[1] .

« .. ولا تكونوا من المشركين ﴿ من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا كل حزب بما لديهم فرحون ﴾ »[2].

« ﴿ إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شيء إنما أمرهم إلى الله ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون ﴾ »[3] .

وحتى رسول الله ـ صلعم ـ يحذر من خطر الفرقة والاختلاف ، ويدعو إلى التماسك والوحدة ، وقطع أسباب الانقسام والاختلاف ، فيقول :« لا تباغضوا ولا تحاسدوا ، ولا تدابروا ، ولا تقاطعوا ، وكونوا عباد الله إخوانا ، ولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث » متفق عليه .

وقوله :« إياكم والظن ، فإن الظن أكذب الحديث ، ولا تجسسوا ، ولا تحسسوا ، ولا تنافسوا ، ولا تحاسدوا ، ولا تباغضوا ، ولا تدابروا ، وكونوا عباد الله إخوانا ، ولا يخطب الرجل على خطبة أخيه حتى ينكح أو يترك » رواه أحمد .

بهذه الأدلة الشرعية يصبح محرمًا على المسلمين أي شكل من أشكال الفرقة والخلاف ، ومن أي كان ، وبأي اسم ، حتى ولو جاء باسم الخلاف الاجتهادي والذي استُغل أبشع استغلال من قبل أعداء الأمة الإسلامية ـ في الداخل والخارج ـ ولذلك يجب على كل مسلم أن يعي ما يُخطط لأمته ، وأن يعمل بجد وإخلاص للتصدي بحزم لكل أسباب الفرقة والخلاف ، والتركيز في الوقت نفسه على التعاون والتضامن وتدعيمه بين كل المسلمين ، وعلى جميع الأصعدة ـ سياسيا ـ اقتصاديا ـ اجتماعيا ـ ثقافيا ـ عسكريا ـ ... وبهذا وحده يتحقق التماسك والوحدة ، ويُقضى على أسباب الفرقة والخلاف إلى الأبد . وحتى يتوصل المسلمون إلى هذه النتيجة يجب عليهم ما يلي :

1 ـ إقامة العدل: العدل هو أساس قيام الأمم لأنه يحفظ الحقوق ، والأموال ، والأعراض

---

(1) ـ سورة آل عمران : الآية ١٠٥ .

(2) ـ سورة الروم : الآيتان ٣١ ، ٣٢ .

(3) ـ سورة الأنعام : الآية ١٥٩ .

والدماء .. لهذا جاء الإسلام بالعدل المطلق ؛ لأنه عدل رباني يتساوى فيه البشر جميعا ، فما بالك فيما بين الجماهير المسلمة .

إن إقامة العدل وعلى جميع المستويات سبب رئيسي في تماسك الجبهة الداخلية للأمة ونشرالمحبة والطمأنينة والأمن ، مما يصعب على ناشري العداوة والبغضاء قصد التفريق والتشتيت ، وهذا يؤدي حتما إلى تقوية الثقة بين الجماهير والقيادة من جهة ، وبين الجماهير مع بعضهم البعض .

والعدل المقصود هنا هو العدل الشامل ـ سياسيا ـ اقتصاديا ـ تعليميا اجتماعيا .. ـ وبهذا العدل الشامل تتحقق المساواة الفعلية بينهم وفق الحقوق والواجبات يقول الرسول ـ صلعم ـ :« المسلمون عدول يسعى بذمتهم أدناهم وهم يد على من سواهم » .

لكل هذا جاءت الآيات والأحاديث تأمر بالعدل ، وتنهى عن الظلم مبينة مصير أهله في الدنيا والآخرة من ذلك قوله تعالى :

« ... وإذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى ... »[1] .

« * يا أيها الذين ءامنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون * »[2] . « * وأمرت لأعدل بينكم .. »[3] .

« ... وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل ... »[4] .

ومن أحاديث الرسول ـ صلعم ـ قوله :« سبعة يظلهم اللّه في ظله يوم لا ظل إلا ظله : إمام عادل ... » متفق عليه .

وقوله : « إن المقسطين عند اللّه على منابر من نور : الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما وُلّوا » رواه مسلم .

والمستقرئ للتاريخ يرى العجب في نماذج العدل ـ على جميع المستويات ـ وخاصة في عهد الرسول ـ صلعم ـ وعهد الخلفاء الراشدين بعده . إذن على الأمة اليوم أن تقيم العدل الإسلامي فيما بينها أولا ، ثم فيما بينها وبين البشرية جمعاء ، وبذلك تحل جميع المشاكل ـ على جميع الأصعدة ـ فتنزل الرحمة ، وينتشر الخير والمحبة والتراحم بين جميع أبناء الأمة الواحدة ، وينطبق عليها قول اللّه تعالى :

« * محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم ... »[5] .

وقول الرسول ـ صلعم ـ :« من لا يرحم الناس لا يرحمه اللّه » متفق عليه .

« من لا يرحم لا يُرحم » متفق عليه .

2. حماية حرية الإنسان : إذا كانت الحرية فطرة فطر اللّه الناس عليها ، لأنها حق طبيعي وضرورة يقتضيها الشرع والعقل ، لذلك جاء الإسلام ليحمي حرية الأفراد ـ على جميع الأصعدة ـ ؛ من ذلك حرية التدين حيث يقول تعالى :

---

(1) ـ سورة الأنعام : الآية ١٥٢ .

(2) ـ سورة المائدة : الآية ٨ .

(3) ـ سورة الشورى : الآية ١٥ .

(4) ـ سورة النساء : الآية ٥٨ .

(5) ـ سورة الفتح : الآية ٢٩ .

« ... لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي ... »[1] .

فمابالك بالحرية السياسية ، والاقتصادية ، والاجتماعية ، بما في ذلك حرية الإقامة ، والعمل ، والفكر..لكن الحرية في الإسلام تقوم على أساس الإيمان بالله وتحقيق أوامره واجتناب نواهيه ، وبذلك تتحقق السعادة لكل المسلمين بدون استثناء ، فلا اعتداء ، ولا ظلم ، ولا طغيان ، فالنفوس مصونة والأموال محفوظة والأعراض مصونة ... فالمسلم حر في أن : « يتكلم فيرد على الكبير ولو كان أمير المؤمنين إذا أخطأ،وينتخب من شاء لإمرة المؤمنين ، ولكنه يلتزم بطاعة من تكون له الولاية ولولم ينتخبه ، ما دامت إمرته شرعية . فالحرية السياسية له مصونة والحرية الاقتصادية له مصونة ، وحرية الرأي والاجتهاد له مصونة ، وحرية النقد والقول له مصونة،وحرية التصرفات له مصونة، فهو كامل الحرية في كل شيء ما دام ملتزما بالحق والعدل الذين أمر الله بهما،ولم يخرج عليهما،أي مادام ملتزما بالعبودية لله »[2] .

3 ـ **محاربة الظلم والاستبداد** : الظلم والاستبداد آفتان خطيرتان إذا حلتا بأمة أهلكتاها وقضتا عليها ، وجعلتها نهبا لكل الأعداء والطامعين ، ولذا فإن الحرب النفسية لا تنجح نجاحا باهرا إلا في ظل هاتين الآفتين اللتين تُعتبران أخطر من ميكروب "السيدا" لأنهما يقضيان ، على الفكر ، وعلى الحرية ، وعلى المساواة ، وعلى الحقوق.. ويصبح أي مجتمع يعيش هاتين الظاهرتين محكوما عليه بالفناء أجلا أم عاجلا[3]. وهذا بنص الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة يقول الله تعالى :

« ... فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا إن في ذلك لآية لقوم يعلمون ... »[4] .

« ... ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون إنما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار ... »[5] .

« ... وتلك القرى أهلكناهم لما ظلموا وجعلنا لمهلكهم موعدا ... »[6] .

« ... وما للظالمين من نصير ... »[7] .

ومن الأحاديث النبوية قوله عليه الصلاة والسلام[8] :

« اتقوا الظلم ؛ فإن الظلم ظلمات يوم القيامة .. » رواه مسلم .

---

(1) ـ سورة **البقرة** : الآية ٢٥٥ .

(2) ـ **سعيد حوى** : الإسلام .(مرجع سابق) ص290.

(3) ـ للمزيد من المعلومات حول هاتين الظاهرتين انظر :

عبد الرحمن الكواكبي : طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد ، بيروت : دار النفائس . ط 1.(1404هـ-1984م) ص99 إلى 110.

(4) ـ سورة **النمل** : الآية ٥٢ .

(5) ـ سورة **إبراهيم** : الآية ٤٢ .

(6) ـ سورة **الكهف** : الآية ٥٩ .

(7) ـ سورة **الحج** : الآية ٧١ .

(8) ـ الأحاديث مأخوذة من :

عز الدين بليق : منهاج الصالحين .(مصدر سابق) ص214 ، 215.[سورة هود : الآية ١٠٢] .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

« من ظلم قيد شبر من الأرض طُوِّقَه من سبع أرضين » متفق عليه .

« إن اللّه ليملي للظالم ، فإذا أخذه لم يفلته ثم قرأ :

« ﴿ وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة إن أخذه أليم شديد ﴾ » متفق عليه .

« .. واتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين اللّه حجاب » متفق عليه .

4 ـ إحياء القيم الإسلامية : للقضاء على أسباب الفرقة والخلاف يجب إحياء القيم الإسلامية وغرسها وتأصيلها بين أفراد المجتمع المسلم ، لأنها هي الوسائل الوحيدة التي تقيه من الضعف والوهن ، والتشتت والتفرق ... فالواجب يحتم على الأمة المسلمة اليوم أن تمثل قيَمها ومبادئها ، وأن لا تتركها محنطة ومهملة ومنسية ، ثم تجدها بالمقابل تبكي وتشكي حظها ، وحالها المزري على جميع الأصعدة .

إن إحياء القيم واجب عيني على كل مسلم ، فالوفاء والأمانة ، والتعاون والإيثار ، وإصلاح ذات البين ، والاهتمام بشؤون المسلمين ، وهذا لا يتحقق إلا بسلامة وضبط النفس ، والطهارة النفسية ، والجسدية ، وفي الوقت نفسه الابتعاد عن كل الصفات الذميمة التي ذمّها الإسلام وأمر المسلمين بالابتعاد عنها سواء أكانت أمراضا نفسية باطنية كالكبر والعجب والحقد والحسد ، وسوء الظن ، والابتعاد عن احتقار الناس والاستخفاف بحقوقهم ...

أو أمراضا إجتماعية ظاهرية وعلى رأسها الظلم والاستبداد ، والنفاق والتضليلات الإعلامية والدعائية ، والابتعاد عن الشائعات وترويجها وبأي شكل كان ..

هذه القيم يجب أن تتربى عليها الجماهير ـ على جميع الأصعدة ـ ، وأن تُقدر هذه الصفات أحسن تقدير لما لهذه القيم من أثر إيجابي للأمة ، وهذا بالتركيز على الوعي بهذه الصفات باستعمال أحسن الوسائل علما وتقنية ـ حسب الزمان والمكان ـ للوصول إلى تثقيف الجماهير المسلمة وتربيتها تربية تجعلها تكسب تصورا إسلاميا شاملا خاليا من كل الأمراض النفسية الباطنية والظاهرية ـ المذكورة سابقا ـ . والقيم الإسلامية تجعل الجماهير المسلمة تقف صفا واحدا في وجه الأعداء مهما كانت شراسة الحرب النفسية . لأن إحياء القيم الإسلامية تجعل الأمة تعود إلى فكرها الحضاري وتاريخها المجيد المملوء بالبطولات لأخذ العبر والمدد المعنوي والمادي قصد توفير أسباب القوة ماديا ومعنويا وعلى جميع الأصعدة .

ومجمل القول أن المختصين من دعاة ، وقادة ، وساسة ـ في جميع المجالات ـ مسؤولون مسؤولية عظمى أمام اللّه سبحانه وتعالى لتربية أفراد الأمة حتى تحمي نفسها أولا ، ثم تحمي رسالتها ثانيا ، ثم تحمي البشرية ثالثا من شرور المفسدين وأساليبهم التي أصبحت تهدد المعمورة . ومهما يكن فإن ميراث هذه الأرض سيكون لعباد اللّه الصالحين ، لأن الظالمين والمفسدين سيزولون لا محالة وهذه حتمية قرآنية أقرها اللّه سبحانه وتعالى حيث قال :

« ﴿ ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون ﴾ »[1] .

*****

(1) ـ سورة الأنبياء : الآية ١٠٥ .

الفصل الثاني

معرفة أهداف العدو ومخططاته ومقاومتهما

أولا: معرفة أهداف العدو ومخططاته

أ ـ على مستوى الفكر

1. ترويج الفكر العلماني
2. ترويج الفكر الإلحادي الإباحي
3. ترويج الفكر الاستعماري

ب ـ على مستوى الشؤون العامة

1. على الصعيد السياسي
2. على الصعيد الاقتصادي
3. على الصعيد الاجتماعي

جـ ـ على مستوى الإسلام

1. تطبيق الأهداف سالفة الذكر
2. تشويه الإسلام
3. تشويه العلماء
4. تشويه التاريخ الإسلامي
5. تشويه المسلمين
6. تضخيم الخلافات بين المسلمين

د ـ على المستوى الاستراتيجي

1. إرساء مؤسسات تسير وفق نماذج غربية

ا ـ على صعيد الثقافة والتربية

ب ـ على الصعيد الاجتماعي والترفيهي

جـ ـ على الصعيد السياسي والاقتصادي

2. تأصيل الثقافة الغربية في المجتمعات الإسلامية
3. فصل الجماهير عن أصالتها وثقافتها

جمعية التذكير لعبد القادر للعلوم الإسلامية

ثانيا: مقاومة أهداف العدو ومخططاته

ا ـ اعتماد المنطق والروح العلمية

ب ـ تربية الجماهير على :

1. الالتزام بالإسلام
2. اتباع الله سبحانه المستقيم
3. اتخاذ الإسلام عقيدة وعبادة وشريعة ...
4. التربية على : العزة ، التضحية ، الجهاد ...
5. التعامل الإسلامي الصحيح

جـ الإعداد والتخطيط المنهجي

1. معرفة تقنيات العدو ووسائله وكيفية مقاومتها
2. عدم الغفلة والحذر
3. الثبات على المواقف

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

« الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم

فاخشوهم فزادهم إيمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل .

فانقلبوا بنعمة من الله وفضل

لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله

والله ذو فضل عظيم »

آل عمران : ١٧٣ ـ ١٧٤

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

أولا ، معرفة أهداف العدو ومخططاته

إن أعداء الإسلام لا ينتهون ولا يتوقفون إلا بانتهاء الإنسان على هذه البسيطة ، فهم - رغم تعدد أشكالهم وفكرهم - يحملون حقدا أعمى تجاه الإسلام وأهله وهم منذ بدء الدعوة الإسلامية - في مكة - يشنون حربا نفسية شعواء وبكل الوسائل - حسب الزمان والمكان - وسيبقون على حالهم هذه إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها بدليل قوله تعالى:« ... ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا ... »[1] .

ورغم محاولة الأعداء - في بعض الأحيان - إخفاء حقيقة العدوان نظرا لبعض مصالحهم أو أهدافهم أو لتخطيطات بعيدة المدى فإن حقيقة أنفسهم غير ذلك بدليل قوله تعالى :« ... قد بدت البغضاء من افواههم وما تخفي صدورهم أكبر ... »[2] .

لذا يجب على كل مسلم أن يتيقن يقينا لا ريب فيه أن أعداء الإسلام - بجميع نحلهم - في الداخل والخارج ، يعملون جاهدين ومخلصين على تحطيم المسلمين ، وذلك بتحطيم قدراتهم المعنوية والمادية وعلى الصعيدين - المدني والعسكري - ، وبكل وسائل الحرب النفسية اللاإنسانية للوصول إلى أهدافهم وأغراضهم مستعملين في كل هذا وسائل إعلامهم التي أصبحت توجد عند جل المسلمين وخاصة جهاز التلفزة ، مستغلين قدرتهم العلمية والتكنولوجية المتفوقة والتي أصبحوا بواسطتها يتحكمون في الكرة الأرضية عن طريق الأقمار الصناعية المتعددة الأغراض ، والتي من مهامها الرئيسية السيطرة عن طريق التوجيه الفكري - على جميع الأصعدة - قصد تحقيق أهداف آنية أو مستقبلية ، وفق استراتيجية علمية شاملة لكل المجالات .

وعلى هذا أصبح واجبا على الأمة أن تعرف مخططات الأعداء وأهدافهم قصد التصدي لها بتخطيطات مبنية على الإعداد النفسي والمادي امتثالا لقوله تعالى : « ... وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم ... »[3] وهذا لا يتم إلا من خلال الاعتماد على الله أولا ثم على الإنسان المسلم ثانيا ، ثم على الامكانات المادية ثالثا ،مما يستوجب على أهل الرأي من الأمة - حسب مسؤولياتهم - تجنيد الرأي العام ، وتوعيته بطبيعة الصراع الدائر بين الأمة وأعدائها ، مبينين له مواطن الداء ومكامن الأخطار - داخليا وخارجيا - وعلى الصعيدين المدني والعسكري .

هذه التربية الجماهيرية يجب أن تكون وفق خطة استراتيجية مدروسة وعلمية - شكلا ومضمونا - وأن تكون الأساليب مناسبة - حسب الظروف - حتى لا تكون النتيجة عكسية ، وبهذا تستطيع جماهير الأمة أن تقف علي بينة في وجه أهداف الأعداء ومخططاتهم ، مما يجعلهم يفشلون وتتحطم معنوياتهم على جميع الأصعدة .

ومن أهداف العدو التي يجب معرفتها ومحاربتها على جميع الأصعدة مايلي :

---

(1) - سورة البقرة : الآية ٢١٧ .

(2) - سورة آل عمران : الآية ١١٨ .

(3) - سورة الأنفال : الآية ٦٠ .

أ ـ على مستوى الفكر :

الفكر هو المصدر الطبيعي لكل نتاج علمي صحيح وسليم ، أو أي نتاج خاطئ ، لكونه ينبع من تصورات عقلية عقدية ، أو إيديولوجية لمجتمع ما ، فإذا كانت عقيدة هذا الفكر صحيحة فهو يوجد الحضارة الإنسانية ـ بمفهومها الشامل ـ وبالتالي يأخذ بيد الأمة إلى شاطئ التقدم والتطور والنجاح ؛ وإذا كان الفكر وليد عقيدة أو إيديولوجية فاسدة وخاطئة فهو يؤدي إلى خراب الأمة وتفكيك أواصرها وتغريبها وتمزقها ، وبالتالي انهيارها واندثارها ، لأن الفكر : « يشمل كل ما ينسب إلى الفكر من أعمال العقل والدين من القيم المعنوية والروحية والخلقية ذات مضمون مبدئي وفلسفة فكرية ، كما يشمل المؤسسات ، والمظاهر المادية التي تقوم على القيم السابقة كالأنظمة الاقتصادية ومظاهر الحكم والنشاطات المذهبية المتعددة »[1] .

وإذا كان الفكر هو لب الحرب النفسية ، فإن ما تعانيه الأمة المسلمة من أزمات هي على مستوى الفكر الذي غزا أمتنا ـ على جميع الأصعدة ـ ، وجعلها تبتعد كثيرا عن فكرها العقيدي الصحيح الذي « يمثل روح الأمة ، ويصوغ وجدانها ويستجيش ضميرها ، ويوقد فيها الطاقة المحركة القادرة على الإبداع والتصدي والمقاومة والعطاء .. »[2] .

لذا أصبح واجبا على الأمة الإسلامية أن تسرع بالرجوع إلى فكرها الإسلامي ، لأنه وليد عقيدتها ، ومصدر عزتها وقوتها ... ، وبالمقابل أصبح واجبا عليها معرفة الفكر المعادي ومصادره ، حتى تميزه وتعرفه وبالتالي لا تغالط به ، بل تواجهه وتقاومه بالفكر النيِّر الصحيح المبني على العلم والحجة الشرعية والمنطقية لأننا في عصر يسمَّى "عصر صراع الأفكار" .

ومن أهداف العدو ومخططاته على مستوى الفكر مايلي :

1 ـ ترويج الفكر العلماني[3] : إن ترويج الفكر العلماني ـ فيما يسمى بالأوطان الإسلامية ـ خطط له من زمان بعيد ، وذلك على جميع الأصعدة ، لأنه هو الطابع الإيديولوجي للفكر الأوربي الذي اجتاح العالم الإسلامي بعد تفتيته واستعماره من قبل دول العالم الغربي ، هذا الفكر الذي فرض على الدول الإسلامية من خلال ساستها الذين تربوا على هذا الفكر ، وحُضروا تحضيرا جعلهم يؤمنون بهذا الفكر ويطبقونه على جميع الأصعدة عقائدية ، ثقافية ، اجتماعية ، اقتصادية ، سياسية .. الخ .

---

(1) ـ نذير حمدان : في الغزو الفكري ، السعودية : مكتبة الصديق .(بدون تاريخ) ص6 .

(2) ـ د.عبد الحميد أحمد أبو سليمان : أزمة العقل المسلم ، الجزائر(عين مليلة) : دار الهدى . ط2.(1413هـ ـ 1992م) ص6.

(3) ـ لمعرفة الفكر العلماني انظر :

ـ محمد قطب : مذاهب فكرية معاصرة ، القاهرة : دار الشروق ـ ط3 .(1408هـ ـ 1988م) ص445

ـ د.يوسف القرضاوي : الإسلام والعلمانية وجها لوجه ، الجزائر : مطبعة أمزيان ـ ط2. (1409هـ ـ 1989م) ص48.

ـ د.عماد الدين خليل : تهافت العلمانية ، بيروت : مؤسسة الرسالة .(1403هـ ـ 1983م) ص46.

وإذا كان الفكر العلماني يهدف إلى فصل الدين عن الشؤون الحياتية ويرفض صراحة تطبيق الشريعة الإسلامية وفي جميع الشؤون الحياتية ما عدا الأحكام التي تتماشى وأهواء مطبقي الفكر العلماني مثلهم مثل بني إسرائيل الذين قال فيهم عز وجل :« ... أفتومنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلا خزي في الحيوة الدنيا ويوم القيامة يردون إلى أشد العذاب وما الله بغافل عما تعملون » »[1].

2. ترويج الفكر الإلحادي الإباحي : من أهداف أعداء الفكر الإسلامي العمل على ترويج الفكر الإلحادي الذي بني على فلسفة تنكر وجود الله ، وسائر الغيبيات ، كالجنة والنار ، والملائكة ، والحساب والعقاب .. بل تربط كل هذا إلى الخرافة والأساطير والخيال .. حيث يقول زعيمهم ماركس :« لا إله والحياة مادة » .

وقال لينين :« ليس صحيحا أن الله هو الذي ينظم الأكوان . إنما الصحيح هو أن الله فكرة خرافية اختلقها الإنسان ليبرر عجزه . ولهذا فإن كل شخص يدافع عن فكرة إنما هو شخص جاهل وعاجز »[2] .

ومن خلال هذا الفكر اللاديني نشأت أفكار ومذاهب إباحية تنظر إلى الإنسان نظرتها إلى الحيوان ، فلا قيم ، ولا سلوكات ، ولا عفة ، .. وإنما الإنسان حر يفعل ما يشاء دون ضوابط ، أو قيم ، إلا ما كان من بعض القوانين التي تسنها الدول أوالجماعات حسب مصالحها ، أما ما يُسمَّى بأحكام إلهية فهذه خرافة وتقاليد بالية يجب التمرد عليها ومحاربتها لأن :« الدين والأخلاق والتقاليد ليست قيمة ذاتية قائمة بذاتها ، وإنما هي مجرد انعكاس للوضع الاجتماعي والاقتصادي القائم في المجتمع »[3] .

هذا الفكر الإلحادي الإباحي غزاالمجتمعات الإسلامية بشكل رهيب ،وأصبح بعض المحسوبين من بني المسلمين - ببطاقة التعريف - ينشرونه ويروجونه في كتبهم،وفي محاضراتهم ، وندواتهم ، ومؤسساتهم الإعلامية والثقافية ، والاجتماعية .. وهدفهم تنفيذ مخططات الأعداء شبرا بشبر وذراعا بذراع ، مستغلين ضعف ثقافة الأمة بالإسلام والفكر الواعي الذي يحرك العقول والإرادات لتكون صدا منيعا لمثل هؤلاء وأسيادهم وما ذلك على الله بعزيز .

3. ترويج الفكر الاستعماري : ومن الأهداف المخططة ، والتي تعتبر هي الأساس في استراتيجية الأعداء هي ترويج الفكر الاستعماري داخل الأوطان الإسلامية ، وبين جماهير المسلمين ، فهي زيادة عن نشر الأفكار السالفة الذكر ، تريد أن تحطم الكيان الإسلامي تحطيما كليا وذلك من خلال سياسة "فرِّق تسُد" عن طريق نبش التاريخ والرجوع بأي مجتمع إسلامي إلى أصله الأول ، فهؤلاء عرب ، وهؤلاء فرس ، وهؤلاء أتراك ، وهؤلاء فراعنة ، وهؤلاء بربر ... ومن ثم بث الشقاق والاختلاف ، والتفاخر بالجاهلية التي أزالها الإسلام ، ثم تطبق سياسة "فرق تسد" الاستعمارية حتى داخل الشعب الواحد والوطن الواحد ، وذلك بإثارة العصبيات واللهجات ، والعادات

---

(1) - سورة البقرة : الآية ٨٥ .

(2) - فتحي يكن : حركات ومذاهب في ميزان الإسلام ، الجزائر: شركة الشهاب . ص15.

(3) - محمد قطب : معركة التقاليد ، القاهرة : دار الشروق .(1402هـ-1982م) ص23.

والتقاليد .. مما يجعل الأخ عدوا لأخيه ، والجهة عدوة للجهة الأخرى .. وفعلا نجح الأعداء في ترويج هذا الفكر أي نجاح ، وبثوا الشكوك في أوساط المسلمين ـ حكاما ومحكومين ـ مما جعلهم يدافعون عن فكر ولغة أعدائهم أكثر من الدفاع عن أوطانهم وفكرهم ، وأصبح المسلمون اليوم ـ إلا من رحم الله ـ لا يختلفون في سلوكاتهم وتصرفاتهم وتقاليدهم عن أعدائهم : بل أصبحوا يحاربون فكرهم وتقاليدهم وسلوكاتهم أكثر من أعدائهم ، وبمصطلحات سنّها أعداؤهم ورموهم بها فاحتضنوها بفرح وسرور ورددوها دون نظر أو تفكير ، أو تصور .. !! لكنه الفكر !!!

ب ـ على مستوى الشؤون العامة :

إن استيراد النظام السياسي ـ بمفهومه الشامل ـ من الأعداء، لم يكن مجرد صدفة أو فكرة عابرة ، بل هو يدخل ضمن تخطيط استراتيجي للأعداء على مستوى الفكر مما جعل المسلمين يقبلون بهذا النظام وعلى رأسهم ساستهم الذين حُضِّروا تحضيرا فكريا وثقافيا ، وسياسيا وحتى عسكريا ، ثم أُمروا بتطبيقه في بلدانهم الإسلامية التي عاشت في ظل نظام إسلامي ـ مدة ثلاثة عشر قرنا ـ و رغم الشوائب التي أصابت النظام الإسلامي في بعض الفترات من الحضارة الإسلامية فإنه لم يفكر في أي يوم من الأيام أي حاكم ـ مهما كان ظالما أو مستبدا ـ أن يرفض الإسلام التزاما أو يحكم شعبه بغير الإسلام ، لكن الزحف الذي أصاب المسلمين في القرن الماضي على جميع المستويات والأصعدة : زيادة على الانحطاط والضعف اللذين أصابا الأمة الإسلامية جزاء تفريطها و ابتعادها عن الإسلام فهما و تطبيقا جعل أعداء الإسلام ينتصرون على جميع المستويات ـ مدنيا و عسكريا ـ .

إذن هذه السيطرة : « فرضت عليهم أنظمة سياسية و قانونية ، واقتصادية مستمدة من النظام الغربي الرأسمالي سواء في مجال الحكم أو الإقتصاد أو القضاء والتعامل و حجبت الشريعة الإسلامية تماما »[1].

و هكذا منذ أن حلّ النظام السياسي ببلاد المسلمين ـ الغربي بشقيه الليبرالي و الإشتراكي ، و الأمة الإسلامية تعيش الويلات ، و الفشل ، و الدمار على جميع الأصعدة ـ سياسيا ـ اقتصاديا ـ اجتماعيا ـ تربويا ـ عسكريا ـ .. و رغم استبدال المصطلحات التزويقية لمخادعة الجماهير المسلمة فإن كل ذلك لم يزد الأمة إلا نفورا من من هذه الأنظمة المفروضة ، مما صعد الصراع داخل المجتمعات الإسلامية و كثر التناقض الفكري فيما بين أبنائها ، و زاد التفرق و التشتت و العداء بين مجتمعاتها ، و أصبحت هذه المجتمعات مزرعة تُجرب فيها كل تجارب الأعداء ، من أسلحة ، و ثقافة ، و فكر ، و أدوية ، و كأن أهلها حيوانات خلقوا لتجارب الأفكار والدمار.. و مما زاد الطين بلّة أن من في أيديهم مقاليد أمور الأمة أصبحوا عبارة عن "طابور خامس" تابع للأعداء،بحيث يفعلون في أهليهم و ذويهم و بني جلدتهم ما يعجز

---

(1) ـ **أنور الجندي** : دراسات إسلامية معاصرة رقم 36، بيروت : منشورات المكتبة العصرية ـ ط 1. (1402هـ ـ 1982م) ص155.

وللاطلاع أكثر انظر **يوسف القرضاوي** : الحلول المستوردة وكيف جنت على أمتنا . بيروت : مؤسسة الرسالة ـ ط 9 .(1403هـ ـ 1983م) ص18.

عنه الأعداء مما زاد أعداءهم قوة ، و زاد أوطانهم ضعفا و تقهقرا ، و أصبحت أمتهم التي كانت خير أمة مصداقا لقوله تعالى :

« ... كنتم خير أمة أخرجت للناس تامرون بالمعروف وتنهون عن المنكر و تومنون بالله ... »[1] .

أصبحت أرذل أمة على وجه المعمورة - خاصة في النصف الثاني من القرن العشرين - مما جعل أعداء الأمة و على رأسهم "اليهود" يتحدون الأمة بجميع دولها - رغم قلتهم - و هذا إن دل على شيء فإنما يدل على بعد الأنظمة الإسلامية - بالمفهوم الحالي - عن إسلامهم و عقيدتهم مما جعل الله يعاقبهم في الدنيا و الآخرة مصداقا لقوله تعالى : « ... و من اعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا و نحشره يوم القيامة أعمى * قال رب لم حشرتني أعمى و قد كنت بصيرا * قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها و كذلك اليوم تنسى ... »[2].

و فعلا قد تحقق قول الله و أصبحت الأمة تعيش حياة ضنكة و على جميع الأصعدة :

1. **على الصعيد السياسي :** ظلت الأنظمة التي تحكم البلدان الإسلامية بعد تحررها على الصعيد السياسي تحكم هذه البلدان وفق إيديولوجيات فكرية لا تنتمي للمنظومة الفكرية الإسلامية بأية صلة ، زيادة عن تقنين هذه الإيديولوجيات و جعلها تتماشى مع الجماعة التي تحكم البلد ، أو تتماشى مع الفرد الحاكم ، أو العائلة الحاكمة ، و هذا ما جعل هذه الإيديولوجيات تفشل فشلا ذريعا لكونها مرفوضة من قبل الجماهير المسلمة أولا ، و لكونها لم تحقق الحياة الكريمة لإنسان هذه البلدان ؛ بل على العكس زاد الظلم و الاستبداد ، و ضاعت الحقوق و الواجبات في آن واحد ، و أصبحت الفوارق الاجتماعية ، و التمايز الطبقي ظواهر لم يرها التاريخ الإنساني منذ العصور الأولى ، ففي بعض البلدان الإسلامية يعيش أفرادها في بذخ تحرمه الشريعة و العقل ، و في البعض الآخر نجد المسلمين يموتون جوعا بالآلاف ، فأين التضامن ؟ و أين التكافل ؟ و أين حق المسلم على أخيه ؟ كل هذه الصفات ذهبت مع إبعاد الإسلام من الساحة الإسلامية . إنها الحرب النفسية على صعيد الفكر السياسي المستورد .

2. **على الصعيد الاقتصادي :** طبقت في العالم الإسلامي كل الأنظمة الاقتصادية ، واستعملت المصطلحات الرنانة للضرب على وتر الشعوب المسلمة ، ولكن كل هذا فشل و ظهر في الواقع على حقيقته ..فالبطالة في ارتفاع مذهل ، والديون في ارتفاع مستمر ونسبتها ترتفع عاما بعد عام ، وهجرة الأدمغة الإسلامية مستمرة بدون إنقطاع والأراضي الزراعية الشاسعة أصبحت بورا .. و العملات الإسلامية مستمرة لا قيمة ولا وزن لها في السوق العالمية ... و هذه هي نتيجة تخطيطات الأعداء و أهدافهم .

3. **على الصعيد الاجتماعي :** انتشر الجهل ، وزاد الفقر ، وارتفعت نسبة الأمية في العالم الإسلامي بشكل مذهل ، وأصبح المسلمون يعيشون عالة على أعدائهم ، هذا زيادة عن الأمراض الفتاكة التي تقضي على العشرات من الآلاف في العالم الإسلامي ..

إذن هذه هي أهداف الأعداء و تخطيطاتهم منذ زمن بعيد وهاهم اليوم يجنون الثمار

---

(1) - سورة آل عمران : الآية ١١٠ .

(2) - سورة طه : الآيات ١٢٤ ، ١٢٥ ، ١٢٦ .

بضعف الأمة في جميع المجالات .. لكن المؤسف حقا أن من بيدهم مقاليد الأمور لم يستيقظوا بعد ولم يرجعوا إلى رشدهم بل مازالوا مصرين على أخطائهم و فكرهم التغريبي و الأمة يزيد نزيفها يوما بعد يوم - في جميع المجالات - .. و مالم يرجع المسلمون إلى عقيدتهم و فكرهم فإن عقوبة الله تبقى مستمرة على جميع الأصعدة مصداقا لقوله تعالى :« ﴿ وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع و الخوف بما كانوا يصنعون ﴾ »[1] .

جـ - على مستوى الإعلام :

لقد أصبح الإعلام في عصرنا الحاضر الأداة و الوسيلة الرئيسية في تنفيذ مخططات الأعداء ، ومما ساعده على هذا ، التطور التقني التكنولوجي . بحيث أصبح الإعلام يتحكم في الشعوب و يوجهها الوجهة التي يريدها ، وأكبر خاسر في هذا التوجيه هي الأمة الإسلامية التي أصبحت تعيش عالة على وسائل الإعلام المعادية لأن الإعلام تكمن إيجابياته في أنه لا يعرف الحدود السياسية ، أو الجغرافيةأو المراكز الجمركية أو الأمنية .. وبهذا استطاع أن يدخل البيوتات الإسلامية ، ليشكل قناعات إيديولوجية ضمن ما يسمى بالحرب النفسية التي تشن على الأمة الإسلامية باستمرار ، وأصبح الإعلام ينقل إلى الأمة - خاصة التلفزة - كل ما يشين أخلاق الإسلام و في بيوت المسلمين مسيطرا على أفكارهم و مشاعرهم و عواطفهم .. ولذلك يمكن أن نقول أن عصر اليوم و المستقبل هو عصر الإعلام ، و من يملك هذه الوسيلة بتقنياتها الحديثة يستطيع أن يملك أفكار ملايير من البشر ، لما لوسائل الإعلام من تأثير بإعادة تشكيل عقلية الإنسان ، وهذا ما جعل الأستاذ : عمر عبيد حسنة يقول : « بأن المعركة الحقيقة المستمرة و الفاصلة اليوم هي معركة الإعلام ، بعد أن سكتت أصوات المدافع ، وتوارى أصحابها ، وأصبحوا لا يدعون إلى الظهور إلا في الأوقات الاستثنائية التي يغيب فيها الرشد ، وتهزم الفكرة ، وتنتصر الشهوة ، و يرتكس الإنسان إلى حياة الغابة .. وحتى في الأوقات الاستثنائية ، يبقى الإعلام من أخطر أسلحتها أيضا »[2] .

وهكذا يظهر جليا أن أخطر سلاح تستعمله الحرب النفسية هو سلاح الإعلام ،لأنه - بجميع أنواعه - هو الوسيلة التي بواسطتها تنفذ المخططات و الأهداف التي يعمل أصحابها على تمزيق الأمة و تشتيتها فكريا عن طريق الدعايات التضليلية والشائعات المغرضة ، و إثارة النعرات القبلية و العصبية ،بالإضافة إلى الدعوة بمبادىء مستخدميه و الإيديولوجية التي ينتمون إليها .

و من بين الأهداف و التخطيطات التي تشنها الحرب النفسية على مستوى الإعلام ما يلي :

1 . **تطبيق الأهداف السالفة الذكر :** إن تخطيطات الأعداء - على جميع الأصعدة - تهدف كلها إلى هدف واحد - رغم تعدد مجالاتها - و هو محاربة الأمة الإسلامية ، وجعلها خاضعة

---

(1) - سورة **النحل** : الآية ١١٢ .

(2) - **عمر عبيد حسنة** :مراجعات في الفكر والدعوة والحركة ، الجزائر(عين مليلة) : دار الهدى .ص 48،49.

- ماديا ومعنويا - لهم ، ولذلك فإن الأهداف التي ذكرناها فيما سلف تنفذ وتطبق بمساعدة رئيسية من وسائل الإعلام ، فهي التي تمهد لها ، وهي التي تزين فكرها ومبادئها و حتى مصطلحاتها ، وهي التي تضلل الرأي العام بإخفاء وجهها الحقيقي وإظهار صورتها القبيحة في شكل جميل حتى ولو كان مزيفا ، وهي التي تدافع عن أصحابها و تظهرهم بمظهر المتفوقين ، و الأبطال ، و المنقذين ... ، و هي التي تشوه معارضيهم ،وأفكارهم، و مواقفهم ، رغم علميتها وواقعيتها ..وهي ..وهي ..وبهذا تستطيع وسائل الإعلام أن تلعب الدور الفعال في نشرالأفكار الهدامة والتي يقصد منهاتحطيم كل القيم والسلوكات الإسلامية تحت شعارات براقة مستهلكة تظهرالخيروتبطن الشروالخراب ...وأي خراب أعظم من خراب مقومات الأمة ؟؟ !!

2.تشويه الإسلام: من أهداف العدو ومخططاته على مستوى الإعلام تشويه الإسلام وأهله وتاريخه ، ومقوماته ، ونظامه الرباني .. وذلك قصد تنفير الناس منه وجعلهم ينظرون إليه نظرة خرافية أو أسطورية .. هذا التشويه الذي شمل جميع المجالات .

3- تشويه علماء الإسلام: عرف الأعداء بأن مكانة العلماء كبيرة عند الجماهير المسلمة فأرادوا تشويههم ، و الإنقاص من قدرهم ، فعمدوا إلى وسائل إعلامهم بأن تجعل منهم مادة للسخرية و التهكم عن طريق المقالات ، والصور الكاريكاتورية ، هذا زيادة عما يعانيه هؤلاء من تجاهلهم ، ومن تحكم في أرزاقهم ، واتهاماتهم بشتى النعوت والأوصاف ؛ مما يجعل الكثير منهم يعاني معاناة لم يعان منها أي بشر فوق الأرض وهذا رغم علمه و صلاحه و مواقفه ، ولكن هذه طريق الأنبياء ، طريق الجنة لابد من الابتلاء و المحن مصداقا لقوله تعالى :

« * و لنبلوكم حتى نعلم المجاهدين منكم و الصابرين و نبلو أخباركم * »[1].

4 .تشويه التاريخ الإسلامي : إذا كان التاريخ ذاكرة الشعوب فإن التاريخ الإسلامي هو سيروم الأمة الإسلامية لا تستطيع العيش بدونه ، و لذلك أراد الأعداء أن يقطعوا أنبوب كيس السيروم لتموت الأمة ، حيث عمد إعلامهم إلى التشويه ، وذلك بتضخيم بعض السلبيات ، وطمس معالم الإيجابيات مهما كانت ضخمة و عظيمة ، بالإضافة إلى التركيز على بعض الحكام الذين جاروا ، وإخفاء صور القادة الأبطال الذين وصل صداهم إلى العالم كله ، زيادة عن تشويه الحضارة الإسلامية ووصفها بأنها عبارة عن نقل من حضارات مختلفة .. إلخ . وقد ركزت وسائل الإعلام في تشويهاتها عن طريق الكتب ، والمجلات ، والرسائل العلمية ، والأفلام السينمائية و التلفزيونية والندوات ، والمحاضرات .. ومما زاد في هذا التشويه بعض المحسوبين على الإسلام - من المنافقين - الذين اتبعوا طريق أعدائهم و أصبحوا ينفذون كل ما يملى عليهم لأنهم أصبحوا في عمي عن الحق باتباعهم أهواءهم و مصالحهم على حساب أمتهم ولذا قال فيهم رب العزة :

« * أرايت من اتخذ إلهه هواه أفانت تكون عليه وكيلا * أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلا * »[2] .

---

(1) - سورة محمد : الآية ٣١ .

(2) - سورة الفرقان : الآيتان ٤٣ ، ٤٤ .

5. تشويه المسلمين : من حملات التشويه الإعلامي تلك الحملات المنظمة تجاه من يتمسك بالإسلام - قولا وعملا - رافضا التغريب بجميع أشكاله ، حيث يلاقي المسلمون تشويهات عن طريق الدعاية والشائعة ، والتضليلات الإعلامية المختلفة مع التفنن في مصطلحات النعوت والأوصاف التي تطلق على المسلمين المتمسكين بإسلامهم بحيث كلما تحرى مصطلحا وفضح من قبل الرأي العام جيء بمصطلح جديد ...وهكذا .

لكن رغم هذه الحملات وما يتبعها من أذى فإن نور الله متواصل بين عباده وأن عباده في تزايد مستمر حتى يتحقق وعد الله لهم بالاستخلاف .قال تعالى :

« * الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل * فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم * »[1] .

6. تضخيم الخلافات بين المسلمين : من أهداف العدو على الصعيد الإعلامي ترصد خلافات المسلمين الطبيعية ، وتضخيمها وجعلها صراعا حربيا ، مشجعا لهذه الخلافات بإشعال الفتيل بين أبناء الأمة الواحدة سواء كان هؤلاء دولا ، أو جماعات وحتى أفرادا ....

وقد نجح العدو في تضخيم الخلافات بين الإخوة في العقيدة وعلى جميع الأصعدة ، وهذا كله راجع إلى غياب الوعي عند الجماهير الإسلامية وعلى رأسهم قياداتهم ، والتي تكون في بعض الأحيان هي المتسببة في الخلافات والتمزقات الفوقية أو التحتية ، وذلك لأسباب متعددة كما يقول الداعية فتحي يكن منها : « فقدان المناعة العقدية وعدم قيام البنية على أسس فكرية ومبدئية ثابتة .. فقد يكون التنظيم زعاميا يقوم على أساس الولاء لزعيمه .. وقد يكون شخصانيا تطغى عليه سلطنة الشخص وهيمنته .. وقد يكون مصلحيا نفعيا يهدف إلى تحقيق مكاسب مادية ليس إلا ... »[2] .

وهكذا أصبحت وسائل الإعلام أداة هدم وتخريب للمجتمع الإسلامي ، وذلك بتشويه صورته أمام الرأي العام الداخلي والخارجي مركزا في كل هذا على السلبيات - وما أكثرها - وجعلها أنموذج الأمة الإسلامية فانخدع الجمهور المسلم - وخاصة المثقف ثقافة ضحلة - به ، وأصبح ينظر إلى الإسلام من خلال ما تقدمه وسائل الإعلام المسموعة ، والمرئية ، و المقروءة ..

نعم ! « لقد وصل الإعلام إلى درجة كبيرة من الخطورة و التأثير بحيث أصبح قادرا على أن يزين الباطل و يجعله حقا ، ويزري بالحق ليجعله باطلا ، إنه يسحر عيون و أسماع و عقول الناس اليوم ، والرسول - صلعم - يقول منبها :« إن من البيان لسحرا » [رواه البخاري ، ومسلم وأبو داود ، و الترمذي ، ومالك ، وأحمد] .. فبلاغة الطرح ، وامتلاك القدرة على استخدام وسائل التأثير ، تسحر الإنسان ، فلا يعود يبصر الحق ، و إذا امتلك حرية التفكير ، فإنه يفتقد حرية الاختيار ، وينساق وراء الباطل »[3] .

---

(1) - سورة آل عمران : الآيتان ١٧٣ ، ١٧٤ .

(2) - فتحي يكن : احذروا الايدز الحركي ، الجزائر(المدية) : دار الوفاء - ط3.(1991م) .

(3) - عمر عبيد حسنة : مراجعات في الفكر والدعوة والحركة .(مرجع سابق) ص58.

د ـ على المستوى الاستراتيجي :

يخطط الأعداء على المستوى الاستراتيجي إلى أهداف جد خطيرة يريدون من ورائها القضاء نهائيا على الأمة الإسلامية ، وذلك بالقضاء على القيم الإسلامية والنظام الإسلامي ـ على جميع الأصعدة ـ ، وإذا كان في السابق نظامان يجتذبان العالم الإسلامي بأفكارهما الليبرالية ، و الشيوعية ، فإن أحد النظامين قد سقط و هوى بلا رجعة ـ إن شاء الله ـ وأصبحنا نسمع اليوم ما يسمى بالنظام العالمي الجديد الذي يريد أصحابه أن يبني وفق فكرهم و حضارتهم المسيحية ، مستغلين في ذلك ضعف الأمة المسلمة و تفرقها و تشتتها ، وألامها ، وتضميد جراحها من جراء ما تعانيه بعض الدول الإسلامية من حروب أهلية ، أو اعتداءات داخلية أو خارجية . هذا الوضع المزري جعل العالم الغربي المعادي للحضارة الإسلامية يخطط ضمن استراتيجية علمية وعالمية للوصول إلى أهدافه النهائية و التي خطط لها قبل استعمار دول العالم الإسلامي ، ومن بين هذه الأهداف الاستراتيجية ما يلي :

1 ـ إرساء مؤسسات تسير وفق نماذج غربية : من مخططات الأعداء ـ بجميع نحلهم ـ إرساء مؤسسات في الدول الإسلامية تسير وفق النموذج الغربي ، وذلك تحت مصطلحات شتى ، فتارة بإسم العلمية ، وتارة بإسم التقدم ، وتارة بإسم التعاون و هكذا .. حتى أصبح المجتمع الإسلامي مزرعة بدون مسير لمثل هذه المؤسسات ، مما جعلهم يتحكمون فيها عن طريق مباشر ، أو غير مباشر بواسطة عملائهم الذين تربوا في أحضانهم و شربوا من حليب أفكارهم و إيديولوجياتهم مما جعلهم يحاولون في بلدانهم الإسلامية ترسيخ أفكار الغرب المعادية للفكر الإسلامي عن طريق مؤسسات المجتمع ـ على جميع الأصعدة ـ :

أ ـ على صعيد الثقافة و التربية : عمدوا إلى مؤسسات سموها ثقافية ، وسموها بأسماء تربوية ، وزودوها بالكفاءات ، والأجهزة الحديثة قصد جذب أبناء المسلمين ومن ثم تلقينهم و تعليمهم فكرا يخالف فكرهم ، و يشوه إسلامهم ، وذلك باسم الثقافة والتربية و باسم اللغات العلمية العالمية ، مما يجعل هؤلاء مستقبلا يحملون فكرا مخالفا لعقائدهم ، ولغة مخالفة للغتهم ، ونظرة مخالفة لواقعهم وأوطانهم والغريب أن هذا الفكر الذي يؤهلهم لمناصب القيادة و القرار داخل أمتهم ، ومن ثمة يصبح هؤلاء يحققون أهداف أعدائهم من أوسع الأبواب .

ب ـ على الصعيد الإجتماعي و الترفيهي : عمد الأعداء من خلال ـ طابورهم الخامس ـ المتواجد في الدول الإسلامية إلى إقامة مؤسسات ذات طابع اجتماعي و ترفيهي وخيري أحيانا ، وذلك بإشراف جمعيات رسمية ، تعمل لغرض واحد، وهدف واحد ،هو تشكيل الرأي العام وفق إيديولوجية تخالف العقيدة الإسلامية و تحقد عليها وعلى من يمثلونها ، وسلخ الأجيال عن أصالتهم ودينهم و لغتهم و حتى أوطانهم ،مستعملين أساليب الحرب النفسية المعادية ، تارة باسم ترقية المرأة ، وطورا باسم النوادي الرياضية والفنية ، و أخرى باسم المخيمات و الرحلات الشبانية ، ومرة باسم مساعدة المحتاجين ـ مهما كان هؤلاء ـ . كل هذا يحدث فيما يسمى بالعالم الإسلامي و بتشجيع داخلي و خارجي .

جـ - على الصعيد السياسي و الإقتصادي : استطاع الأعداء - بعد خروجهم - أن يحضروا شخصيات محسوبة على الإسلام و معدة إعدادا علميا متقنا ، وجعلوها في المناصب الحساسة - سياسيا واقتصاديا و إداريا - و عن طريقها و بمساعدة منهم بطرق شتى تحقق لهم ماكانوا قد خططوا له و عجزوا عنه عن طريق تطبيقه بالقوة العسكرية - أثناء احتلالهم لدول العالم الإسلامي - لكن أذنابهم الذين توغلوا في مراكز القرار استطاعوا « أن يبعثوا بكل مقومات البلدان الإسلامية والتي بها مسلمون وغيروا وبدلوا في التشريعات والنظم السياسية في تلك البلدان الإسلامية بما يوافق هواهم ويحقق أغراضهم ويباعد بين هذه الجماهير وكل مقوم من مقومات تراثهم العقائدي ... فتبدلت القوانين والتشريعات لتحل محلها ما فرضته من قوانين فرنسية أو أنجليزية أوإيطالية أو غير ذلك من قوانين وضعية .. »[1].

وهكذاتمكن الأعداء من تنفيذ مخططاتهم وتحقيق بعض أهدافهم الى حين ، لأن الجماهيرالمسلمة اليوم بدأت تستيقظ وتنهض ؛ لأن مخططات الأعداء و أتباعهم أصبحت مكشوفة،وأصبح الصراع علنا بين الفكر العقدي الإسلامي و الأفكار الإيديولوجية المعاديةالمفروضة من طرف قلة محسوبة على المسلمين ، وبتدعيم عريض من قبل الأعداء التقليديين للأمة المسلمة .

والشيءنفسه يقال على الاقتصاد الذي أصبح في يد الأعداء مما جعلهم يخططون لدول العالم الإسلامي تارة باسم التنمية وطورا باسم التخطيط والتطوير،ومرة باسم المساعدة .. وهكذا أصبح الأقتصاد في دول الأمة الأسلامية في يد أعدائها - سيطرة وتخطيطا وتمويلا - مماجعلها اليوم تعيش أزمة اقتصادية خانقة أثرت سلبا على معيشة أبنائها ؛ رغم ثروات بلدانهم المتعددة ؛ ولكنه التخطيط الجهنمي والذي يدخل في اطار الحرب النفسية الشاملة الموجهة للأمة الإسلامية ..!!

2. تأصيل الثقافة الغربية في المجتمعات الأسلامية: من أهداف الأعداء ومخططاتهم نشرالثقافة الغربية و تأصلها في المجتمعات الإسلامية ، لأن الثقافة هي العنصر الأساسي في تكوين الشخصية ، و على هذا الاعتبار أرادوا التركيز على هذا الجانب لمحو شخصية الأمة و تغيير توجهاتها بوضع الخطط القريبة والبعيدة ، وفعلا فقد خطط الأعداء على جميع الأصعدة على المستوى الثقافي و نجحوا إلى حد بعيد فتغيرت سلوكات المسلمين - قولا وفعلا - ، وأصبح الإنسان لا يميز بين الشخصية الإسلامية و الشخصية الغربية لغياب السلوكات الإسلامية ، و العادات الإسلامية والتقاليد الإسلامية ، والتربية الإسلامية - فكرا و تطبيقا - ومن تأصيل الثقافة الغربية تركيزهم على الأسرة و بالضبط المرأة المسلمة التي أدخلوها في لعبتهم لعلمهم أنها هي أساس تربية الجيل أو فساده ، و لذلك خوّفوها من الإسلام واصطنعوا لها ما يسمى " بتحرر المرأة و مساواتها مع الرجل " لكن الزمن كشف أهدافهم وأغراضهم فقد ظهر أن المقصود هو :« التحرر من الستر و الأخلاق و الطهارة والهروب من الوظيفة الشريفة في تربية الأجيال ، لتقع آخر الأمر في شباكهم ويسترقوها ، و يستعملوها طعما فعالا في تدييث المجتمعات وخنزرة الأخلاق وتحطيم القيم ، وإشاعة الفاحشة وفضح المستور ، وإلغاء العيب ، وطمس معاني

---

(1) - نذير حمدان : في الغزو الفكري (مرجع سابق) ص126.

الشرف والعِرْض والعار والحرام والحلال ، كيلا يعرف ابن أباه ، ولا يركن زوج إلى زوجته ، ولا يسلم لزوجة زوجها ، ولايبقى كيان الأسرة . فتنقلب المجتمعات إلى حياة القطيع الذي لا يعرف إلا الأكل والفرار أمام ذئاب البشرية وطواغيت الأرض »[1].

وهكذا استطاع مخططو هذه الأهداف أن يحققوا بعض النجاح مستغلين الظروف الصعبة التي تعيشها الأمة وعلى جميع الأصعدة لبعدها عن إسلامها مما جعلها تعيش في فراغ مميت احتل بالخرافات والأساطير وتشويه الإسلام يقول الشيخ محمد الغزالي :« وشاعت بين المسلمين خرافات وأوهام نالت من عقائدهم وأخلاقهم ومسالكهم ، وترك هذا كله أثرا محزنا على العقل الأسلامي كاد يصيبه بالعمى في الشؤون الدنيوية ، وفي العلوم الكونية والإنسانية ... وكانت نتائج هذا التخلف ما لحق بنا من كوارث ، ومانزل الإستعمار العالمي بنا من ويلات »[2].

3. فصل الجماهير عن أصالتها وثقافتها : من أهداف الأعداء وتخطيطاتهم الموجهة عن طريق الحرب النفسية محو الشخصية الإسلامية وتغييرها بشخصية غريبة عن أصالتها وثقافتها ، وهذا عن طريق فصل الجماهير عنها بوسائل شتى منها الإغرائية ومنهاالدعائية ، ومنها وسائل الترفيه والتسلية ... ورغم هذه الأساليب الجهنمية - داخليا وخارجيا - فإن الجماهير المسلمة مازالت - والحمد لله - محافظة على أصالتها وثقافتها رغم التشويهات والمفاهيم الخاطئة التي أدخلت على هذه الأصالة والثقافة ، لأن الفطرة الإسلامية لدى الجماهير مازالت سليمة وتتماشى بسهولة مع منهج الله ، منهج الخير والحق رغم غياب الثقافة الإسلامية الأصيلة ، وتقديمها للجماهير بطرق ووسائل علمية ومؤسساتية .

إن أعداء الإسلام - بجميع نحلهم - استغلوا الفراغ المهول الذي تعيشه الأمة داخليا ، وجندوا أنفسهم وأتباعهم في داخل المجتمعات الإسلامية ،وحملوا كلهم معاول الهدم باسم التبشير تارة وباسم الأفكار التهويدية تارة ؛ زيادة عن الأفكار اللادينية والإلحادية . . ورموا بها جميعا في أوساط الجماهير المسلمة ؛ قصد غسل أدمغتها، بواسطة المفاتن و الفتن ، و الدعايات - بجميع أنواعها - ، ومما ساعدهم على نشر أفكارهم وأضاليلهم مناخ المجتمعات الإسلامية التي أصبحت تعيش خواء روحيا وثقافيا وفكريا ، زيادة عن الأمية التي عششت في وسط الجماهير ، كما لاننسى الظلم الاجتماعي ، و الاستبداد السياسي . . هذه العوامل مجتمعة أدت بالأعداء إلى تحقيق أهدافهم وأغراضهم ، فإن لم يستطيعوا أن يفصلوا هذه الجماهير عن أصالتها وثقافتها بالمعنى الذي يريدونه ، فإنهم بالمقابل استطاعوا أن يشوهوا هذه الأصالة و الثقافة وأن يجعلوا من هذه الجماهيركمًا مهزوما - معنويا وماديا - لا فكر أصيل له ، ولا نظرة واعية للحاضر أو المستقبل وإنما أصبحت هذه الجماهير تعيش كما أخبر رسول الله - صلعم - مرحلة الغثائية تتجاذبها التيارات ، وتسير مع كل سيل ، حيث أصبحت هذه الجماهير - إلا من رحم الله - تتبنى أفكار من أصالة غير أصالتها ، وثقافة غير ثقافتها - شكلا و مضمونا -

---

(1) - د. محمد نعيم ياسين : الخائفون من الإسلام ، لماذا؟ ، الجزائر(المدية) : دار الوفاء - ط 2 . (1991م) ص58 ، 59 .

(2) - محمد الغزالي : الغزو الثقافي يمتد في فراغنا ، الجزائر(القبة) : دار الكتب .ص180، 181.

بل وصل بها الأمر في بعض الأحيان إلى الدفاع عنها و بكل ماتملك و تحت غطاء الإسلام في بعض الأحيان .

لكل هذا أصبح الواجب اليوم مضاعفا على الدعاة و المخلصين ومن بيدهم مقاليد الأمور- إن كانوا مسلمين حقا - أن يتصدوا لهذه التخطيطات و الأهداف ، وذلك بتلقيحات تعطي مناعة للجماهير المسلمة من الغزو الذي أصابها والذي مازال يتطور ويستفحل داؤه ؛ وهذا لاينجح إلا إذا استعملت الأمة وسائل جدية سليمة ومناسبة لكل مجتمع من المجتمعات الإسلامية حتى تكون فعالة و تؤدي دورها في إخراج الجماهير من الغثائية التي تعيشها ،وتصبح بالتالي صخرة ترد كل سيل ،وكل تيار مها كانت قوته .. وإلا فإن الله سبحانه وتعالى سيبدل هذه الجماهير التي تدعي الإسلام ؛ وهي نفسها عقبة في طريق الإسلام . يقول تعالى :

« ... وإن تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم * »[1] .

ثانيا : مقاومة أهداف العدو ومخططاته

بعدما عرفنا مخططات الأعداء و أهدافهم ، وعرفنا في الوقت نفسه الفراغ المهول الذي استغله الأعداء وعلى جميع الأصعدة ، مما جعلهم ينجحون إلى حد كبير - كما بينا سابقا - ، مما يجب على المسلمين بصفة عامة ، والمختصين في مقاومة أهداف العدو ومخططاته بصفة خاصة أن يضاعفوا جهودهم على جميع المستويات وخاصة في ميدان الفكر ما دام الصراع فكريا بيننا وبين أعدائنا، وما دام أعداؤنا يواجهوننا بمخططات علمية ذات تقنيات عالية للوصول إلى أغراضهم وأهدافهم ؛ مما يحتم علينا ونحن أمة العلم أن نقاوم هذه المخططات بعلم ومنطق سليم مبني على الشرع ، وعلى تحديد الأهداف ؛ مع دراسة الإمكانات والأولويات خطوة خطوة بدقة وبصيرة للوصول إلى استعمال تقنيات ذات وسيلة مشروعة ومعقولة حسب المكان والزمان معتمدين في كل هذا التوكل على الله ، ومستلهمين الدروس و العبر من سيرة الرسول - صلعم - ، وسيرة الصحابة رضوان الله تعالى عنهم .

إن مقاومة أهداف العدو ومخططاته تستلزم من المسلمين في العصر الحاضر بعدا فكريا ، والقضاء في الوقت نفسه على الأمراض الفكرية التي تتحكم في عقلية المسلمين منذ أمد بعيد ، وهذا لا يتم إلا من خلال الأبعاد التالية :

أ - اعتماد المنطق والروح العلمية : كما هو معلوم فإننا نعيش في عصر يسمى "عصر العلم" بحيث استطاع الإنسان أن يصل بعلمه إلى ما كان يعتبر قبل هذا القرن ضربا من الخيال والأحلام ، وإذا كان المنطق والروح العلمية صلب العقيدة الإسلامية بدليل أن أول سورة نزلت من القرآن هي قوله تعالى :

« * إقرأ باسم ربك الذي خلق * خلق الإنسان من علق * إقرأ وربك الأكرم * الذي علم بالقلم * علم الإنسان ما لم يعلم * »[2] .

---

(1) - سورة محمد : الآية ٣٨ .

(2) - سورة العلق : الآيات ١ إلى ٥ .

وقال : « ن والقلم وما يسطرون * »[1] .

وقوله : « الرحمن *علم القرءان *خلق الإنسان *علمه البيان * »[2] .

والآيات التي تدل على الروح العلمية ـ بمفهومها الشامل ـ ما أكثرها في القرآن الكريم ؛ كما أن الأحاديث النبوية التي تحث على العلم والترغيب فيه كثيرة نذكر منها هذا الحديث الشامل الذي يظهر مكانة العلم والعلماء في الإسلام ، فعن أبي الدرداء ـ رضي الله عنه ـ قال :« سمعتُ رسول الله ، صلعم ، يقول : « من سلك طريقا يبتغي فيه علما سهل الله له طريقا إلى الجنة ، وإن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما يصنع ، وإن العالم ليستغفر له من في السماوات ومن في الأرض حتى الحيتان في الماء ، وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب ، وإن العلماء ورثة الأنبياء ، وإن الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما وإنما ورثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر »[3] . أبو داود والترمذي .

من خلال هذه الآيات وحديث الرسول ـ صلعم ـ يتبين لنا يقينا أن الإسلام دين الروح العلمية ، هذه الروح التي فقدها المسلمون بعدما تخلوا عن إسلامهم ، مما جعل أعداءهم يتوصلون إلى غزو الفضاء وهم لا يزالون عاجزين حتى عن صنع ما يستر عوراتهم . لذلك إذا أراد المسلمون أن يقاوموا مخططات أعدائهم أن يتمكنوا من تكوين علاقة وثيقة بالروح العلمية والمنطق وفق تصور عقدي وفكري إسلامي يعزز حضارتهم ، ويجعلهم أعزة على أعدائهم ، أما إذا أخذوا هذا وفق مفهوم غربي وبحضارة أعدائهم فإن العزة تكون لأعدائهم ، والذلة لهم لأنهم قوم تبع في فكرهم وسلوكاتهم ، مما يجعل التذبذب ينخر نفوسهم ـ وخاصة على الصعيد القيادي الرسمي ـ ، ويصدق فيهم قول الله تعالى :

« * مذبذبين بين ذلك لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء ... »[4] .

إن اعتماد المنطق والروح العلمية على جميع الأصعدة يؤدي بالأمة إلى النهوض الفكري الواعي الذي يحدد الأولويات والأهداف ، ويعلو فوق النزاعات الهامشية ، والداخلية ، ويتجه بالأمة إلى العلو العلمي العقلي الذي يجعلها تقبل على حب المعرفة ، وتستغل كل طاقات الأمة ـ كل حسب اختصاصه ـ وجعلها في خدمة أمتهم ، وذلك بتغيير الواقع المخالف لشرع الله وجعله يتماشى مع حدود الله ، وهذا وحده المخرج للأمة من وضعها إلى وضع متقدم ومتحضر تحضيرا إسلاميا بروح علمية وفق ما يتطلبه العصر من وسائل تقنية وتكنولوجية تكون ضدا منيعا في بداية الأمر ـ على الأقل ـ في مقاومة أهداف العدو ومخططاته لأن :« الاختراعات والاكتشافات العلمية لها أثرها الكبير على التغيير الاجتماعي وكذا تقدم وسائل النقل ووسائل الإعلام واستخدام العقل الالكتروني وغزو الفضاء ووصول الإنسان إلى القمر ، كل هذا وغيره له أثره على أساليب التفكير والعلاقات الاجتماعية وتنظيم

(1) ـ سورة القلم : الآية ١ .

(2) ـ سورة الرحمن : الآيات ١ إلى ٤ .

(3) ـ انظر الحديث في:

عز الدين بليق : منهاج الصالحين .(مصدر سابق) ص204.

(4) ـ سورة النساء : الآية ١٤٣ .

المجتمع وتغيير السلوك البشري »[1].

إذن بالروح العلمية والمنطق السليم تتوصل الأمة إلى تحقيق أهدافها وتغير في الوقت نفسه من سلوكاتها التي عاشتها ردحا من الزمن ، فلا وعي ، ولا فكر ولا هدف ، ولا منطق سليم ، بل أصبح الجهل ، والتزييف ، والفكر المغشوش واللاوعي .. سلوكات متفشية في المجتمعات الإسلامية ، زيادة عن اللامبالاة ،والكسل والتهاون ، والفوضى الفكرية - إن كان هناك فكر - ..

كل هذه السلوكات يجب أن تزول من المجتمعات المسلمة ، لأنها منافية للإسلام ، ولأنها أسباب مباشرة لكل الهزائم على الصعيدين - المدني والعسكري - وصدق اللّه العظيم إذ يقول :« ... إنّ الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ... »[2] .

ب - توبية الجماهير :

إن معرفة أهداف العدو ومخططاته التي تبين خطورة الحرب النفسية الموجهة للإسلام والمسلمين ، تفرض على أهل الحل والعقد من مخلصي رجالات هذه الأمة أن يقوموا بدورهم في تربية الجماهير المسلمة ، وتلقيحها بمصل يحميها من كل الوسائل والتقنيات التي تستعمل من قبل الأعداء ، وذلك بالتركيز على ما يلي :

1. الالتزام بالإسلام : تربية الجماهير على التصور الإسلامي الصحيح : الإسلام الذي لا يفرق بين العقيدة والعبادة والتشريع ، لأن ما نراه اليوم من أحوال المسلمين يندى له جبين المخلصين ، فمن المسلمين من يعتقد أن الإسلام مجرد إيمان باللسان وعبادة في المناسبات - على من استطاع - ومن المسلمين من يعتقد أن الإسلام عبادة محضة - صلاة - وصيام - وزكاة - وحج - وتلاوة قرآن ... وما زاد عن هذا فهو ليس من الإسلام ، بل هو مجرد أمور دنيوية لا دخل للإسلام فيها - أي علمنة الإسلام - ومن المسلمين من يعتقد أن الإسلام دين مثل الأديان الأخرى قد تجاوزه الزمن ، وأن عصرنا اليوم عصر تكنولوجيا وعلم ، وليس عصر التحدث عن الدين ، بل الدين يُقبل كتراث فقط ، وقليل من المسلمين اليوم من يعتقدون أن الإسلام : عقيدة وعبادة وشريعة ، دين ونظام ...

فهذه التصورات الفاسدة فتحت الأبواب على مصراعيها للأعداء مما جعلهم يتفننون في مختلف أساليب الحرب النفسية المشنة على المسلمين ، وعلى هذا يستوجب على الجماهير المسلمة أن تعرف إسلامها عن طريق التربية الحقة التي تتلقاها من قبل أهل الاختصاص - على جميع الأصعدة - ؛ شريطة أن يكون هؤلاء مخلصين واعين عارفين عاملين قصد فتح باب الثقة بينهم وبين الجماهير وبالتالي يتوصلون إلى أهدافهم التربوية ، ويجعلون من هذه الجماهير صخرة عظيمة تتحطم عليها كل أساليب الأعداء مهما كانت تقنيات هذه الأساليب المستعملة .

2. إتباع صراط الله المستقيم : مصداقا لقوله تعالى :

---

(1) - د. سيف الإسلام علي مطر : التغير الاجتماعي ، السعودية : دار الوفاء - ط 1.
(1406هـ-1986م) ص17.

(2) - سورة الرعد : الآية ١١ .

« ... وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون ... »[1] .

3 ـ **اتخاذ الإسلام عقيدة** ، و عبادة ، و شريعة ، وأخلاقا ، وسلوكا ـ ظاهريا وباطنيا ـ مما يجعل الجماهير المسلمة تتربى لتعيش الإسلام كما أراده اللّه ، لا كما يريده المنافقون ومن لفّ لفهم ، سواء على مستوى الأفراد ، أو الأسرة ، أو المجتمعات ، أو الأمة ، ولنا في رسول اللّه ـ صلعم ـ الأسوة الحسنة ، وكذلك صحابته ـ رضوان الله عليهم ـ .

4 ـ **تربية الجماهير على** : العزة ، والتضحية ، والجهاد ـ بمفهومه الشامل ـ ، والتعاون والأحسان ، والمحبة ، و الأخوة ، والتواضع ، والتسامح ، و الإيثار .. لأن هذه الصفات تجعل الجماهير المسلمة في منأى عن أساليب الحرب النفسية ، وتجعلهم أعزة على الكافرين رحماء بينهم ويصدق فيهم قول اللّه تعالى :

« ... أشداء على الكفار رحماء بينهم ... »[2] . « ... أذلة على المومنين أعزة على الكافرين ... »[3].

5 ـ **التعامل الإسلامي الصحيح** : تربية الجماهير على المعاملات و السلوكات الصحيحة حتى لا تسيء إلى الإسلام ، وتكون بمثابة حاجز في طريق انتشاره ، ولذلك يجب على المشرفين عن تربية الجماهير أن يربوا هذه الأخيرة على محاربة كل السلوكات التي تتنافى و الإسلام كالغش و التدليس ، والجبن ، والبخل والشح ، و الشره والطمع والتزوير والخداع ، والتحايل ...هذه الصفات يجب أن تزول من المجتمعات الإسلامية وبصورة نهائية لأنها أمراض تستغل من قبل الأعداء بإعطائها الشحنات التي تضاعفها وتضمن لها الاستمرارية قصد تمزيق الجسم المسلم من الداخل وجعله منهوكا لايستطيع القيام بمهامه الرسالية ، وهذا ما حدث فعلا بعد ضرب الخلافة الإسلامية حيث وزع الوطن الإسلامي إلى أجزاء قسمت بين الأعداء الذين كانوا يطلقون على هذا تقسيم" تركة الرجل المريض " . إذن يجب اليوم على كل الجماهير المسلمة الغيورة على مبادئ أمتها أن تكون في مستوى التربية و أن تحاول أن تتخلص من هذه الأمراض النفسية الفتاكة لتغلق بذلك أبواب دخول أفكار الأعداء وأساليبهم .

جـ ـ الإعداد والتخطيط المنهجي :

من مقاومة الحرب النفسية ـ وخاصة في عصرنا اليوم ـ الإعداد المادي والمعنوي ، لأن الإعداد وفق تخطيط منهجي أمر يستوجبه الإسلام ، وخاصة في عصرنا اليوم عصر العلم والتخطيط المنهجي والإعداد على كل الأصعدة ، وهذا لا يتم إلا من خلال التطبيقات الفعلية للأهداف التالية :

1 ـ **معرفة تقنيات العدو ووسائله ، وكيفية مقاومتها** : إن معرفة أهداف العدو وتقنياته ووسائله أمر واجب للرأي العام المسلم ـ مادمنا نعيش عصر التقنيات المتطورة ـ لأن عدم معرفة تقنيات العدو ووسائله يعتبر جهلا لايقبله الشرع ،وحتى العقل ،بدليل أن

---

(1) ـ سورة **الأنعام** : الآية ١٥٣ .

(2) ـ سورة **الفتح** : الآية ٢٩ .

(3) ـ سورة **المائدة** : الآية ٥٤ .

مقاومة أي خصم - مهما كان غرضه - لايمكن أن تتحقق إلا إذا عرفنا وسائل العدو وتقنياته - حسب الزمان والمكان - وهذا ما عرفناه من خلال دراستنا لبعض غزوات الرسول - صلعم - .إن معرفة تقنيات العدو تجعل الأمة تستنفر لمقاومتها ماديا ومعنويا وعلى جميع الأصعدة وهذه المقاومة لا تتم إلا من خلال إعداد علمي مخطط يقوم به رجال مختصون كل في مجاله ، قصد الوصول إلى استعمال وسائل تقنية في مستوى العصر للتصدي لوسائل العدو وتقنياته سواء على صعيد الدفاع أو على صعيد الهجوم ، وذلك من خلال معرفة الأمة لخيوط الأعداء و مدى قوتها ، ومتانتها ثم دراستها و كشف حقيقتها وحل رموزها ، و جعلها في خدمة الأمة بدل تحطيمها .

2 . **الحذر وعدم الغفلة** : من صور الإعداد والتخطيط المنهجي الحذر وعدم الغفلة الدائمين ، لأن العدو بطبعه و تخطيطه يستغل دائما الفرص وعلى رأسها الغفلة التي تصيب الأفراد و الشعوب ؛ لكن التربية العقائدية تعلم أتباعها بأنهم مستهدفون من أهل الباطل ، لذلك فهي تربيهم على اليقظة وعدم الغفلة و الأخذ بالحيطة والحذر - مهما كانت الظروف - ، لذا نجد الله سبحانه وتعالى نبه المؤمنين إلى هاتين الصورتين - الحذر وعدم الغفلة - مبينا لهم نفسيات الأعداء و طبيعتهم حيث قال تعالى : « * ياأيها الذين ءامنوا خذوا حذركم فانفروا ثبات أو إنفروا جميعا * »[1] .

وقال :« ... ود الذين كفروا لو تغفلون عن أسلحتكم و أمتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة ... »[2].

لكل هذا يجب على كل فرد في الأمة أن يكون يقظا وفي الوقت نفسه حذرا وعلى جميع الأصعدة وخاصة على الصعيد العسكري، لأنه صعيد حساس ،وهو الذي يحقق النصر للأمة إن كانت في مستوى الإعداد المطلوب شرعا - ماديا ومعنويا - مما يجعل الأعداء يرهبونها ويخافونها مصداقا لقوله تعالى:

« * لأنتم أشد رهبة في صدورهم من الله ذلك بأنهم قوم لا يفقهون * »[3] .

3 . **الثبات على المواقف** : تربية الجماهير المسلمة على الثبات في مواقفها - مهما كان الثمن - لأن المواقف الثابتة جزء من شخصية هذه الأمة لذا يجب أن تعي الجماهير هذه الصفة وعيا يجعلها صادقة الكلمة ، شجاعة في مواقفها ، و قراراتها ، شجاعة في الاعتراف بأخطائها ، شجاعة في الصراحة بالحق.. هذه الصفات يجب أن تتربى عليها الجماهير المسلمة و أن تتأسى برسول الله - صلعم - الذي ضرب أروع الأمثلة في الثبات على المواقف هو و صحبه رغم معاناتهم من الأذى المادي و المعنوي ، وعلى الجماهير المسلمة أن تستشعر قول الله تعالى :

« * أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما ياتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء و الضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين ءامنوا معه متى نصر الله ألا إن نصر الله قريب * »[4] .

---

(1) - سورة النساء : الآية ٧١ .

(2) - سورة النساء : الآية ١٠٢ .

(3) - سورة الحشر : الآية ١٣ .

(4) - سورة البقرة : الآية ٢١٤ .

الفصل الثالث

تشكيل عقلية عقائدية واعية

تمهيد

أولا: التصور الفكري الواعي

أ ـ الفكر الواعي

ب ـ استمرار اليقظة

جـ ـ المحافظة على الأسرار وعدم التجسس على المسلمين

ثانيا: تفسير الوقائع والأحداث

أ ـ الموضوعية

ب ـ الصدق والمصارحة

جـ ـ التعاون على رد الأكاذيب ووأدها

ثالثا: دور الإعلام العقائدي في تشكيل التصور

أ ـ الإعلام العقائدي

ب ـ أهداف الإعلام العقائدي

1. إيجاد أرضية صلبة ومهيأة
2. التوعية الشاملة لمفهوم التصور الإسلامي
3. تفسير الظواهر والوقائع والأحداث
4. التركيز على الواقعية
5. جعل الجماهير تتفاعل مع قضاياها المصيرية
6. الالتزام الكامل بالأخلاق السامية
7. التبصير المستمر بقضايا الأمة

جـ ـ التركيز على وسائل الإعلام المؤثرة

1. الوسائل الشفوية
2. الوسائل السمعية البصرية
3. الوسائل السمعية
4. الوسائل المقروءة

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

« إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ... »

الرعد : ١١

« وعد الله الذين ءامنوا منكم وعملوا الصالحات
ليَستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم
وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم
وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا
يعبدونني لا يشركون بي شيئا
ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون »

النور : ٥٥

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

تمهيد

جاء الإسلام ليخرج العباد من التصورات الجاهلية المبنية على المصلحة الذاتية ، و القبلية ، و العنصرية ، و الطبقية ، و التكتلية ،... لأن هذه التصورات تجعل الإنسان يعيش عيشة الحيوانات الغابية وفق نظام البقاء للأقوى . و هذا لا يتماشى مع فطرة الإنسان الخيرة .

جاء الإسلام ليهدي الإنسان بإعطائه تصورات تتماشى و فطرته التي جبل عليها ؛ و ذلك من أجل تشكيل عقل واع متأمل في الكون ، و الخلق ، وغايته في الوجود ، مما يجعل حواسه تعمل وفق طبيعتها الوجودية ممتثلة قول الله تعالى :

« قل هو الذي أنشأكم و جعل لكم السمع و الأبصار و الأفئدة قليلا ما تشكرون »[1] .

جاء الإسلام فشكل عقلية إسلامية كان لها الأثر الكبير في التصدي للتصورات الجاهلية التي عششت في أذهان القوم و على جميع الأصعدة - سياسية - اجتماعية - اقتصادية ... . فتشكيل العقلية الإسلامية الجديدة آنذاك كان لها مفعول قوي في رد الهجمات التي شنت من قبل أصحاب التصورات الجاهلية - مشركون يهود ، منافقون - للحفاظ على مصالحهم الذاتية ، و الجماعية ...

فالحرب النفسية - بجميع أشكالها - عجزت في تحطيم أو تشويه ، أو تعطيل التصورات الجديدة التي شكلتها العقيدة الإسلامية التي كونت رجالا فشلت كل الأساليب المستعملة آنذاك في تكسيرها .

لكل ما سبق أصبح واجبا اليوم على المسلمين - الذين تشن عليهم حرب نفسية شرسة لم تعرف في تاريخ الإنسانية ، نظرا للوسائل المستعملة و التي تطورت بتطورات العصر - أن يراجعوا أنفسهم و أن يغيروا فكرهم و خططهم مقتدين برسولهم - صلعم - و أصحابه ، متماشين في كل تصوراتهم مع كتاب ربّهم ، وسنة نبيهم ؛ مستقرئين تاريخ ماضيهم و حاضرهم قصد اعتماد الإيجابيات والابتعاد عن السلبيات لبناء مستقبلهم وفق تشكيل عقلية عقائدية تقوم بدورها الحضاري قصد التمكين لشرع الله في أرضه كما مكنه سلفهم - رضي الله عنهم أجمعين - .

لذا يجب على المسلمين - أفرادا و جماعات ، شعوبا و مؤسسات - أن يقوموا بواجباتهم الإسلامية كل حسب مسؤولياته ، و هذا قصد تشكيل تصور إسلامي صحيح خال من كل التشويهات الفكرية التي أصابت المجتمع المسلم في جميع المجالات مما سهل عمليات التشويه المتتالية من قبل خصوم الإسلام - داخليا و خارجيا - .

فتشكيل تصور إسلامي صحيح يكون بنشر الوعي بين أفراد الجماهير المسلمة - حسب الظرف و الزمان - ، و هو أمر ضروري خاصة في عصرنا الحاضر الذي أصبح الأعداء - بجميع نحلهم - يشنون حربا شعواء لا هوادة فيها على الإسلام والمسلمين ، و خير شاهد على مانقول الأحداث و الوقائع الجارية اليوم على الصعيدين الداخلي و الخارجي للمجتمعات الإسلامية .

---

(1) - سورة الملك : الآية ٢٣ .

فتشكيل عقلية عقائدية إسلامية قصد بناء تصور شامل لمناحي الحياة كلها أمر إيماني لما له من تأثير عميق في النفس الإنسانية ذات الإتجاه الإسلامي بحيث يبعث فيها الإحساس بمشاعر المحبة و الأخوة و الوحدة و ينمي فيها روح الجد والاجتهاد و التفاؤل نحو المستقبل . مجابهة في الوقت نفسه كل الأساليب التي تستهدف تحطيم المسلمين و الإسلام ؛ و هذا لا يتم إلا من خلال تعميق التصور الواعي للجماهير المسلمة و الوصول بها إلى مستوى الشعور بالمسؤولية الرسالية و جعلها تدرك إدراكا واعيا كل المخططات التي تحاك ضدها على الصعيدين الداخلي و الخارجي ؛ و بالتالي تصبح قوة إيمانية تتحطم فوقها كل الأساليب الدعائية مهما كان مصدرها ؛ لأنها تستمد قوتها من اللّه الواحد الأحد ؛ و تخشاه و تَرهبه و لا تَرهب أعداءه مهما كانت قوتهم و أساليبهم كما كان رسول اللّه ـ صلعم ـ و أصحابه ـ رضوان اللّه تعالى عليهم ـ ممثلين قول اللّه تعالى : « ... إنما هو إله واحد فإياي فارهبون * »[1] .

أولا : التصور الفكري الواعي

ما أحوج المسلمين اليوم إلى تصور فكري واع على جميع الأصعدة ، مما يجعلهم في منأى و وقاية من أساليب الحرب النفسية التي أصبحت توظف الفكر لضرب الخصوم في العمق ؛ لأننا اليوم نعيش عصر صراع الأفكار بكل ما يحمل هذا المصطلح من معنى ؛ مما جعل الأستاذ مالك بن نبي يقول : « إن انتصارات السلام تتقرر في جبهات الصراع الفكري »[2] .

فإذا علمنا أن الصراع الفكري قديم قدم البشرية لأنه صراع بين الحق والباطل ؛ فإن أساليبه و طرقه تتطور بتطور التقدم العلمي و التكنولوجي ، لكن رغم تطور أساليب الباطل ، فإن العقيدة الراسخة في نفسية معتنقيها تصبح حاجزا منيعا يصد كل الأساليب التي تحمل أفكارا هدامة للجماهير المسلمة ، و هذا ما حدث بالفعل لفشل أساليب المشركين و اليهود و المنافقين في حربهم النفسية مع النبي ـ صلعم ـ كما عرفنا من قبل . و إذا كان التصور الفكري الواعي هو أساس التفكير السليم الصائب فإن ماتعانيه الجماهير المسلمة اليوم هو تزييف في وعيها و تصورها مما سهل مهمة أعدائها ، لذلك يجب عليها أن تعي نفسها و أن تعي هُويتها وعيًا وفق تصور إسلامي ذي بعد استراتيجي يتماشى و تقنيات العصر الحديث .

و حتى يتكون لدى الرأي العام المسلم تصور فكري واع يجب التركيز على ما يلي :

أ ـ الفكر الواعي :

علينا نحن المسلمين أن نعترف اليوم بأن أزمتنا أزمة فكرية بالدرجة الأولى وهذاعلى جميع الأصعدة ؛نظرا للإنحطاطات الفكرية التي سادت في المجتمعات

---

(1) ـ سورة النحل : الآية ٥١ .

(2) ـ مالك بن نبي : الصراع الفكري في البلاد المستعمرة ، دمشق : دار الفكر والطباعة والتوزيع والنشر .(1406هـ ـ 1986م) ص19 .

المسلمة منذ قرون و التي سهلت مهمة الأعداء بجميع نحلهم لتوزيع الأرض الإسلامية و أخذ خيراتها ، و زرع الأمية فيها ، و بث أفكارهم الإيديولوجية في مثقفيها مما جعلهم يطعنون أنفسهم و أمتهم و يخدمون أفكار أعدائهم من حيث يدرون أو لا يدرون ، و أصبحوا محسوبين على الإسلام و المسلمين بتشويه مبادئه - على جميع الأصعدة - بل أصبحوا أعداء له أكثر من الأعداء التقليديين .

هذا الفكر التشويهي جعل الأمة الإسلامية تتخبط في دائرة ضبابية تدور حول نفسها و لم تستطع الخروج منها رغم ما بذل من جهد و تضحية على جميع الأصعدة ، لأنها فقدت مفتاح الحل المتمثل في الفكر الإسلامي الواعي الذي بدونه يستحيل الخروج من دائرة الظلمات .

لذلك أصبح الواجب يحتم على المؤسسات الإسلامية أن تقوم بدورها في بناء فكر واع يتماشى مع روح العصر وفقا لتصوراتنا الإسلامية كما كانت في عهد رسول الله - صلعم - مما جعل كل الأساليب النفسية تخفق في تحقيق أهدافها ، و هذا الدور لا يتم إلا من خلال « بناء المنظومة الفكرية الإسلامية المعاصرة و البديلة التي نستطيع من خلالها إعادة تشكيل العقل المسلم ، و إعادة بنائه وفقا للتصور الإسلامي السليم للكون والحياة و الإنسان ، و ذلك التصور التوحيدي القويم المستمد من كتاب الله و سنة رسوله - صلعم - و المتدبر لسنن الكون و قوانين الوجود التي تمكن من التسخير ، و توفيرشروط التمكين و الاستخلاف ، ذلك التصور المدرك لغايات الخلق الواعي على الأبعاد كلها : البعد الإنساني بكل أنواعه والبعد الزماني والمكاني ، ووحدة الحق والحقيقة ووحدة الخلق ، وبهذا نستطيع أن نغذي حركة الأمة بالزاد الفكري المطلوب الذي تفتقر اليه » .[1]

ب - أستمرار اليقظة :

اليقظة عنصر أساسي و هام في بناء أي شخصية و بالأخص في العصر الذي نعيشه ، عصر الحروب النفسية المرتكزة على الصراع الفكري حيث لا وجود فيها للغفلة الفردية و الجماعية على جميع الأصعدة - مدنية و عسكرية - و حتى أثناء عقد المعاهدات ؛ لأن الغش والخداع و الخيانة أصبحت أساليب من استراتيجية شاملة تبنى عليها المعاهدات و المواثيق الدولية وفقا للصراعات الدولية الفكرية التي أوجدتها المصالح في عصرنا الحاضر .

لكن المسلم الملتزم بإسلامه إنسان يستمد يقظته من روح إسلامه المتمثلة في سلوكاته و حركاته النفسية و الفكرية « لأن الإسلام يبني في الإنسان المسلم الروح الإيجابية التي تؤهله للعطاء ، وتنمي فيه القدرة على الإنتاج و الإبداع بما يفتح له من آفاق التفكير و الممارسة بما يزوده به من بناء ذاتي ، و دافع حركي ليعده إعداد ا إنسانيا ناضجا لممارسة الحياة بالطريقة التي يرسمها و يخطط أبعادها الإسلام »[2] .

---

(1) - د.طه جابر العلواني : إصلاح الفكر الإسلامي ، الجزائر(عين مليلة) : دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع .ص47.

(2) - لجنة التاليف في دار النشر:الشخصية الإسلامية،إيران:دار التوحيد(1402هـ-1981م) ص34

هذه الصفات تجعل الفرد المسلم يقظا في كل أحواله و ما ينقصه إلا التذكير مصداقا لقوله تعالى :« و ذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين »[1] . لأن الإنسان بطبعه معرض للنسيان والغفلة و بعض الهفوات والأخطاء ؛ لذلك يجب على المؤسسات الإسلامية المختصة - خاصة في ميادين مقاومة الحرب النفسية - أن تقوم بدورها الرسالي المسؤول في الإعداد ، و التعبئة للجماهير المسلمة كلما اقتضت الضرورة ذلك ، مما يجعل الجماهير المسلمة ملقحة تلقيحا فكريا سليما يساعدها على استمرار اليقظة واستدامتها مهما كانت الظروف و الأحوال ؛ ومستعدة في الوقت نفسه لرد هجمات الأعداء و القيام بالمثل ؛ لأن خصوم الإسلام لا ينامون ولا يغفلون ، بل هم دوما يتربصون و يستغلون الفرص ؛ قصد إحتوائنا و تحقيق غايتهم فينا على جميع الأصعدة ، لذا فاستمرار اليقظة في الأمة - بجميع شرائحها - يقطع دابر الأعداء على جميع الأصعدة ، و يحقق الأهداف المرجوة من مقاومتها للحرب النفسية التي تشن عليها باستمرار رغم تنوع الأساليب و الوسائل التي ظاهرها مصطلحات تغوي النفوس و العقول و باطنها التدمير الشامل للإسلام والمسلمين حسب المراحل والزمان والمكان وصدق الله العظيم إذ يقول :

« ... قد بدت البغضاء من افواههم و ما تخفي صدورهم أكبر ... »[2] .

إذن على المسلمين أن يسلكوا طريق اليقظة لأنه من وسائل العزة والنصر ، و الذي يجعلهم يستشعرون بمسؤولياتهم الإسلامية و فقا لترجمة كل القرارات الحاسمة التي تتطلبها كل مرحلة من مراحل الحياة الإسلامية ، و ليقفوا للأعداء متحدين في جبهة مرصوصة البنيان حتى يحبهم الله الذي قال :

« إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص »[3] .

جـ - المحافظة على الأسرار و عدم التجسس على المسلمين :

إن كتمان الأسرار ، و المحافظة عليها داخل الأطر التنظيمية لها - في أي أمة من الأمم - يعتبر رصيدا ثمينا لا يجوز التفريط فيه مهما كانت العقبات والأحداث ، وذلك قصد سد منافذ تسرب الأخبار و المعلومات للأعداء - داخليا وخارجيا - بل يجب كتمان الأسرار حتى على الرأي العام الداخلي الذي لا يعرف قيمة أسرار الأمة،وكيفيةالمحافظة على كتمانها ؛مما يجعله في خدمة أعدائه دون أن يشعر .

و في هذا يقول الإمام علي - كرم الله وجهه - :« فليس كل مايعلم يقال ،ولا كل ما يقال حضر أهله ، و لا كل ما حضر أهله حان وقته »[4] .

فقول علي يعتبر نظرية علمية في ميدان المحافظة على الأسرار ، بحيث يركز على ثلاث قواعد أساسية و هي :

---

(1) - سورة الذاريات : الآية ٥٥ .

(2) - سورة آل عمران : الآية ١١٨ .

(3) - سورة الصف : الآية ٤ .

(4) - د.أحمد نوفل : الحرب النفسية - الكتاب الثاني - (مرجع سابق) ص209.

ـ أن ما يعلم من أخبار و معلومات عن طريق الأجهزة الخاصة لا يكشف عن حقيقته إلابالقدرالذي يخدم الأمة ومخططاتها،ويحبط مخططات الأعداءوأهدافهم .

ـ كشف الأخبار و المعلومات السرية له أهله الذين يكشف لهم ، و ليس لغيرهم من الرأي العام لأن كشف المعلومات السرية للعامة يعتبر انتحارا للأمة على جميع الأصعدة .

ـ كشف المعلومات و الأخبار السرية يخضع للزمان و المكان ، والظروف و الأحداث ، فكلما كانت المعلومة السرية تقدم خدمة في كشفها للرأي العام ، أو الخاص ، يصبح واجبا على المختصين أن يكشفوها خدمة للأمة ، قبل أن تصبح معلومة ميتة ، أو تصبح سلاحا خطيرا يستفيد منه الأعداء .

ومن أجل المحافظة على الأسرار و عدم التجسس على المسلمين أمرنا الإسلام بعدم تتبع عورات المسلمين و أسرارهم و التجسس عليهم ، حتى في الأمور العادية ، وفي الوقت نفسه أمرنا بكتمان الأمور الخاصة حتى بين الفرد و نفسه وبين الزوج وزوجه .

و هذا إن دل على شيء فإنما يدل على التربية التي يقدمها الإسلام لأتباعه مما يجعلهم في الأمور الهامة و المهمة يحتاطون من جميع الجوانب ، حتى لا تقع الأخبار و المعلومات في أيدي الأعداء ، لذلك عاتب القرآن ضعفاء المسلمين الذين كانوا يفشون أمر النبي ، و يذيعونه قبل الوقوف على حقيقته ، مهما كان هذا الأمر سواء كان متصلا بحادثة حربية ، أو حادثة سلم وأمن . فيقول الله تعالى :

« و إذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم ... »[1] .

من أجل هذاأصبح شعارالمسلمين في هذا الميدان قول الرسول ـ صلعم ـ :

« استعينوا على قضاء حوائجكم بالكتمان ».

و كما يقول الدكتور أحمد نوفل :« إذا كان جمع المعلومات سلاحا ذا حدين فإن المسلمين قد أبطلوا أحد حديه و أفسدوه باتباعهم السرية في تحركاتهم ، و كان من أهم وسائل حجز المعلومات عن العدو و حرص المسلمين على أن يكون تحرك قواتهم ليلا و ليس نهارا إمعانا في إخفاء تحركاتهم عن العدو فلايعرف شيئا عنهم ، و لا يتجمع لديه من المعلومات ما يكون سندا له ضدهم »[2] .

ومن هنا يصبح واجباعلى المسلمين المحافظةعلى الأسرار،وخاصة ونحن نعلم أن عصرنا اليوم عصر كثرت فيه الأجهزة المختصة ذات المؤسسات الضخمة والتي تعمل من أجل كشف الأسرار ـ على جميع الأصعدة ـ قصد الوصول إلى كشف مخططات وأهداف الخصم؛ممايسهل إفسادها و زعزعتها و التخطيط لمقاومتها وهذا على جميع الأصعدة ـ سياسية ـ عسكرية ـ اقتصادية ـ علمية ـ ...فهذه المؤسسات المختصة أصبحت تملك اليوم أحدث ما أنتجته التكنولوجيا ابتداء بأجهزةالتصنت وانتهاء بالأقمارالصناعيةالتجسسية،زيادةعن العملاء ـ الطابور الخامس ـ الذين يختصون في تخريب نسيج الجبهةالداخليةوتفكيكهافي جميع المجالات .

---

(1) ـ سورة النساء : الآية ٨٣ .

(2) ـ د.أحمد نوفل : الحرب النفسية ـ الكتاب الثاني ـ (مرجع سابق) ص210.

لذا فالمحافظة على الأسرار و عدم تتبع عورات المسلمين فريضة إسلامية يقتضيها الشرع و العقل ، والواقع المعاصر ، حتى لا نفتح السبل أمام الأعداء و أذنابهم ، و من أجل تحقيق هذا الهدف يجب تعليم الجماهير المسلمة وخاصة المشرفين على المؤسسات الحيوية - تعليما عقائديا أولا ، وتكنولوجيا ثانيا وهذا قصد الوقاية من تسرب المعلومات و الأخبار إلى أعدائنا ، والابتعاد عن قتل أنفسنا بأنفسنا . وبناء على ما سبق فإن تسرب المعلومات والأخبار - سواء على مستوى الأفراد أو الجماعات أو المؤسسات - يعتبر انتحارا حضاريا لا يبرر إطلاقا حتى و لو كانت الأخبار أو المعلومات القصد منها تزويد الرأي العام الداخلي بما يفيده و ينوّره ، أو هي معلومات القصد منها تحطيم معنويات العدو و كسر جبهته فإنها في الوقت نفسه قد تصبح سلاحا مدمرا يستغله العدو للوصول إلى أسرار الأمة و أهدافها ، و بالتالي تحويل الآثار الإيجابية إلى آثار سلبية يكون لها أثر بالغ على الأمة و جماهيرها .

لكل هذا يجب على المختصين أن يدرسوا جميع المعلومات و الأخبار دراسة شرعية و علمية دقيقة و من جميع جوانبها - على جميع الأصعدة - و أن يكونوا على علم كبير بأعدائهم ، و أسرارهم و من ذلك : « تتبع أخبار الأعداء بكل وسيلة شريفة ، و طريقة مشروعة حتى ندرك كل ما يعدونه ، أو يكتشفونه للقضاء علينا والاعتداء على مقدساتنا ، و حرماتنا ، أو لإثارة الفتن و المبادئ الكافرة ، أو الانحلالية بين أبناء أمتنا »[1] .

و بهذا وحده نستطيع أن نحافظ على أسرار أمتنا المتمثلة في أسرار أفرادها ، و جماعاتها و مؤسساتها ، و بالتالي الوقوف ضد كل من تسول له نفسه تتبع أسرار المسلمين على الصعيدين المدني و العسكري ؛ مستعملين كل الوسائل المشروعة ، و محاولين في الوقت نفسه السير مع تقنيات العصر الذي أصبحت فيه الأسرار تؤخذ بواسطة أجهزة دقيقة . و استعمال حتى الأقمار الصناعية التجسسية للاطلاع على ثروات الأمة و مخزونها الباطني ..!!

ثانيا : تفسير الوقائع و الأحداث

إن الأحداث و الوقائع التي تصيب المجتمع ، أو الأمة ، لها أسباب داخلية أو خارجية ، و كلما تراكمت هذه الأحداث و الوقائع - بسبب الإهمال و اللامبالاة - تفجرت عنها سلبيات شتى على جميع الأصعدة و استغلت استغلالا فاحشا من قبل الأعداء في الداخل والخارج ؛ لأنها تعتبر مصيدة ثمينة لخبراء الحرب النفسية وأعوانهم من "الطابور الخامس" .

لذلك يجب على المؤسسات المختصة في مقاومة الحرب النفسية أن تعمل - بكل جد - على إزالة كل الأساليب و الممارسات التي تحدث واقعا سلبيا يعرقل و يصيب المؤسسات الحيوية للأمة و ذلك بتعطيل السير العادي لها : مما ينتج عنه جوخانق يصيب الأفراد والجماعات، ويحدث فجوات خطيرة داخل المجتمع

---

(1) - حسن أيوب : السلوك الاجتماعي .(مرجع سابق) ص120.

على الصعيدين المدني و العسكري ؛ و في الوقت نفسه تربية الجماهير على فهم الأحداث و الوقائع التي تعيشها و تحيط بها ـ داخليا و خارجيا ـ مما يجعلها تتفاعل معها بالدراسة و التحليل ، و هو ما يؤدي بالوعي الإسلامي إلى الارتقاء و التطور إلى درجة وصول هذه الجماهير إلى فهم وظيفتها في هذه الحياة .

و حتى يتحقق هذا الهدف المنشود يجب على المؤسسات المختصة بصفة خاصة ، و الجماهير بصفة عامة القيام بالمهمة الحضارية ، و ذلك بالتعبئة والتنسيق و بذل الجهود ، و بمنظور واحد بيّن واضح ؛ مما يؤدي بالضرورة إلى وحدة تصورية لجماهير الأمة التي ستستجيب لمؤسسات أمتها ـ إن رأت الصدق والإخلاص ـ و بالتالي يتوصل المشرفون إلى الأهداف الاستراتجية المخططة التي يقتضيها الشرع و المنطق الحضاري تجاه الأعداء و أساليبهم ؛ لسد كل الثغرات بالقضاء على التشتت في التوجيه ، و الغموض في الطرح ، و الإشاعات التي تستعمل من قبل الأعداء و أتباعهم في الداخل و الخارج الذين يستغلون الوقائع والأحداث .

إذن فتفسير الأحداث و الوقائع تفسيرا علميا و شرعيا مقْنعا يجعل الجماهير و مؤسساتها تقف صفا واحدا كالإسمنت المسلح في وجه كل اعتداء ـ مادي أو معنوي ـ و هذا سيتم من خلال :

ا ـ الموضوعية :

مصطلح الموضوعية أصبح في عصرنا الحاضر يستعمل في غير مكانه مثله مثل الكثير من المصطلحات التي ظاهرها يدعي العلمية و باطنها يحوي إيديولوجيات حاقدة تهدف إلى القضاء على خصومها و خاصة العقيدة الإسلامية .

لذا نحن المسلمين نريد الموضوعية كمصطلح يخضع لعقيدتنا و شرعنا قصد استعماله في تفسير الوقائع و الأحداث ـ داخليا و خارجيا ـ على الصعيدين المدني و العسكري ، وفق مقاييس علمية دقيقة و مدروسة ـ حسب المكان و الزمان ـ و هذا لا يتحقق إلا من خلال مؤسسات مختصة يشرف عليها رجال مخلصون متمكنون من العلوم الشرعية ، و العلوم الكونية ، و الإنسانية ، و في الوقت نفسه يكونون في مستوى التقنيات التكنولوجية الحديثة المستغلة استغلالا رهيبا من قبل أعداء الإسلام ؛ و هذا كلّه يهدف إلى التمكن من الوقوف على الوقائع و الأحداث و تفسيرها تفسيرا موضوعيا ، مبينين نفعها و ضررها للرأي العام بالوسائل العلمية الحديثة والحقائق الثابتة ذات الأبعاد الإسلامية الموضحة للمنطلقات ، و التصورات والأهداف المبنية على التصور المنطقي الإسلامي الذي يعتمد النقد الموضوعي الشرعي و العلمي لتفسير الوقائع و الأحداث المجسدة فعلا في الأمة على جميع أصعدتها ، و الوصول إلى النتائج ـ إيجابية أو سلبية ـ .

و في الوقت نفسه يصبح مصطلح الموضوعية ذا بعد تربوي للرأي العام الذي يجب أن يكون في مستوى الحس الحضاري ، يعالج و قائعه و أحداثه معالجة شرعية و علمية بعيدا عن التفاعلات و التأثيرات ، و العواطف ، والميولات الشخصية ، بل لابد من اعتماد الشرع و المنطق ، والأدلة للوصول إلى إصدار الأحكام

النهائية ، ولنا عبرة في حادثة الإفك التي كانت حدثا تربويا قاسيا للكثير من المسلمين جزاء تسرعهم في الحكم ، مما جعل القرآن يؤنبهم و يزجرهم و يعلمهم في الوقت نفسه[1] .

إذن فالموضوعية العلمية تعني الابتعاد عن الأنانية ، والتجرد من الذاتية القاتلة ، و خاصة عند عرض الحقائق مهما كانت ، حتى لا تترك الفرصة للأعداء الذين يتشدقون في دعايتهم أنهم أصحاب الموضوعية العلمية ، و أنهم أهل الأمانة و الصدق في نقل المعلومات إلى الجماهير .. لذلك يجب سد هذا الباب بواسطة التعبير الصادق ، وتربية الجماهير على الصدق و الأمانة في جميع البيانات والمعلومات والتأكد من مصادرها الأصلية و عرضها ـ دوما ـ على المقياس الشرعي حتى تتحقق الموضوعية الشرعية التي نريدها .

ب ـ الصدق و المصارحة :

الصدق و المصارحة أسلوبان أساسيان لإزالة الغموض ، و كشف الضباب عن الأحداث و الوقائع ـ حلوها و مرها ـ مما يقطع الطريق أمام الخصوم الذين يصطادون في الماء العكر ، ويستغلون الغموض و الالتباس ؛ قصد إثارة البلبلة وزرع الشكوك ، و نشر الشائعات المغرضة ، وجعلها تفعل بالمجتمع والأمة فعلتها مستغلة غياب الحقيقة و الصراحة ، وقول كلمة الصدق ... لذا يجب على المختصين في مجال الحرب النفسية أن يصارحوا جماهيرهم بكل ما يجرى من أحداث ووقائع على الجبهتين الداخلية و الخارجية ، وأن يكونوا صادقين بتقديمهم الحقيقة كما هي دون تزوير أو تزييف أو بهرجة ، مما يجعل هذه الجماهير تتربى على الجلد والعزيمة و الثبات على الحق ، و أن تكون معنوياتها مرتفعة دوما في السراء والضراء لعلمها أن المصائب و المحن ابتلاءات لمراجعة النفس و أخطائها ـ ماديا ومعنويا ـ و في الوقت نفسه تدربها على تحمل المشاق في سبيل غايتها لأنها طريق الجنة ، و طريق الجنة محفوف بالأشواك .

لكن هذا الصدق و المصارحة لا يتجاوز الحدود الشرعية و العقلية ، لأنه لا يمكن إطلاقا أن نكشف مخططاتنا أو استراتيجياتنا للأعداء ، أو للطابور الخامس أو حتى للرأي العام الذي لا يعرف التمييز بين ما يقال و ما لا يقال ؛ لأن أسرار الأمة العامة و الخاصة تعتبر أمانة كبيرة في عنق المسؤولين عليها ؛ حتى لا تتسرب للأعداء . إذن فالصدق و المصارحة مسؤولية المختصين في هذا المجال من أجل تقوية عنصر الثقة بينهم و بين جماهيرهم و إفشال مخططات الأعداء التي تقدم عن طريق المعلومات و الأخبار ، لكن في الوقت نفسه يجب تجنب التناقضات والتأويلات ، و الابتعاد بقدر الإمكان عن الحالات التي تضر بمصالح الرأي العام ،حتى يبقى بجانبهم ، و تتعزز ثقته بهم ؛ مما يفشل دعايات العدو و أخباره . إن الصدق و المصارحة هما صمام الأمن و الأمان ، و هما جوهر أي إقناع ومساندة ، ولنا في رسول الله ـ صلعم ـ القدوة الحسنة ؛ إذ كان صادقا أمينا حتى قبل البعثة ، وما جرب عليه كذب قط .

---

(1) ـ راجع حادثة الإفك في الفصل الثالث من الباب الثاني ،ص 150.

و كذلك يجب علينا ألا ننسى صدق أبي بكر ـ رضي اللّه عنه ـ و موقعه من المشركين الذين استغلوا حادثة الإسراء ، و أرادوا فتنة أبي بكر و صرفه عن صاحبه محمد ـ صلعم ـ ، فقالوا له : « أوما سمعت ؟! أو ماعلمت ؟! لقد ادعى صاحبك أنه أسري به ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ...؟! فأجابهم باطمئنان أذهلهم قائلا : أوقد قال ذلك ؟ ، نعم : قالها .. لئن كان قد قال ذلك لأصدقنه .. فإني ما جربت عليه كذبا قط .. أفأصدقه في خبر السماء ، و أكذبه فيما دون ذلك ؟!! ».[1]

و صدق اللّه إذ يقول :« * يأيها الذين ءامنوا اتقوا الله و كونوا مع الصادقين * »[2] .

« ... فلو صدقوا الله لكان خيرا لهم * »[3] .

فطريق الصدق و المصارحة طريق مأمون العواقب على جميع الأصعدة و رجاله مباركون من عند اللّه ، و مؤيدون من عند عباده ، وقد قال رسول اللّه ـ صلعم ـ في حديثه الكافي الشافي : « إن الصدق يهدي إلى البر ، وإن البر يهدي إلى الجنة ، و إن الرجل ليصدق حتى يكتب عند اللّه صديقا ، و إن الكذب يهدي إلى الفجور، و إن الفجور يهدي إلى النار ، و إن الرجل ليكذب حتى يكتب عند اللّه كذابا »[4] . متفق عليه .

من خلال هذا الحديث يتبين لنا أن طريق الصدق و الصراحة هو طريق الأمة الواعية المتحضرة التي تعيش واقعها ومستجداتها على الصعيدين المحلي والعالمي ، مستخدمة التحليل المتبصر لكل الوقائع و الأحداث ، مواجهة تخطيط أعدائها بتقنيات عصرية ملائمة للزمان و المكان ـ قدر الاستطاعة ـ لأن الفهم الصادق و الوعي الصادق ، و التحليل الصادق ، للأحداث و الوقائع أسس تبنى عليها الحضارة الإسلامية التي تهدف إلى إقامة مجتمع مسلم خال من كل الأمراض الاجتماعية كالكذب الذي يغرق أهله بفتح باب الشائعات و الدعايات ، والتضليلات الإعلامية المغرضة ، و الذي لا يقاوم إلا بالصدق و الصراحة اللذين من خلالهما يتربى الرأي العام المسلم ، ويكون قوة دافعة ، وفعالة تنبذ الكذب بجميع أنواعه ، وتكشف الكذابين المستترين من وراء الدعاية و الشائعة ، والإعلام التضليلي ، وفي الوقت نفسه تكشف كل من ينتمي إلى الطابور الخامس كالمنافقين و أذناب الأعداء ، لأنهم لا يستطيعون أن يعيشوا عيشة الصادقين الأمناء ، و بالتالي يفضح أمرهم أمام الجماهير ؛ مما يجعلها تتخلص من هذا الوباءلتعيش عقيدتها و مبادئها و تصوراتها الحقيقية منطلقة كالسهم في بناء نفسها بنفسها معتمدة على ربها الذي يقول :

« ... إن الله لا يغير مابقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ... »[5]

---

(1) ـ محمد إبراهيم نصر : الإعلام وأثره في نشر القيم الإسلامية وحمايتها ، الرياض : دار اللواء للنشر والتوزيع ـ ط 1 .(1398هـ ـ 1978م) ص39.

(2) ـ سورة التوبة : الآية ١١٩ .

(3) ـ سورة محمد : الآية ٢١ .

(4) ـ انظر الحديث في :

أبو زكريا يحي بن شرف النووي : رياض الصالحين .(مصدر سابق) ص89.

(5) ـ سورة الرعد : الآية ١١ .

جـ ـ التعاون على رد الأكاذيب ووادها :

إن ما يزيد الوقائع و الأحداث اشتعالا ـ على جميع الأصعدة ـ الافتراءات والأكاذيب التي تتمثل في الشائعات ، والدعايات ، و الأخبار المضللة ...

هذه الأسلحة الخطيرة التي تهدف إلى بث الفوضى و البلبلة ، وزرع روح الانقسام داخل الأمة و جعلها تعيش حالة اللاستقرار ، و اللاأمن ، و الوصول بها إلى الحياة الهمجية المبنية على النهب بجميع أشكاله ، و الاستغلال ، والاستبداد والطبقية ، و الروح الجهوية ..

و إذا كانت هذه الأساليب هي روح الحرب النفسية التي تشن على الخصوم قصد استعبادهم و جعلهم قوما تبعا ـ داخليا أو خارجيا ـ ، فإنها في عصرنا اليوم أصبحت فنا وعلما تستخدم لضرب القيم الإنسانية مستخدمة شعار " الغاية تبرر الوسيلة " قصد تحقيق أهدافها اللاإنسانية سواء على حساب الأفراد ، أو الجماعات ، أو الشعوب ، أو الأمم .

لذلك على المسلمين أن يدركوا مدى خطورة الافتراءات و الأكاذيب على إسلامهم الذي أصبح اليوم مستهدفا حتى من قبل من ينتمون إليه ببطاقة الهُوية والأوطان ، ولذلك نجدهم في خدمة أعداء الإسلام من يهود ، ونصارى ، وأصحاب الإيديولوجيات الهدامة ، بشنهم حملات منظمة من الافتراءات و الأكاذيب تستهدف العقيدة السمحة ، و العلماء العاملين ، والجماهير المتمسكة بإسلامها ، مستغلين في حملتهم كل حدث أو واقعة ، جاعلين من الحبة قبة ، و من الخطأ خطيئة و من الدفاع عن النفس اعتداء ، ومن الدفاع عن الشرف تخلفا وانحطاطا ، و من الدفاع عن القيم تعصبا و تطرفا ...

لكل ما سبق أضحى واجبا عينيا اليوم على الجماهير المسلمة ـ بكل فئاتها ـ أن تتصدى لهذه الدعايات الكاذبة ، و الشائعات المغرضة ، وكل الأكاذيب والافتراءات ، وذلك بالتعاون على محاربة هذه الآفات الدخيلة على المجتمع الإسلامي و وأدها إلى غير رجعة على جميع الأصعدة للوصول إلى بناء جدار صلب تتحطم عليه كل أنواع أسلحة الحرب النفسية ـ داخليا و خارجيا ـ ، و بالتالي تسهل عملية تفسير الوقائع و الأحداث التي تصيب الأمة من حين لآخر .

كما يجب على علماء الأمة و مرشديها أن يضاعفوا جهدهم ، و أن يصلوا بالجماهير المسلمة إلى مستوى تحمل المسؤولية الكاملة من خلال تحسيسها بما يخطط لها من عمليات تدميرية لا يمكن التغلب عليها إلا بالرجوع الفعلي إلى ما صلح به أسلافنا من صور التعاون و التضامن ، و الوحدة .. و لنا في رسول الله ـ صلعم ـ القدوة الحسنة في بناء المجتمع الإسلامي الأول الذي قضى على كل الظواهر السلبية التي كانت سائدة في الجاهلية . مما سهل مهمة أعداء العرب آنذاك في تمزيق وحدتهم و جعلهم أعداء يقتتلون على كل كبيرة و صغيرة .

لكن رسول الله ـ صلعم ـ استطاع في وقت قصير جدا أن يقضي على أساليب الأعداء التدميرية لأنه بنى مجتمعا يقوم على : « ركيزة من الألفة و المحبة و الصفاء و الود ، و إخلاص السريرة بين طيات قلوب أفراد المجتمع الجديد ، و لقد كان لهذا أثره المحسوس في سرعة الامتزاج و الاندماج بين الأفراد بعضهم بعضا في

مظهر الإخاء الكامل الذي كانت له السمات البارزة في القضاء على الفوارق الاجتماعية ، و إزالة الحواجز النفسية ، و الموانع العصبية بين هؤلاء الناس جميعا و الذي محيت فيه كل صفات الفردية و الأنانية ، و حب الذات ، و لقد كانت القاعدة التي وضعها النبي الكريم أساسا قام عليها هذا التضامن الجديد هو "قوله" ـ صلعم ـ : مثل المسلمين في توادهم و تراحمهم ، و تعاطفهم ، مثل الجسد : إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر و الحمى »[1] . رواه أحمد و مسلم .

من خلال هذا يتبين لنا أن التعاون على رد الأكاذيب و وأدها ، شعار واضح في الإسلام لا لبس فيه و لا غموض ، ما دام الإسلام يمقت الكذب و مروّجيه يقول تعالى : « ... إن الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون * »[2] .

« * إنما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله و أولئك هم الكاذبون * »[3] .

فعلينا أن نتأكد من كل الأخبار قصد معرفة صدقها من كذبها ، و خاصة أثناء الحروب و الفتن ، و المصائب التي تصيب الأمة ، و ذلك بالرجوع إلى مصادرها الأصلية ، أو المتخصصة التي نثق فيها ، لتبيان الحقيقة مطبقين في الوقت نفسه أمر اللّه القائل :

« * و إذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به و لو ردوه إلى الرسول و أولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم و لو لا فضل الله عليكم و رحمته لاتبعتم الشيطان إلا قليلا * »[4].

ثالثا : دور الإعلام العقائدي في تشكيل التصور

لقد عرفنا فيما سبق أن الإعلام بكل وسائله أصبح يلعب دورا خطيرا في توجيه الرأي العام الوجهة التي يريد ، و إذا كان الإعلام اليوم بيد أعداء الإسلام ـ داخليا و خارجيا ـ فقد حان الوقت للمسلمين أن يستغلوا هذا الميدان الاستراتيجي الذي يلعب دورا أساسيا في معركة المبادئ و الأفكار على جميع الأصعدة ، و ذلك للقيام بالدعاية للتصورات الإسلامية ، و مقاومة كل دعاية تستهدفها ، و بذلك يتوصل القائمون على هذا الميدان الحساس إلى تشكيل عقلية عقائدية واعية لجماهير المسلمين لها القدرة على كشف التضليلات و الأفكار الهدامة على الصعيدين الداخلي و الخارجي ، و في الوقت نفسه تعطي صورة صادقة للإسلام ـ عقيدة و شريعة ومعاملات ـ مما يمهد الطريق أمام الباحثين عن الحق و جعلهم يهتدون من خلال سلوكات الرأي العام المسلم قبل دراستهم للإسلام الذي يحتاج إلى وقت ـ خاصة في العصر الحاضر ـ ، و هذا يقتضي التركيز على مايلي :

---

(1) ـ أحمد المخزنجي : العدل والتسامح الإسلامي ، مكة : إدارة الصحافة والنشر برابطة العالم الإسلامي .(1407هـ ـ 1987م) ص10.

(2) ـ سورة النحل : الآية ١١٦ .

(3) ـ سورة النحل : الآية ١٠٥ .

(4) ـ سورة النساء : الآية ٨٣ .

أ- الإعلام العقائدي :

الإعلام العقائدي يقوم بدور فعال في بناء التصور الإسلامي الذي يصل بالشخصية المسلمة إلى النهوض - على جميع الأصعدة - قصد مواجهة الأعداء ومخططاتهم المتمثلة في ما يسمى بالغزو الفكري ، الذي انتشر كالوباء عن طريق الإعلام المعادي للقيم الإسلامية ؛ مما نتج عنه سلوكات و تصورات لا تتماشى إطلاقا مع قيمنا و عقيدتنا و تصورتنا ؛ و هذا ما يستوجب على القائمين بجهاز الإعلام أن يسرعوا لمواجهة الإعلام المعادي ، عن طريق تحريك الإعلام العقائدي ليقوم بثورة فكرية تغييرية إصلاحية - في جميع المجالات - ، و هذا بواسطة تحريك الحس الحضاري الكامن في نفسية الجماهير ، مما يجعلها تتحرك ، و تساهم في التغيير لشعورها بما يخطط - داخليا و خارجيا - .

و على الإعلام العقائدي أن يركز في تحريكه للرأي العام على القرآن والسنة النبوية ، و التذكير بأمجاد الأمة ، و طرح الأطروحات الواقعية و المعيشية و معالجتها معالجة قرآنية ، و في الوقت نفسه الابتعاد عن أساليب التمجيد والتهريج ، و تزييف التاريخ و رجالاته ، قصد مغالطة الرأي العام ؛ لأن مثل هذه الأساليب أصبحت مفضوحة لدى الجماهير مما جعلها تثق في إعلام أعدائها .

إن المسلمين اليوم يطالبون بإعلام يقوم بالتوعية و التربية ، و يتعمق في فهم الأحداث و الوقائع على الصعيدين الداخلي و الخارجي و فقا لتصوراتهم الإسلامية المبنية على الرؤية الواضحة و الصادقة ، و الاعتماد على الحجة العلمية الدامغة ممتثلين لقول ربهم :

« * ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة و جادلهم بالتي هي أحسن ... »[1] .

« * فلذلك فادع واستقم كما أمرت و لا تتبع اهواءهم ... »[2] .

« * قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا و من اتبعني و سبحان الله و ما أنا من المشركين * »[3] .

فهذه الآيات ترشدنا إلى الأساليب المشروعة التي يعتمد ها المسلمون في نشر دعوتهم ؛ و مادام الإعلام في عصرنا الحاضريعتبر أهم وسيلة للدعاية الإسلامية ، فهذا يقتضي منا إعلاما قويا متخصصا يقارع أساليب الحرب النفسية بالدليل و الحجج الشرعية و العقلية ، و يستعمل الوسائل التقنية المشروعة التي تؤثر في المشاهد و تجعله يعيش الفكرة اعتقادا و سلوكا ، و هذا يتطلب من المختصين تأطير إعلاميين على جميع الأصعدة ، وتشييد مؤسسات ضخمة تحتوي على وسائل عصرية متطورة تقاوم المؤسسات المعادية وترد أساليبها ، و تؤثر تأثيرا أساسيا في الجماهير المسلمة بالدرجة الأولى بتلقيحها بمصل عقائدي وجعلها تعيش واقعها و تدافع عن نفسها بنفسها ، و تنهض بأمتها نحو الأفضل و باستمرار .

وخلاصة القول إن الإعلام العقائدي هو الإعلام الناجح في تشكيل العقول والأفكار ، و القيم والموازين و جعلها تتماشى و التصورات الإسلامية .

---

(1) - سورة النحل : الآية ١٢٥ .

(2) - سورة الشورى : الآية ١٥ .

(3) - سورة يوسف : الآية ١٠٨ .

ب ـ أهداف الإعلام العقائدي :

إن الهدف الرئيسي للإعلام العقائدي هو تشكيل عقلية تتماشى والتصورات الإسلامية التي تكون دوما في خدمة المصلحة العليا للأمة ، وذلك عن طريق الترشيد و التوجيه ماديا و معنويا ـ للوصول بالجماهير المسلمة إلى اكتساب تصور قوي و شامل يقدم الصورة الصحيحة لروح الإسلام ، و لذلك يجب على القائم بالإشراف على المؤسسات الإعلامية أن يدرك :« الهدف من هذا الإعلام وكيف يجب أن يعمل ؟ و ماهي خطته في العمل ، فليس هو مطالبًا بالنتائج وإنما عليه أن يسعى حسب هدف واضح و خطة مرسومة ، فهو يعمل بهدف تبليغ دين الله وشريعته . لكل البشر دون الوقوف عند حد معين أو حدود معينة زمانية أو مكانية أو عنصرية . »[1]

و إذا كان هذا هو الهدف الرئيسي و الأساسي للإعلام العقائدي فإن هناك أهدافا عامة و خاصة تصب كلها في خدمة الهدف الرئيسي قصد تشكيل عقلية عقائدية واعية نذكر منها ما يلي :

1ـ إيجاد أرضية صلبة و مهيأة لإقامة المجتمع المسلم المنشود الذي يحقق خلافة الله في أرضه ، مثلما فعل رسول الله ـ صلعم ـ بعد هجرته حيث أقام مجتمعا كانت أرضيته معدة ومهيأة ـ ماديا ومعنويا ـ مما سهل البناء وتحقق فيهم قول الله تعالى : « **وعد الله الذين ءامنوا منكم و عملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم و ليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم و ليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدونني لا يشركون بي شيئا ...** »[2].

2ـ النوعية الشاملة لمفهوم التصور الإسلامي وجعل الجماهير تؤمن بشمولية الإسلام ـ عقيدة و شريعة و معاملات ـ ، و أن التبعيض في الإسلام مردود على دعاته ، فلا مساومة ،ولا إغراءات ، ولا تهديدات ـ مادية أو معنوية ـ تجعل المسلم يتخلى عن أوامر ربه أو نواهيه من أجل إرضاء البشر مهما كانت مكانتهم ، أو مصلحته في ذلك ؛ لأننا اليوم أصبحنا نرى أعداء الإسلام ـ داخليا و خارجيا ـ يساومون المسلمين في عقيدتهم فتارة يقولون نقبل الإسلام عبادة ، و لا نقبله تشريعا و سلوكا ، و تارة أخرى يقبلون ببعض الأحكام التشريعية لهدف في نفوسهم ، و يردون كل الأحكام التي لا تتماشى مع مصالحهم و أهوائهم ..لذلك فالنوعية الشاملة تجعل المسلمين يفهمون بوعي ما يخطط لإسلامهم قديما و حديثا ، و لهم في رسول الله أسوة حيث جربت معه هذه الأساليب التي باءت كلها بالفشل الذريع ، و في الوقت نفسه لا ننسى التحذير القرآني لأصحاب هذه الدعوة و أتباعهم حيث يقول تعالى :

« ... **أفتومنون ببعض الكتاب و تكفرون ببعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلا خزي في الحياة الدنيا ويوم القيامة يردون إلى أشد العذاب** * »[3] .

---

(1) ـ د.عبد الوهاب كحيل : الأسس العلمية والتطبيقية للإعلام الإسلامي .(مرجع سابق) ص54.

(2) ـ سورة النور : الآية ٥٥ .

(3) ـ سورة البقرة : الآية ٨٥ .

3. تفسير الظواهر و الوقائع و الأحداث ، و التفاعلات الداخلية و الخارجية تفسيرا إسلاميا بعيدا عن كل التفسيرات البشرية المحضة ، و توجيه الجماهير المسلمة الوجهة الحضارية وفق سنن الله الكونية ؛ قصد الوصول بها إلى معرفة الثوابت والمتغيرات ؛ مما يعطيها مصلا عقائديا تزن به الأمور ، و الظواهر العادية والطارئة و الخروج دوما بنتائج تتماشى و تصورات الإسلام .

4. التركيز على الواقعية ، و الابتعاد عن التصورات الخيالية ، و ذلك قصد تحديد الغاية وتجليتها و جعلها منطقية تتماشى و عقل الإنسان و قدراته ، مما يجعله يضاعف الجهد و التضحية ، و ينطبق قوله مع فعله حتى لا ينطبق عليه قول الله تعالى :

« ﴿ يا أيها الذين ءامنوا لم تقولون ما لا تفعلون ﴾ ﴿ كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون ﴾ »[1] .

5. جعل الجماهير تتفاعل مع قضاياها الإسلامية المصيرية بحماس فياض نابع من وجدان إيماني عميق تفرح لفرح المؤمنين ، و تحزن لحزنهم ، وتخشع لكلمات الله ، وترحم المستضعفين في هذه المعمورة - مهماكانت انتماءاتهم - ، لأن قسوة القلوب ،والتشدد والإكراه ، ليست من صفات المؤمنين ، و بهذا يصدق فيهم قول الله تعالى :

« ﴿ ألم يأن للذين ءامنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله و ما نزل من الحق ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الأمد ففسقت قلوبهم و كثير منهم فاسقون ﴾ »[2] .

6 - الالتزام الكامل بالأخلاق الإسلامية ، وذلك بالتركيز على الفضائل ، و محاربة الرذائل بجميع أشكالها و خاصة الفواحش التي أصبحت مادة مثيرة لوسائل الإعلام المعادية للإسلام ، مما يحتم على الإعلام العقائدي محاربة الفاحشة ، وكل الأمراض النفسية - الظاهرية والباطنية - كالحسد ، والتباغض ، والتحاقد ، والغيبة والنميمة ،والهمز واللمز ... ، و حتى استخدام الألفاظ التي لا تتماشى مع أخلاق الإسلام ، أو مع العرف وبالتالي يحافظ الإعلام العقائدي على طهارة المجتمع - ماديا و معنويا - و يغلق الباب بأقفال إلكترونية أمام الدعوات الإنحرافية التي تقدم عن طريق الإعلام المنحرف .

7. التبصير المستمر بقضايا الأمة ، و التعرف على مكانتها بين الأمم الأخرى ، وشرح كل هذا للرأي العام المسلم و جعله يشعر بأنه جزء من أمته يتألم لتألمها ويتطور بتطورها ، وبالتالي يصبح يساهم في ما يترتب عليها من قوة - مادية ومعنوية - على جميع الأصعدة ، قصد التأثير في القضايا المحلية و العالمية ، ورسم الخطط والأهداف ضمن استراتيجية ذكية حتى لا تصطدم بالقوى المعادية المعوقة لكل تقدم و تطور - خاصة الطابور الخامس - و التي تستغل دوما ثغرات المسلمين لتجعلهم ينحرفون عن إسلامهم .

هذه بعض أهداف الإعلام الإسلامي التي أرى أن يعمل رجل الإعلام المسلم على تحقيقها وفق أسلوب ملائم للعصر كي تجد طريقها بسهولة إلى نفسية الجماهير المسلمة و عقلها ووجدانها استجابة لحاجتها الضرورية ، ومطالبها الشرعية ، و حل مشكلاتها الواقعية .. حتى تنقاد إلى مبادئها الإسلامية في رغبة وشوق ..!!

---

(1) - سورة **الصف** : الآيتان ٢ ، ٣ .

(2) - سورة **الحديد** : الآية ١٦ .

جـ - التركيز على وسائل الإعلام المؤثرة :

إن وسائل الإعلام في عصرنا الحاضر أصبحت تعتمد على أساليب وتقنيات متطورة جدا مما جعلها توصل رسائلها الإعلامية إلى بقاع المعمورة كلها وتدخل تقريبا لكل بيت من بيوت سكان هذه المعمورة قصد الإرشاد و التوجيه - إيجابا أو سلبا -.

لذا يجب على المشرفين على الإعلام العقائدي أن يركزوا على وسائل الإعلام الجماهيرية المؤثرة ، و أن يكون في مستوى تقنيات العصر - ماديا و معنويا - حتى تساير العصر ، مما يجعلها تستهوي الجماهير و تؤثر فيها ، مع استعمال الأسلوب المناسب - حسب الزمان و المكان - ، واختيار الوسلية المناسبة لكل ظرف للتوصل إلى الهدف و الغاية ، و في هذا يقول الأستاذ محمد قطب : « فالوسائل هي أداتنا لتحقيق مانؤمن به من أهداف ، وينبغي العناية الكاملة بها ، و التدقيق في بحثها واختيارها . إذ الوسيلة الفاسدة تضيع الهدف الصالح وتحيد عن الطريق »[1] .

والمهم أن رجل الإعلام العقائدي عليه أن يعرف الجمهور الذي يوجه له الرسالة الإعلامية سواء كان هذا الجمهور مسلما أو غير مسلم ، ومن ثمة يستعمل الوسيلة المناسبة التي تكون لها المقدرة على الإقناع ولها تأثير مباشر على الجمهور . وإذا كانت التجارب بينت وتبين أن وسائل الإعلام تختلف باختلاف التأثير و الإقناع فإننا نوجزها حسب أهميتها مركزين في الوقت نفسه على بعض الوسائل ذات التأثير القوي على إقناع الجماهير وتوجيههم الوجهة المقصودة .

أما وسائل الإعلام المهمة فهي - حسب التأثير كمايلي :

1- الوسائل الشفوية : إن للوسائل الشفوية دورا فعالا في التأثير على الرأي العام وتوجيهه ، لأنها تعتمد على الاتصالات الشخصية ، لأنه كلما زاد الطابع الشخصي للوسيلة كلما زاد التأثير ، و الإقناع .. وإذا كانت الوسائل الشفوية متعددة فإن أهمها على الإطلاق هو المسجد لما له من دور عظيم في بث الرسائل الإعلامية مباشرة للجماهير المسلمة التي تؤمه خمس مرات في اليوم ، قصد الصلوات الخمس المفروضة ، زيادة عن الدور التعليمي ، و التوجيهي - على جميع الأصعدة - و الذي يقوم به علماء متخصصون - كل في مجاله - عن طريق الخطبة ،والمحاضرة ،والندوة و الحلقة ، و اللقاءات الفردية لحل المشاكل الأسرية ، والاجتماعية ...

لكل ماسبق فإن المسجد يعتبر الوسيلة الرئيسية ضمن وسائل الإعلام العقائدية - لما له من دور أساسي - في توجيه الرأي العام المسلم ، لذلك كان المسجد أول مؤسسة أقامها النبي - صلعم - حين أنشأ الدولة الإسلامية مما يتضح جليا أن المسجد ليس معبدا أو كنيسة يختص بالعبادة فقط - كما يعتقد البعض ، و يطلب أعداء الإسلام - بل هو مؤسسة فوق كل المؤسسات يوجه الجماهير و يعلمها - كل نشاطات حياتها - بل يبين لها مخططات الأعداء و أهدافهم على الصعيدين الداخلي والخارجي ، لأن رسالة المسجد توجه لجمهور مؤمن إيمانا يكسر كل المؤامرات والمخططات التى تريد النيل من إسلامه لما له من صفات ذكرها الله في قوله :

---

(1) - محمد قطب: منهج التربية الإسلامية ج 1،القاهرة:دار الشروق - ط10 (1407هـ-1987م)ص12

« * إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة و ءاتى الزكاة ولم يخش إلا الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين * »[1] .

فالمسجد كذلك هو الوسيلة الإعلامية الوحيدة التي يملكها المسلمون وحدهم ، ولا ينافسهم فيها أي أحد ، وهذا ما جعل أعداءهم - في الداخل و الخارج - يعملون بكل ما يملكون من وسائل التغليط والتضليل وتشويه سمعة هذه الوسيلة وجعلها هيكلا بدون مضمون ، قصدإبعادها عن هدفها ..ولكن هيهات هيهات .. !! فرغم التخطيطات والتضليلات والنعوت المختلفة فإن المسجد سيبقى الوسيلة الفعالة في توجيه الرأي العام المسلم ، مهما كانت تأثيرات وسائل الإعلام المختلفة التي توجه رسائلها الإعلامية المضللة عن طريق الأقمار الصناعية والملتقطة بالمقعرات الهوائية التي أصبحت كبيوت العنكبوت فوق السطوح والبنايات ، مما يحتم على المسلمين محاربة هذه الظاهرة بالإعلام العقائدي المضاد على جميع الأصعدة .

2. **الوسائل السمعية البصرية** : من الوسائل الإعلامية المؤثرة والتي تعتبر أكثر جماهيرية الوسائل السمعية البصرية ، وهي الوسائل التي يجب على المختصين في الميدان الإعلامي العقائدي أن يحسنوا استخدامها وأن يجعلوها في خدمة أهداف الأمة - على جميع الأصعدة - وأن لا تصبح هذه الوسائل حكرا على الأعداء فقط - كما هو الحال اليوم - ، لأن هذه الوسائل لها تأثير على المشاهد ، وخاصة وسيلة "الرائي" أي التلفزيون الذي أصبح يلعب الدور الأول في توجيه الرأي العام ، لأنه يعتبر أقرب الوسائل الاتصاليةللجمهوروذلك :« لاستغراقه حاستي السمع والبصر ، فهو يستخدم الصورة والصوت والحركة معا، وهذا ما يشدالمشاهد ويجذب انتباهه حتى وصف الرائي بأنه أناني لأنه لا يسمح بالانصراف عنه أو أداء عمل آخر أثناء مشاهدته »[2] . لذلك ينبغي استخدام هذه الوسيلة الإعلامية المهمة والمؤثرة ، وجعل مضامينها تتماشى وخدمة أهداف الإعلام العقائدي ، مما يجعل الجماهير تبتعد عن كل المضامين التي تخالف شرعها وقيمها والتي تبث عن طريق الأقمار الصناعية بل أصبح واجبا على الأمة الإسلامية - إن كانت مسلمة - أن تغزو الفضاء بأقمار صناعية مضادة تستطيع بواسطتها بث أفكارها وأهدافها ، ورد كل التشويهات والتلفيقات التي تصيب إسلامها من جراءالحرب النفسية التي تستعمل الوسائل السالفة الذكر.

3. **الوسائل السمعية** : الوسائل السمعية لا تقل أهمية عن الوسائل الأخرى ، لأنها أكثر انتشارا من الأولى ، فلا تحدها الحدود السياسية ، ولا الحدود الجغرافية ... مما جعلها تنقل رسالتها الإعلامية إلى بقاع الأرض كلها قصد توجيه الرأي العام الداخلي والخارجي بأخبار ومعلومات ، وبرامج ترفيهية ، ورغم التنافس الشديد بين الأفكار

---

(1) - سورة التوبة : الآية ١٨ .

(2) - محمد موفق الغلاييني : وسائل الإعلام وأثرها في وحدة الأمة .(مرجع سابق) ص137.

وانظر :- مروان كجك : الأسرة المسلمة أمام الفيديو والتليفزيون، الرياض :

دار طيبة للنشر والتوزيع - ط 2.(1408هـ-1988م) ص42 إلى44.

- فهمي قطب الدين النجار: الإعلام والبيت المسلم ، الكويت:

شركة الشعاع للنشر - ط 1.(1405هـ-1985م) ص104 إلى 109.

والايديولوجيات التي تستخدم هذه الوسائل ـ خاصة الراديو ـ ، فإنه للأسف الشديد ما زال الإعلام العقائدي بعيدا عن استخدام هذه الوسائل ، مما جعلها في يد أعداء الإسلام ـ داخليا وخارجيا ـ يستخدمونها لأغراضهم وأهدافهم سواء في مجال الأخبار والمعلومات التي يضللون بها الجماهير المسلمة أو في مجال الوظيفة الترفيهية والتي تهدف أساسا إلى ضرب الأخلاق والقيم الإسلامية ، وإشاعة الفاحشة في المجتمع المسلم .

لذا فمن باب (ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب) ، فإن استغلال هذه الوسيلة من قبل المسلمين أصبح ضروريا لمواجهة مخططات الأعداء من جهة ،وإعطاء البديل الإسلامي من جهة ثانية ، وجعل الجماهير المسلمة تثق في وسائل إعلامها وبالتالي تتكون لديها القدرة الفكرية للتمييز بين الطيب والخبيث ، وذلك من خلال تشبعها بالثقافة الإسلامية التي لا بد أن تسود كل بيت مسلم ، وكل طبقات الأمة ، لأن هذا من واجب الأمة المسلمة التي تريد الخير لكل الإنسانية مصداقا لقوله تعالى :

« ... كنتم خير أمة أخرجت للناس تامرون بالمعروف وتنهون عن المنكر و تومنون بالله ... »[1] .

4 ـ الوسائل المقروءة : هذه الوسائل وإن كانت خاصة بالمتعلمين ، فإنها لا تقل أهمية لأنها تطلع قراءها على الأخبار والمعلومات ، والتحقيقات والتعليق عليها ، زيادة عن المقابلات ، والحوارات .. مع قادة الأمة ، بالإضافة إلى فتح المجال لمساهمة القراء والمتخصصين لعرض مشاكل الأمة ومعالجة كل القضايا بالرأي والشورى ... وبالتالي تتشكل عقلية وتصور إسلامي لدى الرأي العام المسلم ، وجعله يثق في وسائل إعلامه المبنية على الشرع ، والصدق والمصارحة ، والحجة والدليل ...

هذه باختصار أهم الوسائل الإعلامية التي على الإعلام العقائدي أن يركز عليها وأن يستغلها أحسن استغلال مستخدما التقنيات الحديثة ، والأسلوب الفني الرفيع النابع من الكتاب والسنة للوصول إلى نفسية الجماهير بكل فئاتها ـ داخليا وخارجيا ـ . هذه الوسائل إذن لها أهمية عظمى في بناء الأمة ، حضاريا و جعلها أمة العالم الأول ، يقول الدكتور إبراهيم إمام :« إن الإعلام طاقة كبرى ، و قوى خطيرة وعلينا أن نبذل كل المحاولات الجادة الصادقة في سبيل الاستفادة من وسائل الإعلام وتحويلها إلى أجهزة بناء للمجتمع الإسلامي ، كما كانت تستخدم و سائل الإتصال الشخصي والجمعي من شعر و خطابة ، و قصص و غيرها في تاريخنا الإسلامي المجيد . فليس علاج الموقف العصيب الذي نشأ عن الاتصال الجماهيري هو عدم المبالاة ، أو مجرد الرفض السلبي ، و لا ينبغي أن نتوقف مكتوفي الأيدي إزاء هذا الغزو الفكري و الثقافي الرهيب من وسائل الإعلام العصرية و إنما علينا أن نبلغ الدعوة الإسلامية إلى عقول الناس و قلوبهم في جميع أنحاء العالم ».[2]

ومجمل القول أن الإعلام العقائدي يُخلِّص الوسائل الإعلامية من الضغط والعنف اللذين يرافقان الخطاب الصحفي ـ غير المسلم ـ ، مما يجعلها تحقق نجاحا قيما في غرس القيم والمبادىء ، و زرع الرحمة و العدالة ، و الأخوة ، واحترام القناعات المختلفة ـ ضمن دائرة الإسلام ـ وفي الوقت نفسه القضاء على بذور الرعب

---

(1) ـ سورة آل عمران : الآية ١١٠ .

(2) ـ د.عبد الوهاب كحيل : الأسس العلمية و التطبيقية للإعلام الإسلامي .(مرجع سابق) ص41 .

نقلا عن د.إبراهيم إمام : الإعلام الإسلامي .

و الخوف في النفوس ، و ذلك بإعادة الثقة إلى الجماهير المسلمة و جعلها جزءا من العملية الإعلامية قصد تظافر الجهود لبناء إعلام عقائدي قوي قادر على كشف المؤامرات - علنية أو سرية - و فضحها أمام الرأي العام بالإضافة إلى تعرية مواقف المنافقين و المخذلين و المرجفين ، و قطع أسباب الأمراض الاجتماعية على جميع الأصعدة ، مما يكون سببا في نجاة الأمة من كل المصائب و الأحداث التي يسببها الأعداء أو بعض الظالمين مصداقا لقوله تعالى :

« * واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة و اعلموا أن الله شديد العقاب * »[1] .

*****

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الخاتمة

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الخاتمة

لقد تبين لي من خلال هذه الدراسة أن الحرب النفسية سرطان خبيث يشكل خطرا حقيقيا على الأمة الأسلامية ـ أفرادا ومؤسسات ـ ، وهو مايستوجب على كل أفراد المجتمعات الإسلامية معرفة هذا الخطر الذي يعيقهم على جميع الأصعدة حتى يظلوا في سباتهم متخلفين ، متناحرين متشتتين ، يعيشون أوضاعا مأساوية في جميع مجالات حياتهم ، مما جعلهم عالة على أعدائهم حتى في لقمة العيش .. !!

إن معرفة الحرب النفسية و وسائلها أصبح واجبا شرعيا عينيا ـ كل حسب ثقافته ـ قصد أخذ مصل معرفي يجنب جماهير الأمة فيروس هذه الحرب التي تشن باستمرار ، وستبقى إلى أن يرث الله الأرض و من عليها ، لأنها سنة الله في خلقه فالصراع بين الخير و الشر باق بقاء الإنسان فوق الأرض .

لكل هذا أردت تقديم ملخص لأهم النتائج العامة التي أراها ضرورية لكل فرد من أفراد الأمة الإسلامية كزاد معرفي يواجه به هذه الحرب الشرسة على جميع الأصعدة ، ورغم أنني قدمت بعض النتائج في حينها ، وذلك أثناء الدراسة لهذا الموضوع ـ الحرب النفسية ـ سواء في آخر الأبواب أو في آخر الفصول ، أو أثناء التعرض لبعض العناصر في فصل من فصول هذا البحث والتي رأيتها ضرورية لتطابقها مع واقعنا الحاضر ، مما يجعلها درسا حيا يجب الانتفاع به في حينه .

أما أهم النتائج العامة المستنتجة من خلال هذه الدراسة فهي كالتالي :

1 ـ **الحرب النفسية حقيقة واضحة للعيان** ، لا مراء فيها ، رغم تعدد أشكالها ومضامينها ومصطلحاتها ، واختلاف أهدافها ـ حسب الزمان والمكان ـ ، مما يجعلها تتلون كالحرباء ، فتارة تشن على الأفراد ، وطورا توجه للجماعات ، وأحيانا للمؤسسات والهدف واحد هو تفتيت جبهة الخصم ـ داخليا و خارجيا ـ .

2 ـ **الحرب النفسية تستهدف** و تركز دوما على أصحاب النفوس الضعيفة ـ عقيدة أوثقافة ـ فهم طعمها بالدرجة الأولى ، ومنهم تستطيع فتح ثغرات داخل جبهة الخصم ، لأنها تعجز ـ مهما كانت الأساليب ـ عن تحقيق أغراضها في النفوس القوية التي تربت تربية إيمانية صحيحة أعطتها مصلا يحميها من كل الهزات المعادية للأمة .

3 ـ **الحرب النفسية تستعمل أسلحة متعددة** ـ هجوما أودفاعا ـ ، وهذه الأسلحة تتطور حسب الزمان و المكان ، مما جعلها في عصرنا الحاضر تصل ذروتها من خلال الدراسات العلمية المتخصصة ، وهو ما أعطاها قوة تأثيرية فعالة في توجيه الرأي العام والوصول به إلى أهداف إيديولوجية معينة ، مستغلة أشهر الأسلحة انتشارا كالدعاية والشائعة ، غسل الدماغ ، والإعلام التضليلي . . .

إذن من خلال معرفتنا لحقيقة الحرب النفسية وأهدافها نستنتج أن أعداء الإسلام يشنون حربا نفسية قصد القضاء على الإسلام وأتباعه في كل عصر ومصر ومن هؤلاء :

أ ـ اليهود :

1ـ الدارس لطبيعة اليهود يستنتج ـ نقلا و عقلا ـ أن اليهود أهل غدر وخيانة ، ونقض للعهود و المواثيق ، وأنهم دوما يجرون وراء مصالحهم وأهدافهم ، يتلونون معها يستغلون الفرص لتحقيق مآربهم ولو على خراب المعمورة كلها .

لذا فالحرب النفسية في جانبها السلبي بالأخص هي من صفات الشخصية اليهودية مثل : تغذية الأحقاد ، و إشعال نار الفتنة ، وزرع البلبلة والشكوك ،وتدمير المجتمعات القائمة على الأديان والقيم ، ونشر الإلحاد بين الشعوب والذي بدوره يؤدي إلى إشاعة الفاحشة ، والانحلال الخلقي ، والقضاء على النسيج الاجتماعي ابتداءا من الأسرة ، وانتهاءا بنظام الحكم . وصدق الله العظيم إذ يقول مبينا نفسيتهم :« ...ويسعون في الأرض فسادا ... »[1] .

2ـ الحرب النفسية لها مكانة كبيرة عند اليهود بل نستطيع أن نجزم أن اليهود هم الحرب النفسية بعينها ـ والواقع التاريخي قديما وحديثا يشهد على هذا ـ وهو ماجعل أحد وزراء الدفاع الإسرائيلي يقول : «إننا نستهلك كمية كبيرة من الذخيرة الغالية لتدمير موقع واحد من مدافع العدو ، ولكن أليس الأفضل والأرخص أن نستعمل الدعاية والحرب النفسية لشل الأصابع التي تضغط على زناد هذا المدفع »[2].

3ـ اليهود يستعملون الوسائل ـ حسب كل عصر ـ فإذا كنا قد عرفنا وسائلهم في عصر النبوة ، فإنهم في عصرنا اليوم يركزون على العمل الإعلامي النفسي في استخدام وسائل الدعاية وأساليبها المتعددة ـ هم أساتذة العالم في فن الدعاية ـ من أجل تشكيل قوة يهودية عالمية ، وجمعها من بقاع العالم قصد تكوين كيان يهودي مستقل يكون قاعدة لهم ونقطة انطلاق لمخططهم الاستراتيجي لفرض الهيمنة والسيطرة على جميع مجالات الحياة لتحقيق أغراضهم الخسيسة المتمثلة في قيادة العالم .

يقول «يغال آلون» أحد المنظرين لسياسة الاحتلال الصهيوني : « .. ولكي يتم "ضمان البقاء" لابد من توفر " ضمانات " متعددة أهمها :التوسع السكاني ، لأن دولة الاحتلال تمثل قلة عددية في البحر العربي الواسع ، و" قلة عدد اليهود في البلاد يضعف قوة الدولة " وعليه لا بد " أن يزداد عدد اليهود بمعدل سريع لا من أجل تأمين تدعيم التفوق الديمغرافي فقط ، وإنما الزيادة مطلوبة أيضا لتطوير السكان كقوة قومية واجتماعية مبلورة تستطيع أن تكفل نفسها اقتصاديا واجتماعيا و ثقافيا وسياسيا و عسكريا " . ويتم النمو السكاني عن " طريق النمو الطبيعي والهجرة الجماعية " »[3] .

---

(1) ـ سورة المائدة : الآية ٦٦ .

(2) ـ د.أحمد نوفل : الحرب النفسية بيننا وبين العدو الاسرائيلي (مرجع سابق) ص13.

* ـ للأسف الشديد فقد تحقق لهم هذا على الأقل في هذا الزمن الذي غاب فيه أهل الحق وكثر فيه أهل الباطل الذين سهلوا لهم المهمة وخاصة "الأعراب" .

(3) ـ يوغال آلون : إنشاء وتكوين الجيش الإسرائيلي ، ترجمة عثمان سعيد . بيروت : دار العودة ـ ط 1.(1971م) ص22.

4 ـ يعتبر اليهود العدو الأول للمسلمين ـ قديما و حديثا ـ لذلك نجدهم يستعملون أساليب حقيرة ، ويرسلونها عن طريق الدعايات ، والشائعات ، ضد الإسلام و المسلمين ؛ قصد تشويه صور الإسلام والمسلمين ـ داخليا و خارجيا ـ مركزين دوما على الجوانب السلبية في سلوكات المسلمين ، وخاصة في عصرنا الحاضر الذي وجدوا فيه ضالتهم مستغلين الواقع المزري الذي آلت إليه الأمة المسلمة ، وفي الوقت نفسه كثرة أتباعهم ـ فكرا وسلوكا ـ داخل المجتمعات الإسلامية .

5 ـ اليهود يركزون في نشر أضاليلهم على الوسائل التي تؤثر في الجماهير تأثيرا مباشرا ـ حسب الزمان والمكان ـ لذا نجدهم اليوم يسيطرون سيطرة كلية على وسائل الإعلام العالمية ـ بطريق مباشر أوغير مباشر ـ ، ما دام الإعلام هو السلاح الأول في عصرنا الحاضر ، وبالفعل فقد استطاعوا أن يحققوا أهدافهم وأغراضهم في العالم كله ، بما في ذلك ما يسمى بالعالم الإسلامي الذي صار يسير وفق توجيهاتهم ويخدم أهدافهم بل تكونت جماعات داخل المجتمعات الإسلامية أصبحت تحارب الإسلام وأهله أكثر من اليهود أنفسهم ، نظرا لتشبعهم بالثقافات الغريبة عن إسلامهم الذي ينتمون إليه ببطاقة الهوية ، هذه الثقافات التي تصدر عن المؤسسات اليهودية العالمية تحت شعارات براقة تارة باسم الفن ، وطورا باسم الأدب ، وأخرى باسم الثقافة ... لقد جاء في البروتوكول الثاني عشر لحكماء صهيون قولهم :

« ...الأدب والصحافة هما أعظم قوتين تعليميتين خطيرتين . ولهذا السبب ستشتري حكومتنا العدد الأكبر من الدوريات ، وبهذه الوسيلة سنعطل التأثير السيء لكل صحيفة مستقلة ونظفر بسلطان كبير جدا على الفعل الإنساني . . . [إلى قولهم] . . قبل طبع أي نوع من الأعمال سيكون على الناشر أو الطابع أن يلتمس من السلطان "إذنا " ينشر العمل المذكور وبذلك سنعرف سلفا كل مؤامرة ضدنا وسنكون قادرين على سحق رأسها بمعرفة المكيدة سلفا ونشر بيان عنها .. »[1].

وهكذا تدرك حقيقة اليهود ـ قديما و حديثا ـ ففي عصر النبوة كانوا وراء كل الجبهات المعادية للإسلام وهذا بحكم طبيعتهم النفسية ، حيث شنوا حربا نفسية شعواء متمثلة في جدالهم للنبي ـ صلعم ـ وإثارة الشبهات ، والشكوك حول الرسالة التي جاء بها، زيادة عن الكيد والدس والتآمر ، والتحريض ، وزرع الفتن والغدر ،ومحاولة اغتيال الرسول ـ صلعم ـ ، كما تحالفوا مع المشركين والمنافقين قصد النيل من الإسلام وأتباعه .

وفي عصرنا الحاضر أصبحت مؤامراتهم وتخطيطاتهم تنكشف يوما بعد يوم ـ على كل الأصعدة ـ ، ذلك من خلال تحكمهم في المؤسسات الدولية ـ سياسيا اقتصاديا ، عسكريا . . . ـ وهو ما جعلهم يعطلون كل القرارات التي تكون في غير صالحهم ، ويمنعون الكتب والأخبار التي تسيء إليهم على مستوى العالم بحجة معاداة السامية ، وفي المقابل نجدهم يشجعون كل القرارات والأعمال التي تكون ضد الإسلام والمسلمين بحجة تطبيق القانون الدولي ، ومكافحة الإرهاب ، والحفاظ على

---

(1) ـ **الإتحاد الإسلامي العالمي للمنظمات الطلابية** : بروتوكولات حكماء صهيون.
دار القرآن الكريم ـ ط 1.(1403هـ-1983م) ص92.

أمن إسرائيل ، وفي الوقت نفسه يشجعون ويدعمون الأقلام المأجورة ـ داخل المجتمع الإسلامي وخارجه ـ بحجة حرية الرأي والتعبير . . . فهل يعي المسلمون الدرس.. ؟؟!!

ب ـ أعداء الإسلام ـ بكل نحلهم ـ :

1 ـ **يجب على المسلمين** أن يتأكدوا من أن أهل الباطل مهما تعددت إيديولوجياتهم وديانتهم فإنهم كلهم متفقون على محاربة الإسلام ، وللوصول إلى هذه الغاية يستعملون كل الوسائل ـ ماديا و معنويا ـ حتى ولو أدى ذلك إلى محو العنصر الإسلامي كلية . وإذا كنا قد عرفنا موقف أعداء الإسلام وتحالفهم في غزوة الأحزاب فإننا في عصرنا الحاضر نعيش حقداعدوانيا لكل من هو مسلم ، سواء في الشرق أو في الغرب ، وحتى من داخل المسلمين ، وصدق رسول الله ـ صلعم ـ إذ يقول :

« الكفر ملة واحدة » .

2 ـ **إذا كانت الحرب النفسية** تهدف إلى تهديم النفوس ، وشل الإرادات ، وتحطيم العزائم فإن أعداءالإسلام يتفننون في وسائل الحرب النفسية قصد جعل المسلمين ـ حكاما ومحكومين ـ منهزمين روحيا وفكريا ، مما يجعلهم تابعين لامتبوعين منقادين لا قائدين ، وبالمقابل يركزون على الشباب المسلم ـ وخاصة المتعلم ـ قصد طبعه بطابع تغريبي يبعده عن جذوره ، وماضيه ، ويجعله يلهث وراء المكتسبات المادية السلبية التي تحطمه وتحطم أمته ، وصدق الله العظيم إذ يقول :

« ... ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا * »[1] .

« * ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيرا ... »[2] .

3 ـ **إن أعداء الإسلام** يركزون في حملاتهم على الدعاة حمَلة التغيير في المجتمع المسلم ، و ذلك بإطلاق الشائعات حولهم قصد تشويه صورتهم لدى الرأي العام وفصله عنهم وبالتالي يقل نشاطهم وتقل عزيمتهم ، ويذهب دورهم الفكري الريادي في مجتمعهم ، هذا التركيز استعمل مع جميع الأنبياء وخاصة نبينا محمد ـ صلعم ـ الذي شنت عليه حرب نفسية شرسة ـ على جميع الأصعدة ـ ، و ما زال أعداء الإسلام إلى اليوم يركزون في حربهم للإسلام على الدعاة العاملين ، والعلماء الصالحين مستعملين كل الوسائل المعنوية والمادية بما فيها القتل ...!!!

4 ـ **إن أسلوب السخرية المستعمل** من قبل مشركي مكة أسلوب بقي مستعملا من قبل أعداء الإسلام في كل عصر و مصر ، وخاصة في عصرنا الحاضر ، حيث أصبح خصوم الإسلام ـ في الداخل والخارج ـ يتفننون في استخدام هذا الأسلوب عن طريق النكتة ، والمثل ، والنعوت المختلفة ، قصد الاستهزاء من الدعاة إلى الله ، ومن العقيدة ، والعبادة ، و أتباع الإسلام المخلصين ؛ مستعملين وسائل إعلامهم ،كالمسرح والسنما ، والتلفزة ، والكتب ، و الجرائد الساخرة عن طريق أسلوب الكاريكاتور وحتى في خطبهم الرسمية ، وندواتهم ، و اجتماعاتهم . . .

---

(1) ـ سورة **البقرة** : الآية ٢١٧ .

(2) ـ سورة **آل عمران** : الآية ١٨٦ .

وهذا كله من أجل تخويف الرأي العام و جعله يبتعد عن إسلامه .. أو على الأقل يبتعد عن سلوكات إسلامه ، حتى لا ينعت بنعوت التخلف ، و الإنحطاط والظلامية . .

فهذا الأسلوب للأسف الشديد مازال يؤثر في الكثير من المسلمين الذين لم يهضموا دينهم جيدا ، رغم أنهم يعلمون علم اليقين أن مستعمليه هم الكفار ، واليهود و الملاحدة ، والنصارى ، والشيوعيون ، وحتى الفجار والفسقة ...

5. أعداء الإسلام في حربهم النفسية يستعملون أسلوب الإغراء بالمال والسلطان ، ورغم أن هذا الأسلوب قديم استعمل مع النبي ـ صلعم ـ وصحبه ، فإنه مازال سائدا إلى يومناهذا لتأثيره القوي على النفوس الضعيفة الإيمان ، ولذا فأعداء الإسلام اليوم لهم مؤسسات خاصة و مختصة في الدراسات النفسية لكل شخص من الأشخاص الذين يحملون هَمَّ الدعوة الإسلامية و تبعاتها ، فيعمد إليهم الأعداء عارضين عليهم الأموال ، والمناصب العليا ، وتحقيق مطالبهم الخاصة . .

وهذا الأسلوب يعتبر أصعب أساليب الحرب النفسية مقاومة ، لأنه أغرى الكثير من الزعماء ، والدعاة ، والعلماء ، والأشخاص . . وجعلهم في خدمة أعدائهم وضد مبادئهم وقيمهم التي كثيرا ما نادوا بها أمام جماهيرهم ... لكن في الوقت نفسه فإن هذاالأسلوب يكشف النفوس المريضة ،والضعيفة الإيمان ، و المختفية وراء الشعارات ... وقد بين الله لنا أمثال هؤلاء في قوله تعالى :

« * واتل عليهم نبأ الذي ءاتيناه ءاياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين * ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد إلى الأرض واتبع هواه فمثله كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث او تتركه يلهث ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا فاقصص القصص لعلهم يتفكرون * »[1] .

6. من وسائل الحرب النفسية التي استعملها أعداءالإسلام مع النبي ـ صلعم ـ ومازالت تستعمل إلى يومنا هذا وسيلة تعذيب المؤمنين قصد غسل أدمغتهم ، وجعلهم يتركون إسلامهم وقيمهم ، هذه الوسيلة أصبحت اليوم تمارس بوسائل تكنولوجية يصعب على العقل تصورها ؛ فرغم ما يسمى بحقوق الإنسان ، وحضارة إنسان القرن العشرين ، فإن ما يمارس من تعذيب ـ نفسي وجسدي ـ على الضعفاء ، وأصحاب الآراء الحرة المخالفة لآراء أهل الباطل يدل على حقيقة شرعية وعلمية وهي أن الإنسان إذا ابتعد عن دين الله يصبح وحشا مفترسا يفعل بأخيه الإنسان مالاتفعله الحيوانات المفترسة بصيدها . وصدق الله العظيم إذ يقول:

« * أرايت من اتخذ إلهه هواه أفأنت تكون عليه وكيلا * أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أويعقلون إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلا * »[2] .

---

(1) ـ سورة **الأعراف** : الآيتان : ١٧٥ ، ١٧٦ .

(2) ـ سورة **الفرقان** : الآيتان : ٤٣ ، ٤٤ .

جـ ـ المسلمون والحرب النفسية :

1 ـ المسلمون أصحاب رسالة ربانية جاءت من عند الله لهداية خلقه ، لذلك فهم لا يستعملون الحرب النفسية ـ بشقيها المدني والعسكري ـ إلا إذا اضطروا لذلك ، لأن مصطلح الحرب النفسية بمفهومه الحديث يتنافى وطبيعة الدعوة الإسلامية المبنية على الإقناع بالحجة والدليل الشرعي والعقلي ، وجعل الفرد يؤمن وهو راض مقتنع دون ريب أوشك ـ ظاهريا و باطنيا ـ دون إكراه ، أو تضليل ، أومساومة ـ مادية أومعنوية ـ مصداقا لقوله تعالى : « * لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي ... *»[1] .

2 ـ المسلمون إذا فرضت عليهم الحرب النفسية يقومون مدافعين عن إسلامهم وأنفسهم مستعملين الوسائل المشروعة في دينهم لرد هجمات الأعداء على الصعيدين المدني والعسكري وفي إطار قول الله تعالى :

« * وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ماعاقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين * »[2].

« ... فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم ... »[3].

إذن فكل أساليب الحرب النفسية في الإسلام تخضع لميزان الشرع ، ومن ثمة فلا توجد في الحرب النفسية الإسلامية أساليب القهر ، والتعذيب ، والظلم وقول الزور ، والدعايات المضللة ، والإشاعات بجميع أنواعها ، والأخبار الكاذبة ... لأن كل هذه الأساليب محرمة في الإسلام تحريما تأبيديا .

3 ـ من أساليب الحرب النفسية الجائزة في الإسلام أسلوب الردع ، الذي يتمثل في إعداد القوة ـ ماديا ومعنويا ـ قصد ردع الأعداء الظلمة ، وتخويفهم و جعلهم يهابون الأمةالمسلمةالتي جاءت كخيرأمة أخرجت لناس لدفاعهاعن المظلومين وإخراجهم من ظلمات الجهل والضلالةإلى نورالدنيا والآخرة . ولذا فأسلوب الردع في الإسلام موجه أساسا إلى المستكبرين فوق أرض الله الذين طغوا في الأرض ، وأفسدوا الحرث والنسل ، وليس هو أسلوبا موجها للضعفاء سواء كانوا أفرادا أو جماعات ، أو دولا كما تستعمله الدول القوية في عصرنا اليوم لتؤدب به الدول الضعيفة ظلماوعدوانا .

أسلوب الردع في الإسلام يحقق النصر ، والأمن ، والعدل ، والمساواة ويرهب أعداءالله وأعداء الإنسانية ، ويجعلهم يخافون المسلمين ، فيكفون عن ظلمهم و عدوانهم ليس على المسلمين فقط ، وإنما على البشرية جمعاء ، وصدق الله العظيم إذ يقول : « * وأعدوا لهم ما لهم ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم ... *»[4] .

« * فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا وقذف في قلوبهم الرعب * »[5] .

« ... وقذف في قلوبهم الرعب ... »[6] .

---

(1) ـ سورة **البقرة** : الآية ٢٥٦ .
(2) ـ سورة **النحل** : الآية ١٢٦ .
(3) ـ سورة **البقرة** : الآية ١٩٤ .
(4) ـ سورة **الأنفال** : الآية ٦٠ .
(5) ـ سورة **الحشر** : الآية ٢ .
(6) ـ سورة **الأحزاب** : الآية ٢٦ .

وقد قال رسولنا ـ صلعم ـ « نُصرت بالرعب مسيرة شهر » رواه البخاري .

ولنا في فتح مكة خيردليل على إعداد القوة ودورهافي الإسلام تجاه الأعداء حيث فتحت مكة بدون قتال ، وانهزم قائدها أبوسفيان نفسيا ، وعرف الحق بعدما رأى تلك القوة وتنظيمها وقال قولته المشهورة يومئذ لقريش حيث صرخ قائلا :« يا معشر قريش ، هذا محمد قد جاءكم فيما لا قبل لكم به ، فمن دخل دار أبي سفيان فهو آمن ... ومن أغلق عليه بابه فهو آمن ...ومن دخل المسجد فهو آمن .. »[1].

4 ـ **إذا كانت الحرب النفسية** ـ بمفهومها الحديث ـ ليست من طبيعة المسلمين لأنها تتنافى و الرسالة المحمدية فإن مقاومتها تصبح مفروضة على المسلمين أفرادا كانوا أو جماعات ، أو الأمة كلها ، حتى لا تجد طريقها داخل المجتمع المسلم ، مما يجعل أعداء الإسلام يفشلون و يتحطمون ، ويتجرعون كأسها وحدهم بانعكاسها على أفرادهم ، و جماهيرهم ، و مؤسساتهم ـ مدنيا وعسكريا ـ لكن هذا لا يتم إلا إذا كانت أمتنا ـ أفرادا و مؤسسات ـ صحيحة سليمة من كل الأمراض النفسية الظاهرية والباطنية التي حذرنا منها الإسلام ، لأنها أمراض مدمرة للفرد و المجتمع ؛ وبالتالي الأمة كلها ، وهي أمراض تفتح الباب على مصراعيه لوسائل الحرب النفسية التي تنخر جسم الأمة بالتدريج حتى ينهار و يصبح عليلا يعاني أمراضا سياسية واقتصادية ، واجتماعية ، و أخلاقية ...الخ.

وحتى تتجنب الأمة هذه الأمراض كلية يجب أن تسرع إلى التوبة النصوحة و أن تغرف من العقيدة السليمة ، و أن تلتزم بإسلامها ـ قولا و عملا ـ و أن تحفظ وحدتها و تماسكها و أن تعمل جاهدة على تقوية ذاتها ؛ مما يجعلها سعيدة في داخلها ، مرهوبة من أعدائها ، مهابة من كل من يطمع أن ينال منها ... و إذا لم تكن على هذه الحالة فلن تجد من اللّه نصيرا . !!!

5 ـ **لقد خصصت بابا كاملا** ـ الباب الرابع ـ لمقاومة الحرب النفسية في الإسلام ، لما لهذه المقاومة من دور ريادي في وقاية الأمة من مخططات أعدائها و أهدافهم الخسيسة وتكملة لهذه المقاومة ، وتربية للجماهير المسلمة أردت أن أركز على أمرين أساسين في بناء الشخصية المسلمة التي هي أساس بناء الأمة الإسلامية ، وهذان الأمران هما :

أ ـ الروح المعنوية :

1 ـ **إن مصطلح الروح المعنوية** ، وإن كان يكاد يكون نسبيا عند بني البشر فإنه في الواقع هو أساس قوة الفرد أو الأمة ، لذلك تعمل الحرب النفسية ـ بمفهومها الإسلامي ـ على المحافظة على عنصر الروح المعنوية لأفرادها على الصعيدين المدني والعسكري . مستعملة أساليب تربوية نفسية تتماشى و فطرة الإنسان ، مما يجعلها تؤدي مفعولها في تقوية الروح المعنوية باستمرار ـ مهما كانت الأحداث والوقائع ـ ، ولنا في رسول اللّه ـ صلعم ـ القدوة الحسنة لأنه يمثل قيادة إنسانية داعيةللحق والخير ،فكان ـ صلعم ـ يقابل نفوس المؤمنين بالحكمة والخلق الرفيع ، مقدرا حالة كل شخص معطيا أدوية قرآنية تجعل أتباعه يشعرون بالعزة والكرامة ، والمكانة الرفيعة سواء

---

(1) ـ **ابن هشام** : السيرة النبوية ج 4 .(مصدر سابق) ص47.

في الحالات العادية أو الحالات الاستثنائية ، ولذا قال عليه الصلاة والسلام :« عجبا لأمر المؤمن إن أمره كله له خير ، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن : إن أصابته سراء شكر فكان خيرا له ، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرا له » رواه مسلم .

2. **للمحافظة على الروح المعنوية** العالية لجماهير الأمة يجب :

أ ـ **التركيز دوما على العقيدة** التي تجعل الفرد يعيش مع ربه باستمرار ، وهو ما يؤدي بالجماهير المسلمة إلى تقوية الروح المعنوية الإيجابية لديها ؛ مما يجعلها تواجه ظروف الحياة بكل متطلباتها ـ العادية أوالاستثنائية ـ وبالتالي فكل وسائل الحرب النفسية تتكسر أمام الروح المعنوية العالية للجماهير .

ب ـ **فتح مجالات الحياة للفرد المسلم** ، وجعله يدرك مسؤوليته في هذه الحياة ،ويحقق حاجته وفقا لمواهبه وقدراته العقلية والمادية ، ضمن أسلوب شرعي سليم ؛وبالتالي يرضى عن نفسه وعن أمته ، ويشعر بأنه إنسان عزيز مكرم له مكانة في مجتمعه وهذا بدوره يؤدي إلى رفع معنوياته باستمرار؛ عكس الأفراد الذين يشعرون بالغربة في مجتمعاتهم ، وذلك بسلب إرادتهم ، وغلق باب الحرية في طريقهم ، وجعلهم كمًا مهملا رغم إمكاناتهم المادية والمعنوية ؛ وهذا ما يجعل الروح المعنوية لديهم تنهار تدريجيا ، حتى يصبحوا فريسة لكل أساليب الحرب النفسية ..

جـ ـ **تربية الجماهير وتلقيحها** بمصل يحميها من كل الهزات النفسية المعادية ، وذلك بكشف الحقائق ومصارحتهم بكل كبيرة وصغيرة ، حتى لا تترك الفرصةللأعداء ،وفي الوقت نفسه العمل على كشف دعايات الأعداء وأهدافهم ، مع التركيزعلى تربية الرأي العام المسلم كيف يفرق ويميز بين الأخبار الصحيحة ، والدعايات والشائعات المضللة ، وجعله يفهم تناقضاتها من خلال الرجوع إلى مصادرها ، وبالتالي معرفة مَن وراءها ، و إذا لم يتوصل إلى حقيقتها يرجع إلى أهل الإختصاص مصداقا لقوله تعالى :« ...فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون * »[1] .

و سيجد عندهم الجواب الكافي الذي يعرفه بالأعداء التقليديين ـ اليهود والنصارى ـ و الأعداء المحدثين أصحاب الإيديولوجيات الهدامة ، والأفكار المضللة ..

وكل هذا يؤدي بالجماهير المسلمة إلى مستوى رفع التحديات ، و الثقة بالنفس و بمؤسساتها ، وقادتها ـ على جميع الأصعدة ـ و هو ما يؤدي بالفعل إلى جعل الروح المعنوية لدى أفراد الأمة عالية جدًا ..

ب ـ دور الابتلاء في بناء الشخصية القوية :

الابتلاء في الإسلام سنة الأنبياء و المصلحين ، و هو طريق النصر في الدنيا و الآخرة ، لأن طريق الإسلام طريق مملوء بالأشواك و التضحيات ، مملوء بالبأساء و الضراء و الزلزال ، لأنه طريق الحق ، و الحق لايقوم بنفسه ، بل لابد من تضحيات في سبيل تحقيقه ، لذلك فأصحابه يتحملون معاناة عملية تعدهم إعدادا حقيقيا يوفر لهم فوائد لا تحصى منها :

1 ـ **تقوية الجانب الروحي** : المبتلي يتوجه للّه بقلبه و روحه مخلصا في نيته ، طالبا من اللّه في عبادته ، وذكره الرحمة ، و العفو ، و تخفيف البلاء و الصبر عليه ، وهو ما

---

(1) ـ سورة النحل : الآية ٤٣ .

يجعله قويا في الحق صلبا في الدفاع عن عقيدته ، مُطلّقا رغبات الدنيا بجميع أشكالها ... مما يجعل أساليب الأعداء في حربهم النفسية تفشل فشلا ذريعا أمام هذا الإنسان الذي أصبح لا يتزعزع و لا يحيد عن مبادئه و لو مشط بأمشاط الحديد وأحرق بالنار في الأخاديد ، والواقع التاريخي خير دليل في الماضي و الحاضر ..!!!

2 ـ البلاء ـ مادي ومعنوي ـ تكفير للخطايا : إن ما يحل بالجماهير المسلمة من بلايا ، هي اختبار و تكفير للخطايا ، ومراجعة للأخطاء ، يقول اللّه تعالى :

« * و لنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم و الصابرين و نبلو أخباركم * »[1] .

« * لتبلون في أموالكم و أنفسكم و لتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم و من الذين أشركوا أذى كثيرا و إن تصبروا و تتقوا فإن ذلك من عزم الأمور * »[2].

« ... و نبلوكم بالشر والخير فتنة و إلينا ترجعون * »[3] .

فالابتلاء إذن نعمة من اللّه يطهر العبد ، ويصقله ، و يجعله من المجاهدين الصابرين أولي العزم ، وهو طريق الجنة أمنية كل مؤمن ، يقول تعالى :

« * أم حسبتم أن تدخلوا الجنة و لما يعلم الله الذين جاهدوا منكم و يعلم الصابرين * »[4]

يقول ابن جرير الطبري في تفسيره لهذه الآية :« أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ، و تصيبوا من ثوابي الكرامة ، ولم أختبركم بالشدة ، وأبتليكم بالمكاره ،حتى أعلم صدق ذلك منكم الإيمان بي ، والصبر على ما أصابكم فيّ »[5] .

3 ـ الإبتلاءات ترسخ الثقة بين الفرد و خالقه : إن شدة الابتلاءات تجعل المؤمنين يتوجهون مخلصين ، صابرين ، محتسبين لربهم راجين منه الفرج و النصر ، و هي صفات يستجيب اللّه بها لعباده المخلصين بالتثبيت ، والعزيمة ، والإرادة ، ورفع الروح المعنوية ، ونصر اللّه الذي يأتي بالفرج ، و البشرى في الدنيا و الآخرة ، ولنا في رسول اللّه ـ صلعم ـ القدوة الحسنة في غزوة بدر ، وغزوة الأحزاب وغيرهما ...

ومن رحمة اللّه بعباده أنه يبتليهم بقدر قوة عقيدتهم فعن سعد بن أبي وقاص ـ رضي اللّه عنه ـ قال قلت يا رسول اللّه :« أي الناس أشد بلاء قال : الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل يبتلى العبد على حسب دينه فإن كان في دينه صُلباشتد بلاؤه ،وإن كان في دينه رقة ابتلي على حسب دينه فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي على الأرض وما عليه من خطيئة »[6] .

5 ـ الابتلاء بالحرب النفسية تطهير للصف المسلم : من المعلوم أن وقت السلم والاستقرار والرخاء والسعادة ، يكثر المتطفلون والوصوليون ، والمنافقون ... لذلك فالشدة والمحن ، ووقت البأس والجد تفرز الصفوف ، ويظهر الخونة والمدسوسون سواء على الصعيد المدني أو الصعيد العسكري ، وبالتالي فالابتلاءات والمصائب عن طريق شن الحملات الدعائية والتضليلية ، التي تشن من حين لآخر من قبل أهل

(1) ـ سورة محمد : الآية ٣١ .

(2) ـ سورة آل عمران : الآية ١٨٦ .

(3) ـ سورة الأنبياء : الآية ٣٥ .

(4) ـ سورة آل عمران : الآية ١٤٢ .

(5) ـ ابن جرير الطبري : تفسير الطبري ج 4.(مصدر سابق) ص108.

(6) ـ ابن ماجة : سنن ابن ماجة ج 2، بيروت : دار الفكر ـ ط 2. ص490.

الباطل ما هي إلا سنن إيجابية للأمة لتنقية صفها من الخائنين والأتباع ، ولنا في غزوة أحد وغزوة تبوك النموذج الحي لتصفية صف المسلمين من المنافقين والمرجفين والمتخلفين ... وصدق الله العظيم إذ يقول :

« * ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب ... »[1] .

6 ـ الابتلاءات تقوي الصف وتعمق المحبة والأخوة : الابتلاء والمحن عن طريق الحرب النفسية المعادية ، تكون سببا لتقوية صف المسلمين ورصه ، وتعمق روح المحبة والأخوة وتقضي على أسباب الخلاف والفرقة والتشتت ، وتؤدي إلى مراجعة النفس وتطهيرها من الأمراض النفسية الخطيرة التي تصيب المسلمين من حين لآخر وخاصة في وقت الرخاء الاقتصادي ، والغلبة و النصر ...

فالابتلاءات إذن مراجعة للنفوس المريضة ، مما يجعلها ترجع إلى الصفوف لأنها تعرف بأنها مستهدفة مثلها مثل بقية أفراد الأمة يضرها ما يضرهم ، وينفعها ما ينفعهم ، فالمصير واحد والهدف واحد ، والعدو واحد ، مما يجعلهم يفكرون في بعضهم البعض ، وكأنهم جسد واحد مصداقا لقول الرسول ـ صلعم ـ :« مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى » . البخاري ومسلم .

وبهذا يكوّنون جدارا صلبا يصعب على الأعداء اختراقه عن طريق أساليب الحرب النفسية سواء على الصعيد المدني أو الصعيد العسكري ، لأن المؤمنين بعضهم من بعض لا فرق بين مدنيهم وعسكريهم ، فكل واحد منهم على ثغر من ثغور الإسلام ، يعملون ويسهرون ، ويشدون بعضهم بعضا ، حتى لا تضعف أية لبنة في البناء،مطبقين قول نبيهم ـ صلعم ـ :« المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا » . رواه البخاري ومسلم .

7 ـ ابتلاءات المسلمين تحطيم لمعنويات الأعداء : لقد عرفنا في النقاط السابقة أن الابتلاءات ـ بجميع أشكالها ـ تربية للجماهير المسلمة ، وقادتها ـ على جميع الأصعدة ـ لأنها تخرج من هذا الاختيار الرباني بعقيدة قوية ، وإيمان متين ، ومعنويات عالية ـ على جميع الأصعدة ـ وذلك من خلال تنقية صفوفها ، وجمع كلمتها ، وتعميق روح المحبة والأخوة بينها .. وهذا له تأثير عميق على نفسية الأعداء لأن أساليبهم التي تفننوا فيها قد تكسرت ـ ماديا ومعنويا ـ ، مما يجعلهم ينهارون معنويا ، ويخسرون ماديا ... وهذا ما حدث فعلا في الحرب النفسية في عصر النبوة على جميع الأصعدة ، وخاصة في غزوة الأحزاب ، وما زال يحدث مع المسلمين إلى يومنا هذا ـ رغم ضعف المسلمين ـ فدائما يخرجون منتصرين بثباتهم على الحق والدفاع عنه ، وسيواصلون مسيرتهم لتبديد الظلام مهما اشتدت أساليب الحرب النفسية ، فالله وعدهم بنصره وإتمام نوره على البشرية جمعاء حيث قال :

« .... ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز * »[2] .

« * يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون * »[3] .

---

(1) ـ سورة آل عمران : الآية ١٧٩ .

(2) ـ سورة الحج : الآية ٤٠ .

(3) ـ سورة الصف : الآية ٨ .

هذه بعض النتائج العامة التي ظهرت لي من خلال هذه الدراسة المتواضعة التي حاولت من خلالها تقديم كل ما في وسعي - حسب مقدرتي - بأمانة وإخلاص وحسبي أنني بذلت جهدا - رغم العراقيل والصعوبات - فإن أصبت في تبيان جانب من الحق ، فذلك توفيق من اللّه وفضله ، وإن أخطأت أو قصرت ، فذلك من طبيعة البشر الذي لا يبلغ مرتبة الكمال ، ولذلك فعزائي الوحيد أن الكمال للّه وحده ، وفوق كل ذي علم عليم ، وأن الفضل بيد اللّه يؤتيه من يشاء ... !!

« * وما أبرئ نفسي إن النفس لأمارة بالسوء إلا ما رحم ربي إن ربي غفور رحيم * »[1]

« ... ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو اخطأنا ... »[2] .

*****

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

---

(1) - سورة يوسف : الآية ٥٣ .

(2) - سورة البقرة : الآية ٢٨٦ .

فهرس المصادر والمراجع

مرتب على الحروف الأبجدية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

قائمة المصادر والمراجع

أولا : المصادر :

أ ـ القرآن الكريم برواية ورش عن نافع ، الجزائر : المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية ـ وحدة الرغاية ـ (1984م) .

ب ـ كتب التفسير :

1. أبو جعفر محمد بن جرير الطبري :

تفسير جامع البيان عن تأويل أي القرآن ، بيروت : دار الفكر . (1405هـ ـ 1984م) .

2. أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي :

الجامع لأحكام القرآن ، بيروت : دار إحياء التراث العربي . (1965م) .

3. أبو الفداء اسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي :

تفسير ابن كثير ، اختصار وتحقيق محمد علي الصابوني بيروت : دار القلم ـ ط 7.(1402هـ ـ 1981م) .

4. سيد قطب :

في ظلال القرآن،القاهرة:دار الشروق ـ ط10.(1402هـ ـ1982م) .

5. فخر الدين الرازي :

التفسير الكبير، بيروت:دار إحياء التراث العربي .(بدون تاريخ) .

6. محمد علي الصابوني :

صفوة التفاسير،بيروت :دار القرآن الكريم ـ ط 4. (1402هـ ـ 1982م) .

7. محمد المكي الناصري :

التيسير في أحكام التفسير ، بيروت : دار الغرب الإسلامي ـ ط 1. (1405هـ ـ 1985م) .

8. محمود بن عمر الزمخشري :

تفسير الكشاف ، بيروت : دار المعرفة .(بدون تاريخ) .

جـ ـ كتب الحديث :

9. أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري :

صحيح مسلم بشرح النووي ، بيروت : دار إحياء التراث العربي. ط2.(1392هـ ـ 1972م) .

10. أبو زكريا يحي بن شرف النووي :

منهل الواردين ، شرح رياض الصالحين ، تحقيق وشرح د.صبحي الصالح ، بيروت: دار العلم للملايين ـ ط6.(1978م) .

11. أبو السعادات مبارك بن محمد بن الأثير الجزري :

جامع الأصول من أحاديث الرسول ، تحقيق حامد الفقي ، بيروت: دار إحياء التراث العربي ـ ط3.(1403هـ ـ 1983م) .

12. أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري :

صحيح البخاري ، دار الفكر .(1401هـ ـ 1981م) .

13. أبو عبدالله محمد بن يزيد القزويني بن ماجة :

سنن ابن ماجة ، بيروت : دار الفكر ـ ط2.(بدون تاريخ) .

14. أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي :

الجامع الصحيح لسنن الترمذي ، بيروت : دار الكتاب العربي. ط3.(1404هـ ـ 1984م) .

15. أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني :

فتح الباري لشرح البخاري ، بيروت :
دار إحياء التراث العربي ـ ط3.(1405هـ ـ1985م) .

16. أبو محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوي :

شرح السنة ، تحقيق زهير الشاويش وشعيب الأرناؤوط . بيروت :المكتب الإسلامي ـ ط2.(1403هـ ـ 1983م) .

17. عز الدين بليق :

منهاج الصالحين ، بيروت : دار الفتح للطباعة والنشر ـ ط3. (1404هـ ـ 1984م) .

18. علي بن أبي بكر الهيثمي :

مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ، بيروت : دار الكتاب العربي ـ ط3. (1402هـ ـ 1982م) .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

د ـ كتب السيرة والتاريخ :

19. ابن الجوزي :

صفوة الصفوة ، بيروت : دار المعرفة ـ ط4.(1406هـ ـ 1986م) .

20. أبو الحسن علي بن الأثير الجزري :

الكامل في التاريخ ، بيروت : دار بيروت للطباعة والنشر . (1385هـ ـ 1965م) .

21. أبو جعفر محمد بن جرير الطبري :

تاريخ الطبري ، مصر : دار المعارف ـ ط2 .(بدون تاريخ) .

22. أبو عبد الله بن القيم الجوزي :

زاد المعاد في هدي خير العباد ، بيروت : دار الكتاب العربي . (بدون تاريخ) .

23. أبو الفداء اسماعيل بن كثير :

السيرة النبوية ، تحقيق مصطفى عبد الواحد ، بيروت : دار إحياء التراث العربي .(بدون تاريخ) .

24. أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني :

الإصابة في تمييز الصحابة ، بيروت : دار الكتاب العربي . (بدون تاريخ) .

25. أبو محمد عبد المالك بن هشام :

السيرة النبوية ، تحقيق مصطفى السقا ، وإبراهيم الأنباري وعبد الحفيظ شلبي ، بيروت : دار إحياء التراث العربي . (بدون تاريخ) .

26. جلال الدين السيوطي :

الخصائص الكبرى، بيروت : دار الكتب العلمية .(بدون تاريخ) .

27. د.عائشة عبد الرحمن :

تراجم سيدات بيت النبوة ، بيروت : دار الكتاب العربي . (1404هـ ـ 1984م) .

28 . القرطبي المالكي :

الاستيعاب في أسماء الأصحاب ، بيروت : دار الكتاب العربي . (بدون تاريخ) .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

1 ـ الكتب :

29 ـ أ.أكرم.الجنرال :

سيف الله خالد بن الوليد ، ترجمة: العميد الركن صبحي الجابي
بيروت : مؤسسة الرسالة .(1399هـ ـ 1979م) .

30 ـ ابن حزم الأندلسي :

جوامع السير ، الجزائر : دار الشهاب ـ ط4.(1407هـ ـ 1987م) .

31 ـ د.إبراهيم إمام :

الإعلام والاتصال بالجماهير ، القاهرة : مكتبة الأنجلو المصرية
ط3.(1984م) .

32 ـ أبو بكر جابر الجزائري :

هذا الحبيب محمد ـ صلعم ـ ، جدة : دار الشروق ـ ط3.
(1406هـ ـ 1986م) .

33 ـ أبو الحسن الندوي :

السيرة النبوية ، بيروت : منشورات المكتبة العصرية .
(1401هـ ـ 1981م) .

34 ـ الإتحاد العالمي للمنظمات الطلابية :

بروتوكولات حكماء صهيون ، دار القرآن الكريم ـ ط1.
(1403هـ ـ 1983م) .

35 ـ أتيين دينيه :

محمد رسول الله ، ترجمة: د.عبد الحليم محمود (شيخ الأزهر)
ود.محمد عبد الحليم ، بيروت : دار الكتاب اللبناني ـ ط1.
(1979م) .

36 ـ د.أحمد بدر :

الرأي العام ـ طبيعته وتكوينه وقياسه ، ودوره في السياسة .
الكويت : وكالة المطبوعات ـ ط3.(1982م) .

37 ـ د.أحمد حمد :

الجانب السياسي في حياة الرسول ـ صلعم ـ الكويت : دار القلم .
ط1.(1402هـ ـ 1982م) .

38 ـ أحمد محمد عساف :

خلاصة الأثر في سيرة سيد البشر ، بيروت : دار إحياء العلوم .
ط1.(1398هـ ـ 1978م) .

39 ـ أحمد المخزنجي :

العدل والتسامح الإسلامي ، إدارة الصحافة والنشر برابطة
العالم الإسلامي .(1407هـ ـ 1987م) .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

40. د.أحمد نصيب المحاميد :

من وحي المنبر ، دمشق : دار الفكر- ط1.(1981م) .

41. أحمد نوفل :

أ - الإشاعة ، الأردن : دار الفرقان - ط1.(1403هـ - 1983م) .

ب - الحرب النفسية - الكتاب الأول - الجزائر : دار الشهاب . وحدة الرغاية .(1987م) .

جـ - الحرب النفسية - الكتاب الثاني - الجزائر : دار الشهاب . وحدة الرغاية .(1987م) .

د - الحرب النفسية - الكتاب الثالث - الجزائر : دار الشهاب . وحدة الرغاية .(1988م).

42. أنور الجندي :

دراسات إسلاميةمعاصرة ، بيروت : منشورات المكتبة العصرية. ط1.(1402هـ - 1982م) .

43. جلال الدين السيوطي

لباب النقول في أسباب النزول ، تونس : الدار التونسية للنشر ط2 ، (1404هـ - 1984م) .

44. جمال ماضي

أ - الغزوات في ظلال القرآن - غزوة أحد - مكتبة رحاب - ط2. (1408هـ -1988م) .

ب - الغزوات في ظلال القرآن - غزوة بدر - مكتبة رحاب - ط2. (1408هـ - 1988م) .

جـ - الغزوات في ظلال القرآن - غزوات مع اليهود - مكتبة رحاب. ط2 . (1408هـ - 1988م) .

45. جولدون البورت ، وليوبوستمان

سيكولوجية الإشاعة ، ترجمة : د. صلاح مخيمر ، ومراجعة اللواء سيد عبد الحميد مرسي ، إدارة الشؤون العامة والتوجيه المعنوي - (يناير 1965م).

46. د.حامد عبد السلام زهران

علم النفس الاجتماعي ، القاهرة : عالم الكتب - ط5.(1984م) .

47. حامد محمود بن محمد بن منصور ليمود

منتقى النقول في سيرة أعظم رسول ، مكة المكرمة : منشورات رابطة العالم الإسلامي - ط1 . (1402هـ - 1982م) .

48. حسن أيوب

السلوك الاجتماعي في الإسلام ، بيروت : دار الندوة الجديدة . ط4 ، (1403هـ - 1983م) .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

49.حسن كامل الملطاوي

رسول اللّه في القرآن الكريم، مصر : دار المعارف ـ ط2.
(بدون تاريخ) .

50.خالد محمد خالد

عشرة أيام في حياة الرسول ، بيروت: دار العلم للملايين ـ ط4.
(فبراير1979).

51.زهير الأعرجي

الرأي العام الإسلامي وقوى التحريك ، بيروت: دار التعارف للمطبوعات .(1397هـ ـ 1977م) .

52.سعيد حوى

أ ـ الإسلام ، بيروت : دار الكتب العلمية ـ ط3.(1981م) .
ب ـ الرسول ـ صلعم ـ بيروت : دار الكتب العلمية ـ ط4.
(1399هـ ـ 1979م) .

53.سميح عاطف الزين

خاتم النبيين محمد ـ صلعم ـ بيروت : دار الفكر ـ ط5.
(1394هـ ـ1974م).

54.سيد أمير علي

روح الإسلام ، تعريب عمر الديراوي، بيروت : دار العلم للملايين.
ط3.(1975م) .

55.سيد قطب

التصوير الفني في القرآن ، بيروت : دار الشروق ـ ط7.
(1402هـ ـ 1982م) .

56.د.سيف الإسلام علي مطر

التغيير الاجتماعي ، السعودية: دار الوفاء ـ ط1.
(1406هـ ـ 1986م) .

57.شوقي أبو خليل

عوامل النصر والهزيمة عبرتاريخنا الإسلامي، دمشق: دارالفكر.
ط1.(1399هـ ـ 1979م) .

58.صفي الرحمن المباركفوري

الرحيق المختوم ، الجزائر: شركة الشهاب للنشر والتوزيع .
طبع وحدة الرغاية .(1408هـ ـ 1987م) .

59.د.طه جابر العلواني

إصلاح الفكر الإسلامي ، الجزائر: دار الهدى للطباعة والنشر
والتوزيع .(بدون تاريخ) .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

60.د.طه حسين

الوعد الحق ، مصر : دار المعارف ـ ط28.(بدون تاريخ) .

61.عبد الله التل

خطر اليهودية العالمية على الإسلام والمسيحية ، بيروت : المكتب الإسلامي ـ ط3. (1399هـ ـ 1979م) .

62.عبد الله علوان

الأخوة الإسلامية ، الأردن : مكتبةالمنار ـ ط1.(1401هـ ـ 1981م).

63.د.عبد الحليم حنفي

أسلوب السخرية في القرآن الكريم ، الهيئة المصرية العامة للكتاب .(1987م) .

64.د.عبد الحليم محمود(شيخ الأزهر)

الرسول ـ صلعم ـ بيروت: دار الكتاب اللبناني ـ ط2.(1980).

65.د.عبد الحميد أحمد أبو سليمان

أزمة العقل المسلم ، الجزائر : عين مليلة ، دار الهدى ـ ط2. (1413هـ ـ 1992م) .

66.د.عبد الحميد محمد الهاشمي

أ ـ لمحات نفسية في القرآن الكريم ، الجزائر: مكتبة رحاب . (بدون تاريخ) .

ب ـ المرشد في علم النفس الاجتماعي ، الجزائر : ديوان المطبوعات الجامعية ـ ط1 . (1404هـ ـ 1984م) .

67.عبد الرحمن خليل إبراهيم

دور الشعر في معركة الدعوة ـ أيام الرسول ـ صلعم ـ الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع (1971م) .

68.د.عبد الرحمن محمد عيسوي

دراسات في علم النفس الاجتماعي،بيروت:دار النهضة .(1974م).

69.د.عبد العزيز شرف، ود.عبد المنعم خفاجي، وأمينة الصاوي

السيرة النبوية والإعلام الإسلامي ، مصر: دار مصر للطباعة. (بدون تاريخ).

70.د.عبد العزيز كامل

دروس من غزوة أحد ، القاهرة : دار المعارف ـ ط3. (1399هـ ـ 1979م) .

71.د.عبد الصبور مرزوق

السيرة النبوية في القرآن الكريم ، الجزائر: المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية ـ وحدة الرغاية ـ (1987م) .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

72. د.عبد الفتاح الخالدي

الشخصية اليهودية من خلال القرآن الكريم ، الجزائر : شركة الشهاب للنشر والتوزيع ـ ط1. (1407هـ ـ 1987م) .

73. د.عبد اللطيف حمزة

الإعلام والدعاية ، دار الكتاب العربي . (1404هـ ـ 1984م) .

74. د.عبد الوهاب كحيل

أ ـ الأسس العلمية والتطبيقية للإعلام الإسلامي ، بيروت : عالم الكتب ـ ط1.(1406هـ ـ 1986م) .

ب ـ الحرب النفسية في عهد الرسول ـ صلعم ـ في مكة ، بيروت : عالم الكتب .(1406هـ ـ 1986م) .

75. عفيف عبد الفتاح طبارة

روح الصلاةفي الإسلام،بيروت :دارالعلم للملايين ـ ط15.(1983).

76. علي بن جابر الحربي

منهج الدعوة النبوية في المرحلة المكية ، القاهرة : الزهراء للإعلام العربي ـ ط1 . (1406هـ ـ 1986م) .

77. علي رضوان أحمد الأسطل

الوفودفي العهدالمكي وأثرهاالإعلامي، الأردن:مكتبة المنار ـ ط1. (1404هـ ـ 1984م) .

78. د.علي سامي النشار

شهداء الإسلام في عصر النبوة ، مصر: دار المعارف ـ ط2. (بدون تاريخ) .

79. د.علي محمد جماز

دراسات في السيرة النبوية ، الكويت: دار القلم ـ ط1. (1402هـ ـ 1982م) .

80. د.عماد الدين خليل

أ ـ تهافت العلمانية ، بيروت : مؤسسة الرسالة . (1403هـ ـ 1983م) .

ب ـ دراسةفي السيرة،بيروت:مؤسسةالرسالة ـ دار النفائس ـ ط9 (1406هـ ـ 1985م) .

81. د.عمارة نجيب

الإعلام في ضوء الإسلام ، الرياض : مكتبة المعارف ـ ط1. (1400هـ ـ 1980م) .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

82. عمر عبيد حسنة

أ ـ مراجعات في الفكر والدعوة والحركة ، الجزائر : دار الهدى . (بدون تاريخ).

ب ـ نظرات في مسيرة العمل الإسلامي ، الجزائر: دار الشهاب . (بدون تاريخ) .

83. فؤاد بن السيدعبد الرحمن الرفاعي

النفوذ اليهودي في الأجهزةالاعلامية والمؤسسات العلمية ،الجزائر:دار الشهاب . (بدون تاريخ) .

84. فتحي يكن

أ ـ إحذروا الإيدز الحركي ، الجزائر:دار الوفاء ـ ط2 (1991م) .

ب ـ حركات و مذاهب في ميزان الإسلام ،الجزائر:شركة الشهاب (بدون تاريخ) .

85. لجنة التأليف في دار النشر

الشخصية الإسلامية ، إيران : دار التوحيد ـ ط1. (1402هـ ـ 1982م) .

86. د.ليلى حسن سعد الدين

أديان مقارنة ، الأردن : دار الفكر للنشر والتوزيع .(1985م).

87. مالك بن نبي

الصراع الفكري في البلاد المستعمرة ، دمشق: دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر . (1406هـ ـ 1986م) .

88. محمد إبراهيم نصر

الإعلام وأثره في نشر القيم الإسلامية وحمايتها ، الرياض : دار اللواء للنشر والتوزيع ـ ط1. (1398هـ ـ 1978م) .

89. محمد أحمد باشميل

غزوة الأحزاب ، بيروت : دار الفكر . (بدون تاريخ) .

90. محمد أمين المصري

المسؤولية ، الكويت : دار الأرقم ـ ط3. (1403هـ ـ 1983م) .

91. محمد بن سعيد القحطاني

الولاءوالبراء في الإسلام ، الرياض :دارطيبة ـ ط1.(بدون تاريخ).

92. محمد حسين فضل الله

الحوار في القرآن ، بيروت : المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ـ ط3 . (1405هـ ـ 1985م) .

93. محمد حسين هيكل

حياة محمد ، القاهرة : مكتبة النهضة المصرية ـ ط5 .(1986م).

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

94.د.محمد سعيد رمضان البوطي

فقه السيرة ، دار الفكر ـ ط8 . (1400هـ ـ 1980م) .

95.د.محمد سيد محمد

المسؤولية الإعلامية في الإسلام ، الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب ـ ط2 . (1986م) .

96.محمد شديد

منهج القرآن في التربية ، بيروت : مؤسسة الرسالة . (1399هـ ـ 1979م) .

97.د.محمد عبد القادر أبو فارس

أ ـ الابتلاء والمحن في الدعوات ، الجزائر : دار الشهاب ـ ط2. (1408هـ ـ 1988م) .

ب ـ أسس التصور الإسلامي ، الجزائر : دار الشهاب ـ ط4. (1407هـ ـ 1987م) .

98.محمد عبده

دروس من القرآن ، بيروت : دار إحياء العلوم ـ ط4. (1407هـ ـ 1987م) .

99.د.محمد عثمان نجاتي

القرآن وعلم النفس ، القاهرة : دار الشروق ـ ط3 . (1408هـ ـ 1987م) .

100.محمد عيتاني

النضال المسلح في الإسلام ، بيروت: دار العودة .(1ـ8ـ1973م).

101.محمد الغزالي

أ ـ الغزو الثقافي يمتد في فراغنا ، الجزائر(القبة) : دار الكتب . (بدون تاريخ) .

ب ـ فقه السيرة ، بيروت : مؤسسة عالم المعرفة ـ ط7.(1976م).

102.محمد فرج

شخصيات عسكرية إسلامية ، دار الفكر العربي . (بدون تاريخ).

103.د.محمد فريد محمود عزت

بحوث في الإعلام الإسلامي ، جدة : دار الشروق ـ ط1. (1403هـ ـ 1983م).

104.محمد فوزي عبد الحميد

نحو اتصال دولي جديد ـ الإعلام الدولي والدعاية الدولية ـ جدة : مكتبة السوادي للتوزيع .(بدون تاريخ) .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

105.محمد قطب

أ ـ في النفس والمجتمع ، بيروت : دار الشروق ـ ط7.
(1403هـ ـ 1983م) .

ب ـ مذاهب فكرية معاصرة ، القاهرة : دار الشروق ـ ط3 .
(1408هـ ـ 1988م).

جـ ـ معركة التقاليد ، القاهرة دارالشروق .(1402هـ ـ 1982م) .

د ـ منهج التربية الإسلامية ج1، القاهرة : دار الشروق ـ ط10.
(1407هـ ـ 1987م) .

106.د.محمد كمال الدين إمام

النظرة الإسلامية للإعلام ، الكويت : دار البحوث العلمية ـ ط2.
(1403هـ ـ 1983م) .

107.د.محمد مصطفى زيدان

علم النفس الاجتماعي ، الجزائر : ديوان المطبوعات الجامعية .
(بدون تاريخ) .

108.محمد موفق الغلاييني

وسائل الإعلام وأثرها في وحدة الأمة ، جدة : دار المنارة ـ ط1 .
(1405هـ ـ 1985م) .

109.د.محمد نعيم ياسين

الخائفون من الإسلام . لماذا؟، الجزائر (المدية) :دارالوفاء ـ ط3.
(1990 م) .

110.محمود شاكر

التاريخ الإسلامي ـ السيرة ـ بيروت : المكتب الإسلامي ـ ط1.
(1399هـ ـ 1979م) .

111.محمود شلتوت

من توجيهات الإسلام ، القاهرة : دار الشروق ـ ط7.
(1400هـ ـ 1980م) .

112.د.محمود محمد سفر

الإعلام موقف ، جدة : الكتاب العربي السعودي ـ تهامة ـ ط1.
(1402هـ ـ 1982م) .

113.محمود شيت خطاب

أ ـ الرسول القائد، بيروت : دارالفكر ـ ط5 .(1394هـ ـ 1974م) .

ب ـ العسكرية العربية الإسلامية ، بيروت:مؤسسةالرسالة ـ ط2.
(1405هـ ـ 1985م) .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

114. محي الدين مختار

محاضرات في علم النفس الاجتماعي ، الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية . (بدون تاريخ) .

115. د.مختار حمزة

أسس علم النفس الاجتماعي ، جدة : دار المجمع العلمي ـ ط1. (1399هـ ـ 1977م) .

116. مروان كجك

الأسرة المسلمة أمام الفيديو والتلفزيون ، الرياض : دار طيبة للنشر والتوزيع ـ ط2. (1408هـ ـ 1988م) .

117. د.مصطفى الدباغ

الحرب النفسية الإسرائيلية ، الجزائر : دار الشهاب للنشر والتوزيع . (بدون تاريخ) .

118. د.مصطفى السباعي

السيرة النبوية ـ دروس وعبر ـ ، بيروت:المكتب الإسلامي ـ ط9 . (1406هـ ـ 1986م) .

119. مصطفى صادق الرافعي

وحي القلم ، بيروت : دار الكتاب العربي . (بدون تاريخ) .

120. مصطفى مشهور

زاد على الطريق . (بدون ناشر) .

121. منير محمد الغضبان

المنهج الحركي في السيرة النبوية ، الجزائر : شركة الشهاب . (بدون تاريخ) .

122. موسى زيد الكيلاني

الإعلام السياسي والإسلامي ، بيروت : مؤسسة الرسالة . (1405هـ ـ 1985م) .

123. مولانا محمد علي

حياة محمد ورسالته ، ترجمة منير البعلبكي ، بيروت : دار العلم للملايين ـ ط4 . (1979م) .

124. فهمي قطب الدين النجار

الإعلام والبيت المسلم ، الكويت : شركة الشعاع للنشر ـ ط1 . (1405هـ ـ 1985م) .

125. نذير حمدان

في الغزو الفكري ، السعودية (الطائف) : مكتبة الصديق . (بدون تاريخ) .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

126. يوسف العظم

رحلة الضياع للإعلام العربي المعاصر ، السعودية : الدار السعودية للنشر والتوزيع ـ ط2 . (1401هـ ـ 1981م) .

127. د.يوسف القرضاوي

أ ـ الإسلام والعلمانية وجها لوجه ، الجزائر : مطبعة أمزيان ـ ط2 (1409هـ ـ 1989م) .

ب ـ الحل الإسلامي فريضة وضرورة ، الجزائر : مكتبة رحاب ـ وحدة الرغاية ـ ط13. (1408هـ ـ 1988م) .

جـ ـ الحلول المستوردة وكيف جنت على أمتنا ؟ ، بيروت : مؤسسة الرسالة ـ ط9 . (1403هـ ـ 1983م) .

128. يغال آلون

إنشاء وتكوين الجيش الإسرائيلي ، ترجمة عثمان سعيد ، بيروت : دار العودة ـ ط1. (1971م) .

ب ـ الدوريات :

129. الأمة (مجلة) ، قطر:العدد 50 ، السنة الخامسة . (نوفمبر 1984).

130. الأمة (مجلة) ، قطر : العدد 57 ، السنة الخامسة . (ماي 1985).

131. الجيش (مجلة) ، الجزائر: العدد 276، السنة 23. (ماي 1987) .

132. الجيش (مجلة) ، الجزائر: العدد 278، السنة 23. (جويلية 1987).

133. الجيش(مجلة) ، الجزائر: العدد 293، السنة 25. (أكتوبر 1988).

134. منار الإسلام (مجلة) ، الإمارات العربية : العدد 4 ، السنة 10. (يناير1985) .

135 . الوعي الإسلامي (مجلة) ، الكويت : العدد 249 .(ماي1985).

*****

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فهرس

الآيات القرآنية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

السورة	الآية	الصفحة	الآية	الصفحة
البقرة	٦٦	319	٨٥	311 ، 223
	٨٨	118	٩٧	116
	٩٩	126	١٠٠	116
	١٠٢	114	١٠٨	116
	١١٣	114	١١٨	117
	١٤٢	122	١٤٤	122
	١٩٠	256 ، 255	١٨٤	323
	٢٠٧	100	٢١٤	296
	٢١٧	321، 281	٢٤٩	264
	٢٥١	255 ، 4	٢٥٥	296
	٢٥٦	323	٢٦١	267
	٢٨٥	131 ، ث	٢٨٦	328
آل عمران	١٢	130	١٣	130
	٢٣	115	٢٤	115
	٧١	128 ، 119	٧٢	128 ، 112
	٧٣	128	٧٥	128
	٧٨	127	٧٩	127
	٩٩	123	١٠٠	123
	١٠٣	273 ، 270	١٠٤	263 ، 260 ، 206
	١٠٥	174	١١٠	315، 285 ، 269 ، 254
	١١٣	118	١١٨	302،281،138 ،131 ،129
	١١٩	129 ، 137	١٢٠	129
	١٢٢	218	١٤٢	326
	١٤٥	263	١٥٢	220
	١٥٣	220 ، 206	١٦٠	264
	١٦٧	218	١٦٩	258
	١٧٣	288 ، 264 ، 259	١٧٤	288
	١٧٩	327	١٨٦	326 ، 321

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

النساء	٣٢	271	٣٧	125
	٤٤	127	٤٥	127
	٤٦	127	٥١	120
	٥٢	247	٥٨	275
	٥٩	263	٦٠	145
	٦١	145	٧١	296
	٧٨	263 ، 260	٨٣	309 ، 303
	٩٠	256	١٠٢	296
المائدة	٢	271	٨	275
	١٨	115	٤٩	121
	٥٠	121	٥٤	295
	٦٦	319	٧٨	134 ، 125
	٧٩	134	٨٢	137
الأنعام	٣	83	٥	65
	٧	70	٣٣	67 ، 65
	٣٦	82	٣٧	82
	٥٠	82	٥٧	82
	٥٨	82	١٠٢	272
	١٠٩	82	١٢٤	82
	١٥٢	275	١٥٣	295
	١٥٩	274		
الأعراف	٣٤	262	١٧٥	322
	١٧٦	322	١٨٤	69
	١٨٧	117		
الأنفال	٧	182 ،178	٨	182
	٩	178	٢٥	316
	٣٠	156،101،89	٣١	93
	٣٦	211	٣٩	257
	٦٠	323،281،265،262	٦٥	184،177
	٦٦	184		
التوبة	١٨	314	٢٣	137
	٣٢	137	٤١	266
	٥١	260	٥٨	142
	٦١	142	٨١	270
	١٠٧	147	١٠٨	147
	١١١	266 ،256	١١٩	307

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

يونس	٢	69	٣٨	94،66
هود	٧	93	١٣	94،66
	١٥	81	١٦	81
	٣٥	67	١٢١	99
	١٢٢	99	١٢٣	99
يوسف	١٨	154	٥٣	328
	١٠٨	310		
الرعد	١١	307 ، 294		
ابراهيم	٤٢	276		
الحجر	٦	68 ، 94	٩٤	65
	٩٥	65		
النحل	٤٣	325	٥١	300
	٦١	262	١٠٣	93 ، 67
	١٠٤	93	١٠٥	309 ، 93
	١٠٦	98	١١٢	286
	١١٦	309	١٢٥	310
	١٢٦	323،209		
الإسراء	٤٧	69	٧٤	93
	٨١	260،254،134،103	٨٨	126
	٩٠	81	٩١	81
	٩٢	81	٩٣	81
الكهف	٥٩	276		
مريم	٧٧	100		
طه	١٢٤	285	١٢٥	285
	١٢٦	285		
الأنبياء	٥	68،66	٣٥	326
	٣٦	65	٩٦	269
	٩٨	91	٩٩	91
	١٠٠	91	١٠١	91
	١٠٢	91	١٠٥	277
الحج	٢٧	269	٣٩	255،101
	٤٠	327،268،264،101	٧٨	266
	٨١	276		
المومنون	٥٢	273	٧٠	68

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

النور	٤	157	١١	160،154
	١٤	159	١٥	159،157
	١٦	159،157	١٧	159
	١٩	134	٢٢	155
	٤٧	145	٤٨	145
	٤٩	145	٥٠	145
	٥٥	311،272	٦٢	231
	٦٣	231		
الفرقان	٤	66	٥	90
	٦	90	٧	82
	٨	82	٩	82
	٤٣	322،287،93	٤٤	322،287،93
الشعراء	٢١٤	63		
النحل	٥٢	276		
القصص	٥	187		
الروم	٣١	274	٣٢	274
	٤٧	273،261		
لقمان	٦	99		
السجدة	٣	67		
الأحزاب	٥	161	٩	241
	١٠	248،236	١١	248،236
	١٢	236،232،142	١٣	236
	٢٣	232،103	٢٥	248،246،241
	٢٦	323	٣٦	160
	٣٧	161	٣٨	161
سبأ	٤٣	70	٤٦	69
فاطر	٤٣	254،89	٤٤	89
يس	١	89	٢	89
	٣	89	٤	89
	٥	89	٦	89
	٧	89	٨	89
	٢٩	68		
الصافات	١٤	70	١٥	70
	٣٦	68		
ص	١	75	٢	75
	٣	75	٤	69،66،75
	٥	75	٦	75

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فصلت	١	74	٣٦	84
الزخرف	٣٠	70		
الدخان	١٤	68	٤٣	92
	٤٤	92	٤٥	92
	٤٦	92	٤٧	92
	٤٨	92	٤٩	92
	٥٠	92		
الأحقاف	٨	94		
محمد	٧	273،268،264،261،232	٨	232
	٢١	307	٣١	262،287
	٣٨	292		
الفتح	٢٨	103	٢٩	295،275
الحجرات	٩	257	١٠	270
	١٣	258		
الذاريات	٥٥	302	٥٦	269
	٥٧	269	٥٨	259
الطور	٣٠	94،89،68	٣١	89
	٣٣	94		
النجم	١٩	93	٢٠	93
القمر	٢	70	٤٥	185
	٤٦	185		
الرحمن	١	293	٢	293
	٣	293	٤	293
الحديد	١٦	312		
المجادلة	١٤	143		
الحشر	٢	323	١١	144
	١٢	144	١٣	296
الصف	٢	312	٣	312
	٤	302،276	٨	327،84
	١٠	266	١١	266
المنافقون	٤	143	٨	149
التغابن	١٦	263		
الطلاق	٢	158	٣	153
الملك	٢٣	299		

جامعة الإمام عبد الرحمن للعلوم الإسلامية

القلم	١	213.69	٢	69
	٤	152	٩	75
	٥١	69		
الحاقة	٣٨	68	٣٩	68
	٤٠	68	٤١	68
	٤٢	68		
المدثر	١٨	94	١٩	94
	٢٠	94	٢١	94
	٢٢	94	٢٣	94
	٢٤	94	٢٥	94
التكوير	٢٢	69		
المطففين	١٣	91		
الشمس	٧	4	٨	4
	٩	4	١٠	4
الضحى	١	83	٢	83
العلق	١	292	٢	292
	٣	292	٤	292
	٥	292	١٧	85
	١٨	85		
الهمزة	١	66	٢	66
	٣	66	٤	66
	٥	66	٦	66
	٧	66	٨	66
	٩	66		
الكافرون	١	75		
الإخلاص	١	117	٢	117
	٣	117	٤	117

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فهرس

الموضوعات

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المقدمة أ - س

الباب الأول : الحرب النفسية
الفصل الأول : مفهوم الحرب النفسية
تمهيد 4
أولا : مفهوم الحرب النفسية 4 - 6
ثانيا : نبذة تاريخية عن الحرب النفسية 6 - 8
ثالثا : تعريفات الحرب النفسية 8 - 14
رابعا : مصطلحات الحرب النفسية 14
الفصل الثاني : أهداف الحرب النفسية
أولا : الأهداف العامة للحرب النفسية (تعريفات) 17 - 18
ثانيا : جبهة العدو 18 - 21
ثالثا : جبهة الأصدقاء 21 - 22
رابعا : جبهة المحايدين 22 - 22
خامسا : الجبهة الداخلية 22 - 25
الفصل الثالث : أسلحة الحرب النفسية
أولا : الدعاية 28 - 34
ثانيا : الشائعة 35 - 44
ثالثا : غسل الدماغ 44 - 49
رابعا : الإعلام التضليلي 49 - 57

الباب الثاني : أساليب الحرب النفسية على الصعيد المدني
الفصل الأول : أساليب المشركين
تمهيد 62
أولا : الأذى المعنوي و النفسي 63 - 84
ثانيا : الأذى المادي (الحسي) 85 - 89
ثالثا : أسلوب التشكيك في العقيدة 90 - 94
رابعا : أسلوب العنف و الإضطهاد للأتباع 95 - 103

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفصل الثاني : أساليب اليهود
أولا : الجدل و المغالطة و التضخيم 113 ـ 112
ثانيا : المساءلة التعجيزية 117 ـ 115
ثالثا : التثبيط و قلب الحقائق 119 ـ 118
رابعا : إثارة البلبلة و الشكوك 120 ـ 119
خامسا : إحياء الفتن و الأحقاد 124 ـ 121
سادسا : الحصار الإقتصادي 125 ـ 124
سابعا : الطعن في العقيدة 128 ـ 125
ثامنا : محاولة تفجير الإسلام من الداخل 129 ـ 128
تاسعا : الرفض الجماعي للإسلام 131 ـ 129
عاشرا : الخيانة و الغدر و نقض المواثيق 133 ـ 131
أحد عشر : محاولة صرف الناس عن الإسلام 134 ـ 133
اثنتا عشر : الإعتداء على أعراض النسوة 135 ـ 134
ثلاثة عشر : تكوين جبهة متحالفة من أعداء الإسلام 138 ـ 135
الفصل الثالث : أساليب المنافقين
تمهيد 141
أولا : إيذاء النبي بالإتهمات 142 ـ 142
ثانيا : التخذيل و التجسس وكشف العورات 143 ـ 143
ثالثا : موالاة اليهود و النصارى 144 ـ 144
رابعا : رفضهم شريعة الإسلام 146 ـ 144
خامسا : مسجد الضرار 147 ـ 146
سادسا : ترويج الشائعات 163 ـ 143

الباب الثالث : أحداث ووقائع الحرب النفسية
ـ في عصر النبوة ـ على الصعيدالعسكري
الفصل الأول : غزوة بدر
تمهيد 169 ـ 168
أولا : الإيستراتجية العامة في غزوة بدر
ـ على الصعيد العسكري ـ 183 ـ 170
ثانيا : استراتجية العمليات القتالية في ميدان بدر 187 ـ 183
ثالثا : النتيجة العامة 187 ـ 187

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفصل الثاني : غزوة أحد
أ ـ المسلمون
أولا : قبل المعركة 197 ـ 193
ثانيا : التكتيك العسكري للخطة الدفاعية 210 ـ 197
بـ ـ المشركون
أولا : قبل المعركة 213 ـ 210
ثانيا : الاستراتيجية التكتيكية القتالية 217 ـ 213
جـ ـ النتيجة العبرة و الدروس
أ ـ أسباب غير مباشرة 218 ـ 217
بـ ـ أسباب مباشرة 221 ـ 218
جـ ـ هل إنهزم المسلمون ؟ 225 ـ 221
الفصل الثالث : غزوة الأحزاب
تمهيد 230 ـ 229
أ ـ المسلمون
أولا : قبل لقاء العدو 232 ـ 230
ثانيا : في مواجهة العدو 241 ـ 232
بـ ـ الأحزاب الكافرة
أولا : قبل الخروج 242 ـ 241
ثانيا : الخروج 243 ـ 242
ثالثا : حصار المدينة 246 ـ 243
جـ ـ الدروس و العبر 249 ـ 246

الباب الرابع : مواجهة الحرب النفسية في الإسلام
الفصل الأول : دور العقيدة في تقوية عوامل الوحدة
و التماسك و قطع أسباب الفرقة و الخلاف
تمهيد 257 ـ 254
أولا : التربية العقائدية 268 ـ 257
ثانيا : العمل على تقوية الوحدة و التماسك 274 ـ 268
ثالثا : قطع أسباب الفرقة و الخلاف 277 ـ 274
الفصل الثاني : معرفة أهداف العدو و مخططاته و مقاومتهما
تمهيد 300 ـ 299
أولا : التصور الفكري الواعي 304 ـ 300
ثانيا : تفسير الوقائع و الأحداث 309 ـ 304
ثالثا : دور الإعلام العقائدي في تشكيل التصور 316 ـ 309
الخاتمة 328 ـ 318
فهرس المصادر و المراجع 342 ـ 330
فهرس الآيات 349 ـ 343
فهرس موضوعات البحث 353 ـ 350

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية